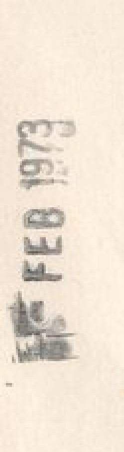

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01162 6490


FEB 1973

تاريخ العراق

بين احتلالين

-١-

حكومة المغول

٦٥٦ هـ : ٧٣٨ هـ

١٢٥٨ م   ١٣٣٨ م

تقديم للأستاذ الشهير بول كراوس المحترم
٢ تموز ١٩٣٦

للمحامي
عباس العزاوي

طبع في مطبعة بغداد سنة ١٣٥٣ هـ
١٩٣٥ م



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

اما بعد :

فالتاريخ اليوم غيره بالأمس عليه ترتكز العلوم الاجتماعية والاقتصادية ، وهو معول الامم في تأسيس ادارتها ونظامها ، وتسيير سياستها . . ومن هذه النواحي وغيرها لايقل اهمية وفائدة عن العلوم المادية بل يفوقها بكثرة . . . فاذا كانت هذه سهلت وسائل الراحة ، وغيرت في الاوضاع الحياتية فالتاريخ سير الجماعات نحو الادارات الفاضلة ، وساقها الى قبول خير المناهج الامية ، ولا زالت الاقوام تتمشى على ضوء نوره نحو الغاية الفضلى والكمال اللائق . . . وما قاله شاعرنا :

وما كتب التاريخ في كل ماروت   لقرائها الّا حديث ملفق

نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا   فكيف بأمر الغابرين نصدق

يحمل على اسباب طفيفة ، ومراسم واشكال ظاهرية لا علاقة لها بالاساس . . .

فلا يعني نكران اساس التاريخ ، والتشكيك في كل رواياته او الارتياب فيها .. وانما هنا نواحي لايصح التغاضي عنها او التردد في قبولها كوجود الامم ، والاعتراف بتشكيلاتها ، وتعيين اداراتها والتعرف بثقافتها وعلاقاتها بمجاوريها ، وحياتها الاجتماعية والفردية ... الى آخر ماهنالك مما لايصح أن يجابه بالانكار الا انّ المبالغات في اظهار ذلك ، او تصغير شأنه وعدم المبالاة به وما ماثل من الامور . . . مما لا يلتفت اليه ، والتدقيق العلمي يعيده الى سيرته الاولى ، والمبالغة تفسر في اظهار تلك بمظهر العظمة ، او التقليل من شأنها ... لمحب مفرط ، ومبغض مفرط والأمثلة على ذلك كثيرة ، والحقيقة ان مكانة الاقوام معروفة ووضعها يتجلى للرائي بوضوح . . .

ولما كان التاريخ ذا علاقة بالمجتمع من ناحية تدوين وقائعه نخير التواريخ ما يصور باخبارنا، وقرب ماهو الالصق بنا تسهيلا للقبول والتناول وهو الاولى بالاخذ والاستفادة، والاحق بالاعتبار... ومن هذا التاريخ صفحة تنبيء عن ارتباط الوقائع بنا في وقت، او تجربة لامندوحة لنا من ذكراها دوما للاستقاء من معين فوائدها عظة وعبرة متصلة لا تنفك عنها ولا تنفصل عنا... ولا تزال حوادثها ترن في الآذان وخبرها يقص بنفرة واستياء، وآلامها تعدد بين آونة واخرى، وقد أحدثت دوياً لا في العراق وحده بل بلغ صداها أطراف المعمورة أعني بها (حكومة المغول) او حكومة هلاكو في العراق...

وهذه دامت سيطرتها من صفر سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وامتدت الى سنة ٧٣٨ هـ ١٣٣٨ م وهي اول حكومة أجنبية، غير مسلمة احتلت العراق بعد الفتح الاسلامي بستة عصور ونصف تقريباً فرأى العراقيون غير مألوفهم، وشاهدوا مالم يخطر بخيالهم. وهكذا شأن الأمم فيما كتب عليها من المقدرات وما أصابها من نكبات...

تواريخ العراق ومراجعه

ان تواريخ العراق ومراجعه فيما يخص هذا الدور كثيرة ولا نجد مغولياً كتب عن هذا العهد ليكون تاريخه مرجعاً بعده وغالب من كتبوا من العرب وباللغة العربية قبل كل أحد ودونوا مشاهداتهم ومسموعاتهم ثم كتب العجم عنهم بالعربية والفارسية الا انها غير موصولة وفيها فترات لم يتيسر العثور عليها او الاطلاع على تفصيلاتها بسهولة. او انها بقيت مجهولة... وغالب الموجود مختلف المشارب والنزعات، او من صنائع نفس المغول، او مقصور على وصف الملوك وأعاظم رجال الادارة ممن نال مكانة تاريخية باعتبار أنه الناهض بأمته، والقائم بشؤونها، والمسير لمقدراتها...

ولكن لم تدقق هذه الوثائق الامم باعتبار قوتها ومناعتها، واخلاقها وسيرها التاريخي والاجتماعي، وتحفزها للوثوب والنهوض، او ذلها وخضوعها...

ولهذه المراجع أوصاف خاصة ستوضح عند الكلام على كل منها، وغالبها يعاب بانه كتب في أزمنة محاطة بظروف وتمايلات أدت الى كتمان الحقيقة او توجيهها وعدم التصريح بها او الاشارة الخفيفة، او المبالغة الزائدة والاشادة ... ذلك مايدعو للارتياب وان نستنطق وثائق كثيرة، ونقابل بل نقارن بعضها ببعض، ونلاحظ الدواعي والاسباب مما يفيد لتمحيص الوقائع، وتمييز الصحيح من المدخول ...

قد بذلت الجهود في التحري والتنقيب، واستنطقت مراجع كثيرة ... عرضتها على ميزان النقد التاريخي ... الا انني أقول بكل اطمئنان ان تاريخ العراق لهذا الزمن لم يكتب فيه الا القليل، و بصورة متفرقة ... وهذه اول تجربة جربها القلم فلم اعدل عن نقد من يستحق النقد، ولا عوّلت الا على ما اعتقدت صحته، اذلم تكن له رواية أو نقل آخر غير ما هو محل النظر وموضع الاشتباه حذراً من ان يبقى فراغ لمدة قد تكون فترة في التاريخ والعهدة في ذلك على روايها بالشكل الذي رواها مقرونا بمصدرها ومرجع نقلها ... فلا نهمل فكرة ولا نقبل كل خبر، ولا نترك كل رأي قدر الطاقة والمستطاع ...

المراجع العراقية والعربية

والمراجع العراقية او العربية في هذا الدور لم تنقطع، ولا تزال بقاياها موجودة فقد انجب العراق مؤرخين توالى ظهورهم، وتكاثر عددهم فخدموا العراق بما نشروه من مؤلفات خالدة وكتب قيمة ... والكل سعيهم متواصل، وهم في تكاتف وتساند لاحياء وقائع هذا المحيط، وتدوين ماجرياته. و بيان سائر احواله واوضاعه من نعيم وشقاء وسعادة و بؤس، وافراح وآلام ... ولا نزال نرى الايام تميط اللثام عن آثارهم مماخفي .. فنظراتهم صادقة، ومعولهم على وثائق صحيحة، او مشاهدات عيانية، وأخبار معتمدة .. هذا في غالب أحوالهم، وا كثر مدوناتهم مما وصلنا من دراسة مجاري

التاريخ ... وعليهم ركن مؤرخو الاقطار وبالتعبير الاوضح نهج مؤرخو الاقطار على طريقتهم وساروا على سننهم ...

وصف المؤلفات التاريخية

لانراجع في الغالب عن وصف المؤلفات التاريخية الاقوال المنقولة والمتكررة وانما حاولنا تدقيق نفس المؤلفات التاريخية التي عولنا عليها كمرجع اثري ، ولا نعدل عن هذا الا اذا كان وصف الاخرين منطبقا ، أولابد ان يراجع كالسنين والتواريخ الضرورية ، او الحياة الخاصة ...

وهذه منها ماهو من مدونات هذا العصر الذي نكتب تاريخه ، او بعده بقليل من التواريخ العامة والخاصة ، ولم نراجع المتأخر الا اذا كان جامعا لمصادر تتعلق به ولها فائدة كبرى في بيان الوقائع وارتباطها ، او التفصيل عنها ...

وقد تكلمت عن المهم من هذه المؤلفات والباقي أشرت اليه في حينه من تاريخ العراق فلا أرى حاجة للكلام على كافة المراجع سواء قلّ النقل ، او كثر ... والّا تألف منها كتاب ... وهذا بيان الكتب المشهورة :

الكامل

هو لابن الاثير علي بن محمد الجزري الملقب بعز الدين المولود عام ٥٤٤ هـ ١١٥٠م والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٣ م قد اجمل الامر اجمالا يكاد يغني المطالع عن حالتهم الاولى كتب الوقائع التترية متسلسلة ، واضحة تقريبا ، وذكر شعوره وتألمه من وقائع جنكيز فلم يتمكن من كتم الاحساس والتألم للمصاب فليس هو حجر ، لم يسعه ان يتخلى عن الوقائع المؤثرة ... ولكنه ـ مع هذا ـ لانراه يحيد عن تدوين الواقع...

كل المؤرخين يعولون عليه سواء كانوا أجانب ، او تركا او عربا ، او فرسا ... فلم يجدوا في غيره مايوضح خروج المغول .

ولا نلومه من ناحية الكناية دون الصراحة في بعض المطالب نظراً لما يحوطه من الظروف والاوضاع آنئذ اذ ان الحكومة العباسية لاتزال قائمة ، ولا يزال تأثيرها مكينا الى ايام وقوف حوادثه وهي صاحبة الحول والطول نوعا ، ولذا قال عن حوادث التتر :

« وقيل في سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لايذكر في بطون الدفاتر

قد كان ما كان مما لست اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر . » اه

ويريد ان يقول ان خروجهم كان بايعاز من الخليفة العباسي وبهذا يتهمه .. وقد قيل (الكناية أبلغ من التصريح) وقد بسطنا القول عن ذلك في اصل التاريخ ...

تقف وقائعه عند عام ٦٢٩ هـ اي الى نهاية سنة ٦٢٨ هـ ١٢٣١ م وما ذكره فهو ثقة فيه وقد اعتمد عليه الترك المتأخرون أنفسهم كغيرهم مما مر بيانه فقد بين حوادث التتر سنة ٦١٧ هـ ١٢٢٠ م وعقب الوقائع الى ان انتهى الكتاب وفيه حوادث بضع سنين فهو خير مصدر ، وحوادثه على السنين ، وقد اختصره أبو الفداء وزاد عليه الحوادث التالية الى ايامه ...

طبع ببولاق سنة ١٢٩٠ هـ ، وقد تلتها طبعة أخرى عادية بتاريخ سنة ١٣٠٢ هـ ، وفي ليدن سنة ١٨٥١ : ١٨٧١ م ، وطبع له فهرس في ليدن ايضا سنة ١٨٧٤ - ١٨٧٦ م وهو مهم ونافع ...

تاريخ أبي الفداء

اختصر مؤلفه أبو الفداء به تاريخ الكامل ومضى به الى سنة ٨٤٨ هـ ١٣٢٧ م وهو من المراجع المهمة لحكومة التتر ، ويعتمد في تاريخ ظهور التتر على المنشي النسوي وهو شاهد عيان لوقائع خوارزمشاه ، يذكر أسباب الخذلان ويعول على

دواعي كثيرة ، وبواعث مهمة ، ومنها طفيفة ، ومنها مالا يستهان به وفيه بيانات مفيدة عن (تاريخ التتر) ومنه أخذ ابو الفداء ..،

وكان المصدر الوحيد في بيان أحوال التتر الى ان عثر على كتاب المنشي المذكور، لخص ابو الفداء مباحثه ومع هـذا بقيت بعض الاعلام شاغرة لعـدم المعرفة ، ولفقدان المراجع ، و بوجوده زال الخفاء ، وسد الفراغ فصلح هذا لتصحيح تاريخ ابي الفداء وليلتئم الخلل ، ومن ثم توضحت نوعا وقائع المغول ...

ولا يفوتنا ان تاريخ ابي الفداء يفصل الحالة عن تاريخ سورية ويجمل القول عن الاقطار الاخرى فلم تكن الاستفادة مهمة خصوصاً عن بغداد بعد سقوط حكومتها فلا يري لها من الاهمية ...

المختصر في اخبار البشر

لعمر ابن الوردي المصري الشافعي ، اختصر به تاريخ أبي الفداء بنحو ثلثيه وزاد عليه في بعض المواطن ، وفيه تثبيت لبعض الاعلام المشتبه فيها مما ذكره ابو الفداء في تاريخه ومع هـذا لايخلو من اغلاط نسّاخ مما سيبين اثناء الحوادث ومقارنتها . وقد قال انه فصل مازاده بقوله (قلت) وأنهى كلامه بقوله (والله اعلم) و بين انه ذيل تاريخ ابي الفداء من سنة ٧٠٩ هـ ١٣١٠ م الى آخر الكتاب . هذا في حين اننـا نرى حوادث ابي الفداء في تاريخه المطبوع تمتد الى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٨م ، وتقف حوادث المختصر عند نهاية سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٩م والكتاب مذيل ببعض الحوادث الى تاريخ الطبع ... و يقال فيه ماقيل في تاريخ ابي الفداء ...

طبع سنة ١٢٨٥ هـ في مجلدين ، وتمتاز طبعته في اتقانها ومراجعة المصادر في تحقيق بعض المطالب ...



١ ــــ هلاكو ببزة حربية ص ٣٧

سيرة جلال الدين منكبرتي

للعالم الفاضل شهاب الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بالمنشي النسوي .وتاريخه هذا في سيرة السلطان جلال الدين المنكبرتي من الخوارزم مشاهية وهو آخرهم ، وعليه اعتمد أبو الفداء ورد اسمه بلفظ المنشي النسوي حينما تكلم عن (ظهور التتر) ، وفيه تصحيح لوقائعه وسد لفراغ الكلمات وتصحيح لها . وقد راجعناه وعولنا على غالب نصوصه . وقد مر الكلام عليه اثناء مراجعة تاريخ ابي الفداء . طبع باعتناء المستشرق الفاضل هوداس بأصله العربي مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٩١ م

قال النسوي في مقدمته :

« انني لما وقفت على ما ألف من تواريخ الامم الماضية ، وسير القرون الخاليه ، واتساق اخبارها من لدن انتشار ولدآدم أبي البشر (ع) الى زماننا هذا سوى ما صادف فترة ، رأيت قصارى كل مؤرخ تكرير ماذكره المتقدم عليه ... بيسير من الزيادة والنقصان الى ان يسوق الحديث الى زمانه ، وحوادث اوانه ، فيوردها شافية كافية ، ومن وراء الاشباع والاقناع آتية ، وشتان مابين الخبر والخبر وابن العيان من اقتفاء الاثر ، ورأيت الكامل من تأليف علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الاثير ، يتضمن من أحاديث الأمم عموما ، وغرائب اخبار العجم خصوصاً ماشذ عن غيره ، وانصف لعمري في تسميته كاملا ما ألف ولم استبعد ظفره بشيء من تواريخهم المؤلفة بلغتهم والا فما الامر مما يؤخذ بالقياس ، والذي أودعه تأليفه منها اكثر من ان يتلقف من افواه الناس ... الخ » اه

جهانكشاى جويني

من التواريخ الفارسية التي كتبت ايام حكومة المغول تأليف علاء الدين عطا

ملك صاحب الديوان ابن الصاحب بهاء الدين محمد الجويني المتوفى سنة ٦٨٣ هـ
١٢٨٥ م . قال في كشف الظنون ذكر فيه سير جنكيز وهلاكو مشتملا على دولة
المغول وسلاطينها وملوك الاطراف وزمانهم وقد أطراه صاحب تاريخ وصاف وأثنى
عليه كثيراً على ما سيجيء

وهذا التاريخ من أقدم ما كتب عن المغول بعد ابن الاثير والمنشي النسوي فقد
تكلم عن احوالهم وهو من المعاصرين واولى بالاعتماد زيادة على غيره وذلك لانه اتصل
بالمغول وتجول في مملكتهم وشاهد العارفين باحوالهم كما انه كان قد شاهد بنفسه
حوادث كثيرة وصاحب هلاكو مدة وقد حصل على كتب علمية مهمة حين القضاء
على الاسماعيلية وحكى ذلك . . . ثم أودع اليه منصب بغداد وكانت حكومته هناك
نحو ٢١ سنة على مافصل القول عنه في محله في خلالها حصلت عليه بعض
الشكاوى فكتب اليه أخوه الوزير (شمس الدين محمد الجويني) يدعوه ان يتنبه
للامور ولا يغفل عما يجري و بين سطور هذه يقول :

كم لي أنبه مقلة من نائم يبدي سباتاً كلما نبهته
فكانك الطفل الصغير بمهده يزداد نوماً كلما حركته

ذلك مادعا ان يقضي على تاج الدين علي ابن الطقطقي بحيلة احتالها ... ولكنه
لم يسلم من الغوائل ... ومهما يكن فقد كان مؤرخا عارفا بالامور ولكتابه قيمته
العلمية والادبية ... الا ان الالفاظ المغولية صعبة التلفظ فهي غير مأمونة الصحة
من النساخ .

طبع هذا التاريخ في ليدن عام ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م في مجلدين ، وفي ايران في مجلد
واحد الا ان طبعة اوربا المذكورة متقنة جداً وستأتي ترجمته خلال وقائع الكتاب
والمؤلف كان قد دام في حكومة بغداد مدة طويلة ولي العراق احدى وعشرين سنة

وشهوراً وهو اخو الصاحب شمس الدين كان عادلا ، حسن السيرة ، اديباً ، فاضلا ، وله رسائل جيدة ، واشعار حسنة .

ومن شعره :

أبادية الاعراب عني فانني — بحاضرة الاتراك نيطت علائقي
وأهلك يانجل العيون فانني — بليت بهذا الناظر المتضايق

وفيه مايدل على درجة علاقته بالعراق ...

وله أيضا أيام نكبة أصابته :

لئن نظر الزمان الي شزرا — فلا تك ضيقاً ـ افديك ـ صدرا
وكن بالله واثقة فاني — ارى لله في ذا الأمر سرا
زمان ان رماني لأبالي — فقد مارسته عسراً ويسرا
تراني ثابتاً جأشاً اذا ما — جيوش الحادثات عزمن أمرا
اذا دكت جبال الصبر دكاً — ترى مني فؤاداً مستقرا
وان شاهدت في صبري فتوراً — جعلت عزيمتي للصبر أزرا

ومما رثاه به أخوه بالفارسية :

اى نور ديده جهان فروزم — رقتي وزهجر توسياه شدروزم
بوديم دوشمع هردوسوزان بوديم — أيام ترابكشت ومن ميسوزم

يقول : « أي نور عين دنياي اللامعة قد صيرت أيام هجري سوداً بفراقك ، كنا شمعتين موقدتين فاخترمتك (محقتك) الايام ، ولازلت استعر واشتغل ..!! وقد ذكرنا ترجمته في التاريخ عند الكلام على وفاته . وعلى كل نرى المؤرخين يلهجون بحسن سياسته للعراق فهو من خيرة ولاته في ذلك العهد ...

تاريخ وصاف

وهو المسمى (تجربة الامصار، وتزجية الاعصار) وجاء في كشف الظنون عنه أنه (تجزية الامصار ...) اوله : حمد وستايش كه أنوار اخلاص آفاق وانفس راجون فاتحه صبح صادق متلالي سازد الخ وأثنى في مقدمته على علاء الدين صاحب جهانكشاي جويني ومدح كتابه ونعت مؤلفه بصاحب القلم، وادارة الملك ثم أبدى أن أيام محمود غازان قد مضت بالعدل الشامل ، وعادت المملكة أشبه بجنة الخلد . فرفع منار الاسلام وأزال الكفر والضلال وأقام شعائر الدين الاسلامي ، وأسس المدارس والمساجد . والمؤلف وهو عبدالله بن فضل الله سنح له ان يدون ماجال في خاطره ، ومابدر لفكره من فضائل هذا السلطان وما انقضى من أيامه الى اليوم الذي هو فيه وهو آخر شعبان سنة ٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م فشرع في تاريخه من هذا الوقت واستمر الى انتهاء ايامه ؛ ووعد انه سوف يفصل المنقول والمسموع وما شاهده عياناً ؛ وقد فعل ذلك وقص حوادث تدعو للعجب وهو بمثابة تكملة لتاريخ الجويني وختمه بمناقب السلطان أبي سعيد والدعاء له ، فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧١١ هـ ١٣١٢ م الا ان المؤلف لم يقف عند حدود هذه السنة وانما امتدت حوادثه الى سنة ٧٢٨ هـ فزاد عليه . وفيه بحث مستفيض عن المغول في ايران وتركستان وماوراء النهر من الممالك الأخرى وقد تطرّق لغيرها ايضا ... واشتهر مؤلفه (بوصاف الحضرة) من جرآء انه مدح السلطان الجايتوخان بقصيدة فلقبه بهذا وصار يعرف به والتاريخ أضيف اليه . وكان هذا المؤلف قد احتمى بالخواجه رشيد الدين وركن اليه فنال منه كل رعاية ...

وموضوعه في الحقيقة يتضمن اظهار المقدرة الأدبية والترصيعات الشعرية

والاوصاف السلطانية فابرز فيه من البلاغة ماينناسب عصره من سجع وتضمينات وأمثال وأبيات فارسية وعربية ... ويحتوي على أهم حوادث العراق كحادثة بغداد، و بعض المخابرات السياسية مما لايخص العراق مباشرة الا القليل ؛ وسترى النقول عنه ، وغالب مافيه يوضح حكومة المغول ...

وقد نال هذا الاثر اعتناء من العلماء فمنهم من شرح الفاظه ، ومنهم من علق عليه ، ومنهم من ترجمه ؛ واجمل حوادثه ... ومن هؤلاء حسين افندي آل نظمي البغدادي وقد بينت عنه في (لغة العرب) عند الكلام على آل نظمي ثم شاهدت تأليفاته على (تاريخ وصاف) وهي من الاهمية بمكانة فالمؤلف كتب اثرين عن تاريخ وصاف :

أحدهما : اوله : الحمد لله الذى خلق الانسان علمه البيان الخ ألفه سنة ١١١٨ هـ ١٧٥٧ م في مجلد ضخم أوضح فيه اللغات العربية المغلقة والفارسية والجغتائية والمغولية وترجمها الى اللغة التركية . وفيه توضيح لبعض البلدان العراقية . وقد ذكر في كتب التاريخ من مكتبة ايا صوفيا باسم (ترجمة تاريخ وصاف) رقم ٢١٥١ وعلاقته باللغة اكثر فقد شرح لغات وصاف ، وكنت أشرت اليه في لغة العرب و بينت ان له نسخة اخرى في مكتبة ويانة . وهذه النسخة قيمة من جهة اللغة وعلاقة العراقيين بها ... و يعد من علماء عصره في اللغة ... ومن بيانه يعرف مادخل العربية من الكلمات الاجنبية ...

وثانيهما : ترجمة تاريخ وصاف منه نسخة رأيتها في مكتبة ولي أفندى في الاستانة رقمها ٢٤٠٨ وأولها : الحمد الله الذي رفع سبع طباق الخضراء بغير عمد ترونها الخ . قال انه كان قد كتب مجلداً على ترتيب حروف الهجاء و بطلب من بعض الاخوان الاعزاء شرح عبارات وصاف على ترتيبها . والنسخة مجذولة وفي مجلد ضخم يحتوي

على ٤٥٦ ورقة بالقطع الكبير وعدد سطور كل صفحة ٢٥ تملكها ولي الدين افندي القاضي باستانبول . وهذه لحسين افندي آل نظمي كسابقتها . وهذا الكتاب يصلح ان يسمى ترجمة تاريخ وصاف فقد أخذ كل جملة منه وترجمها وشرح مغلقاتها وبالغ فى ايضاحها و ياليته ترجم الكتاب رأسا وقلبه للتركية لتزيد الفائدة و يكثر الانتفاع به ولم يتكلم صاحب (عثمانلي مؤلفلري) الا عن النسخة الاولى وذكر ان منها نسخة فى مكتبة بشير اغا الا انه غلط غلطاً فاحشاً فى جعل مرتضى افندي آل نظمي وحسين افندي آل نظمي اسمين لمسمى واحد ومزج بينهما فقال : (نظمي زاده حسين مرتضى افندي) وعقد ترجمة واحدة للاثنين باعتبارها شخصاً واحداً وعدد مؤلفات الاثنين بهذه الصورة و بين هذه المؤلفات ما يستحق التدقيق و يدعو للنظر ...

وعلى كل الاثران مهمان يوضحان تاريخا نافعا من تواريخ المغول والفوائد اللغوية جاءت عرضا و بالواسطة ... والاعتناء فيه كبير سواء لحل مغلقاته ، او لشرح كلماته وجمله ...

والتاريخ الاصلي وهو تاريخ وصاف طبع في بومبي سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٣ م في خمسة اجزاء ، وطبع في ايران الجلد الاول منه ولكن المطبوع في الهند عليه حواش لتفسير الفاظه وفي آخره (فرهنك لغات غريبة) وفيه شرح لبعض اللغات الغريبة مرتبة على حروف الهجاء وغالبها مغولية وعربية ولا تبلغ السعة التي بلغها حسين افندي آل نظمي ... وممن اعتمد عليه في تاريخ بغداد مرتضى افندي آل نظمي صاحب گلشن خلفاء

ملحوظة :

قد يلتبس القاريء فيظن ان هذا الكتاب نفس الكتاب المنسوب الى قاضي

القضاة منهاج الدين بن سراج الدين الجوزجاني والحال انه غيره وان كان يتضمن احوال دولة المغول من خروج جنكيز الى فتح بغداد وسائر حوادثهم الا انه يسمى (كتاب سياسة الامصار في تجربة الاعصار وتاريخ آل جنكيز) فاكتفى بالاشارة اليه ... وهو مطبوع في الهند

جامع التواريخ

ويسمى بالتاريخ الغازاني . وهذا التاريخ لوزير من وزراء المغول ، ومدون تاريخهم وهو الخواجة رشيد الدين فضل الله الوزير المقتول في جمادى الاولى سنة ٧١٨ هـ ١٣١٨ م . وفيه نرى وجهة نظرهم في سياستهم ـ طبعاً ظاهرها والمعلن منها دون المكتوم ـ وعليه عوّل كتاب الترك العثمانيين ومؤرخوهم في ترويج سياسة الخلافة بدخولها فيهم و بيان ضعفها ، وما كانت عليه ايام هجوم المغول استفادة من اقوال هذا المؤلف . فانه فتح نهجاً مشى عليه من جاء بعده فاتخذه مثالا يحتذي فكانت طريقته وسلوكها مقدمة . او ضرورة لازمة لخلافتهم ...

— نعم علمتنا السياسات المختلفة ، وتداول الايدي على العراق آمال كل قبيل من الامم مهما تكتم اصحابها في اخفائها ، و بالغوا في الايهام ... وعند مراجعة التواريخ يظهر لنا جليا ان المغول راعوا خطة في ادارة الممالك ثم مضى عليها العثمانيون في خططهم التي اختطوها، وان كانوا بالغوا في تقريع المغول وذمهم ،فراعوها بتبديل الشكل قليلا ...

وهذا الكتاب ابان رموز تلك السياسة وضروبها ، وكشف عن نوايا المسيطرين وخطط حكوماتها معنا ... وهو يشتمل على اربع مجلدات والاول منه يتكلم على ظهور الترك وتعداد قبائلهم وتواريخ أجداد جنكيز خان واولاده واحفاده ... والثاني في

حوادثهم وتفصيلات عنهم ... والثالث في الانبياء والخلفاء وقبائل العرب والصحابة الى آخر خلفاء العباسيين. والرابع في صور الاقاليم ...

وقبل ان يكتسب هذا الشكل الكامل و يدون بصورة مفصلة كان قد شرع المؤلف في تبييضه وحينئذ مات السلطان غازان فى شوال سنة ٧٠٤ هـ ١٣٠٥ م وجلس مكانه ولده خدابنده محمد فأمر باتمامه وادخال اسمه فى العنوان وطلب ان يضم اليه وصف الاقاليم واهلها، وطبقات الاصناف، وان يجعله جامعاً لتفاصيل مافى كتب التاريخ ... كتبه بالفارسية و بالعربية ...

وصف نسخة استانبول المخطوطة

ومن حسن الحظ أن رأيت في سفري الى استانبول في صيف سنة ١٩٣٤ م نسخة من التاريخ باللغة العربية وفي نظري أنها أعز شيء عثرت عليه كتب عليها (تاريخ جنگيز) وهي الجلد الأول من جامع التواريخ اوله : الحمد الوافر والثناء المتكاثر لله الذي ابدع الأكوان بقوله كن فيكون الخ . كتبت هذه النسخة سنة ٧٨٥ هـ فى غرة المحرم، وتنتهى حوادثها ،بالجايتو وهي فى مجلد ضخم ولم يذكر فى صلب المتن اسم الكتاب الا انه قيل على الغلاف (تاريخ جنگيز خان) ، وأماكن الفراغ التي بقيت بياضا اعدت لاجل التصاوير، ولكتابة العناوين بحبر احمر وذلك لأن المؤلف ذكر فى نسخته الاصلية تصاوير الاسرة المالكة و بعض مجالس سلاطينها واولاد السلاطين والامراء الا ان الناقل لم يمض الى ذلك وانما أبقاه فراغاً أوتركه على حاله وقبل ان يتمه اخترمته المنية ...

والكتاب من الآثار المهمة لعهد المغول وكان الواجب ان يهتم به فيطبع و يذاع لمعرفة حروب جنگيز وحياته وآثاره وانسابه واولاده واحفاده وغيرهم مما يتعلق

بهم من امراء ... وفي الكثير من هذه الامور لايراعي المؤلف سياسة وانما يقص حكاياتهم كما سمعها ...

وفي مقدمته ذكر ان جنكيز خان كان قد فتح العالم وسخره بكياسته ووفور عقله ، وقضى على الجبابرة والمردة المفسدين الذين كل واحد منهم كان فرعوناً في الطبيعة ضحاكاً في السيرة ... فكسرهم وجعل العالم على وجه واحد ، ونظف بيضة المملكة من تصرف المتغلبين الجائرين وظلم المعتدين المتجبرين ، واورثها اولاده واحفاده فكان السعد حليفهم ، والتوفيق قرينهم ... حتى جاءت النوبة الى السلطان السعيد محمود غازان ، وهذا كان نصير الاسلامية ، ومدمر الاصنام والداعي الى الله تعالى ، فهو ابراهيم المسلمين الثاني ... وكان في الاعصر الماضية علماء وحكماء يؤرخون معظمات الوقائع خيرها وشرها فى كل زمان حتى يعتبر بها اولادهم وعقبهم ويعالجوا أحوال الأدوار فى القرون الماضية ، ويذكروا السلاطين ، ويبقى ذكرهم مخلداً على صفحات الأيام والليالي فى بطون الاوراق ... (وذكر العتبي بين هؤلاء وبيّن) أن المؤرخين اكبر الداعين ، وأجود الناصحين لدول السلاطين ... وقال : وحيث ان الاقوام الموسومين باسم الترك مقامهم وسكنهم فى البلاد البعيدة التي طولها وعرضها من أبتداء طرف ماء جيحون وسيحون الى انتهاء حدود بلاد الشرق وانتهاء صحراء قبجاق الى غاية نواحي جورجية والختاى ، يسكنون الجبال والوهاد والآجام ، ولم يعتادوا السكنى فى القرى والبلاد . . . ولم يكن فى تواريخ المتقدمين من أحوالهم ذكر مستوفى ... قد ورد فى بعض الكتب شئ يسير من ذكرهم ولم يجدوا من أرباب الحقيقة احداً يتحققوا أحوال أخبارهم ويتفحصوا من آثارهم وحكاياتهم كما ينبغي مشروحاً مبسوطاً ، مع أن الاتراك والمغول وشبههم يتشابهون ولغتهم فى الأصل واحدة

وأن المغول صنف من الاتراك وبينهم تفاوت كثير واختلاف كما سنشرحه في مواضعه ... وهذا الاختلاف انما وقع بسبب ان تواريخهم المحققة لم تقع في هذه الديار . ولما انتهت نوبة الخانية الى سلطان العالم (لم يذكر اسمه وانما هناك بياض بريد ان يكتبه بمداد احمر وهو جنگيز خان) واولاده العظام واخلافه فانقاد لهم اهل الممالك ...

وقد اورد بعض علماء العصر واكابر الدهر في سوابق الأيام شيئاً من ذكر أحوال تسخير الممالك وفتح البلاد والبقاع ... خلاف الواقع ... وذلك بسبب عدم الاطلاع على كيفية الأمور والأحوال التي تتعلق بهذه الدولة وقلة معرفته بعظائم الوقائع وجلائل الحوادث التي كانت لهذه الحضرة الشريفة ... لكن وجدت في خزائنهم المعمورة تاريخ عهد قد عهد على وجه صحيح مكتوب بالخط المغولي وعبارتهم الا أنه لم يكن مرتباً بل كان فصولا ... حافظوا عليها وصانوها عن أعين الأغيار والأخيار وكانوا يكتمونها عن العوام والخواص ولم يمكنوا كل أحد من الاطلاع عليها الى هذا الزمان الذي تشرف بوجود سلطان الاسلام ... فالتفت خاطره الشريف ... الى ترتيب تلك الاجزاء وتدوينها واشار عبد هذه الدولة الايلخانية والمعتصم بعون الرب مؤلف هذا التركيب وهو (فضل الله ابو الخير الهمداني الملقب بالرشيد الطبيب ...) أن أكتب تواريخ اصل المغول ونسبهم ونسب سائر الأتراك الذين يشبهون الى المغول فصلا بعد فصل وارتب تلك الروايات والحكايات التي تتعلق بهم مما كان موجوداً في خزائنهم ومما وجده بعض الأمراء والمقربين مودعة والى هذه الغاية لم يجمعها أحد ولم يتيسر له سعادة هذا التصنيف وشرف هذا التركيب والتأليف . وكل واحد من المؤرخين كتب سطرا من ذلك من غير معرفة بحقيقة الحال بل سمعه من أفواه العوام وتصرف فيه على وجه

اقتضاه رأيه ولم يتيقن صحة ذلك لا هو ولا غيره . فأنا اورد عرائس هذه الأبكار ونفائس هذه الأفكار وخيار هذه الاخبار التي بقيت محجوبة في استار الكتمان الى هذا الأوان بعد المبالغة في تصحيحها والاجتهاد في أصل تلك الأجزاء من علماء الختا وحكمائهم ومن علماء الهند والاويغوروالاغور في تنقيحها بلفظ مهذب وعبارة منقحة وطريقة مرتبة ،وأجلوها الأعين النظار على منصة الاظهار ؛ والتفحص عن مجملاتها وتفصيلاتها مما لم يكن مذكورا ، والقبجاق وغيرهم من أعيان كل الطوائف ملازمون للحضرة الشريفة العالية خصوصاً من خدمة الامير المعظم والنويان الاعظم ، قائد جيوش ايران وتوران مدبر ممالك الزمان (بياض يراجع هنه الاصل الفارسي) دام معظماً الذي لم يوجد مثله في بسيط الربع المسكون في انواع الفضائل وألوان المفاخر والمناقب وفي علم نسب الأقوام الاتراك وتواريخ أحوالهم خاصة تاريخ قوم المغول ، واقتبس من كتب التواريخ الالفاظ المصطلحة التي لهم وآتى بها على وجه يفهمه الخواص والعوام ويعلمها جميع الانام من اوله الى آخره ... انتهى .

وفي هذه الكلمات المقتبسة من مقدمة المؤلف ماينبئ عن بحث عظيم ، ومزاولة أمر جلل مما استدعى أن يخلد هذا الأثر فقد تكلم في القبائل ، وفي بيان حكايات ظهور الاتراك وتعداد عمائرهم ثم ذكر قوم المغول ، ثم عقد فصلا في أحوال آباء جنگيز وظهور دولته ، وانهم كانوا في الاصل طوائف كالاعراب ... ثم فصل وقائع جنگيز تفصيلا لامزيد عليه ...

وفى آخر هذا المجلد ذكر ان هذا التاريخ كان كتبه للسلطان غازان خان وفى ١١ شوال سنة ٧٠٤ هـ قد توفي ، ثم ذكر محمد خدابنده (جاء فى موطن آخر خربنده) وهذا هو المجلد الاول ولا يستغني عما فيه وذكر انه بعد ان أتم المجلد الاول توفي

السلطان محمود غازان فالحق به مايتم به حوادثه ...

والنسخة لاتخلو من اغلاط لغوية الا انها نظراً لقدمها اقرب الى الصحة ... واما الاعلام فسيأتي الكلام عليها في حينها وقد رأيت هذه النسخة في مكتبة أياصوفية رقم ٣٠٣٤ هذا وقد بسطنا القول عن ترجمة المصنف في تاريخنا هذا .

كان اتخذ المصنف وقفاً بظاهر بلدة تبريز سماه (الربع الرشيدي) واجاز للناس ان يكتبوا من المجموعة الرشيدية التي من جملتها هذا الكتاب وهو (جامع التواريخ) نسخاً منها هذا التاريخ .

ومن شروط وقفه ان تكتب في كل سنة نسخة من المجموعة وترسل الى احدى بلاد الاسلام ، نسخة في العربية واخرى في الفارسية . وقد فصّل القول على ذلك في مقدمة الجزء الأول من جامع التواريخ طبعة باريس . وهذه الطبعة متقنة جداً وعليها تعاليق بالأفرنسية طبعت بمجلد ضخم وقد طبع المجلد الثاني منه بقطع صغير في باريس أيضاً وعليه تعاليق ومصوّر كتب باللغة الفارسية ونسخة منه عربية في المكتبة المصرية

ذيل جامع التواريخ

ان كتاب جامع التواريخ لم يقتصر الاعتناء به على مؤلفه ودرجة اهتمامه به فانه بعد أن سخطت عليه الحكومة المغولية وقتلته ، وأصابته النكبة ضاعت أكثر نسخه حتى ظن الكثيرون أن قد فقد هذا التاريخ وناله ما نال صاحبه ... وفي ايام شاهرخ بن تيمورلنك كان قد ألف ذيل على جامع التواريخ كتبه صاحبه لشاهرخ المشار اليه وقال في مقدمته أنه كان نديم السلطان في قصص الأخبار ويسمر له في التواريخ ووقائعها ، يعتمد على جامع التواريخ فالتفت السلطان الى ذلك فأمره ان

يكتب له ذيلا في احوال السلطـان محمد خدابنده وابنه السلطان ابي سعيد ففعل وأتم عصر المغول الى أواخر أيامهم ...

ومن المؤسف أنني تحريت كثيراً عن معرفة اسم المؤلف لهذا الذيل بقصد الاطلاع عليه فلم أنل مطلبي وقد شاهدت نسخة منه في مكتبة ويانه تحت رقم٣٢٧ وليس فيها اسم المؤلف ، وكذا رأيت منه نسخة في الاستانة في مكتبة نور عثمانية تحت رقم ٣٢٧١ قال مامعناه رأيت ان اتم الحوادث ليكون ذيلا للتاريخ المذكور وجمعت الحوادث من كتب متفرقة ، وأنا وان كنت ليس من رجال هذا الميدان الا ان ماشجع به الأخوان كان أكبر باعث وأرجو اصلاح الخطأ والغلط مما لايخلو منه امرؤ... بدأ به من حيث انتهى الخواجه رشيد الدين وتكلم عن الجايتو محمد خدابنده فعدد وقائعه وفصّلها تفصيلا زائداً وذكر الملوك المعاصرين له ثم مضى الى ابي سعيد بهادرخان وفصل ايضاً أحواله وختم أخباره و به تم الكتاب والنسخة الموجودة في نور عثمانية عدد اوراقها٧٧ والخط واضح والبحث فيه مستوفى جداً وهو من الكتب المعتبرة في بابه ... والملحوظ انه مسمي في المكتبة المذكورة(جامع التواريخ) في حين أنه ذيله ...

والاحتمال مصروف الى ان المؤلف المذكور لاحد نديمي الملك شاهرخ وهما حافظ ابرو أو شرف الدين علي اليزدي الا أن كثرة النسخ من هذا الأثر والتحري عن اسم مؤلفه لابد ان يطلعنا يوما على صاحب هذا الأثر ومنه نسخة في باريس وأخرى في آياصوفية تحت رقم ٣٢٧١

مختصر الدول

لابن العبري المعروف بأبي الفرج (غريغوريوس) بن (اهرون) وهذا التأريخ

من خير المصادر التي يعول عليها في تأريخ المغول عاش معهم مدة ، كان قد جاء الى الموصل ومنها سافر الى مراغة فمات فيهـا فى ٣٠ تموز سنة ١٢٨٦ م وكان قد ولد سنة ١٢٢٦ م كتب تأريخه الأصلي فى السريانية ثم نقله الى العربية باختصار من جهة وإضافات من جهة أخرى . والمؤلف من رجال الدين المعروفين عند النصارى، نال مكانة سامية ...

وإنما نقل تاريخه الى العربية بالحاح من اصحابه ، وكان نقله في أواخر حياته وقد ضمنه اموراً كثيرة لاتوجد في المطول السرياني لاسيما فيما يتعلق بدولتي الاسلام والمغول ... ذكر فيه رجال حكومة المغول وسياستهم وطريق حكمهم والقائمين بالأمر والمدبرين للمملـكة ... ومما يمدح عليه أنه لايتحامل على الامم الاخرى وذكر ان قسوسهم يترددون الى هؤلاء المغول وبين أنهم يراعونهم ، ويبدي أن جنكيز خان كان يميل اليهم ولم يقل اعتنق دينهم وانما روى بلفظ « قيل إن اونك خان واقوامه كانوا نصارى ... » ولم يقطع .

انتهى تاريخه الى حوادث ١٥ شعبان سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م ومن تاريخه هـذا نسخة خطية تحتوي على النصف الأل فى مـكتبة أوقاف بغداد وهي قديمة وقد طبع الـكتاب فى بيروت سنة ١٨٩٠م ومن مزاياهذا الـكتاب انه يوضح بعض الالفاظ التي دخلت حديثاً فى التأريخ لسبب الاتصال بالمغول ...وكان قد طبع لأول مرةسنة ١٦٦٣ م فى اكسفورد بالعربية واللاتينية ... (١)

الحوادث الجامعة

هو تاريخ عراقي كتب باللغة العربية وسمي بهذا الاسم ونسب الى المؤرخ المشهور

---

(١) يراجع الـكتاب المطبوع في بيروت

كمال الدين عبدالرزاق ابن أحمد الشيباني المروزي الأصل البغدادي الأخباري الكاتب المؤرخ ابن الصابوني و يعرف بابن الفوطي الذي كان ولد فى ١٧ المحرم سنه ٦٤٢ هـ بدار الخلافة وتوفي في بغداد فى المحرم سنة ٧٢٣ هـ وترجمته مبسوطة في الشذرات وتذكرة الحفاظ وابن خلكان وغيرها ... وهو حنبلي .

وهذا الكتاب لانعوّل على صحة اسمه . ولا على نسبته الى هذا المؤرخ فلم نجد مايحملنا الى القول بما رآه بعضهم ... فكاتبه لايزال غير معروف ، ومن الملحوظ أن مؤلفه اعتمد على مؤلفات مؤرخنا ...

اما الحوادث الجامعة فقد ذكر في الوفيات في كشف الظنون وغيره كفوات الوفيات ، وفي الأصل المنقول منه لم يذكر عنوان الكتاب ، ولا أوله ، ولا منتهاه ، ولا تاريخ كتابته مما يساعد على معرفة مؤلفه ابتداء ... والظاهر انه أجزاء من مجموع لايعرف مقداره ، وقد كتب مؤرخون ذيولا على مؤلفات عراقية فى التاريخ ، أو دوّنوا رأساً ... فالنسبة فرض وتخمين ولا نجد دليلا يدعمها ... وصاحب الشذرات يقول باستمراره بتدوين الحوادث الى أن مات وفى هذا المبدأ والمنتهى غير معلومين .

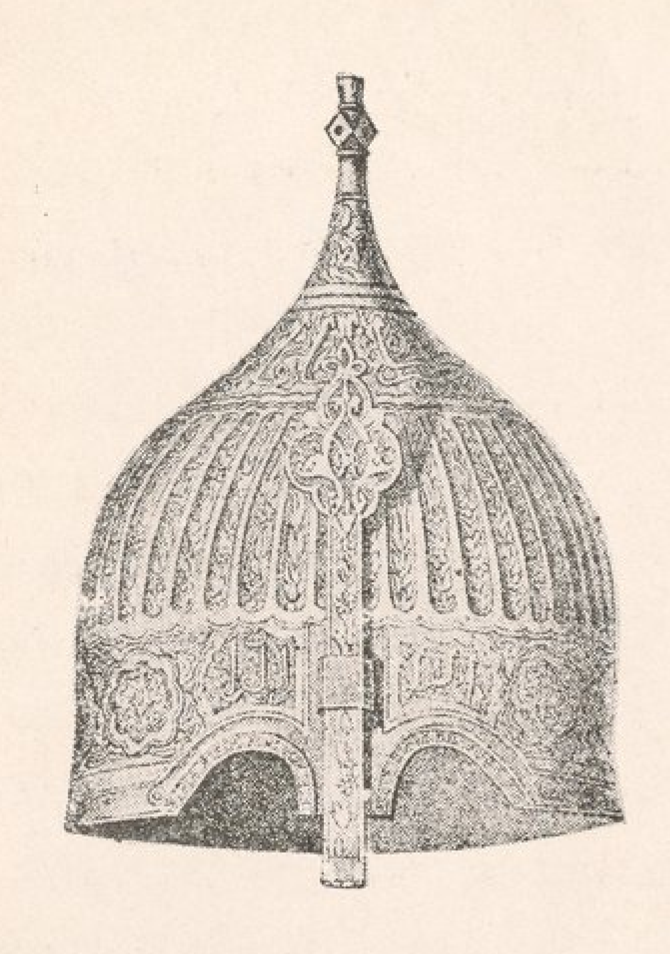
وعلى كل ان الكتاب يشير الى أن مؤلفه من رجال عصر تال لهذا العصر . ولذا نراه لا يتأثر بالحوادث وانما لخص ماوجد ، ونقل ماسمع ، وكتب ماعرف... اما وجود مقاربة في اللفظ فانه يدل على ان المؤلف اعتمد على كتب ابن الفوطي ولا يبعد ان يكون اخذ العبارة بعينها ، وعول على النص الحرفي ولم يشأ ان يتصرف ... هذا في حين أننا نعلم ان ابن الفوطي ذو علاقة بحوادث بغداد ، وبالطوسي وبابن الساعي ... فلم يصرح بشيء عن أمثال ذلك ، ولا بما ذكر عن آل الفوطي ممن له معهم قرابة ، أو صلة نسبية مما لا يصح تجرده عنه ...

او أغفال علاقته ... فهو أشبه بمخابر جريدة او سائح جاءنا من بلاد نائية يقص مارأى ، ويصور ماشاهد بكل ماأوتي من بيان وسعة علم وقدرة ... ذلك مما يبرهن على ان المترجم لم يكن من أهل هذا العصر وانما هو من أهل العصور التالية وقد راجع الكثير من المؤلفات التاريخية وان لم يصرح بالنقل ... هذا ولم نعدم مؤرخين كثيرين كتبوا بعده فاغتالت يد الزمان اشلاء من بعض تآليفهم فأبقته اثراً مهشما من أطرافه ، ينبئ عن مقدرة ، واتقان صناعة ، وينم عن مواهب عالية ، وحسن اختيار ...

اماط اللثام عن محيا حوادث نحن فى حاجة لبسط القول عنها خصوصاً القسم التالي لحوادث هلاكو ومن وليه ... فهو متمم لحوادث ابن الأثير ويبتدئ تقريباً من حيث انتهى ويقف عند السبعمائة فهو خير أثر ...

والفضل في نشر نسخه للمغفور له أحمد باشا تيمور فانه أذاعه ، وكتب عنه ونشر بضع نسخ فتوغرافية منه ... ولولا أنه تناوبته أيدي النساخ فشوهت بعض الاعلام وأهمها الأعلام المغولية ، أوشيوع التلفظ بها آنئذ بهذا الوجه دون اعتناء فى النطق ... لكان خالياً من كل قيل ... وهذه طفيفة بالنظر لما احتوى عليه من الفوائد ...

وكنا نأمل ان يطبع طبعة متقنة ويذاع في الاطراف للانتفاع به في معرفة هذا العصر لأن اهميته لاتقتصر على بغداد وحدها وانما تعرض لوقائع اخرى لهاصلة بالمجاورين من ناحية ، وفيها تعريف صحيح بحكومة هلاكو ومن خلفه من ملوك المغول ... مما يهم أمر التاريخ الاسلامى وعلاقة هذه الحكومة به ... طبع عام ١٣٥١ هـ ١٩٣٣ م طبعاً مغلوطاً لايمثل الأصل ، ولا ينبه على صحة الاعلام ، ولا تعيين المواقع ، ولا اشار الى المهملات من الحوادث ... فقد مسخت الأصل



٢ — مغفر مغولي تابع ص ٥٨

ومع هذا نرى هذه الطبعة خالية من قائمة في الخطأ والصواب ومن الفهارس ...
وقد اعتمدنا في النقل عنه على النسخة الخطية المقابلة مع الأصل الفتوغرافي لنسخة المرحوم احمد باشا تيمور ...

تاريخ المغول

تأليف موراجا دوهسون ترجمه الى التركية مصطفى رحمي نشرته وكالة المعارف للجمهورية التركية في استانبول سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢م من مطبوعات المطبعة العامرة وفيه بيان عن ماضيهم وعنعناتهم المحفوظة والمنقولة على ايدى العرب والعجم وظهور جنكيز وقبائل المغول معه واولاده واحفاده وما أوجدوه من حكومات وفيه ايضاح عن حروبهم مع الخوارزمشاهية والعرب المسلمين ... وتأسيسهم الادارات المتفرقة... ومباحثه لايخص الكثير منها موضوعنا فاننا لم نتكلم الّا عن ماضيهم وتأسيس حكومة الايلخانية على يد هلاكو ثم من وليه حتى انقراضهم ... والكتاب يعتمد على مراجع عربية وفارسية مهمة وغالبها مما عوّلنا عليه وهو في مجلد واحد ... والملحوظ هنا معرفة طراز الناحية التي عقبها الأوربيون في توجيه المجرى التاريخي والتعديل فيه بالنظر لآمالهم ونفسياتهم مع الاعتماد على الوثائق الشرقية ...

نظام التواريخ

للقاضي أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي المفسر المشهور وكان قد اشتهر بتفسيره (أنوار التنزيل واسرار التأويل) أما تاريخه (نظام التواريخ) فقد كتبه باللغة الفارسية على خلاف مؤلفاته الأخرى واحتوى على الوقائع من الخلقة الى سنة ٦٧٤ هـ ١٢٧٦ م وقد تكلم عن الانبياء والخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية ، والعباسية ، والصفارية ، والسامانية ، والغزنوية ، والديلمية ، والسلجوقية ،

والسلغرية ، والخوارزمية ، وعن دولة المغول ... وكان قد شاهد أيام تفوق الدولة السلغرية وانقراضها ، واستيلاء المغول فكتبها بقلم معتدل . والكتاب منتشر ومبذول في مكتبات عديدة وقد رأيت منه بضع نسخ في مكتبات الاستانة احداها في مكتبة بايزيد العامة كما أني شاهدت هناك ترجمته الى اللغة التركية . وعندي نسخة من التركية المترجمة ولم يذكر اسم مؤلفها سواء هناك أو في مخطوطتي . وقد حكى لي اسماعيل صائب بك مدير المكتبة العامة في الاستانة ان فرجاً الكردي قد ترجم الأصل الفارسي الى اللغة العربية لينشره فلم يظهر لحد الآن ، وعلى كل هذا التاريخ مختصر لايسمن ولا يغني من جوع وقد ترجمه الغياثي الى العربية وأدرجه في تاريخه المعروف (بالغياثي) وزاد عليه من بعد انتهاء حوادثه الا ان لغته عامية ولا يخلو من غلط ...

طبقات الشافعية

لتاج الدين ابي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ١٣٧٠ م وقد تعرض فيها لوقايع جنكيز خان ووقائع التتر وأوضح جهات هجوم هلاكو على العراق وغيره وفيها من البيانات ما اغفله كثيرون فتصلح أن تكون مصدراً تاريخيا لهذا العصر ... واننا لم نشأ أن نذكر كلما عرض لنا من نتف المباحث ... ولولا أن هذا التاريخ من الكتب المعتبرة لما نوهنا في النقل عنه كمصدر ، أو مرجع نرجع اليه ... الا أنه فى ذكر النقول سيطلع القاري على حوادث بغداد والمغول في كتب مختلفة هي بمنزلة جرائد هذه الأيام فنكتفي هنا بالاشارة الى بيان حوادث صاحب الطبقات مما كتب في الأيام القريبة من أيام المغول ...

إن المؤلف — في مقدمته — شرح حال التتار و بين وقائع جنكيز خان في

(صحيفة ١٧٥ ج ١ من طبقات السبكي) وفيها يوضح وقائع جنكيز خان ومقارعاته مع خوارزمشاه ووقيعته ببلاد المسلمين ... ثم تكلم عن حوادث حفيده هلاكوخان في (صحيفة ١١٣ ج ٥ منه) وقد ذكر عن ابن الأثير — تأييداً لما حكاه — « والله لا أشك أن من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ورأى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق في يده قال فمن استعبدها فلينظر أننا سطرناها في وقت يعلم كل من فيه هذه الحادثة ، وقد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ... » اه (ص ١٨٤ ج ١ طبقات السبكي) . طبع بمصر سنة ١٣٢٤ هـ

تقويم الوقائع التاريخية

هو لكاتب چلبي صاحب كشف الظنون كتبه بالفارسية ويعدّ من المصادر المعتبرة سوى انه مختصر بل تقويم للوقائع كاسمه . ولا يخلو من فائدة لا يستهان بها ، والمؤلف ثقة في نقله ويلام الطابع في اختصاره لبعض جداوله وعدم مراعاته الترتيب بالنظر للسنين ... وان كانت مذيلة بوقائع تالية الى حين الطبع فلا تغني عن الأصل ...

وعلى كل شهرة مؤلفه لا تحتاج الى بيان ... كما أن اطلاعاته على التواريخ الفارسية والتركية واسعة فهو ممن يوثق بقوله ...

شجرة الترك

في تاريخ الترك والمغول لأمير خيوه أبي الغازي بهادرخان ويتعلق بنشأة الترك وأنسابهم كتب بلغة الچغتاي فنقله الي التركية الدكتور رضا نور الكاتب التركي المشهور من كتاب العثمانيين والجمهورية التركية طبع سنة ١٩٢٥ م و ١٣٤٣ هـ ولأصله نسخ في المتحف الآسيوي ببطرس برج ، وبقازان ، وبرلين

وگوتنغن ...

لم يجد مؤلفه فى أمته من يقوم بما عزم عليه من تاريخ قومه ، وخشي ان يفقد تاريخهم او تعدم آثارهم فدوّن كتابه هذا ... وقال في مقدمته :

— « إنني لم اكتب هذا الكتاب لاعلاء شأن نسلي ، أو أن أتبجح به فاكتم الحقيقة وأدوّن خلاف الواقع ... وحيث ان الله تعالى خلقني ممتازاً بمزايا ... لم احتج الى ذلك بل سجلت الحقيقة كما هي . وقد مكنني الله تعالى من ثلاثة أمور خصّني بها ، إحداها الجندية وقوانينها ونظاماتها فاني ماهر بصنعة ادارة الجيوش وسوقها (تعبية الجيش) ، والاطلاع على نظام الحرب ، وأصول المداولة مع الأعداء والأصدقاء ، وثانياً الشعر بانواعه من تركي وعربي وفارسي . فلو قلت لا شاعر مثلي في هذه اللغات لما تجاوزت الحدّ ولكنني لم أشاهد من يقاربني فى صناعة الجندية لا فى الكفار ولا فى المسلمين ، وثالثاً معرفة تاريخ ملوك المغول ، والتوران (الطوران) ، والعجم ، والعرب ... » اهـ

وأبو الغازي هذا من اسرة جنگيز خان وهو ابن عرب محمد خان الخوارزمي كتبه عام ١٠٧٤هـ ١٦٦٣م وكان مريضاً والكتّاب حوله ومنهم من يملي عليه فيكتب ، ومنهم من يراجع له المصادر وآخر يقرأ له وهكذا ومن جملة ما اعتمد عليه (جامع التواريخ) فقد كان اقتنى منه نحو عشرين او ثلاثين نسخة ليقابل عنها الاعلام ومع هذا لم يعول على واحدة منها فى ضبط الالفاظ خصوصاً ما يتعلق باسماء الجبال ، او الاودية ، او الارضين ، أو اسماء الناس المغولية او التركية فقد استنسخها عجم او مستعجمون ممن لم يعرفوا المغولية والتركية فلو علّمنا هؤلاء لمدة عشرة أيام لا يستقيم لسانهم فى التلفظ بها ، فالصعوبة كل الصعوبة عليهم فى نقلها واستنساخها... قال : ان بعض الأعلام لو لفظناها امام اعجمي مرات لما تيسر له النطق بها . . .

وكان قد ذهب الى مملكة المغول الى قالموق ليدرس لتهم هناك ويتلقاها من اهلها قضى سنة لتعلمها ومعرفة عادات هؤلاء ... فكان قد عانى في سبيل تاريخه المشاق حتى ظهر في اتقن شكل ...

وفي سنة ١٨٧١ م طبعه البارون دمزن مدير مدرسة اللغات الشرقية بعد مقابلته بنسخ كثيرة، طبعه عيناً وبلهجته الاصلية، وفي سنة ١٨٧٤ م نقلت هذه الى اللغة الافرنسية وطبع معها اصلها ... ونقله الى التركية الدكتور رضا نور الموما اليه ونقد الترجمة والطبعة وأبدى أنها لم تكن بالوجه الأتم وانما وقعت فيها أغلاط فاحشة جداً، وما أضافه المترجم التركي جعله بين قوسين كما انه طوى منه مايتعلق بآدم ونسله لاعتقاده انه خرافي فلخص القول وابتدأ من تاريخ القوم.

وكان قد سبقه الى ترجمته الى التركية أحمد وفيق باشا العالم التركي المشهور صاحب لهجة عثماني في اللغة وآثارسوزي، ومؤلفات عديدة منها هذا الكتاب وسماه (اوشالشجرة تركي) الا انه لم يتم. والملحوظ هنا ان الدكتور رضا نور كان قد طوى الانساب من آدم الى نوح (ع) ولم يتعرض لها فجاء مكملاً لتمام الترجمة، وان الباشا المؤلف مشهور بسعة علمه، ومعروف في الاحاطة باللغات الشرقية واكثر اللغات الغربية... (١)

والكتاب لم يكن شجرة انساب كما هو المتعارف من التسمية ـ وان كان يسلسل الافراد ويبين الاتصال ـ فهو تلخيص عن حالة المغول، وعن اوائل الترك، وينبئ عن اطلاع وخبرة واسعة ... وهو خير مأخذ، وعليه اعتمدنا في مواطن كثيرة ... ولم نتوغل في تفصيل أحوال الترك والمغول الا ما كان تمهيداً لمعرفة اولاد جنگيز ومكانتهم، وأقوامهم ... وخصوصاً مايتعلق بالعراق وله صلة به واتصال ... ومن مقابلة النصوص وجدناه كتاباً قيماً ...

«١» عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ١٦٠

ولا يضر ذلك أو يقلل من قيمته التاريخية ان لا نشاركه في كل مباحثه ..

تاريخ ابن خلدون

وهذا التاريخ فيه مباحث مهمة عن المغول ووقائعهم مع المسلمين الا أنه لايوثق بصحة الأعلام التي ذكرها وهي أعلام المغول فان أغلاطه فيها كبرى . ولعل ذلك ناشيء من غلط النساخ وتصحيفاتهم او شيوعها كذلك . والكتاب اشهر من أن يذكر وانما نكتفي هنا بالاشارة الى اغلاطه ، وأنها لم يلتفت اليها حين الطبع ولا قلوبلت المطبوعة بنسخ كثيرة للتصحيح ... ولا سد الفراغ في بعض المواطن التي بقيت بحالة بياض ... وغالب آرائه يتحامل بها على العرب واهل البادية منهم ...

كلشن خلفا

هذا التاريخ لمرتضى أفندي آل نظمي المتوفى عام ١١٣٦ هـ ١٧٢٤ م تقريباً . وفيه سلسلة مباحث حكومة هلاكو ومن وليه من ملوك المغول واطنب في وقعة بغداد ونقل عن تواريخ متعددة منها تاريخ مصلح الدين (١) اللاري ، وتاريخ وصاف ، وتواريخ أخرى ... فهو مهم من ناحية نقوله ووقائعه المطردة ، وقد سد ثلمة في ايضاح الوقائع بسبب تكاثر المصادر وتعددها كما أننا أخذنا عنه القسم المترجم من التواريخ المذكورة ... وسيأتي الكلام عن هذا التاريخ والنقل منه عن الايام المعاصر لها ، والايام التي قبل هذا التاريخ من مشاهداته ونقوله عن مشاهدي الوقائع من الحوادث المباشرة ... وهنا ننقل عنه بعض ما يتعلق بموضوعنا ...

ومباحثه عن هذه الحكومة تبلغ ٢٤ صفحة ... كتب باللغة التركية

---

(١) رأيت منه نسخة اصلية مكتوبة باللغة الفارسية وهو مترجم الى التركية أيضاً وفي الاستانة عدة نسخ منه فارسية وتركية ...

التاريخ العام للهونه والترك والمغول وسائر التتر

تأليف دوكيني ترجمه الى التركية حسين جاهد بك الكاتب التركي الشهير في ثمان مجلدات عن الفرنسية والكتاب مبسوط ومفصل الا ان النسخة الاصلية فيها غلط أعلام ناشئة عن اللغة وصححها بقدر الامكان مكرمين (١) أفندي . ولم نعتمد نحن على الاجانب في تثبيت الأعلام الا بعد تحقق أصلها من الكتب المعتبرة . والنسخة مطبوعة فلا محل للاطناب في وصفها كثيراً ...

ترك تاريخی

للدكتور رضا نور في مجلدات كثيرة وصلنا منها من المجلد الاول الى المجلد الثاني عشر وهو تاريخ واسع عن الترك العثمانيين في الغالب وسائر الترك والمغول ولا يخلو من فائدة . ومؤلفه استند الى مؤلفات كثيرة الا انه متعصب لقوميته تعصباً يكاد ينسيه انه مؤرخ . وهو مترجم (شجرة الترك) .

الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة

لشيخ الاسلام الحافظ شهاب الدين احمد بن علی بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٧٥٢ هـ ١٤٤٩ م والكتاب من أجل الكتب التاريخية وانفسها في موضوعه وهو من خير المراجع التي عوّلنا عليها ويعد من اوثق المصادر . طبع في دائرة المعارف الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد دكن سنة ١٣٤٩ هـ وقد بذلت الجهود في تصحيحه الا أنه لم تراجع المصادر التاريخية للتعليق عليه وتدوين مافاته من وفيات أو تصحيح مااوخذ عليه ... ومهما يكن فالمؤلف خير كتاب في ناحيته ولا ادري معنى ما جاء اثناء التعليق من بيان النسخ دون ابداء اي رأى أو مطالعة

---

(١) مؤرخ تركي معاصر ومشهور رأيته في الاستانة وله اطلاع واسع في التاريخ الاسلامي .

حولها ... فلم يقم المصحيح با كثر من حادثة مقابلة بين النسخ وما جاء من التعليقات القليلة فلا تسمن ولا تغني من جوع ... وهو في ار بع مجلدات ، وكأن المطالع يشاهد ار بع نسخ معاً . وللطابع الفضل في هذا ... وان لم ينبه على الصحيح.

وتمتد حوادثه الى ما بعد هذا العصر اي انه يكاد يستغرق حكومة الجلايرية أيضاً مما يتعلق بموضوعنا ...

و يعاب على المؤلف انه لم يذكر مواطن بعض الاشخاص ولاعرّف بطريقتهم الفقهية أونحلتهم العقائدية ... وا كبر ما يراعي المحدثين ولم يتعرض كثيراً لغيرهم... وفيه معلومات قيمة عن المغول والعلاقات معهم ... فالكتاب يفيد باعداد المادة للمتتبع ليراعي تصليح الغلط من غيره ... وكان الأولى ان لا تهمل هذه الناحية اذا عرف المراجع التاريخية وتمكن من التنبيه على ما فيها من الاخطاء... وقد اتعبنا هذا الموضوع كثيراً لا من ناحية الترجيح المجرد بل عن خبرة وتحليل للفظ وما لحقه من تحريف او تصحيف أو غلط نسُاخ ...

عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان

تأليف العلامة الشيخ بدر الدين ابى محمد محمود ابن احمد العيني الحنفي المتوفى سنة ٨٥١ هـ ١٤٤٨ م اوله : الحمد لله الذي دلت على الوهيته الكائنات الخ . قال في مقدمته « كنت جمعت في حداثة سني وعنفوان شبابي تاريخاً من مبدأ الدنيا الى سنة ٨٠٥ حاو يا قصص الانبياء (ع) وما جرى ايامهم وسيرة نبينا ﷺ وماجرى بعد بين الخلفاء والملوك في كل زمان مع الاشارة الى وفيات الاعيان ... ثم بدا لي أن أنقحه بأحسن منه ترتيباً وأوضح تركيباً مع زيادات لطيفة ، ونوادر شريفة ، وضبط مايقع فيه من المهمات من اسامى الرجال والامكنة المذكورات وترجمته (بعقد

الجمان في تاريخ اهل الزمان) وفصلته على فصول تسهيلا للحصول متوجة بمقدمة تغني عن اصل التاريخ ومعناها ، وتخبر عن سبب وضعها ومبناها ... الخ وهو في ٢٤ مجلداً وتنتهي حوادثه عام ٨٥٠ هـ ١٤٤٧ م . ومنه نسخة في مكتبة ولي افندي في الاستانة كاملة الا ان الجلد العشرين منها فيه بطش المداد بحيث لا يقرأ الا بصعوبة والنسخة منقولة من نسخة المؤلف الموجودة في مدرسة البدرية العينية القريبة من الجامع الازهر بالقاهرة وفيها انه توفي اي المؤلف سنة ٨٥١ هـ ١٨٤٨ م مع ان التواريخ الاخرى تقول سنة ٨٥٥ هـ ١٨٥٢ م وتاريخ المنقولة يوم الخميس ١٩ جمادى الأولى سنة ٨٩٣ هـ وقد اعتمدت عليها في الحوادث الخاصة بسني تاريخنا هذا وما يليه من التواريخ الاخرى ويتكلم بسعة عن علاقة سورية بحكومة هلاكو ومن بعده وينم عن اطلاع واسع وتوثق من الاخبار ويعتمد على ابن كثير وعيون التواريخ للكتبي وغيرهما مما سيأتي النقل عنه في حينه ... وحوادثه على السنين وقد أطنب في تاريخ هلاكو وسماه هلاوون وفيه حوادث عامة لا تختص بقطر الا انها قليلة جداً ... ومضى في اول الأمر من حين ابتداء ايام هلاكو في العراق عن وفيات عراقيين ثم طوى البحث الا نادراً او ممن توفي من العراقيين في سورية او في مصر وليس في عبارته تعقد او تشوش وانما هي بسيطة وسهلة ... وكان الاولى ان يرجح طبعه على غيره من سائر التواريخ لهذا السبب ولامتداد حوادثه الى السنة المذكورة اعلاه ... ولسعة مواضيعه وبسطها ... والمؤسف انه بقي غير مطبوع لحد الآن وقد أخبرني محافظ المكتبة ان المصريين اخذوا نسخة فتوغرافية منه وأهم مايجلب الانظار انه يعين بوضوح علاقات العشائر بسورية والعراق ببسط زائد وسعة وافية ونافعة جداً ... عدا ما يتعلق بالحكومات ومفاوضاتها ، والرسل وبعثاتهم ، والمخابرات الجارية مع الملوك ...

كتب اخرى

وهناك كتب أخرى قيمة ومفيدة جداً لمباحثنا من معاصرين للوقت الذي نكتب عنه وغيرهم أمثال (تاريخ گزيده) ، (التاريخ الغياثي) ، و(روضة الصفا ،) و(رحلة ابن بطوطة) ، و (نزهة القلوب) مما سنتعرض للنقل عنه ... والمصادر من هذا النوع من تركية وفارسية كثيرة كتبت عن هذا العصر ونقولها مهمة ، ولولا خوف السأم لاوردنا عنها التفصيلات الوافية ...

ملحوظة

وفي هذا وما سبق الكلام عنه ماينبيء عن سير التواريخ ولم نلتفت الى مارأيناه في بعض التواريخ من النقص واعتمدنا على المفصلات بقدر الأمكان فلا نزيد القاريء ضجراً في بيان المعايب ، واظهار المثالب ... مما نحن في غنى عن ذكره... وذلك بعد أن توضحت لدينا المراجع أعذرنا من كتب في أزمنة محاطة بظروف خاصة ، او أوضاع شاذة ... دعت الى الاطراء الزائد او التكتم ... ومن حيث العموم لانجد أصدق لهجة في بيان حقيقة الوقائع من مؤرخينا وانما نوجه اللائمة في المحاكمة والاستنتاج أو المدح أو الاخفاء ... ولا تلبث أمثال هذه أن تزول بعد عصر أو عصرين فتظهر الحقيقة ناصعة مجردة ... فأنا مقتنع من مصادرنا وقاطع بصحتها الا ما رأيته خلاف الوثائق المعروفة والثابتة ... فكانت طريقتي ان استمع القول وأتبع أحسنه بمراعاة الواقع بقدر مايمكن الحصول عليه والتوصل لمعرفته ... وكل أحد يؤخذ من قوله و يرد ... في أمثال القضايا الموضوعة البحث .

ولا يفوتنا أن نقول كلمتنا عن بعض المؤرخين الذين لايعتمدون على أنفسهم وانما يذكرون النص بعينه وحرفياً دون مراعاة المجرى للوقائع والتثبت منها و يتقيدون

به تقيداً لايأتلف والتاريخ الحقيقي ... فهؤلاء لاتكون نظرتهم صائبة الا في الاختيار أحياناً وغالب نقولهم مغلوطة ... ذلك ان النظرات العامة سواء منها مما يتعلق بالاجتماع ، أو بالادارة ، او بالعقائد او باللغة ... انما تستنتج من خلال الوقائع ، ومجموعها ... استفادة من الأوضاع ، او السير التاريخي وتياره الجارف ... لذا لايصح الاعتماد على قول شخص قد يكون رأى صفحة ، اولاحظ ناحية ، أو عثر على نص تاريخي يتعلق بوقعة جزئية ... أو تصوير للحادثة ناشئ عن توهم ... والعمدة على المجرى ، وعلى تشميل الوقائع واجمالها بصورة عامة ... فما خالف ذلك لايركن اليه ... فالنص الذي يجب نقله هوالذي لايعدو هذه الناحية ... فالتاريخ — في نظري — يدقق تيارات الامم ، ومجاري سيلها الجارف ، وأثرها في الحقوق والادارة والاجتماع ، وعمارة الأرض وخرابها ... ولا نجد شيئاً من ذلك في الوقائع الجزئية بعينها ... مما مبناه قصر البصر ... فهو ملخص جميع الوقائع ، وزبدتها والنظرة السريعة والعامة في صفوة حالها الى آخر ما هنالك ... ولا يحصل المطلوب الا بذكر الوقائع الموثوقة والنصوص المؤيدة المسهلة والنافعة ... مما فيه الكفاية للوصول الى الغرض ...

قد تتضاءل الوقائع الجزئية المشتبه فيها امام هذه الأمور التي قد يؤدي الى الجمود التمسك بها والوقوف عندها دون ربط الوقائع المقطوع بها وايرادها مما يهيئ القارئ إلى تجريدها لاستخراج المجاري العامة والقواعد الكلية ... ولا يعني ذلك أننا سوف نهمل الوقائع الجزئية مطلقاً . فالأهمال نصيب المردودة والمدخولة لاغير ... والغرض ايجاد الصلة دائماً ومراعاة الموازنة وعند تكرر الوقائع المماثلة يظهر أثرها وتدخل ضمن مانتطلبه ... ومن ثم تتولد العلاقة بين الوقائع والنظم ، والمسير لهذه ومديرها الشخص ضرورة وقسراً ... فالارتباط لازم ، والنفوذ الفكري

له دخل عظيم في صحة الحكم بناء على الشهادات التاريخية ، او المشاهدات ... والتنطعات ليس من شأننا .

والغالب أن لا نعوّل على مرويات السياحات والرحلات أمثال رحلة ابن بطوطة وانما يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار مشاهدات السائح ومدوّناته عن هذه ... ولا نتطلب منه اكثر من ذلك ... لان مشاهدات هؤلاء السياحين صادقة لاتكذب فهم أبصر فيما رغبوا في الاطلاع عليه ، والتدوين عنه ... وعلى هذه الناحية ركنا وبها اخذنا بزيادة على غيرها وترجيح ...

هذا ما رأينا أن نذكره عن المراجع التاريخية ...

نظرة عامة في أحوال هذا الدور

توطئة للبحث نرى أن نبدي ملاحظة عامة عن هذا العهد تبصر بحوادثه الجزئية وتكون كتمهيد وذلك أن الحكومة الايلخانية كانت قد احتلت العراق والامة العراقية بدا كل أمر جديد لديها ، الادارة والدين ، واللغة ، والاجتماع ... فلم تألف منها هذه الأمور كلها ، ولا علاقة سابقة لها بها ، وقد تكون سمعت عنها ولكنها غريبة من مألوفها ... قضت على الحكومة العباسية ، واسست ادارة خاصة ، وهي ما عدا ايام حروبها ومقارعاتها لم تتعرض للأديان والمذاهب الا أنها ناصرت الاقليات أو بالتعبير الأصح اعتمدت عليها ولم تدع جانباً من جوانب السياسة الا ولجته ... واستخدمت هؤلاء . لتقوى في الادارة على العنصر الغالب وتجعلها وفق مرغوبها ، او لتمشي خططها ، وتسيّر سياستها كما تشاء ... فكانت من أمهر الأدارات في خططها الاستعمارية ، وسياستها الداخلية ... وبحثنا في هذا القسم مقصور على الادارة ... والمسلمون في هذه الحالة كانوا في يأس من أمرهم

رغم ان الحكومة الفاتحة لم تتعرض لأوقافهم ، ولا لاداراتهم الدينية ولالأحوالهم الداخلية ... ولم تستخدم الا بعض الموظفين المحصوري العدد بل القليلين جداً كالوزراء و بعض الموظفين ...

اما الادارة الحاضرة ـ عن هذا الدور ـ فقد خرجت فيها من طريق الخلافة وأبهتها العامة الكبرى فعادت ايالة لها حكمها ، وقد احتفظت بشهرتها السابقة ، ومركزها العلمي والأدبي بين الممالك والأمم ...

— نعم لم تفقد بذلك مزاياها الأخرى — ماعدا الاستقلال والسياسة العامة وهما اعظم شيء — وقدنبغ فيها علماء أكابر ، وادباء وشعراء ... يكادون يضارعون من سبقهم لولا تأثير الفارسية وشيوعها بكثرة ، واكتسابها شكلاً سياسياً نوعا ، ونجاحها في الادارة المباشرة ...

وعلى كل تغير من أوضاعها ، وتبدل نوعاً من اجتماعها وانحطت مدارك أهليهاعن ذي قبل مما سيوضح في قسم خاص ... وسيرى القاريء حوادث هذه الأيام السياسية في هذا الجزء بتفاصيلها على قدر ما تسمح به الوثائق ، و يتيسر عليه الاطلاع ... ومنه تعالى المعونة .

* * *

احتلال بغداد على يد هلاكو

في ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م

احتلال بغداد :

الرواية المعول عليها أن المغول دخلوا بغداد تحت قيادة هلاكو يوم الاثنين ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨م (١) بعد ان كانوا قارعوا للتغلب عليها سنين كثيرة

---

(١) تاريخ الفوطي ص ٢٦٢ وغيره .

وهاجموها بكتائب قوية هجومات متوالية فعادوا بالخيبة . ولكن الخلفاء لم يطيقوا الدوام على الدفاع وكبح جماح العدو في هجومه الاخير . فكانت النتيجة أن تم الاستيلاء عليها وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب للناس بانواع العذاب واستخراج الأموال منهم بالضغط واليم العقاب مدة قدرت في اربعين يوما أو في اسبوع (١) على اختلاف في الرواية فقتلوا من الرجال والنساء والصبيان والاطفال خلقاً كثيراً من اهل البلد والنازحين اليهم من أهل الاطراف فلم يبق الا القليل وقد عيّنوا للنصارى شحاني حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم أناس عديدون فسلموا ... وهنا يلاحظ أن الأوربيين كانوا قد اتفقوا مع التتر ولهذا سلم النصارى أو انهم راعوا العناصر الضعيفة لأجل اطلاعهم على خفايا المسلمين لا لأنهم كانوا نصارى منهم ، ولا يحتمل أنهم تجسسوا لهم على المسلمين .

وكان ببغداد ايضاً جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل بامراء المغول وكتب لهم يرليغات (٢) فلما فتحت بغداد خرجوا الى الامراء وعادوا معهم من يحرس بيوتهم . والتجأ اليهم ايضاً جماعة من جيرانهم وغيرهم فأنقذوهم .

وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي نجا بها جماعة كثيرة . ومثلها دار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدوامي .

وفيما عدا هذه الاماكن لم يسلم أحد الامن كان في الآبار والقنوات. وأحرق معظم البلد و(جامع الخليفة)(٣) وما جاوره... واستولى الخراب على المدينة. وكانت القتلى في الدروب والأسواق

«١» ابن العبري ص ٤٧٥ . «٢» اليرليغ الفرمان السلطاني ، او المنشور ، او الامر معرب عن المغولية ويستعمل أحياناً فى اللغة التركية العثمانية . «٣» هو جامع الخلفاء المعروف اليوم

كالتلول، ووقعت الأمطار عليهم ووطأتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا مثلة بتشوه الخلقة ... (١)

الأمان :

ثم نودي بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال والمصائب التي لايستطيع القلم التعبير عنها وهم أشبه بالموتى لما نالهم من الخوف والجوع والبرد ...

حقن دماء الأطراف :

واما اهل الحلة والكوفة فأنهم نزحوا الى البطائح باولادهم وبما قدروا على حمله من أموالهم . وحضر اكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجدالدين ابن طاووس العلوي الى السلطان (هلاكو) وسألوا حقن دمائهم فأجاب سؤلهم وعين لهم شحنة فعادوا الى بلادهم وأرسلوا الى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك فحضروا بأهليهم واموالهم . وجمعوا مالا عظيما وحملوه الى السلطان هلاكو فمن عليهم بنفوسهم .

وأما واسط فان الأمير بغاتمر (٢) انحدر اليها بعساكره وانتهى فيها الى قريب البصرة فقتل ونهب وسبى . وكان الولاة والنقباء واكابر الناس قد انحدروا بأهليهم واموالهم الى البطائح فسلموا .

عدة القتلى :

قيل ان عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمانمائة ألف نفس عدا من ألقي من الأطفال في الوحول ومن هلك في القنى والآبار والسراديب فمات جوعاً وخوفاً وهذه الرواية لم يقطع فيها ابن الفوطي ولذا عبر عنها بقيل . ولعلها بناء على ان

ابن الفوطي ص ٢٦٢ . «٢» وتلفظه الصحيح بوقاتيمور ، ر : شجرة الترك ،

السكان كثيرون ولم يبق منهم الا القليل فلم يلاحظ من فروا وانحدروا الى الانحاء الأخرى . وعلى القول الراجح أنهم يبلغون نحو ثمانين الفاً كما في تاريخ مصلح الدين اللاري نقلا عن گلشن خلفاء ولا عبرة بقول من أبلغهم الى الفي الف او الى ثلاثة آلاف الف فالمبالغة ظاهرة جداً (١)

الوباء :

تم وقع اثر ذلك الوباء في من تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف والعفونات الأخرى ... وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فانه ملأ الفضاء وكان يسقط على المأكولات فيفسدها .

وكان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون الى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بابخس ثمن . فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير (٢) .

الامة الفاتحة وروحيتها ، او التعريف بجنگيز خان وقومه

ولما كان هذا الهجوم الأخير من قبل هلاكو نتيجة التزام الخطة التي صمم جنگيز وأعقابه على المضي بمقتضاها وأنه تقدمته هجومات أخرى الى ان قام هلاكو بهجومه هذا اقتضى التعريف بجنگيز خان وقومه وما راعاه من الخطة لاستخدام أمته وقيادته لها تنفيذاً لما قام به من مقدمات عسكرية وهجومات أخرى على الانحاء المجاورة لبغداد بقصد التزام الجيش العراقي مدة طويلة لمحافظة الثغور بقوة كافية مما أدى الى بذل عظيم ومصارف باهضة لا يتيسر القيام بها لحكومة مثل حكومة بغداد وحالتها على ماسيوصف فذلك كان اضعافاً لها وتشويشاً لادارتها ... وقبل الكلام على ذكر

«١» ر : تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره امثاله ... «٢» ابن الفوطي ص ٢٦٤ .

توالي الهجومات ومبادئ الهجوم الأخير واطراد هذه لزم ان نعلم روحية الأمة الفاتحة والاطلاع على أساس (حكومة جنگيز) .

أحوال الأمة الفاتحة

الأمة الفاتحة ، واوائل أحوالها :

ان هذه الحكومة أعني بها (حكومة جنگيز) كان موطنها (أرض المغول) . ولم تكن في الأصل حكومة . وانما هي رياسة على بضع قبائل مما يسمى عندنا بالامارة القبائلية ، تقطن هذه الامارة القطعة التي هي قسم من مملكة الصين و يتولى أمرها — كما قال المنشي النسوي — (خان)ومعناه الملك او الأمير بلغتهم وفوقه الخاقان وفوق الكل قاآن (١) . وان حكمه نيابة عن خاقانهم الاعظم (قاآن) . وكان خاقانهم الكبير المعاصر لخورزمشاه محمد بن تكش يقال له (آلطون خان) (٢) وقد توارث الخانية .

قال المنشي النسوي (٣) : ومن عادة خانهم الاعظم الأقامة (بطوغاج) (٤) وهي عاصمة الصين . وان مملكة الصين كانت منقسمة الى ستة اجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره (خان) وكان من زمرة هؤلاء الخانات في العصر المذكور الذين يحكمون نيابة عن خانهم الأعظم (امبراطورهم) شخص يسمى (دوشي خان) وهو أحد الخانات المتولى قسماً من الاجزاء الستة ، وكان متزوجا بعمة جنگيز خان .

«١» شجرة الترك ص ١٦٩ وجاء في الكتب العربية بلفظ « قـان » دون مد وصحيحه ماذكر «٢» ورد بلفظ التون بالتاء كما في تاريخ منكبرتي « ر : ص ٥ » وفي غيره التان . «٣» « راجع : تاريخ ابي الفداء في المراجع التاريخية » «٤» ورد في سيرة جلال الدين منكبرتي بلفظ طمغاج « ر: ص ٤ »

وقبيلة جنكز خان هي المعروفة بقبيلة (التمرجي) من سكان البراري • ومشتاهم موضع يسمى (أرغون) • وهم المشهورون بين التتر بالشر والغدر • ولم تر حكومة الصين ارخاء عنانهم لطغيانهم • فاتفق أن دوشي خان زوج عمة جنكز خان قد توفي فحضر جنكز الى عمته زائراً ومعزيا • وكان الخاقانان المجاوران لعمل دوشي خان يقال لاحدهما كشلو خان (كشلي خان) وللآخر (١) ... فكانا يليان مايتاخم عمل دوشي (منطقة حكمه) من الجهتين فأرسلت المرأة (عمة جنگيز خان) الى كشلي خان والخان الآخر (جنكيز) تنعى اليهما زوجها دوشي خان وانه لم يخلف ولداً وانه كان حسن الجوار لهما وان ابن اخيها جنكز خان ان اقيم مقامه يحذو حذو المتوفى في معاضدتهما • فأجابها الخانان المذكوران الى ذلك • وتولى جنكيز من الأمور ماكان لدوشي خان المتوفى بمعاضدة الخانين المذكورين •

فلما أنهي الأمر الى الخان الاعظم الطون خان انكر تولية جنكيز خان واستحضره وانكر على الخانين اللذين فعلا ذلك • فلما جرى ذلك خلعوا طاعة الطون خان وانضم اليهم كل من هو من عشائرهم • ثم اقتتلوا مع الطون خان فولى منهزماً وتمكنوا من بلاده مشتركين في الأمر • فاتفق موت الخان الواحد واستقل بالأمر جنكز خان وكشلو خان •

ثم مات كشلو خان وقام ابنه مقامه ولقب بكشلو خان ايضاً • فاستضعف جنكز خان جانب هذا لصغره وحداثة سنه واخل بالقواعد التي كانت مقررة بينه و بين

«١» جاء في سيرة جلال الدين منكبرتي : انهما كشلو خان وجنكز خان بالزاي وهما المتوليان امر مايتاخم اعمال المتوفى من الجهتين « ر : ص ٥ » ولعل مستنسخ ابي الفداء لم يذكره من جهة موافقته لاسم جنكيز خان فظنه غلطاً ... أو انه لم يظهر اسمه ، اولم يذكر في مصدره..

أبيه . فانفرد كشلوخان عن جنكيز خان وفارقه لذلك ووقع الحرب بينهما. فجرد جنكز جيشاً مع ولده دوشي خان فسار هذا واقتتل مع كشلوخان فانتصر دوشي خان وهزم خصمه فتبعه وقتله وعاد الى جنكز خان برأسه . فانفرد جنكز خان بالمملكة .

ثم ان جنكز خان راسل خوارزمشاه محمد بن تكش في الصلح فلم ينتظم فجمع جنكز خان عساكره والتقى مع خوارزمشاه محمد فانهزم خوارزمشاه فاستولى جنكز خان على بلاد ماوراء النهر . ثم تبع خوارزمشاه محمداً وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان . ثم استولى جنكيز على البلاد (١)

ويستفاد من هذه بالنظر لمصادرنا أن جنكز خان هو المؤسس لهذه الحكومة المعروفة (بحكومة المغول) (٢)أو (حكومة التتر) (٢) ولم تكن لهم حكومة ولا ذكر الا في زمن جنكيز . وانما كانت هذه الأقوام اشبه بقبائل العرب الرحل . ولها مدن تقطنها ومواقع مدنية تقيم فيها هي اقرب الى البداوة او الطريق الموصل الى المدنية بين البداوة والحضارة .

وتكاد تكون قبائلهم وأقوامهم في عزلة عن العالم لولم يكن الاسلام قد هاجم ديارهم أو ما جاورها اثناء الفتح الاسلامي وإبان النهضة العربية ، والمعروف انه هاجم أقوامهم الانحاء الغربية بل هاجروا بهجرات متوالية لامحل لذكرها هنا . ومع هذا فان (المغول) ابعد عن الاحتكاك ولم يظهروا للوجود الا في اواخر العصر السادس للهجرة .

وقبل هذا نرى المدونات العربية عنهم سواء كانوا مغولا أو تتراً حين الاستيلاء عليهم والمكافحة معهم ونشاهد منهم أسرى كثيرين قد انتشروا في العالم الاسلامي وفي المملكة الاسلامية كما انه قد تكونت حكومات منهم وتألف الجيش التركي

«١» ص ١٢٣ ابو الفداء ج ٢ . «٢» سيأتي الكلام على كل من المغول والتتر .

في الخلافة العباسية وبرز فيهم القواد والوزراء • ولكن لم يؤمل أن تظهر منهم أمة بعيدة عن الاسلام وعن الحضارة وتهاجم الترك المسلمين من جهة وتحارب الصين من أخرى وتدوخ الهند آونة وتستولي على ديار العجم وممالك روسية وتهدم صرح الخلافة الاسلامية وتقضي على حضارة المسلمين وتدهش العالم الاسلامي مدة وتدعه في اضطراب وحيرة من أمره فتخلف أثراً مازال ولا يزال باقياً يرن في الآذان ويفكر فيه كل من درس التاريخ •••

هذه الصولة على البلاد الاسلامية أشبه بصولة العرب وهم في جزيرة قاحلة ••• على العالم المتحضر ، المجاور لهم الا انه بينهما جهات اشتراك وافتراق وان كان كل منهما خلف أثراً في النفوس عظيما • فكلاهما يعتمد على قوة بدوية اختط المدبر لها منهاجاً ساق به هذه الجماعات للمضيّ بمقتضاه والعمل بموجبه فنال بغيته •••

وشتان بين المنهجين فاحدهما فك الأغلال والقيود عن البشرية ومحا الفوارق بين بعضها و بعض فهو خالد ، وهو اصلاح لها واسعاد لحياتها كلما مشت على مرسومه والاخر دمر البشرية وأهلكها لانتفاع أمة واحدة وقيادتها لاستدرار خيراتها حباً في اعاشة تلك الأمة واقامة أودها وإنعاشها ...

وفي هذا الأخير رجعة للاستعباد مرة أخرى ... لكنها كانت أي هذه الرجعة ضرورة لابد منها نظراً لتناسي المبدأ الاسلامى القويم والعدول عنه أو اهماله والصدود عنه ... فترى القائم به مثل الخليفة أو الملوك الذين يعدون أنفسهم بمنزلة حماة للدين وحراس له يحاول كل منهم أن يستعبد القوم لا أن يقيم العدل ويؤمن السبل ... وينقذ البشرية مما انتابها ...

فكان الأصلح للبشرية أن يقوض هذا البناء الذي صدف أهله عن صراطه السوي وأولى لها أن يدمر رغم فظاعة الآلة الهدامة ... هذه ضرورة لابد من

ركوبها أو وقوعها وتحمل أخطارها وفي الحقيقة ان الحكومات الاسلامية كانت تركية أو سلطتها بأيديهم فالمقارعة بين طاغيتين كلاهما مخرب ومدمر للديار وهادم للحضارة ، ولم يؤثر فيه المبدأ الاسلامى ، وعلى كل لايصلح امر هذه الامة الا بما صلح به أولها .

ومن نظر الى الحالة الاجتماعية عندنا آنئذ وسوء الوضع وتذبذب الادارة وما يعاني الاهلون من جراء المنازعات وتعدد الحكومات وانحلال مابينها والشؤن الداخلية وما يجري فيها أوما يتحمله الأهلون بل والمخالفون من المضض والعناء ، والتزام وجهة (خطة) مطردة لاتقبل أي تطور وتبدل ... تيقن انها سريعة الزوال وان كانت الأسس في الأصل قويمة فهي سائرة الى الانحلال وان كانت الأركان عزيزة وفاضلة ... !!

أمة الترك أو حالة الأمة الفاتحة

التواريخ والأمم او دراسة تاريخية :

أن التواريخ القديمة لم تجعل في الغالب قيمة للأمم لافي الفتوح ولافي الاكتشافات ولا في غيرها ... وانما نسبت ذلك كله وغيره للملوك وأعاظم الرجال ممن كانت لهم مكانة تاريخية باعتبار انهم المسيرون للامة والناهضون بها ولم يراجع التاريخ ويعدل به عن هذه الفكرة الا بعد تجارب مرة وآماد طويلة .. فصارت تلاحظ منزلة العظيم في استفادته من هذه القوة — قدرة الامة — واستخدامه اياها لما اعد نفسه لاجله بحيث تمكن من قيادتها ...

مضت ادوار طائلة على هذا الترتيب حتى الأيام الأخيرة وحينئذ نالت الأمم مكانتها التاريخية واستعادت قدرتها المادية والمعنوية ... فصار يستطلع رأيها

في اكثر الأمور و يدقق الحادث الكبير (بظهور الفاتح او العظيم) في انه انما حصل له ما حصل بتوجيهه استقامة الأمة وتعيين منهاج لها في سيرها التاريخي لما احس به من الضرورة لقيامها ونهوضها ...

فاليوم تدقق الأمم باعتبار قوتها ومناعتها ووحدتها وصلاح مبدأها وسائر حالاتها الاجتماعية ومزاياها القومية والنفسية وحينئذ يتجلى لنا ان مافعله الرجل العظيم عبارة عن استقائه من معين تلك الأمة وما أحاط بذلك من ظروف وانتهاجه الخطة التي رآها لازمة للعمل ... وقد يكون هذا المنهاج مغلوطاً أو ناقصاً ولكن ضرورة قيام الأمة لاتؤخر تطبيقه رغم غلطه او نقصه ... وان كان غير مكفول الدوام ، سائراً للزوال من جراء أدنى عارض ، أو أي انحلال في الوحدة ...

نعلم هجوم جنكز على العالم المجاور له مجاورة قريبة او بعيدة،وأحداثه الضجة في هذه الأرض اولدوي ّالذي ولد ارتجاجاً وهزة شعر بهما كل أحد . ولا يزال اثرهما في النفوس كما مرت الاشارة الى ذلك . ولما كنا قاطعين بان جنكز لم يقم بما قام به الا باستخدام أمة عظيمة حصلت على مكانتها التاريخية ...رأينا من المحتم درس هذه الأمة ومعرفة أحوالها في ماضيها وحاضرها الى ايام الهجوم على بغداد ... والظروف التي سهلت لهذا الفاتح الكبير قيامه بما قام به فاشغل الافكار من حين ظهوره الى اليوم ...

الامة وفاتحها :

وهنا شيئان جديران بالبحث :

١ــ الأمة : التي انقادت للفاتح فوجه روحيتها للاذعان له وجعلها طوع ارادته فسخرها ... واذعنت .

٢ــ المنهاج : الذي اختطه لنجاحه في الاستيلاء والطريقة التي سار عليها ...

وهذه تدعو للبحث وتستحق التمحيص لتقدير (السير التاريخي) والتحول الجديد الذي أحدثه وما حصل عليه هو وأعقابه والحكومة التي تأسست من جراء هذا التبدل .

اما العوامل المسهلة لهذا الفاتح من اختلال النظام والاضطرابات والفتن في الأمم المجاورة والحروب القائمة فيها على قدم وساق وتذبذب سياستها وتشتت آرائها وانحلال وحدتها باشتداد الخصام الأدبي والاجتماعي وتصلب أهليه تقوية لهذا الخلاف وتسهيلاً للانفصال فهذه وأمثالها لاتخرج عن كونها وسائل مسهلة وخادمة لمصلحة الفاتح في فتوحه واكتساحه البلدان ...

لذا لانرى وجهاً لأن نجعل قيمة في الدرجة الأولى الى جنكز وحده كما فعل ابن الأثير وغيره فنعتوه (بطاغية التتر وقهارها) وجعلوه هو الذي فعل مافعل . فوجب أن نلم ببعض أحوال امته لنكون على بينة من قابليتها الاستيلائية على عالم عظيم في مدة وجيزة وتدرجها وظهورها بحيث حازت مقاماً عظيما في التاريخ مما دعا للانتباه... ثم ندخل في امر هذا الفاتح والطريقة التي سار عليها . فلا نتصور أن يظهر عظيم في وسط غير صالح ... ومن ثم نعرف مكانة هلاكو (فاتح بغداد) .

وهنا نسير سيراً حثيثاً وباستعجال فنتكلم عن اوائلهم الى ظهور جنكز سوى اننا نفرق الموضوع الى مباحث تقريباً له . وفي كل الأحوال نراعي الأجمال .

بيان أصلهم

الترك ومكانتهم بين الأمم :

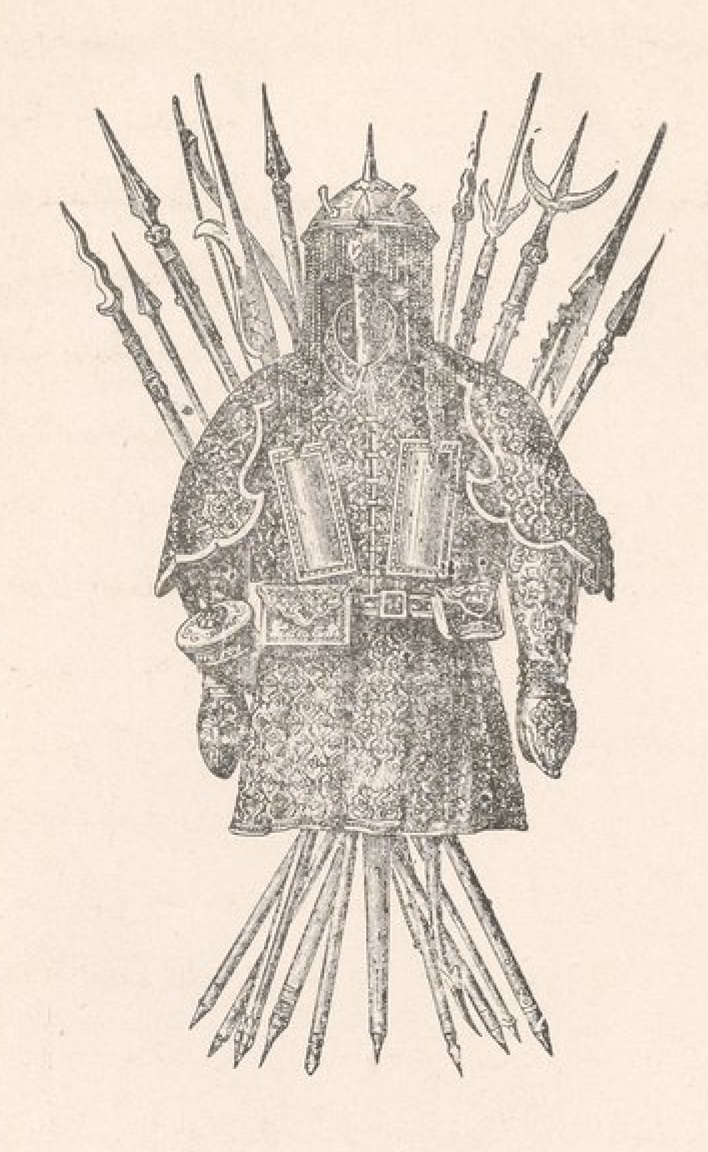
ان العلماء يعتبرون الأمم ثلاث كتلات اومجموعات : طورانية وسامية وآرية . فالأوربيون والعجم والأرمن من نسل الآريين ويقال لهم الهندالجرمني والهندالأوربي .

والعرب والسريان والعبرانيون من الاقوام السامية . والترك من الطورانيين او بالتعبير الاصح ان الطورانيين من الترك . وهو اسمهم العام . وفي ضمنهم المغول .

فالترك — بصورة عامة — امة مستقلة ، كثيرة العديد ومتألفة من قبائل وأقوام كثيرة يشملها هذا الأسم سوى ان المؤرخين اختلفت آراؤهم في اصلهم الى ثلاثة منازع بالنظر لاختلاف المنابع التاريخية والمصادر التي عولوا عليها فالذي اعتمد على (الاغوز نامة) بين أن اصلهم يرجع الى اوغوزخان . فكان اصلهم يقف عنده فلم يعلم من كان قبله وامّا مااختاره علاء الدين الجويني ومن حذا حذوه وعول على كتابه (جهانكشا) يقول ان نسبهم يبتدئ من اويغور . والرأى الثالث يركن الى قول الخواجة رشيد الدين ويرجح ما جاء في كتابه (جامع التواريخ) ان اصلهم المغول فيراعى تسلسل ملوكهم واشتقاقهم من اجداد المغول .

وقد رجح المؤرخ التركي (الدكتور رضانور) رواية اوغوز وطعن في رواية الاويغور مبديا انها خرافية . وأن القول بالمغولية فيها اكثار من الاسرائيليات . وما ركن اليه رشيد الدين فقد اقتبسه من العجم حين استيلاء جنگز عليها وقال الدكتور ان هؤلاء العجم قد اشبعوا بحب الاسرائيليات . . .

وهذه الروايات لاتخلو من نظر وتحتاج الى تمحيص . وان الترجيحات مبنية على تزلفات للمغول أو غيرهم نظراً لما نعلمه من أننا لانجد أمة تكره اعلاء شأنها او لاتحب عظمتها ومكانتها او التباهي بنسبها والافتخار به ... مما دعا لبقائها الى اليوم ، ولم نر قوماً لايرغب في اعتلاء صهوات المجد ، وخصوصاً ان هـذا القول قد يصدق أو يعد أقرب للصدق في حق من نال مقاماً تاريخياً مجيداً ... فمن كتب التاريخ حين ظهور هؤلاء كان ممن يمت اليه بسبب او يتزلف له ... فالقول الذي يصح الاعتماد عليه ـ بتعديل ـ ماحكاه صاحب (شجرة الترك) من أن الترك أقوام وقبائل



٣ — اسلحة المغول تابع ص ٥٨

تجمعها التركية ولم يرجح المغول ولا الاويغور ولا اوغوز بعضهم على بعض ولكنه ينقد من جهة أنه لم يقف عند هذا الحد بل جعل لهم شجرة أوصلها الى آدم (س) فأوصل (ترك) وهو جد الترك الأعلى بيافث بن نوح ، ثم راعى اجداد التوراة ، فكأنه جمع الروايات الأولى وسلسل النسب واتخذ منه وحدة واستفاد من أنساب العرب وقواعد ترتيبهم فوضع كتابه . ولعله اعتمد على الروايات الشائعة والمدونات كما حكى ذلك . وقد قضى ما عليه من بلغ الجهد . . . سوى ان اللغة واشتراك الفاظها حتى في الابعد تدل على ان الاصل واحد مما لا يدع ارتيابا .

ولما كنا نرى كل امة تدعي ان لها جدا تقف عنده اواسما عاما سميت به ثم اتخذته جدا ووقفت عنده صارت بذلك كل امة تدعى انها بنت ذلك الجد الذي تعده ابن السماء وانها العريقة في الاصل لا تضارعها امة وهو مدار فخرها وتنظر الى باقي الامم بدرجة منحطة عنها فقيل ان (ترك) جد اعلى لامة الترك وهكذا اعتبرت ايضا اقسامها الكبرى —اقسام الامة من قبائل اساسية — اجداداً تالين . وهكذا على مراتبهم بان اعتبرت لكل جد فروعا كما هو مرئيّ لها في تفرع الافخاذ ... فلم تشأ ان تخرج عن هذا الامر المحسوس لديها .

واما الفكرة القائلة بان الناس كلهم من آدم وآدم من تراب وان القبائل والشعوب وسائل التعارف لا طريق التناطح والتخاصم ... فلم تكن معروفة قبل الاسلام او انها كانت بصورة ضئيلة جداً . فلتأييد هذه الصلة بين الاقوام قرّب علماء الاسلام بين انساب الشعوب فوصلوها بانساب العرب والاسرائيليين اعتماداً على اقدم كتاب ذكر اولاد آدم وسلسل احفاده وهو (التوراة) ووسعوا القول فيه . ولا يزال العلماء يتحرون جهات التقارب من طريق اللغة والسحنات والحالات الاجتماعية والعادات وهكذا نرى علماء الغرب يقربون اليهم من عدوه من العنصر الآري ... ولذا

حينما اتصل المغول بالعجم انتقلت اليهم هذه الفكرة من طريق المسلمين فوصلوا اجدادهم بآدم وربطوا هذه الصلة باقوى الاسباب تأييداً لما جاء في القرآن الكريم واستفادة من عموميته وتقريبه بين الاقوام [وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم] . ومن الحديث القائل (كلكم من آدم وآدم من تراب) فلم يخرجوا عن هذا الوضع . . . ومن ثم جرى تلاعب الشعراء في المعنى ومنها :

شرق وغرب تجد من صاحب بدلا　　　فالارض من تربة والناس من رجل

او كما قيل :

اذا كان اصلي من تراب فكلها　　　بلادي وكل العالمين اقاربي

ولما كان اجدادهم معروفين بالوجه المذكور سابقا وبالصورة المبينة وصلوا هذه الصلة بمن عرف فربطوا الترك بيافث بن نوح (س).

مقارنة بين قبائل الترك والعرب:

لو رجعنا الى قبائل العرب واحوالهم التاريخية واستنطقنا مخلفاتهم واستقينا معلوماتهم من شعرهم ومفاخراتهم من اقوالهم وجدنا متقدمي شعرائهم بالغوا في الفخر والحماسة فلو طالعنا احدى معلقاتهم رأينا فيها :

ملكنا البر حتى ضاق عنا　　　وماء البحر نملاؤه سفينا

وحينئذ يتبادر الى اذهاننا ان حكومتهم كانت من اقوى الحكومات شكيمة ، وان امتهم من اكبر الامم حضارة وتقدماً ولكننا لو رأينا بلادنا في مواطن العرب الاصلية ولاحظنا عيشتنا لانلبث ان تزول منا هذه الفكرة (النخوة) ويذهب هذا الاعتقاد . فتظهر لنا البداوة واضحة بحذافيرها . . . وان ملوك كندة وغيرهم امراء قبائل ولو سموا بالملوك . . .

وكذا يقال عن الترك فاننا وان سمينا رئيس كل قبيلة بخان وكل من حكم على بضع قبائل (بخاقان) وقلنا (قآن) لمن لاحاكم وراءه اوفوقه (١) وما ماثل ورجعنا الى حالتهم وماهم عليه من البداوة وسكنى الخيام — كالعربي — علمنا ضخم الالقاب وعظم الاسم دون ان يكون وراء ذلك مايدعو للانتباه .

ولا ينسى ان الترك لايماثلون العرب من كل وجه فلكل من القومين مزايا وخصائص وعوائد قدلاتوجد في الاخرى منها ماهو من مزاياهم الخلقية ومنها ماهي نتائج المناخ والمحيط الذي عاشوا فيه . . . سواء في حره وبرده وما يلتزمانه فيه . . . فأثر ذلك في التحول والانتقال لكل من القومين وحينئذ يقرب الواحد من الآخر نوعا .

وعلى كل حال ان امة الترك وفي ضمنها المغول في الاصل قبائل رحل موصوفة بالشجاعة والصبر على المكاره وتحمل المشاق ، سكناها الخيام ومولعة بالصيد ومواطنها الاصلية مغولستان وتركستان وهما معروفان وماذكر عن ملوكهم القدماء واحوالهم فلا يخرج عن كونهم رؤساء قبائل ويتفاوتون في التسمية بين من يسيطر على قبيلة اوقبائل متعددة او قوم عظيم من اقوامهم كما ان ماذكر عن ملوكهم القدماء لايعوّل عليه كحقيقة ناصعة . وانما هو روايات واخبار تناقلوها حسب ماهو معهود بين الأمم الامية وان كان تثبيت ذلك قد اتخذ وسائل للاشادة والفخر . . . وان خير المدونات واصدقها عنهم ماكان في زمن المسلمين اثناء الفتوح وما بعدها . فتاريخهم الحقيقي عرف من ذلك الوقت . وحينئذ تكاثرت التتبعات وزاد البحث وضوحاً ولا يعتمد على ماقبله من الروايات الا لايجاد الصلة والاطلاع على الماضي حسب المحفوظات وان كان خرافياً وقد يعرف الوضع من خلاله فلا يخفى على

«١» شجرة الترك ص ١٦٩ .

المتدبر مايجري في مطاويه رغم ماجرى على اللسان من وقائعه التي داخلتها الاساطير والخرافات والابطال التاريخيون ...

ولم يزد الأوربيون على ما ذكره العرب والعجم رغم سياحاتهم وتتبعاتهم الأخيرة عن الماضي الا قليلا يتعلق بتحقيق بعض الأعلام وهذه ايضاً فيها نظر ولا يكاد يعول الواحد على تلفظ لهم ... ووصف الاقوام وتدقيق اللغات ونعت الأقاليم وتدوين الهجرات . وهذا كشف نوعاً وزال عنه الغموض وان لم يعثر على وقائع الماضي اما الآثار فهي قليلة جداً ، والمعلوم من الوقائع سد فراغا مهما في المعرفة ...

ومن المراجع المهمة لمعرفة أوصافهم ومزاياهم رسالة الجاحظ في (تفضيل الترك) و(كتاب تلفيق(١)الاخبار ، وتلقيح الآثار ، في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار)، و(كتاب اخبار الزمان للمسعودي (٢)) وغيرها من الكتب والمراجع ...

و بعد ملاحظة ماتقدم نبين حالة الترك القدماء باعتبارها قصصاً منقولة الى تكون المغول والتتر حسب ماهو معروف عن علماء الترك ومؤرخيهم كأساطير وروايات شفهية ...

«١» هذا الكتاب من الآثار المهمة الجامعة لاخبار الترك والتتر للمؤلف العصري « م. م. الرمزي » طبع الجلد الأول والثاني منه في بلدة اورنبورغ وفيه بعض التصاوير ولا يخلو الكتاب من أغلاط رغم وجود قائمة بالخطأ والصواب ولولا ذلك لكان عمدة في الموضوع فانه يعتمد على مراجع جمة وكتب كثيرة عصرية وقديمة وينقد اثناء البحث كتاب الغربيين وبعض نشرياتهم ... وهو من جملة المراجع التي عولنا عليها ... «٢» منه نسخة الجلد الاول منها في مكتبة ويانة الاهلية وفيه بيان عن ولد يافث واف وعد منهم اقواماً كثيرة وتكلم عن طائفة الترك منها بسعة ... وقد رأيتها هناك وأخذت عنها بعض النقول ، خطها قديم وواضح ... ولا محل لتفصيل القول عنها الآن .

الترك القدماء الى تكوين المغول والتتر :

يقول ابو الغازي في شجرة الترك انهم من نسل يافث بن نوح و يوصلهم بآدم على ترتيب التوراة او كتب الأنساب العربية و يعدد اولاد يافث بانهم ترك(١) (ومنه الترك)، وخزر (ومنه الخزر)، وصقلب (ومنه الصقلب)، وروس، ومنيغ وصين (يلفظ چين)، وكيماري، وتارنج . وهم أمم من نجار تركي فجعلوها اسماء أجداد . والظاهر ان التسمية انما نشأت من مراعاة كتب الانساب وتحديها . ولعل الأصل كذلك فلا يخرج عن التخمين . ولما كان باقي أولاد يافث لايكونون موضوعاً لنا اضربنا عن ذكرهم وان كانت قد تألفت منهم أقوام . هذا و يلاحظ ان ابا الغازي بهادرخان لم يخل من التأثر بالاداب العربية وانسابها كما مر يقص عن نفسه أنه شاعر مغلق في لغات منها العربية والفارسية ... قال :

ان ترك خلف أباه في حكومته ولقب بابن يافث . وكان عالماً ، عاقلا ومدبراً ، ارتاد المواطن الكثيرة فاختار أحسنها وهو المسمى (ببحيرة ايسيغ) فاقام بها . ويقال انه أول من نصب خيمة . وان بعض عوائد الترك الموجودة لحد الآن قد انتقلت منه . وقد توفي عن اربع بنين خلفه في حكومته منهم (طوطوق خان) .

وهذا ايضا كان عاقلا ، قديراً وعدلا . ومن هذا تأصلت عوائد كثيرة ايضاً . ويعاصره اول سلاطين العجم (كيومرث) . ويحكى عنه انه ذهب مرة للصيد فصاد

«١» ومن ثم سمى القوم « الترك » باسم جدهم الاعلى والاختلاف ظاهر في اصل كل قوم وهل يعد جداً أعلى وحينئذ ينطوي تحته التتر والمغول وبعضهم يسميهم « بني قنطوراء » ونفى آخرون هذه . والمثبتون يقولون انها جارية ابراهيم «ع» وآخرون وجهوا اللفظ بانه يراد به « بنو قاآن توران » نخفف وتصرف العرب به حتى نال شكله الاخير ولكل وجهة «ر : ص ٢٠ تلفيق الاخبار»

(ظبياً) فشواه . ثم سقطت منه قطعة على الارض فتناولها وأكلها فوجد طعمها قد صار لذيذاً وكانت الارض ملحاً . ومن ثم صار يوضع الملح في الطعام فهو اول مكتشف له . عاش ٢٤٠ سنة .

وخلفه ابنه (ايليجه خان) ثم خلف هذا ابنه (ديب باقوي خان) ومضت له ايام سعيدة وهنيئة . ثم صار ابنه (قويو خان) فحكم بالعدل . ومن ثم توفي فاعقبه في حكمه (النجه خان) . وهذا دام ملكه طويلا .

وكان اولاد يافث الى حكومة النجه خان هذا على (دين الحق) اى (ديانة التوحيد) (١). وفي زمنه عمرت المملكة ونال هؤلاء ثروة وغنى فابطرهم ذلك واعتادوا ان يتخذوا هيا كل لاعز اولادهم سواء كان الكبير منهم اوالصغير اوايا كان محبوبا لديهم فيحفظونه في بيوتهم تذكاراً لمن يموت منهم . فيقولون هذه صورة فلان ويقبلونها ويمسحون بوجهها وما ماثل من انواع التلطف واظهار الحب كما انهم اعتادوا أن يضعوا امام الهيا كل اللقمة الاولى من اكلاتهم ويمسحون وجوههم وعيونهم

«١» قال في تلفيق الاخبار يعتقدون بالله ووحدانيته وكانوا يعظمون الكواكب والاجرام السماوية ولا تصح بوجه نسبتهم الى الوثنية مطلقاً ، او الى الوثنية الشامانية ، او الى البوذية ، اوالى عبادة الشمس والكواكب وسائر الاجرام العلوية ، أو الى عدم الديانة مطلقاً ومثل هذه الاقوال نسبة الاويغور الى النصرانية النسطورية ... فالوضع لم يكن بهذه المبالغة ... وانما المعروف انهم يعتقدون باله واحد وبعضهم يعظم الكواكب او الاجرام لابدرجة العبادة ، وان النصرانية دخلت اولئك ولكن لابالوجه المعروف للنصارى اليوم ، ولذا حينما رأوا الاسلامية لم يترددوا في اعتناقها ، ووثنيتهم هكذا يقال عنها ...فانها لم تتمكن منهم ...

بها وينحنون لها الى الارض (يسجدون) . وبهذه الوسيلة ودون ان يشعروا عبدوا الاصنام وتظاهروا بعبادتها . . . .

وهذا وغيره في الأمم الاخرى مما دعا علماء الاديان الى القول بان الأديان في الأصل موحدة ثم طرأ عليها الفساد وداخلها الشرك وعبادة الاصنام كما ان التدقيقات الدينية ومراجعة نصوص الديانات لكل أمة تؤدي الباحث الى ان الاصل التوحيد مما يقطع فيه بان الدين الحق يتضمن الايمان بمبدع الكائنات وانه واحد لا شريك له...

وعلى كل حال اكتفي بذكر من نال الرئاسة وقام ببعض الامور من الاولاد والأحفاد وهكذا .

المغول والتتر :

ان النجة خان قد ترك ولدين توأمين اكبرهما اسمه (تتر) أو (تاتار) أو (تتار) واللفظان الاول والاخير هما المعروفان في الاكثر... والاصغر يقال له (مغول) واحياناً يلفظ في التواريخ العربية (مغل) فقسم النجه خان ملكه بين ولديه المذكورين . وعلى هذا القول أن منشأ انقسام الترك يبتدئ من هذين . والظاهر ان قدم الانفصال بين هذين القومين المنتسبين الى فصيلة الترك أدى الى هذا القول . ويحكى أنهما عاشا لمدة عيشة هادئة . فلم يتنافرا ولا حصل بينهما خصام . ويلاحظ ان التباعد والافتراق لمدة طويلة هو الذي ادى الى اختلاف في اللغتين او بالتعبير الاصح ان كل قبيلة منهما يظن أنها انفصلت عن الاخرى من مدة طويلة بحيث تباعدت الواحدة عن الثانية ولا كبعد العبرية عن العربية او السريانية عنهما كما ان الاشتراك ظاهر والاخوة النسبية من طريق اللغة والسحنات متوضحة ولذا نرى علماء العرب لا يسمونهم في الأكثر الا بالتتر ويقولون (طاغية التتر)

عن جنكز وحكومة التتر ووقائع التتر ... فلم يفرقوا بين التتر والمغول . وقد اشار في جامع التواريخ ان لغتهم في الاصل واحدة ...

ولا ينكر ان اللغة تباعدت ولكنها ابعد مما بين تيمور ودمير أي التفاوت بين التركية الحديثة والتركية القديمة او تركية الاستانة وتركية تركستان ... أوهي قريبة منهما. فالمقاربة في الاصل اللغوي واضحة . فاللغة طورانية النجار وان احتاج التفاهم الى ترجمان . وكذا يقال عن المسموع والمحفوظ أنهما أقارب ...

التتر :

ان تتر خان حكم مدة طويلة ثم مات فخلفه اعقابه من نسله :

١ — ابنه بوقاخان . وهذا طال حكمه

٢ — « يلنجه »

٣ — » آدلي . وكان مشغولا بالملاهي والملاذ

٤ — » آتسز . قضى عمره بالصيد

٥ — » اردو » سلك طريق والده

٦ — » بايدو »

ويحكون انه الى زمن بايدو لم يقع مايكدر الصفو والألفة بين المغول والتتر او يشوش بينهما . فكان كل منهما حاكما في جهته . ولكن (بايدو) المذكور كان شابا طائشاً لايفكر في عواقب الامور . وفيه خفة وتسرع . ففتح حرباً بينه وبين المغول وهاجم مملكتهم . وقد هلك هو في هذه الحرب .

ثم خلفه ابنه سوينج خان . وفي زمنه استعرت نيران الحروب لدرجة انها ولدت اعتقاداً مؤداه ان مياه جيحون لو صبت عليها لما اطفأتها . وفي كل هذه الحروب

والمتارعات كان النصر حليف المغول • وكان سوينج خان معاصراً لايلخان المغولي • وقد تغلب المغول على التتر في زمنه فاستعان بقرغيز خان ودامت الحرب عشرة ايام • وفي هذه كانت الغلبة لجهة المغول • • •

ثم تداولوا في الامر فاصبحوا وقد تركوا مواشيهم واثقالهم خدعة وفروا • فطمع اعداؤهم وظنوا انهم هربوا فتابعوهم في هزيمتهم وتقدموا نحوهم • ولكنهم لم يشعروا الا وقد رجعوا عليهم وعادوا الكرة • وكان الامر مدبراً ليلا فنكاوا بهم واستولوا على خيامهم ولم يدعوا منهم كبيراً الاقتلوه ولا صغيراً ولا امرأة الا اسروها • ومن ذلك الحين قضي على المغول • وانهزم من بقي فاخذوا بعض المواشي معهم وذهبوا وراء الجبل بحيث لايصل اليهم احد • واضاعوا الطريق (المضيق) فلم يتيسر لهم العودة اذ انه كان لايمكن لاحد المرور منه الا منفرداً كما يأتي فبقوا هناك تائهين نحوا ربعمائة سنة تكاثروا في خلالها وتيسر لهم الخروج فخرجوا وحاربوا التتر فتغلبوا عليهم واخذوا بثارهم ومحو الكثير من قبائل التتر كما ان بعض قبائل التتر لحقت بهم وصارت تعد منهم مع انها خارجة عنهم وصار الكل بمثابة قبيلة واحدة للائتلاف الحاصل . وسيأتي في بحث المغول الكلام عن حروبهم .

وفي هذا الاوان سكن التتر قرب جورجيت . وهي اراضي واسعة وفيها المدن والقرى حتى مشى عليهم أوغوز خان واستظهر عليهم . وقد اشتهروا باسم (تتر) قديماً . وكانوا عدة قبائل وكل قبيلة تعيش مستقلة عن الأخرى . واهم قبائلهم يقطن قرب الخطا (خيتاي) في الاماكن المسماة (بويور — ناور) . وهم تابعون لسلاطين خيتاي . واحيانا يعصون عليهم . وقد هاجموهم مرة بجيش جرار فاخضعوهم .

واكثر هذه القبائل تقيم قرب نهر آنقارا موران على شواطئه . ولهم مدن في تلك الأنحاء وقرى عدا سكنى البادية .

ومن قبائلهم :

١ — اويرات . وهذه اطاعت لجنكيز

٢ — بولغـاچين } كانتا متنافرتين . وهما قريبتان من القرغز وقد دخلتا

٣ — كيره موچين } في طاعة جنكز

٤ — لوله نـكون

٥ — اوراسوت

٦ — كدره موچين

٧ — نايمان

٨ — كرايت

٩ — اونغوت

١٠ — خيتاي . وهؤلاء منهم السود انفصلوا من قومهم وذهبوا الى قرغز ولكنهم سلبوهم أموالهم ففروا منهم ورحلوا الى محل يقال له (ايميل) فبنوا مدناً واقاموا هناك وتكاثروا حتى صاروا قبيلة كبيرة بلغت أربعين الف بيت . و يقال ان هذه القبيلة هاجمتها قبيلة الجورجيت فدمرتها وحكمتها سنة ٥١٣ هـ ففر من الخيتاى قبيلتان التحقتا بالقرغز.

١١ — توقاق . قبيلة لا يعرف انها من أي قبيلة من قبائل الترك أي من نوع القبائل المتحيرة (١) عند العرب ...

المغول :

المغول . و يقال لهم عنـد الغربيين مونغول و يلفظهم العرب (مغول ومغل)

«١» هي القبائل التى لا يعرف بالتحقيق أصلها الذي ترجع اليه من قحطـاني أو عدناني ...

وجاءت في تواريخ كثيرة بهذين اللفظين والغالب يسمون بالمغول ويقال ان أصل هذه اللفظة مونغول او (مونغ أول) فتغيرت على لسان العوام (مون) بمعني الغم والغائلة و (اول) الرجل البسيط فيكون معناها البسيط المضطرب. ولا يعول على امثال هذه التحليلات كثيراً (١) أولهم مغول خان . وآخرهم ايل خان . ويقال ان مغول خان استمرت حكومته طويلا . ثم خلفه اكبر أولاده (قاراخان) . وهذا حكم في جميع مملكته المسماة اليوم (اولوطاغ) . وفي زمنه صار المغول جميعهم كفاراً حتى انهم لم يكن فيهم من يعرف الله تعالى . ثم خلفه ابنه اوغوز خان

اوغوز خان (نبي الترك)

وهذا ابن قاراخان من زوجته الكبيرة . أعطاه الله ماشاء من جمال . ويحكى عنه انه بقي ثلاثة ايام بلياليها لايرضع ثدي أمه . وكانت أمه في كل ليلة من هذه الليالي ترى رؤيا يدعوها فيها ابنها الى الدين الحق والا فلا يمتص ثديها . اماأمه فانها لم تعاند في مخالفة أبنها بل آمنت بوحدانية الله تعالى . ولذا اخذ يرضع ثديها . ولكن امه لم تبح بسرها هذا لاحد .

والناس كانوا في السابق على (دين التوحيد) الا انهم اغتنوا ايام النجه خان فاستأسرتهم الثروة وابطرهم الغنى فنسوا الله وصاروا كفاراً حتى انهم بلغوا من ذلك انهم اذا سمعوا باحد اقاربهم قد اعتقد بالله قتلوه في الحال .

ثم ان هؤلاء القوم كانوا قد اعتادوا ان لايسموا المولود الا بعد مضى سنة على ولادته فلما يحل الحول لايدعونه باسم . وحينئذ أراد قاراخان ان يضع لابنه اسماً عند بلوغه الحول واتخذ له ضيافة اذيع خبرها . فلما احتشد الجمع قال الاب يخاطب

«١» شجرة الترك ص١٧

الحاضرين : « ان ابني بلغ عاماً كاملا فماذا ترون أن أسميه ؟ ! » وقبل أن يجيبوا ويبدوا رأيهم نطق الولد قائلا « إسمي اوغوز » وحينئذ صاروا في حيرة مما سمعوا وشهدوا . قالوا : (لما كان الصبي اختار لنفسه هذا الاسم فلا يرجح عليه اسم آخر أحسن من هذا . فعرف بهذا الاسم . وقد أخذ العجب والاستغراب مأخذهما من الجماعة لما نطق به وهو في المهد . لذا تفاءلوا به خيراً وان يكون ذادولة عظيمة وعمر طويل وحياة سعيدة هنيئة مع سعة ملك .

اما الصبي فانه نطق (الله ! الله) ولكن السامعين صرفوا ذلك الى ان الصغير لايعلم مايقول ، لأن لفظة الجلالة (الله) عربية ولم تكن معروفة لدى احد من المغول . ومع هذا صاروا يعتقدون انه خلق صالحاً وسيكون له شأن . ولذا جرى لفظ الجلالة على لسانه وقلبه .

ثم ان والده زوجه بابنة عمه (اوزخان) . ولما خلا بها دعاها الى القول بان للخلق خالقاً هو الله وان تعتقد به وانه واحد ، لاشريك له فلا تخرج عن أمره فلم تقبل . فهجرها ولم يتصل بها . فاعلموا أباه انه لايحبها وانه لم يقربها من حين تزوجها الى اليوم ... فزوجه بابنة عمه الآخر وهو : (كوزخان) فحملها على الاعتقاد بالله وانه واحد احد فلم توافق فترك مضجعها ايضاً ...

و بعدسنة خرج للصيد . ولمارجع ووصل الى شاطئ نهر هناك رأى نساءاً كثيرات يغسلن أثواباً فرأى بينهن ابنة عمه (كورخان) فدعاها لجانبه وباح لها بسره بعد أن اخذ عليها المواثيق ان لاتفشي سره فآمنت بما آمن به ووافقته على طريقته ...

ثم ان اوغوزخان اخبر اباه وطلب ان يعقد له عليها فأجرى احتفالا عظيما وتزوجها . مضت سنون وأعوام على تلك الحادثة . ثم انه ذهب أوغوزخان الى الصيد لمحل بعيد . فدعا قاراخان جميع زوجات أبنه فسألهن عن سبب حبه لزوجته

الاخيرة دونهن فلم تقبل الوسطى ان تفشي امره فتقدمت الكبرى وقالت ان ابنك يعتقد باله واحد ويحاول أن يسوقنا الى هذا المعتقد ويكرهنا عليه . فلم نقبل ذلك منه . ولذا يحبها دوننا .

وعلى هذا دعا قراخان اعيانه وامراءه وعقد مجلساً (كنگاش) وتفاوض فكانت النتيجة ان قرروا لزوم القبض عليه في الصيد وأن يقتل . فاعطى والده الأوامر الصارمة ... لتنفيذ ماقرروا .

ولما سمعت زوجة اوغوز الصغرى بذلك بادرت بسرعة في ايصال الخبر اليه واعلامه بما جرى فعرفته بالأمر . امّا اوغوزخان فانه طير الخبر الى اعوانه وأعلمهم بما عزم عليه والده من انه يريد قتله وقال لهم : من كان يحبني فليتبعني ومن اختار أبي فليلتحق به . وقد تبع القسم الاكبر أباه ولم يبق معه الا القليل . ولكن لحق به اكثر ابناء اعمامه مما لم يخطر ببال أحد فسماهم (اويغور) اي المؤتلفين معه (الأنصار والأعوان) . ومعنى ذلك انهم صاروا الصق الناس به واكثرهم تفادياً في سبيله .

وحينما اشتبكوا في القتال كان النصر حليف اوغوزخان وقد فر خصومه . وفي اثناء الحرب أصاب قاراخان والد اوغوز خان سهم طائش فأرداه قتيلا . وحينئذ جلس اوغوز خان على تخت ابيه .

واثر ذلك دعا قومه الى الدين الحق فمن دخل في دينه نجا ومن تخلف حاربه وأسر أولاده . وكانت قبائل اخرى لامراء اخرين تتجمع عليه فمن تبعه سلم ومن ناوأه التحق باولئك . فصار يضايقهم ويقاتلهم سنة بعد سنة فيظفر بقسم منهم كل حين الى ان استولى على الكل .

ان الذين لم يدينوا بدينه فروا الى التتر ولجأوا اليهم . وكان التتر آنئذ يسكنون

قرب جورجيت كما تقدم فقاتلهم اوغوزخان فكان النصر حليفه . فحصل على غنائم تفوق الحصر حتى انه لم يجد من الدواب مايحملها فاتخذ بعض رجاله العربة وتسمى (قانق) . وللآن تسمى القبيلة التي اخترعتها بقبيلة (قانقلي) .

ان اوغوزخان كافح لمدة طويلة حتى أطاعه الجميع من التتر . وكذا اكتسح الاقوام المجاورة كالافغان والغور ولم يغلب الا في جهة الهند . و بعد نحو ١٧ سنة اعادالكرة عليهم فانتصر وقتل ملكهم (ايت باراق) واستولى على مملكتهم .

ثم انه ارسل قائده المسمى (قپچاق) الى الروس والاولاح والمجر فاذعنوا له . واما من لم يذعن للدين الحق منهم فقد قتله واسر النساء والاطفال . ولا تزال الاماكن التي استولوا عليها تسمى صحراء قپچاق (دشت قيپچاق) ولا يوجد فيها احد غيرهم .

و كذا حارب تركستان (التتر) فضبط سمرقند وبخارا وسيرام وبلخ وعين لها ولاة كما انهضبط غور وبعدها استولى على كابل وغزنة . وتقدم الى الهندفضبط كشمير وغنم غنائم وفيرة جداً وعاد الى وطنه مغولستان .

وبعد سنة تأهب لحرب ايران فاصابه عناء من جراء ذلك لضياعه الطريق . وفي هذه الاثناء لم يحكم ايران (شاه كبير) اذا كان (كيومرث) قد توفى ولحد ذلك التاريخ لم يتخذ هوشنك ملكا .

اما العرب فكانوا طوائف وقبائل لكل قبيلة اوعشيرة رئيس لاتعرف سواه ولا جامعة هناك تجمع القبائل وتوحد بينها ولما كانت حال ايران بهذا الوضع استولى اوغوزخان على خراسان ثم على العراق وآذربيجان وارمينية والشام ومصر . وقد اكتسح بعض هذه الممالك حربا والقسم الاخراذعن له بلا جدال ولا حرب وعين ولاة يقال لهم (داروغا) وهؤلاء ضباط عسكريون اوما يسمى اليوم (بالحاكم العسكري)

ولما حصل على هذا الظفر عاد لمملكته بسرور واحتفال عظيمين لا مزيد عليهما ٠ وقد وسعوا ذلك ايضا ببعض الخرافات بل ا ن هذه الوقائع مما يبعد وقوعها من شخص اوقوم الا شذوذا ٠ ٠ ٠

ويحكى انه كان لاوغوزخان ستة اولاد وزع عليهم ممالك ومدنا ونصحهم بنصائح نافعة ٠ وبعد ان حكم ١١٦ سنة [لعل هذه السنين اقل من سنتنا المعروفة وعلى كل حال فيها نظر] توفى ٠ وكان وزيره ووكيله ا برقيل خوجا من اويغور ٠ وكان عالما عاقلا ومدبرا ٠ عمر طويلا وبقى وزيره مدة حياته ٠ وعلى كل حال لا يخلو عصره من اساطير ٠ بل هو مملوء بها وقد عده بعض المؤرخين من الاشخاص الخياليين وانه لاوجود له ٠ ولعل وجوده يصادف زمن السمريين والعيلاميين ويقال عنه انه هو الذي الف مجلس الشورى المسمى (قورلتاى) وكان بمقام مجلس الامة اى انه لم يكن من اختراع جنگز ٠ وهو الذي جعل الامة ضباطاً (نوكر) (وجنداً) ٠

ثم خلفه ابنه گونه خانه :

وهذا لم يخالف الوزير المذكور وابان له انه موافق على كل مايراه حسناً ٠ وكان يذكر وصايا ابيه بان لايخالف اخوته وان الخلاف مدمر الممالك وموجب لضياعها واستيلاء الاجانب عليها ٠وبناء على وصية الوزير فرّق الاموال والذهب الموروث على اخوته ٠ وحكم هذا ٧٠ سنة (كـذا) ٠

ثم خلفه اخوه (آي خان) وكان عالماً عدلا وحكمه صارم مشى على نصائح أبيه ووزيره . ثم حكم حفيده ييلديز خان وهو خير ملك . و بعده ابنه منكلي خان وكان ملكا فاضلا وقد خلفه (دكزخان) (وهذا جد السلجوقيين) . حكم كثيرا

وعمر طويلا . وقد اعطى في حياته الملك الى ابنه (ايلخان) لما رأى نفسه قدطعن في السن ولم يطق القيام باعباء الملك فقضى بقية ايامه في العبادة والطاعة .

ان ايلخان هذا كان معاصراً الى (سوينج خان) الملك التاسع من ملوك التتر فحدث بينهما الحرب والنضال العنيفين فكان النصر حليف ايلخان . وحينئذ استعان سوينج خان بقرغزخان فأعانه كما تقدم واتخذ خدعة حربية بان فر من أمامه حتى أخرجه من الحصار باظهار انه كسر فعاد الكرة ودمرهم واستولى على مواطنهم وخيامهم ولم يدعوا كبيراً الا قتلوه واسروا صغارهم وسبوا نساءهم ومن ذلك الحين قضى على المغول .

وأثر هذه الوقعة رجع ايلخان الى وطنه وقد قتل ابنائه و بقي أصغرهم وهو (قييان) وكان تزوج في هذه السنة . وكذا كان تزوج ابن بنته وهو (نكون) ففر هؤلاء مع نسائهما واخذا معهما بعض المواشي من بقر وغنم وإبل وخيل وجاأوا الى محل بعيد وراء الجبل المسمى (اركنه قوي) (١)

تكاثروا هناك ولم يصلهم احد فاضاعوا الطريق (تاهوا) وكان لايسع اكثر من واحد فعاشوا وراءه بارض خصبة واسعة • وبعد اربعمائة سنة اقاموها وتكاثروا خلالها اتخذوا طريقاً للخروج • وحينئذ حاربوا التتر فانتصروا عليهم واخذوا بثأرهم ومحوا من عصاهم من التتر واطاع الباقون • فصارت طوائف المغول هي الغالبة حتى ان بعض القبائل التترية التي لحقت بهم وعاشت معهم عادت تعتبر منهم وان كانت خارجة عن جذمهم كما مرّ •

المغول الثانية :

ان قبائل المغول هذه تكونت في اركنه قوي . لان قييان بن ايل خان وابن

«١» وفي تلفيق الاخبار جاء بلفظ « اركنه قون »

اخته (نكون) تـكاثروا هناك فصار يسمى اولاد قييان باسمه واولاد نكون باسم (دورلـگن) او دورليگن) .

ومن هاتين القبيلتين تفرعت قبائل عديدة فاهمل اسمها الاصلي . فمن قبيلة قييان تفرعت طائفة (قورلاس) وهي الاكثر نفوسا . وبيدها كانت السلطة والرياسة فهي منها الامراء . ولـكن لم يعرف اسماء رؤسائهم اوامرائهم او كما يقولون (خاناتهم) ومن هذه الطائفة يقصون ان قدظهرت امرأة تدعى (الانقووا) قد ولدت ثلاثة بنين اثنين منهم من زوجها الاول قبل ان يتوفى والاخر ولدته دون ان يتصل بها امرؤ. وسيأتي تفصيل الخبر عند ذكر ملوكهم في هذا الزمن .

كبر هؤلاء وتكاثر نسلهم ومن الابن الاخير تـكونت طائفة يقال لها (نيرون) ومعناه النسل الطاهر • وسبب تسميتهم ان المغول يعتقدون انهم خلقوا من نور .

ان جد جنگيز خان الثالث من هذه الفرقة وهو (قابول خان) قدولد له ستة بنين كلهم اشتهروا بالشجاعة والبطولة. وصاروا يسمون (قييات) ومعناه السيول المنحدرة من الجبال .

وكان اكبر اولاد قابول خان (نارتان خان) وابنه يسمى (يه سو كه ي بهادرخان)وهو والد جنگز خان وقد ولداشهل العيون . ويقال له في لغتهم (بورجاغين) ولذا يقول جنگز خان نحن نسل بورجاغين يه سوكه ي بهادر . وبهذه الصورة تجدد اسم قييات (جمع قييان) فصار يطلق على اولاد قابول خان فتكررت التسمية به .

وليس في الوسع احصاء قبائل المغول وتعدادهم كما يقول صاحب شجرة الترك واشهرهم :

١ — مركيت او مكريت . وهذه حاربت جنگز خان وتغلبت عليه وقد اسرته مرة ثم اطلقته بفداء .

٢ — ايكراس
٣ — آلقنوت } وهما اخوان .فصاركل منهما جد قبيلة • وان ام جنكز منهم.

٤ — قارنوت

٥ — قورلاس
٦ — ايلجيگن } — هما اخوان فصارا لقب قبيلتين.

٧ — اورماووت . ويقال لها اويماووت • ومن هذه تفرعت قبيلة (قونقومار) سميت باسم احد افرادها وكان يلقب بهذا اللقب ومعناه كبير الانف • ومن هذه القبيلة تولد (مينكيليك ايچيگه) • واللفظ الاول من هذه الكلمة وصفه ابوه به والثاني يعني الجد وهو دليل الاحترام. كان زوج ام جنكز • وسيأتي الكلام عنه •

٨ — ارلات •

٩ — باداي
١٠— قيشلق } هذان اخوان فصاركل منهما لقب طائفة • ومما يحكى عن احدهما (باداي) انه كان يرعي قطعان سيده (بيكه) احد بيكات اونغ خان وكان هذا قد اكتشف اغتيالا دبر على جنكز فاخبره به هو واخوه دون ان يشعر احدفنالا مكانة عنده وحصلا على امتياز ولقب (ترخان).

١١ — اويشان

١٢ —سولدوس • اوسلدوز والنسبة اليه سلدوزي . (١)

١٣ — ايلدور كيت

---

(١) الظاهر ان امراء اللر من هؤلاء اوانهم حلوا في الموقع المسمى باسمهم فكان من سكانه ولاة اللر وامراؤهم

١٤ — كيتكيتلر

١٥ — دوريان

١٦ — بارين

١٧ — سوقوت (ألاد الخادمة)

١٨ — كورلوت

١٩ — بارقوت

٢٠ — جويرات (جاجيرات)

٢١ — بابا اوت . ولهافروع كثيرة جداً .

٢٢ — جلاير . وهذه قبيلة قديمة ، ونفوسها كثيرة فلما تحاربوا مع الخيتاي اجتمعوا وكونوا نفوسا وفيرة . فصارت خيامهم ٧٠ (كورن) و[الكورن الف خيمة]. ولهم شعب كثيرة وكل واحدة مستقلة عن الاخرى . ففي بعض الايام هاجمهم الخيتاي على حين غفلة فانزلوا عليهم ضربة قاضية واسروا الباقين منهم . ولم يبق منهم الا قبيلة (چابولغان) . وهـذه عاشت عيشة بدوية وعلى البصل البري .

ففي هذا الاوان قد مات الجد السابع لجنكز خان « دوتومينين » . وكان له تسعة اولاد وامهم « مونولون » واكبر الاولاد قايدوخان . وهذا خطب بنتاً فكان ذاهبا الى صهره وقرب دار ابي الاولاد صحراء واسعة كان يتطارد فيها اولاده ويصيدون فيلعبون على ظهور الخيل . ولهذه الارض بصل بري كثير .

اما القبيلة المسماة چابولغان فانها اصابتها مجاعة فحفرت الارض واكلت بصلها فصارت الارض لاتصلح للطراد فشكوا ذلك لأمهم فغضبت من ذلك وركبت فرسها فرأتهم يحفرون فأمرت بضربهم. وحينئذ اجتمع الجلاير فصارت معركة قوية قتل

فيها منهم بضعة اشخاص اما من الجهة الاخرى فقتلت امهم مونولون مع قسم من خدمها . وعلى هذا هاجم الجلاير خيامها ونهبوها . وقدوصل الى يدهم ثمانية من اولادها فقتلوهم جميعا ونهبوا ماعندهم ، وغنموا غنائم كثيرة .

ولما عاد قايدوخان من صهره وسمع بما جرى ... جمع اقاربه وقبائله وعساكره وأرسل الى الجلاير يسألهم عن فعلتهم هذه . وحينئذ عدوا من اشتبك بهذه الوقعة فكانوا خمسمائة فأمسكوهم بنسائهم وأولادهم وسلموهم الى قايدو خان ترضية له وقالوا له : « اصنع بهم ماشئت ! »

وعلى هذا تشاور قايدوخان مع اقاربه وقبيلته فقال أحد الحضار : « ان دماءكم لاتكافأ بدماء هؤلاء . فالاولى ان تستخدموهم موالي لكم مدى بقاء نسلهم. » . فاستصوب الجميع هذا الرأي وحسنوه فعمل بموجبه . فتكاثر نسلهم . وصاروا يسمون ابناء قيبان اذ كان معتاداً ان يسمى القن باسم سيده على حد ماهو معروف عندنا من القول المشهور (مولى القوم منهم) .

وعند ماحكم جنكز وصار ملكا عظيما اتصل باقي الجلاير بهؤلاء وصاروا مثلهم يحملون اسم ابناء غلمان مغول قيبان . فبقوا خدماً له ولنسله الى عشرة بطون أو احدى عشر بطنا . وكان يستخدم لكل (تورة) (الف بيت) عشرة الى عشرين من خيام الجلاير .

واصل نسب الجلاير أنهم من نسل المغول من أولاد نوكون من قبيلة (دور ليكين).

سلاطين المغول :

لما كان المغول في اركنه قون تكاثروا هناك ومن (قيبان) و (نكون) تكونت عدة قبائل . واكثر هذه الطوائف (قبيلة قورلاس) . وهذه نصبت عليها اميراً

(پادشاه) فصار يحكم عليها جميعها ولكنه لم يعلم اسمه . ولا عرف الملوك الذين خلفوه .

وحين خرجوا من اركنه قون كان ملوكهم بالتوالي :

١ ـ برته چينه

٢ ـ قوي مارال

٣ ـ بيچين قيبان

٤ ـ تيماج

٥ ـ قيچي مه ر كه ن

٦ ـ قوجوم بورول

٧ ـ بوكه بندون

٨ ـ سام سائوجي

٩ ـ قاليماجو

١٠ ـ تيمور طاش

١١ ـ مينكيلي هوجا

١٢ ـ يولدوز

فهؤلاء الامراء (پادشاه) الواحد ابن الآخر . تعاقبوا بهذا الترتيب . ولهذا الاخير ولدان توفيا قبله ، لاحدهما ابن اسمه (دو بون بايان) . وللآخر بنت اسمها قوا فتزوج الولد من البنت . ولما توفي يلدوزخان خلفه :

١٣ ـ دو بون المذكور . وهذا قبل ان يصل الى ٣٠ عاماً من العمر توفي وله ولدان أحدهما وهو الكبير (بلكوداي) والصغير (بوكجه داي) ولا يتجاوز عمرهما السابعة والسادسة . وفي بعض النسخ يسمون (بولگونوت و بوكونوت).

وصاية الام (الانقووا) وحكومتها :

ونظراً لصغر الولدين صارت امها وصياً عليهما . فزاولت شئون القبيلة ...متربصة ان يكبر أولادها و يتولوا الحكم . وفي خلال ذلك طلب منها اخوة زوجها وغيرهم ان يتزوجوها فلم تقبل معتذرة بأنها تدير امور القبيلة الى ان يبلغ ابناؤها اشدهم ولا ترغب بسوى ذلك . مضت بضع سنوات على ذلك ولكنها - كما يحكى - في ليلة وقت السحر رأت نوراً من اعلى الخيمة قد دخل عليها ثم تمثل لها بشرا سوياًأبيض الوجه أصفر الشعر أشهل العينين . فحاولت ان توقظ النساء حولها فتصيح الا انها أحست بان لسانها قد أمسك وأرادت ان تنبه من حولها فترفسه برجلها فلم يتيسر لها ذلك ومع هذا كانت تملك عقلها . فتقرب منها ذلك النور واتصل بها ثم خرج لم تبين ذلك لاحد بل كتمته خشية ان لاتصدق . و بعد خمسة ايام او ستة ظهر عليها ذلك الشخص ثم صار يتردد عليها فحملت منه من أول ليلة . ثم بعد بضعة أشهر ظهرت عليها علائم الحبل فسألوها عن السبب فقالت :

« لو أردت زوجا لحصل بسهولة . وقد صرت أميرة برغبة القبيلة . ولكني لم أعدل احداً بقومي ولا باولادي . ولم آت امراً منكراً . وانما جاء النور فتمثل لي رجلا . واذا أراد الله ان لايخذلني ولا ينالني خجل فسوف تظهر قدرته وسترون الولد عند الولادة هذا ولله الحكم . »

فاعتقد حتى اعداؤها بصدق قولها . لأنهم يعلمون صحة لهجتها وانها لا تكذب وأنها طاهرة الذيل . ثم انهم شاهدوا النور يدخل خيمتها . فتحقق لهم صدق مانطقت به .

وان ابناء الانقووا :

١ - (بو - قوق - قاتاغين) . وهو اكبرهم . ومن اولاده قبيلة تسمى بهذا الاسم.

٢ - (بوسقين جالجي) . وبهذا الاسم قبيلة تنسب اليه .

٣ - (بودانجار موناق) . وهذا صار خاناً عليهم

١٣ - (بودانجار موناق) المذكور . فجنگز خان وكثير من قبائل المغول من نسله وتنسب اليه . وان القبائل التي تفرعت من هؤلاء الثلاثة يقال لها (نيرون) ومعناه الأطهار الأصل . لان المغول يعتقدون ان هؤلاء ولدوا من نور . ولهذا ولدان (بوقا) وهو الأكبر و(توقا) وهو الأصغر وقد خلفه ابنه الاكبر :

١٤ - بوقا . ولم يعرف عن الصغير شيء . فلم يدر هل له ذرية اوليس له . واما الاكبر فخلفه :

١٥ دوتوم - مه نين خان . ولهذا تسعة أولادقتل الجلاير ثمانية منهم و بقي الاكبر فخلف اباه في الخانية وهو :

١٦ - قايدوخان .ولهذا ثلاثة أولاد. اكبرهم(باي‌سونقور)واوسطهم(چارقالـه‌ن-قوم) ومنه تكونت قبيلة تايجوت . وقد تحارب (بارغو قايدي) من امراء هذه القبيلة مع جنگز كثيراً . و (جاوچين) وهو الابن الثالث ومنه تفرعت قبيلتا چاجوت وايرته كين . وقد خلف قايدو في حكومته ابنه الأكبر :

١٧ - باي‌سونقور . وكان عاقلا مدبراً وعادلا. وقد تبعته قبائل كثيرة . ثم خلفه :

١٨ - تومه‌نه . وحكم هذا على جميع قبائل نيرون سنين عديدة . ونالت مملكته في ايامه ثراء وراحة . ولهذا تسعة أولاد تكون من كل منهم قبيلة أو قبيلتان فاكثر . وهؤلاء :

(اولهم)چاقسو وله ثلاثة أولاد :(نوتاقين) و(اوروت) و (مانقوت) فتفرعت منهم ثلاثة قبائل عرفت بهذه الاسماء .

(وثانيهم) ياريم شير بوقانجو صار جد قبيلة عرفت باسمه .

(وثالثهم) قاجولي ومنه تولد ابن اسمه (ايروجي) أوارده مجي بارولاس فقبيلة بارولاس منه . وان (آقساق تيمور) من هذه القبيلة [ويقال له تاراغاي اوغلي تيمور ، أمير تيمور ، تيمور كوركان] ويعرف عندنا بتيمورلنك .

(ورابعهم) سام قاجون . وان قبيلة ادور كين من نسله .

(وخامسهم) بات كه لكي . ومنه قبيلة بودات .

(وسادسهم) قابول خان . وان جنگز خان مع قبائل كثيرة من نسله .

(وسابعهم) اودوربايان . ومنه قبيلة كيقوم .

(وثامنهم) بولجا دوغلان . ومنه قبيلة دوغلات .

(وتاسعهم) چنتاي . ومنه قبيلة بيسوت . وهؤلاء مشهورون بالشجاعة ومنهم چبه چنتاى الذي امره جنگزخان بتعقيب سلطان محمد خوارزمشاه واعطاه ثلاثين الف مقاتل وهو الذي اسر اولاد خوارزمشاه وضبط خزائنه واكتسح جميع ايران وآذربيجان وكرجستان حتى وصل الى داغستان والچركس وذلك في خلال أربع سنوات وعاد الى جنگز .

وبعد وفات الملك خلفه ابنه

١٩ ـ قابول خان . وهذا له ستة اولاد خلفه منهم :

٢٠ ـ به رتان . ولهذا اربعة اولاد . ومن اولاده تكونت قبيلة قييان وقد خلفه ابنه :

٢١ ـ يسوكي . وله خمسة اولاد اكبرهم (جنگز خان) وكان سماه ابوه (ته موچين) . ويقال لاولاد يسوكي ومن تناسل منهم بورجيكين قييان . لكونهم شهل الغيون وبيضا . وقد خلفه من اولاده ابنه الاكبر وهو جنگز خان



٤ — جندي مغولي تابع ص ٥٨

و بهذا انتهت (امارات المغول) وابتدأت (حكومتهم العظمى) . ولذا افردت بالبحث .

حكومة جنگز خان

اوائل أيامه :

وضع له أبوه اسم (تموچين) وفي تحفة النظار : انه كان حداداً بارض الخطا وكان له كرم نفس وقوة و بسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم وغلب على بلده وقوي واشتدت شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطا ثم على ملك الصين وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الختن وكاشغر (كاشغر) والمالق وكان جلال الدين ... خوارزمشاه له قوة وشوكة فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له . ومثلها في غيرها . (١) ولما صار خاناً لقب (بجنگز خان) . ويقال له ولاخوته ولمن تناسل منهم قبيلة (بورجكين قييان) لكونهم بيض البشرة وشهل العيون . وهذا ماتوسمته فيهم جدتهم العليا الانقوا في البطن التاسعة .

ان جنگز ولد سنة الخنزير (٥٤٩ هجرية) في المغول في محل يقال له بيلون بيلدوق (ديلون بولداق) . وكانت احدى يديه وجدت مقبوضة على قطعة دم . وكان أحد الحضار في مجلس والده — حين تداولوا في غرابة ذلك — أبدى ان هذا يدل على انه سيكون ملكا عظيما . وأبوه يسوكي بهادر . وقد مر القول عن اجداده سوى ان المغول يقفون عند الجد السابع ولا يعدون مابعده . وفي المثل عند الترك في الاناضول الى الآن يقال : [هو حداد من سابع ظهر] كما ان عندنا مايشابه هذه

«١» ر : ج ١ ص ٢٢٥

العادة فاذا سب احدنا الآخر يشتمه الى [سابع ظهر] .

ولما توفي يسوكي (١) (والده) كان له من العمر عشر سنوات وكان اخوته صغاراً وان نسل بودانجار كلهم كانوا تابعين ليسوكي خان فيأخذ منهم العشر من اموالهم. وان الاموال التي يؤخذ عليها العشر: هي الخيل والابل والبقر والغنم . ومن عوائدهم ان الخان اذا مات وترك اولاداً ينصبون احدهم . واما الباقون فيختلطون بالاهلين فيكونون كاحدهم. وفي كل سنة يؤدون للخان فرساً أو بعيراً . ولكن هؤلاء اذا ماتوا وقد خلفهم أولادهم فحينئذ يؤدون العشر كسائر افراد العشيرة بلا فرق .

فالذين يؤدون الى يسوكي الخراج نحو ٣٠ أو ٤٠ الف بيت . ولما مات وخلفه ابنه وكان صغيراً صار الناس لايخشون بطشه . ولذا حلا المال باعينهم وصار يصعب عليهم أعطاؤه ففروا منه ولم يبايعوه وذهبوا الى مواطن بعيدة بقصد التخلص من القيود . . .

افترقت قبيلة ابيه بعد موته وهي من عشائر التايجوت وتبعثرت امورها وانقسمت الى فريقين احدهما وهو ثلاثة ارباعها قد اتفق مع التايجوت والفريق الاخر بقي مع جنكز . وايضا بقي معه من القبائل الاخرى البيت والبيتان والثلاثة او الاربعة الى الخمسة والباقون انفصلوا عنه فوقعت حروب دامية بين الفريقين واما القبائل الاخرى فقد مالت الى التايجوت .

ان ام جنكز خان كانت تسمى اولون ، وهي من قبيلة اولقنوت وكانت عاقلة مدبرة ، وهذه اثر وفاة والده تزوجت في (مينكيليك) الملقب (ايچيكه) ، وبهذه الوسيلة قد التحقت قبيلته المسماة (قونغ قومار) بجنكيز خان فصارت تابعة له ، وهذا مما ساعد جنكز خان كثيراً في نجاحه على مناوئيه وتسلطه عليهم . . .

«١» يلفظ « يه سوكه ي » ايضا كما تقدم

محاربات جنكيز القبائلية :

ولما بلغ جنكز خان ثلاث عشرة سنة من عمره حارب قبيلة تايجوت ونيرون اللتين من قبيلة والده في اكثر احيانه حروبا وبيلة ، وعديدة، فلم يظهر الغالب تماما فكانت سجالا بين الفريقين .

وفي سنة ٥٩٠ للهجرة (١١٩٣ م) بلغ جنكيز الاحدى والاربعين سنة من عمره . وحينئذ اتحدت القبائل واتفقت على مقارعته والقضاء عليه ...

وفي هذا الحين عرك الدهر بتجار به فعرف حلوه ومره وحلب اشطره فمخض شؤنه وقد تمرن على الكفاح ونال مهارة، فلما سمع بالخبر جمع امواله وقبائله . فكان معه في ذلك الوقت ١٣ قبيلة(اوروق) (١) فاتخذ ثلاثة عشر مقراً (كوران) لجيوشه على عدد قبائله وقرب الواحد من الآخر فجعلهم بشكل دائرة ووضع في وسط هذه الدائرة نفائس أمواله ، وشد احمالها ، واما الردىء والتافه من الاموال فقد وضعه خارج الفيالق...

ولما جاءته الاعداء اركب خيالته وجعلهم صفوفا لمحافظة الكتائب والجيوش من الوراء . اما جنكيز فقد كان معه عشرة آلاف في حين ان اعداءه كانوا ثلاثين الفاً فاشتبك القتال بين الطرفين ونالت الحرب شدة وقوة . فتغلب جنكز على اعدائه وقد فقد من جيوشه خمسة آلاف الى ستة آلاف .

اما الذين قبض عليهم من قبيلة تايجوت فقد اغلى لهم الماء بمراجل ورماهم فيه احياءاً فقتلهم بهذه الطريقة وابقاهم حتي نضجوا .وحينئذ تقدم الى مواطنهم فاستولى عليها وانتهب ما فيها من اموال واتخذ ابناء الرؤساء اسرى وموالي والباقين الحقهم بقبيلته .

---

(١) ورد في جامع التواريخ بلفظ «أوروغ» «ر : ص٦ منه»

وبهذا النصر نال غلبة وقوة فاكتسح بعد هذه الوقعة جميع انحاء مغولستان . وهذه الحروب وان كان غاية ما يقال عنها انها قبائلية ولم تكن مقارعة حكومة بحكومة الا انها تعلق عليها أهمية كبرى اولا من ناحية تمرنه على الحروب وممارسته لها وثانيا من حيث توحيدامة المغول وتوجيهها نحو وجهة واحدة ، معلقة به قلباً وقالباً . وتظهر نتائج هذه واهميتها في غلبته على الاقوام الاخرى . وظهوره بمظهر فاتح ...

حرب جنكيز مع ملك كرايت (١) وتغلبه عليه :

ان چاموقا چچن (ومعنى چچن العاقل المدبر) جاء يوما الى شنكون بن أونغ (أونك) (٢) خان الكبير وقال له: انكم تعرفون جنكز صديقاً لكم . والحال انه اتفق مع تايانك خان و بويوروق خان خفية لمحوك واباك وازالة اثركما . ولم يكن احد واقفاً على اسرار جنكز مثلي لاني من اقاربه والصق الناس به خصوصا انا عشنا سويّة ...

وبتأثير من قوله هذا حدثت منافرة بين المتجاورين كرايت ونايمان واشتد العداء بينهما فالكل أعتقدوا بصحة ما قاله چچن الا ان الاب قال لابنه : « ان يسوكي ، وأبنه جنكز ، قد صنعا جميلا معنا فاذا لم يتجاوزوا علينا فلا نقدر ان نعتدي عليهما وان چاموقا چچن كثير الكلام ومفسد . فلا اعتقد بكلامه ولا اشتري عداوة صديقي ومن له لطف علي فليس ذلك مني بصحيح . »

«١» ورد في ابن العبري بلفظ كريت . «٢» ورد بهذا اللفظ في الكتب العربية « ابو الفداء . وابن العبري »

وسبب الصداقة القديمة هو ان قبيلة كرايت كان يملكها (مارغوزخان). ولهذا ابنان (قوجاقور) و (كور). ولما مات ابوهما اقتسما المملكة بينهما. وكان لقوجاقور خمسة اولاد اونغ خان «اونك»، واركه قارا، وباي تيمور، ومامیشاي، وجاكه مبو. ولما مات ابوهم لم يقسم في حياته الملك بينهم فصار اونغ خان مع جاكه مبو في جهة واركه قارا مع باقي اخويه في جهة اخرى فتحارب الفريقان، فتغلب اونغ خان فاضطر اركه قارا على الفرار والتجأ الى نايمان فامده. وعلى هذا تمكن من الوقيعة باعدائه «اخوته» وحلوله محلهم. اما اونغ خان فانه التجأ الى يسوكي وهذا هاجم اركه قارا فهزمه واقام اونغ مقام ابيه. ثم ان اركه قارا التجأ الى عمه كورخان واراد ان يتوسط الامر صلحا فلم يقبل اونغ خان ولذا مشى عليه عمه وتحارب معه وفي هذه المرة اعانه يسوكي ايضا بعد ان ذهب عنه جميع من معه والتحقوا باخيه فتغلب على الكل وقتل اخاه واستقل بالخانية ومن ذلك الحين لم يطرأ على دولته خلل بل زادت وتكاملت بمرور الايام.

والحاصل ان اونغ خان نسي هذا الجميل مؤخراً وهو الذي دبر قتل جنگز خان بحيلة وذلك انه اعطاه ابنته فدعاه الى بيته بأمل ان يأتيه فيقتله وكان أسم بنته چاأور بيكى، ودعا جنگز بواسطة «بوقداي قونجات» و يسمون الداعي «چاقيرتا»، وكانت البيوت متقاربة.

اما جنگز فانه كان غافلا عما دبروه من الحيلة للوقيعة به. ولذا أخذ معه اثنين من اعوانه وخرج للذهاب الى بيت اونغ خان. ولكن صادفه في طريقه (مينكيليك ايچيكه) وهذا أطلع جنگيز على الحيلة وما ينويه اونغ خان. ولهذا عاد جنگز وأبدى ان فرسه متعب ولا يستطيع الذهاب. وانه بعد ايام سيرسل خبراً بذلك معتذراً عن حسن معاملته.

و بعد بضعة ايام جاء الى جنگز شابان اسم الكبير منهما (باداي) والآخر (قيشلق)

فاخبرا جنگز خان ان (بوکه چه ران) الذي يرعيان بقره حينما جاء كبيرهما بحليب الى بيته وقبل ان يدخل سمعه يكلم زوجتـه ان بوقداي حينما عاد من جنگز عقد الخان مجلس شورى (كنكاش) والظاهر ان جنگز اطلع على الحيلة ولذا لم نتمكن من الوقعية به • فليلة غد نركب خيولنا ونخرج وقت السحر وسنفاجأهم على غرة ... ولما سمعت هذا القول منه قدمت لهم الحليب ورجعت تواً اليك لاخبرك بما جرى . » اه

ولما سمع جنگز بهذا الخبر ارسل على افراد قبيلته وأمر ان يرحلوا الى عين بالجونا وارسل رجاله الى هناك و بقي اعوانـه المساحون معه . وكانوا كلهم ٢٥٠٠ رجل فانتظروا الليل كله واعنة خيولهم بايديهم وتأهبوا للطوارئ يترصون الوقت المنتظر للهجوم . وقبل ان ترتفع الشمس (١) نحو رمح او رمحين جاءهم الاعداء وكانوا اثني عشر الفاً فتقارعا .

ثم ان جنگز تشاور مع قويلدار چچن رئيس قبيلة مانقوت فأبدى له انه بقبيلته يهاجم الاعداء و يركز علمه (توغه) وراء الاعداء وأن يلازم جنگز الجبهة و يهاجم من ناحيتها وعلى هذا هاجم قويلدار من الخلف وصال جنگز من الأمام .

اما الكرايت فأنهم هاجموا بجماعاتهم ثلاث هجومات وفي الرابعة هاجم (سنكون) ابن اونغ خان فاخترق صفوف المغول ولـكنه في هذه الاثناء جرح في وجهه . وهذا مادعا أن يقتل من الكرايت كثيرون و ينسحب الباقون لما نالهم من الجروح .

و بعد هذا النصر قال جنگز : « اننا لو بقينا في مواطننا تضررنا . لأن الكرايت سوف يأتيهم مدد كبير . فينبغي أن ننسحب بانتظام الى المواطن التي فيها رحالنا. »

«١» في ابن العبري هاجمهم العدو وقت السحر « ر : ص ٣٩٤ »

وعلى هذا تركوا الاعداء في مواقعهم ورحلوا لمكانهم الأول . اما الاعداء فانهم كانوا قد ذهبت منهم ضايعات كثيرة . فلم يستطيعوا اللحاق بالجيش وتعقيب أثره فبقوا في مواطنهم .

وصل جنكز ومن معه الى عين (بالجونا) [بالجونا بولاق] حيث كانت رحالهم ، ولكن لم يكن هناك من الماء مايكفي لسد حاجتهم فرحلوا منه الى ساحل نهر قولا فاقاموا فيه ونزلوا على طول النهر قليلا .

وهناك صادفوا قبيلة قونقرات ، وحينئذ بعثوا اليهم خبراً بأننا جئنا الى هنا فان كنتم حرباً معنا — رغم اننا لم تكن بيننا و بينكم أمور تستوجب ذلك — فبينوا رأيكم وصارحونا ، وان كنتم سلماً معنا فعرفونا الصحيح . وعلى هذا وافى الرؤساء اليه وابدوا الطاعة وبايعوا جنكز خان ، ثم إن جنكز خان رحل من هناك ايضاً وترك نهر قولا وتوجه نحو نهر تونقانور فجاؤا الى ساحله وحلوا به فنزلوا فيه براحة وطمأنينة .

ثم ان جنكز خان ارسل سفيراً الى اونك (اونغ) خان ملك كرايت مذكراً له بالحقوق القديمة وهذا أحال الأمر الى ابنه ارقاى سنكون فأجابه اننا سوف نصطدم وسيجعل الله الفوز لواحد منا ولا جواب لنا غير ذلك ، ومع هذا كرر جنكز ارسال السفراء لعدة مرات وكلفهم بالصلح فلم يوافقوا . ولما لم يبق له أمل في الصلح هاجم اونك (أونغ) خان فكانت المعركة قوية ودامية جداً فتغلب فيها جنكز ، وان اونغ خان وابنه سنكون فر كل منهما لجهة مع بضعة افراد ، فتمكن جنكز من الاستيلاء على اموالهم ومواشيهم ومزارعهم ، وكانت الغنائم وافرة جداً .

وكانت وجهة اونغ خان الهزيمة الى ملك نايمان وهو تيانغ خان ، ولكنه حينما وصل الى قريب من هناك صادفه بعض الامراء وهما قوروسوماجو وتانيكا فهؤلاء

حاذروا ان يأتوا به الى ملكهم فيغضب عليهم نظراً للعداء السابق بينه و بينهم فقتلوه وقدموا راسه الى خانهم (تيانغ خان) المذكور ، وكذا من كان معه ، فلما جاؤا برأسه غضب واسف لقتل ملك عظيم مثل أونغ .

اما سنكون فانه ذهب الى تيبت و بقي هناك بضع سنوات ، وقد حاول التيبتيون مرة قتله فعلم بذلك وهرب الى خوتان (ختن) ، وهناك كان الملك (قلبچ قارا) ملك قبيلة قالاچ في ختن فالقى القبض عليه وقتله ، وأرسل رأسه مع عائلته وصغاره من اولاد وغيرهم الى جنگز خان . (١)

وقد اشار في تاريخ العبري في وقائع سنة ٥٩٩ هـ ١٢٠٣ م الى هذه الوقائع بين ملك كرايت أونك خان (اونغ خان) و بين تموچين (قبل ان يتسمى جنگز) ، وقال عن الكرايت انها تدين بالنصرانية وان تموچين كان في خدمته وهو من قبيلة اخرى وقد ابرز من سن الطفولية الى ان بلغ حد الرجولية بأساً وقهراً للاعداء فحسده الاقران وسعوا به الى اونك خان ، وما زالوا يغتابونه حتى اتهمه وتغيرت نيته وهم باعتقاله والقبض عليه فانضم اليه غلامان من خدم اونك خان فاعلماه القضية وعينا له الليلة التي يريد فيها اونك خان اغتياله وكبسه وفي الحال امر تموچين أهله باخلاء البيوت وكمن هو ورجاله بالقرب منها فلما هاجم اونك خان واصحابه البيوت لقيها خالية من الرجال وكر عليه تموچين واصحابه من الكمين واوقعوا بهم وهزموهم ، و بعد هذه حاربوه مرتين حتى قتلوه وابطاله وسبوا ذراريه (٢) .

وفي ابن العبري ايضاً انه « انعم على ذينك الغلامين وذريتهم بان جعلهم (ترخانية) والترخان هو الحر الذي لايكلف بشيء من الحقوق السلطانية و يكون مايغنم من الغزوات له مطلقاً لايؤخذ منه نصيب للملك وزاد لهؤلاء أن يدخلوا على الملوك بغير

«١» شجرة الترك ص ٨٤ «٢» ابن العبري ص ٣٩٤

اذن ولا يعاقبوا على ذنب الى تسعة ذنوب » وذلك حينما انتصر على الأقوام وعلا شأنه (١) .

وعلى كل حال ان مصادرنا القديمة اخذت الوقائع بصورة موجزة كما تقدم في ابي الفداء والعبري فلم تبين حقيقة الوضع ، ومن هذا القبيل الوقائع التالية الموجودة في تاريخ العبري وسائر التواريخ الى ايام مقارعتهم مع المسلمين ... ولكن يقطع بالصحة من حيث الاساس رغم الاختصار ، ورغم الغلط في الاعلام سواء من النساخ أو من التلقي لبعد الاتصال ، أو صعوبة التلفظ ببعض الأعلام ...

صيرورة جنكز خاناً (ملكاً)

إعلانه الملكية

اعلان السلطنة ووجه تسمية بجنكيز :

في هذه الحروب والانتصارات حصل جنكز خان على ملك عظيم ، ولكن مع هذا كانت هناك قبائل اخرى لاتزال غير منقادة له خصوصاً القبائل ذات الحول والطول منها . فلم يلتفت لمخالفة هؤلاء واعلن خانيته (ملوكيته) سنة ٥٩٩ هـ اي في تلك السنة (١٢٠٣ م) التي تغلب بها على كرايت . وكان عمره آنئذ ٤٩ عاماً وذلك في محل يقال له [نيمان كهره] .

وحينئذ أجرى له احتفال عظيم بابهة وزينة لامثيل لهما وقد جاء [كوكجه] ابن مينكليك ايجيكه الذي هو من قبيلة [قونقامار] . وهذا يدعوه الناس (صنم الله) (تكري بتي) (٢) فقال لجنكيز : « أمرت من جانب الله تعالى أن آتيك وأنبئك وسائر

«١» ر . ص ٣٩٥ ، ٢٠ » وفي ابن العبري تبت تنكري وهو غلط وصحيحه ماذكر في الاصل كانه اراد ان يقلب الاضافة ويبقى الاسماء بحالها ...

الناس بان لايدعوك تموچين . وليكن اسمك جنگيز (١)وان الله اعطاك كافة اقطار الارض . » [وچنيك مفرد جنگز بمعنى العظيم او القهار او الفظ القاس] . وكان كوكجة هذا يتجول في البراري والجبال من ارض المغول وفي شتائها القارس حافياً عارياً و يغيب أياماً ثم يأتي وكان يقول انه يأتيه فرس أدهم من الغيب فيركبه و يسري به الى السماء فيكلمه الله هناك ثم يرجع » وقد تفأل تموچين خيراً بهذه التسمية فلم يعدل عن قوله . ومثل هذه القصة ماجاء في ابن العبري ولكنها غير واضحة بهذه الصورة (: ص ٣٩٤ : ٣٩٥) .

اعماله التالية لاعلانه الاستقلال :

وحينئذ ارسل الرسل الى جميع شعوب الترك فمن اطاعه وتبعه نجا ومن خالفه خذل وذل (ص ٣٩٥ العبري) . وان أول من عارضه (تيانك خان) [تيانغ] في سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) حاربه وكانت من اعظم الحروب التي صادفت جنگز وكان هو لها خطيراً .

وهذه المحاربة الدموية طالت من وقت السحر الى الغروب جرح فيها تايانك (تيانغ) وكسر جيشه وقد فر مجروحا فمات في الطريق فانتصر عليهم جنگز وتغلب بصورة باهرة وذلك لأن جنگز علم بتأهبه من رئيس قبيلة اونغوت التي كتب لها ان لاتتابع جنگز وهذه اخبرته ، واما ابنه وهو (كوچلو) (٢) فقد

«١» ولفظه ابن بطوطة « تنكيزخان » بالتاء ولعله اخذه عن التلفظ وشيوعه بهذه الصورة وقد شاعت اسماء امراء بهذا اللفظ « تنكيز » في انحاء سورية ولكن التواريخ العربية نطقت به خاصة بما تقدم ... « ر : ص ٢٢٤ ج ١ تحفة النظار »٢« قد عبر عنه مؤرخونا مثل ابي الفداء نقلا عن المؤرخ النسوي انه كشلو او كشلي . والكلام عنه كان مجملا ومبتوراً ... فلم يستوف الوقعة .

سلم وذهب الى عمه الأكبر بويروق خان .

وهذه الفتن والاحوال الحربية كان منشأها وسببها الوحيد چاموقا چچن المار الذكر فانه أوهم اونك خان حتى وقع فيما وقع وفي هذه المرة أهلك تيانك خان (تيانغ) ولذا اتفق الجويرات فالقوا القبض عليه وسلموه الى جنگيز خان خلاصاً من شره فقتله .

ومما يحكى عنه حين قتله وتعذيبه انه قال لو كنت قبضت على جنگز لفعلت به هذه الفعلة .

و بعدان قضى جنگز الشتاء لدى اهله عزم في الصيف على مركيت ، وكانت تحت امارة توقتا ، وهذا اتفق مع تيانغ وتقاتل مع جنگز ، فاحس بضعفه فانهزم وذهب الى بويوروق خان ملك نايمان ، فاكتسح جنگز ملكه والحقه بممالكه .

ومن هناك ذهب الى تانغوت وكانوا قد تحاصروا في القلعة وفي مدة قليلة تمكن من الاستيلاء عليهم وجعل القلعة قاعا صفصفاً وقتل رئيسهم وجعل على ولاياتهم حاكما ، ورجع عنهم .

قضى الشتاء في هذه المرة ايضا ثم ذهب في الصيف المقبل على ملك نايمان وهو بويوروق خان وحينما قارب نايمان في الربيع لم يكن ل (بويوروق خان) علم وكان قد ذهب للصيد فصادفه جنگز خان فقتله حالا . (وكانت مواطنهم سلطنة (هيا) وعاصمتهم (هياچه اودي) (والآن هينغ هيا) . فهم في اولوداغ في شمال بحيرة بالقاش وهي الاراضي التي تفصل تركستان القديمة عن سبريا) . اما كوچلو بن تيانغ وأمير مركيت واولادهم فلم يكونوا قد ذهبوا معه للصيد و بقوا في الخيام . ولكن قد فرّ احدهم وقص الخبر عليهم ففرّ كوچلو مع توقتا وذهب الى

(ايرتيش) . فضبط جنكز خان خيامهم وقبائلهم ورجع ، ثم انه بايعه القرغز وقدم له اميرهم اوروس اينال الهدايا الفاخرة .

وفي السنة التالية ذهب جنكزخان لتعقيب اثر كوچلو وتوقتا بك فصادف في طريقه قبيلة اويرات وقبيلة قارلوق فبايعتاه وصارتا تريانه الطريق و تدلانه كخريت له ، و بصعو بة وعلى ساحل ايرتيش عثروا على توقتا فقتلوه . اما كوچلو فقد نجا والتجأ الى تركستان الى كورخان ملك الخيتاي (الخطا هكذا يلفظه مؤرخو العرب) . وقد اكرمه كورخان وأعطاه بنته وجعله كاتبه . . . ومن ثم رجع جنكزخان الى فيلته .

بيعة الأويغور (١):

ان ملكهم ايديقوت (٢) كان تابعا الى كور خان ملك قراخيتاي (قراخطا) ويؤدي له الخراج . وان كورخان كان قد ارسل والياً (داروغا) عليهم احد اعوانه وهو شادكه م وهذا شرع يظلمهم و يتعدى عليهم بحيث صار الاويغور لا يتحملون ظلمه وقسوته ، وفي هذه الاثناء ذاع صيت جنكز في كافة الاقطار وزيادة على هذا فان ايديقوت قتل شادكه م وحينئذ أرسل الى جنكزخان رسولا يعرفه بانه مخلص له وانه في طاعته الى ان يموت ، وان جنكز خان ايضا بالمقابلة ارسل اليه سفيراً من قبله يسمى (دورباي) .

---

(١) في العبري الايغور بلا واو - ص ٣٩٨ . (٢) ورد في العبري ص ٣٩٩ ايدي قوب والصحيح كما في شجرة الترك ايديقوت وتفسيره المرسل من الله (ر: هامش العبري ص ٣٩٩ ، «قال دي كوين»). واما العبري ففسره بصاحب الدولة» .

ثم ان ايديقوت اعد هدايا عظيمة وذهب بنفسه لزيارة جنكز خان سنة ٦٠٦ هـ (ابن العبري) فرأى التفاتاً كبيراً من الخان (١) وعلى هذا عرض ايديقوت عليه قائلا : « آمل من كرم الخان الاعظم ان اكون خامس اولاده . » فانتبه الخان الى انه يقصد التزوج بينته فاعطى احدى بناته اليه . وهذه ظروف جديدة ومسهلات لاكتساح الممالك الأخرى .

وبهذه الحادثة قد تم لجنكز خان الاستيلاء على كافة انحاء المغول « مغولستان » ولم يبق له فيها مناوي أو منازع .

فتح خيتاى وقراخيتاى وجورجيت

ان جنكز خان بعد استيلائه على كافة انحاء المغول كما تقدم جمع امراء المغول كلهم وقال لهم : « ان آلتان(٢) خان : ملك الخيتاي (الخطا) كان قد عامل أجدادي وأقاربي معاملة قاسية ورديئة ، فأنا عازم على اخذ الثأر منه ولكني مرسل اليه قبل ذلك رسولا يدعوه للطاعة لئلا تبقى له حجة . » فوافقه الحضار وارسل ضابطاً (نوكراً) مدربا وزوده بمعلومات كافية للمفاوضة وللاطلاع على الحالة ومعرفة الطرق والاوضاع الحربية فلما ورد اليه وقص عليه القصص اجابه باني متأهب للنضال فليأت بسرعة .

«١» « ر : تاريخ العبري ايضاً ص ٣٩٩ » «٢» هذا هو الذي بين عنه ابو الفداء انه آلطون خان الخاقان الاعظم ومن ثم تعلم درجة اختلاط الوقائع ونقلها مبتورة ومقطوعة فانها بوضعها ذلك غير مفيدة . فالاولى من ذكرها بهذه الصورة ان لايبحث عنها . ولكن مع هذا نرى فيها رائحة الصحة ظاهرة وان العرب ثقة في النقل ...

وحيئئذ وافاه جنكز خان بجيش قوي كان الطرف الاخرقام بتأهبات حربية كافية وكل من المتنازعين عبى جيشه ، اما جنكز فانه تقدم وصار يهلك ما وجده امامه ولم يبق ولم يذر من قتل وحرق . . . وارسل آلتان خان ايضا قوة كبرى مع احد امرائه لايقافه عند حده . وفي هذا الحين فر واحد من جيش جنكز خان وعرف آلتان خان بانه جاءهم بقوة كبرى وانه استولى على احد المدن فقتل اهليها قتلا عاما وحرق المدينة ، وها اني جئتك منه وهو في هذه الحالة . وقد فررت منه . وعلى هذا تقدم الامير من قبل آلتان خان وكذا جنكيز سار عليه فتلاقى الجمعان وتناضلا فظهر جنكز على عدوه واستولى حينئذ على كثير من ممالك الخيتاي (الخطا) وحينئذ وصل جنكز خان الى المضيق الذي فيه آلتان خان فصارت المحاربة هناك، وفي هذه الحرب ايضاً أضاع آلتان خان نحو ثلاثين الفاً من جيشه كما فقد جيشه المرسل مع أحد امرائه .

وعلى هذا انسحب آلتان خان الى طريق خان باليق [پكين ، يه كينگ] ، وان الامراء في خان باليق كانوا يحملون اسم آلتان خان ، وفي هذا قد ضبط جنكز خان ولايات كثيرة أخرى من بلاد الخيتاي .

المصالحة مع آلتان خان :

ان التان خان بعد ان وصل الى خان باليق سمع بان جنكز خان اكتسح بلاداً كثيرة منه واستولى على قرى عديدة وعلى هذا عقد مجلس شورى (كنكاش) في ترجيح ماذا كان يتحارب او يتصالح مع جنكز الذى هو متوجه نحو خان باليق فاشار عليه وزيره (چينغ (١) سانغ بولاداغا) بترجيح الصلح لانه من المأمول أن

«١» ، جينغ سانغ هو لقب الوزير عندهم . »

يعود جنكز خان اذا تم الصلح و يرجع الى بلاده ، فرأى الملك ان فكرة الوزير هي الصواب فارسل رسولا الى جنكز خان ، وقدم بنته هدية له مع تقدمات اخرى ثمينة ، فلما رأى الرسول رحب به واعزه وتزوج البنت وأمضى الصلح .

اما التان خان فانه وجد مملكته قد تخربت كثيراً ، ولذا انسحب الى تمينك ، وكانت هذه المدينة قد بناها أبوه وجعلها محكمة وهي على الساحل وقد اتخذ في اطرافها ثلاث استحكامات أخرى ، وقد جعل ابنه في خان باليق واقام هو في تمينك ولكنه حينما تحرك من خان باليق كان قد قتل قائد قراخيتاي لجريرة ارتكبها ، ولهذا فان امراء قراخيتاي وشجعانها قد انتهبوا الخيول والبغال والحمير والأغنام والابل والبقر ... العائدة الى ابن آلتان خان فساقوها معهم والتحقوا بجنكز خان ، ثم ظهر من قراخيتاي بطل فاستولى على عدة ولايات وأرسل رسولا الى جنكز خان فبايعه .

وعلى هذا قبل جنكز خان منهم ذلك بل تلقاه منهم بقبول حسن . ولهذا ولادنى سبب قد التحق أمراء آلتان خان بجنكز خان . و بعد ستة اشهر رأى الابن — ابن آلتان خان — ان الحالة مضطربة هناك وهي في تشوش فترك خان باليق لبعض امرائه وذهب الى أبيه .

اما جنكز خان فأنه تحقق لديه عجز آلتان خان وابنه ولذا سير أميرين من امرائه وهما (ساموقا بهادر ومينكار بهادر) مع جيش عظيم الى خان باليق ، وفي اثناء سيرها قد التحق بهما خلق كثير من اهالي خيتاي ، وحينئذ سمع آلتان خان بانه في خان باليق مجاعة ولذا لم يرسل جيشاً كبيراً الى هناك بل ارسل بمقدار الحاجة وهذا الجيش لاول ملاقاة قد تشتت شمله وقضي عليه ، فلما علم التان خان بالقضاء على جيشه انتحر بشرب السم ، وعلى هـذا ضبط جيش جنكز خان عاصمته خان

باليق ، وهناك كانت خزائن لاّ لتان خان فأوصلت الى جنكز خان بما فيها .

ان جنكز خان في خلال خمس سنوات استولى على اكثر مدن الخيتاي وعين فيها ولاة (داروغا) وعادا بلاده . وضبط هناك بلاداً اخرى .

وكان في نية جنكز ان يستولي على البلاد الباقية من الخيتاي ولكنه عدل عن ذلك لسبب ان تيانغ خان بعد ان توفي قد هرب ابنه كوچلو الى تركستان ، وهناك اتفق مع بعض اعداء جنكز خان فاعلنوا كوچلو (خاناً اي ملكا عظيما ، پادشاه) ، وان كوچلو هذا ارسل سفيرا الى سلطان محمد (خوارزمشاه) وساقه على حرب گورخان ، وفي ذلك الوقت كانت تركستان تابعة الى كورخان ملك قراخيتاى ، وان كوچلو قد ضبط نحو نصف تركستان منه ...

فلما علم جنكزخان ذلك قال في نفسه : « ليس من المصلحة ان ادع عدوا عظيما يتوسع في جواري وانا اتوغل في الممالك النائية البعيدة » ، فترك السفر الى الخيتاى وعدل عن مهاجمتهم .

وفي هذه الاثناء ظهر من امراء مركيت وهو قودو (عم الامير الاصلي توقتا) مع اولاده فمضى الى مملكة نايمان فصار يعيث هناك و يفسد على جنكز خان ، ولاجل القضاء على هذه الحركة ارسل عليهم جنكز قوة . ولما صادفوا عسكر قودو كسروه قرب ساحل نهر جم موران وذلك سنة ٦١٣ (١٢١٦ م) . وهذه الحرب قضت على سلطنة مركيت .

وفي هذا الحين عصت قبيلة نومان فارسل عليها سرية فكسرتها وعاد قائد جنكز بغنائم وفيرة .

قتل كوچلو (كشلوخان)

ان كوچلو كان قد التجأ الى كورخان في قراخيتاى وهناك قد اختل ما بينهما

فاستولى على بعض ولايات كورخان وجمع اعداء جنكزخان اليه . فلما سمع جنكز خان بذلك ارسل اليه چپه نويان من قبيلة ييسوت وجهزه بفيلق عظيم ، ولما اشتبك القتال العظيم بينهما غلب كوچلو على امره وقد فر بجيش قليل كان معه ، فاستولى على عائلته واولاده فاسرهم بعد ان قتل الباقين . ثم انه عقب كوچلو فتمكن من اللحاق به وقتل عساكره وضباطه ، ومع هذا قدر ان يفر كوچلو مع ثلاثة من اصحابه فوصل وادي بدخشان الى محل يقال له (صاري قول) فاستمر على تعقيبه حتى القى القبض عليه فقتله وقطع رأسه فاتى به الى جنكز خان ، فانعم عليه جنكز خان واكرمه بل بالغ في الاحسان اليه جزاء ما أبداه في هذه الحرب وقتله كوچلو ،

نظرة عامة ونتائج ضرورية :

كل هذه الوقائع جرت وهذه الحروب الطاحنة مضت بين جنكز واعدائه حتى تمكن من الكل وسيطر على الجميع ومع هذا كان المسلمون في مأمن حتى انهم لم يشعروا بهذه الحروب ، ولم يعلموا عنها كثيراً اذ انها لاتهمهم لبعد الشقة وانقطاع المواصلة ... ولكن الوقائع المهمة بالنظر الينا هي التي تخص المسلمين ، ووقعت بينه وبينهم ، وهي مايتلو هذه الحوادث سوى انني هنا اقول ان جنكيز قضى على امارات صغيرة وحكومات مفرقة ومشتتة الحالة سواء في المغول او في الترك . وبذلك تمكن من السيطرة على تلك الانحاء لعلمه بانه لا يتم له الامر ، ولا يستطيع ان يوسع سلطته ، فيحارب المجاورين والخارج بصورة عامة ، الم يؤمن جماعته له حتى لا يبقى منهم معارض فتيسر له القضاء على السلطات والامارات الصغيرة ، والكبيرة واستقل في كافة هذه الانحاء استقلالا تاما ، ووحد وجهته واستقامته بعد ذلك الى خارج بلاد الترك فهاجم العالم الاسلامي .

وهذا مادعا ابن الطقطقي ان يقول عن المغول بعد ان توحدت قبائلهم :

« لم ينقل في تاريخ ، ولا تضمنت سيرة من السير ان دولة من الدول رزقت من طاعة جندها ورعاياها ما رزقته هذه الدولة القاهرة المغولية ، فان طاعة جندها ورعاياها لها طاعة لم ترزقها دولة من الدول . . . » (١) اه

وفي هذا ما يبين عن هذه الوحدة ولكنها على كل حال لم تكن كما حصل للعرب من الالفة ابان ظهور الشريعة الاسلامية الغراء . .. وقد قال ابن السبكي « كانوا ببادية الصين وهم من اصبر الناس على القتال واشجعهم فملكوا جنكز خان عليهم واطاعوه طاعة العباد المخلصين لرب العالمين . » اه (٢)

العلاقات الاولى

العلاقات الاولى بين جنكز خان وخوارزمشاه :

نظراً للبعد ووجود حكومات اوامارات بين جنكز والبلاد الاسلامية الكبرى كانت بطبيعة الحال العلاقات مفقودة ولكن بعد ان استولى المغول على البلاد المجاورة نشأت العلاقات وذلك ان كشلوخان بعد مفارقته جنكز خان مال الى حدود قيالق والمالق فصالحه صاحبها ممدو خان ابن ارسلان خان على ان تكون الايدي واحدة ومتفقة وفي هذه الاثناء كانت هزيمة كورخان ملك الخطا (خيتاي) من وقعة جرت بينه وبين السلطان خوارزمشاه وهى آخر الوقائع بينهما فوصل الى حدود كاشغر فاخذ ممدوخان يزين لكشلوخان قصد كاشغر والاستيلاء على كورخان فنهضا من قيالق وكبساه بحدود كاشغر واقتنصاه واجلساه على سرير الملك وصارا لا يعملان باوامره الا قليلا .

«١» كتاب الفخري ص ٢٤ وسيأتي وصفه في حوادث سنة ٧٠١ هـ.

«٢» طبقات السبكي ج ١ ص ١٧٦

ولما سمع السلطان بذلك هدد كشلوخان بلزوم تسليمه اليه وما معه من نفائس وان يأتيه ببنته وخزانته واوعده فيما اذا امتنع فقدم له طرفا نفيسة جدا وتشفع مستعفيا من ارسال كورخان وكان السلطان يلح وهذا يطاول و آخر رسول بعثه السلطان هو الامير محمد بن قرا قاسم النسوي وامره بمخاشنة كشلوخان ففعل فقيده كشلوخان ثم نجا بوقعة جرت لسرية السلطان مع كشلو خان فانعم عليه السلطان برياسة عامة على خراسان فمني منه الرؤساء بداهية دهياء وخطة نكراء، واما كشلوخان فان السلطان جهز عليه جيشا بلغت عدته ستين الفا وذلك بعد ان بعث اليه عدة سرايا . هذا من جهة ومن اخرى هاجمه جنكز خان فوقع بين نارين لامخلص له منهما (١) فقضى عليه ومن ثم نشأت العلاقات وصار جنكزخان مجاوراً لبلاد المسلمين فاقتضى التطلع على احوال التتر ففي سنة ٦٠٩هـ ١٢١٣م قصد ثلاثة نفر من تجار البخاريين ديار التتر ومعهم البضايع من الثياب المذهبة والكرباس وغيرها مما يليق بالمغول لما سمعوا ان للمتاع عندهم قيمة وافرة (٢)... ذهبوا الى هناك بقصد التجارة ظاهرا ولكن لايغب عن اذهاننا ان استيلاء جنكز خان على المجاورين وقيامه بهذا الفتح العظيم مما دعا الى التطلع على أحواله والوقوف على نواياه والتجسس عن أخباره . فكانت هذه القافلة الاولى التي ارسلها خوارزمشاه باسم تجار لنفائس البضائع ، فلم يضع الفرصة ولم يدع هذا الفاتح الجديد يتوغل وهو في جهالة عنه ، وأهمل لشأنه وانما راعى الحيطة باقصى ما يمكن ...

ان هؤلاء التجار وجدوا الطرق محروسة قد أقام بها جنكزخان جماعة يسمونهم (قراقجية) أي مستحفظين يخفرون المترددين اليهم او انهم يراقبون الحدود ويترصدون المارة كما هو معلوم اليوم من تفتيش المارة على الحدود وطلب جواز منهم

«١» ر : منكبرتي ص ٩ وما يليها . «٢» ابن العبري ص ٤٠٠

ومراقبة أحوالهم. فقوى عزمهم وساروا نحوهم. ولما وصلوا الى نواحيهم وافاهم المستحفظون ووقفوا على ما معهم من السلع (ولم تكن السلع هي الغرض الوحيد من التحريات) فرأوا قماش واحد منهم اسمه احمد لائقاً للخان فسيروه مع صاحبيه اليه . والغرض في التسيير معلوم فعرض أحمد متاعه على الحجاب وطلب الثمن عن كل ثوب كل مشتراه عليه عشرة دنانير الى عشرين ديناراً ثلاثة بواليش(١) . فغضب لذلك جنگزخان

«١» ضبطه ابن بطوطة في رحلته ، تحفة النظار ج ٢ ص ١٥٥ ، بالشت والصحيح انه بالش او باليش باشباع الحركة الحرفية وهو بمعنى الدينار عندنا . قال وأهل الصين لايتبايعون بدينار ولا درهم ... وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت .. واذا تمزقت تلك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جدداً ودفع تلك ولا يعطي على ذلك اجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الامراء . واذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة او دينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه ولا يلتفت عليه حتى يصرفه بالبالشت ويشتري به ماأراد . وهي عين ماهو معروف عندنا اليوم ، بالاوراق النقدية ، أو ، العملة الورقية ، وكانت قبل مدة يقال لها ، بانقنوط ، اذا كانت تحت ضمان مصروف « بانق » وتسمى « اوراق نقدية » اذا كانت غير مضمونة من مصرف والظاهر ان نقود المغول تختلف قيمة عن بواليش الصين كما يفهم من مجرى الكلام ومن قول صاحب لغة جغطاي وهو الشيخ سليمان افندي اوزبكي البخاري قال : وفي لغة المغول ان البالیش نقد ذهبي بقيمة الفي دينار وفضي بقيمة مائتي دينار ص ٧٢ .

وقال : هذا الغافل كانه يظن اننا مارأينا ثياباً قط وامر الخازن فاراه من الاقمشة التي اهداها اليه ملوك الخطا اشياء نفيسة وتقدم ان يكتب مامعه وأنهبه لمن حضر من الحاشية واعتقل أحمد الا ان تمنع هذا وطلبه ثمناً غالياً مغزاه معلوم ايضاً اذ الغرض ليس بيع السلعة والربح بها والعودة بسرعة وطلب موظف جنكز او خازنه صاحبيه فعرضا عليه متاعهما برمته وقالوا : هذا كله انما اتينا به لنقدمه خدمة للخان لا لنبيعه عليه ، فالحوا عليهما أن يثمناه فلم يفعلا . فامر جنكزخان ان يعطيا لكل ثوب مذهب باليش من ذهب ولكل كرباسين باليش من فضة . وعوض لاحمد ايضاً مثل ما اعطاهما ... ومن مجرى هذه الوقعة يفهم أنهم لم يتمكنوا من المضي الى مملكة جنكز والتطلع على احوالها بشراء جنكز أموالهم ...

بعثة جنكيز الى بلاد خوارزمشاه :

ثم ان جنكيز خان تقدم الى الاولاد والخواتين والامراء أن ينفذوا مع هؤلاء بجماعة من اصحابهم . ومعهم بواليش الذهب والفضة ليجلبوا لهم من طرائف البلاد ونفائسها مايصلح لهم فامتثلوا ما امرهم فاجتمع معهم مائة وخمسون تاجراً من مسلم ونصراني وتركي وفي رواية شجرة الترك ٤٥٠ شخصاً وأرسل معهم رسولا الى السلطان محمد يقول له :

« ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى مامنهم سالمين غانمين ، وسيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الاطراف ، فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين (١) » . وهؤلاء جيش لجب من الجواسيس يخشى طعباً منهم ويحسب لهم الحساب

---

(١) ر : العبري ص٤٠١

العظيم ... اذ انهم سوف يجوسون خلال الديار فيقفون على كافة اسرارها وظواهرها، في حين ان جماعة خوارزمشاه الذين ذهبوا لم يتمكنوا من الاطلاع على الوضع والحالة وعلى كل كان الملك الواحد منهما مستوحشاً من الآخر وحذراً منه ...

جاء هؤلاء التجار مدينة (أوترار) (١) وكان أميرها (اينالجق) (٢) وهو خال السلطان محمد خوارمشاه وكان قد لقبه السلطان خوارزمشاه بلقب (غايرخان) فوردوا اليه وطمع هذا الامير غايرخان فيما معهم من الاموال والصحيح اشتبه منهم بل قطع في أنهم جواسيس فطالع السلطان في أمرهم وحسن له ابادتهم واغتنام أموالهم فأذن له في ذلك فقتلهم طراً الا واحداً منهم فانه هرب من السجن . ولما رأى ماجرى على اصحابه لحق بديار التاتار وأعلمهم بما وقع (٣) .

وفي ابن بطوطة : ان ملك خوارزم له قوة عظيمة وشوكة فهابه جنكزخان وأحجم عنه ولم يتعرض له فاتفق أن بعث جنكزخان تجاراً بامتعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها الى بلدة أطرار آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عامله عليها معلماً بذلك واستأذنه مايفعل في امرهم فكتب اليه يأمره أن يأخذ اموالهم ويمثل بهم ويقطع اعضاءهم ويردهم الى بلادهم ... فلما فعل ذلك تجهز جنكز بنفسه في عساكر لاتحصى كثرة برسم غزو بلاد الاسلام (٤) .

وفي شجرة الترك ضعف هذه الرواية وعول على ان جنكزخان أرسل محمود يالواجي وقال للسلطان محمد خوارزمشاه عن لسان جنكزخان : « ان الله اعطاني ملك الشرق

«١» وفي العبري والمنكبرتي : اترار . وفي ابن بطوطة : اطرار بضم الهمزة ص ٢٢٥ والالفاظ متقاربة ...

«٢» جاء في المنكبرتي بلفظ « ينال خان » . «٣» ، ر : ص ٤٠١ ابن العبري وشجرة الترك » . «٤» ، ر : ص ٢٢٥ ج ١ تحفة النظار » .

الى حدود ملكك ، فأنت إبني ، فاجهد على الجميل يكن المسلمون في راحة وطمأنينة ! » . وقد عرض رسالته هذه على السلطان محمد ، ثم ان السلطان قدم لؤلؤة الى محمود يالواجي ثم جرت بينهما محادثة ... قال : « اني سائلك فاصدقني هل كان اخذ خانك للخيتاي (الخطا) صحيحاً ؟ فأجابه : « وحق الله ان خاني ينطق بالصدق ، وسيأتيكم نبأ صدقه قريباً » ، أما السلطان محمد فقد قال له بحنق وغضب : « انك تعلم يامحمود سعة ملكي وقوة سلطاني ، ومن خانك ليعد نفسه اكبر مني فيقول لي ابني ؟ وما مقدار عسكره ليرى نفسه أعلى مني ؟ » .

وحينئذ خاف محمود يالواجي من توسع الموضوع فكان جوابه : « ان جند جنكز تجاه عسكرك كضياء القمر حيال نور الشمس ! » . فانتهى القول بينهما وانقطع بهذه الصورة ونجا يالواجي من غضب السلطان .

وبهذه الصورة دامت الصداقة والوثاق بينهما فصار عدو أحدهما عدو الآخر وصديقه صديقه فتعاهدا على ان لايضر الواحد الآخر .

سفير الخليفة الى جنكيز خان :

وعلى هذا ذهب سفراء جنكز خان اليه فسر . وعزم أن لايتجاوز على السلطان محمد مالم يتعد عليه وفي هذه الاثناء جاءه سفير الخليفة الناصر فلم يلتفت اليه ، او بالتعبير الاصح أظهر طرد سفير الخليفة ولم يقبله حباً في المصافاة ... وفي هذا من التكتم مافيه ... حتى دعا ذلك أن يقال انه لم يفكر في الاخلال في المعاهدة كما في (شجرة الترك) هذا في حين اننا نرى صحبة الطرفين على دخل ولم يهمل واحد منهما الطريقة اللازمة للتزود من المعرفة ووقوف كل على احوال الآخر . وما يحكيه صاحب الشجرة من ان التجار حين وردوا الى غاير خان عرفه أحدهم وكان يعرف

اسمه الأصلي (اينالجق) فدعاه به فغضب وكان هذا التاجر لايعرف اللقب الجديد فكتب الوالي الى السلطان محمد بانه وردنا جواسيس فاستطلع رأيه فيهم ... فهذا غير صحيح ولا يعول عليه بوجه . فلا يكون مغفلا لهذا الحد ولكن الغلط كان فيما أجراه من قتل التجار والرسل فكان الواجب عليه ان يعاملهم بالحسنى و يعيدهم دون أن يدعهم يتوغلون في المملكة أو يؤخر امرهم الى ان يستأذن فلم يؤذن لهم الا الى وقت آخر وأن يعين الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه تحت مراقبة وترصد تامين ...

رأى ابن الأثير في اتهام الخليفة :

ومهما كانت الروايات فان الذي دعا لهذه النفرة والاشتباه من هؤلاء القوم(جنگز خان وقومه) وصول سفير الخليفة الناصر لدين الله العباسي يغريه على القيام ومناصرة الخليفة له و يروى انه لم يقبله او تظاهر بذلك . وقد شاعت هذه القضية حتى ان ابن الأثير لم يستطع كتمانها وهو يدون التاريخ لذلك الحين وانما قص قضية قتل التجار ونهب أموالهم وان ذلك هو السبب وقال : «وقيل في سبب خروجهم الى بلاد الأسلام غير ذلك مما لايذكر في بطون الدفاتر :

فكان ماكان مما لست اذكره فظن خيراً ولاتسأل عن الخبر » انتهى

فنراه يخشى من تدوينه في بطون الدفاتر كما ان في قوله (فكان ما كان مما لست اذكره) تأييداً لصحة هذه الشائعة وترجيحاً لصدقها وان لم يبينها . والكناية ابلغ من التصريح في مثل هذا المقام ... ومنها يتبين ان مهمة رسول الخليفة هي حث جنگز خان على الخروج على خوارزمشاه ...

وجاء في ابن السبكي ما يوضح ذلك قال : « وكان السلطان الاعظم للمسلمين

— ايام جنكز — هو السلطان علاء الدين خوارزمشاه محمد بن تكش ... اتسعت ممالكه وعظمت هيبته وأذعنت له العباد ودخلت تحت حكمه، وخلت الديار من ملك سواه ... فتجبر وطغى وأرسل الى خليفة الوقت الناصر لدين الله الذي لا يصطلى لمكره بنار، ولا يعامل في احواله بخداع يقول له : كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية ... فيكون امر بغداد والعراق لي ولا يكون لك إلا الخطبة فيقال — والله أعلم — ان الخليفة جهز رسله الى جنكز خان يحركه عليه ... » اه (١)

وفي الفخري : « كان كل أحد من أرباب المناصب يخافه — الناصر — و يحاذره بحيث كأنه يطلع عليه في داره، وكثرت جواسيسه وأصحاب اخباره عند السلاطين وفي أطراف البلاد وله في مثل هذه قصص غريبة ... » اه (٢) مما لا يسع المقام إيراده ...

وعلى كل حال ان السلطان محمد أمر بقتل السفراء والتجار ووجد أن مطالعة أميره ملحوظة وواردة فحاذر أن يختبروا المسالك والطرق ويعرفوا الوضع السياسي والعسكري فأوقع فيهم غاير خان . ويؤيد هذا الحكاية التالية :

قال ابن الأثير (٣) : فلما قتل نائب خوارزمشاه (أميره غاير خان المذكور) أصحاب جنكز خان أرسل جواسيس الى جنكز خان لينظر ماهو وكم مقدار ما معه من اليزك (٤) وما يريد أن يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التي على طريقهم حتى وصلوا اليه . فعادوا بعد مدة طويلة وأخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الاحصاء وانهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانهم

«١» طبقات السبكي ج ١ ص ١٧٦ «٢» ص ٢٨٧ الفخري «٣» ص ١٣٩ ج ١٢ ابن الأثير «٤» الجيش

يعملون مايحتاجون اليه من السلاح بايديهم . ومثل هذا جاء في تحفة النظار قال : « لما سمع عامل اطرار (او ترار) بحركة جنگز خان بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر ان احدهم دخل محلة بعض امراء جنگز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل الى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاداً ولا اطعمه شيئاً فلما أمسى اخرج مصرانا يابسة عنده فبلها بالماء وفصد فرسه وملأها بدمه وعقدها وشواها بالنار فكانت طعامه فعاد الى أطرار (او ترار) فاخبر عاملها بامرهم واعلمه ان لا طاقة لاحد بقتالهم فاستمد ملكه جلال الدين (خوارزمشاه) ... » اه .

ويريد ان يقول ان الصائل قوي ، متعود على شظف العيش ، ومتمرن على الكفاح و يحاول ان يهتم القوم للامر ، وهذا مادعا ان تكون الحروب طاحنة ، والوقائع بين الفريقين دامية ومهولة ...

خوارزمشاه وهذا الحادث :

« ان خوارزمشاه كان قد ندم على قتل اصحاب جنكيز واخذ أموالهم . وحصل عنده فكر آخر ، فاحضر الشهاب الخيوفي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لايخاف مايشير به فحضر عنده فقال له : قد حدث امر عظيم لابد من الفكر فيه فآخذ رأيك في الذي نفعله وذاك انه قد تحرك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لاتحصى فقال له في عساكرك كثرة ونكاتب الاطراف ونجمع العساكر و يكون النفير عاما . فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم نذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون (هو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك و بلاد الاسلام) فنكون هناك . فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب . فجمع خوارزمشاه امراءه ومن عنده من أرباب المشورة

فاستشارهم فلم يوافقوه على رأيه بل قالوا نتركهم يعبرون سيحون الينـــا ويسلـكون هذه الجبال والمضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلـكهم فلا ينجو منهم أحد . فبينما هم كذلك اذ ورد رسول من جنكز خان معه جماعة يتهدد خوارزمشاه و يقول اتقتلون اصحابي وتأخذون أموالهم ! ؟ استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لاقبل لـكم به ! » انتهى (١)

اما جنكز خان فانه عندما سمع بقتل اصحابه عظم ذلك عليه وغضب منه غضباً كبيراً جداً وهجر النوم وصار يحدث نفسه و يفكر فيما يفعله . وقيل (٢) انه صعد الى رإس تل عال وكشف رأسه وتضرع الى الباري تعالى طالباً نصره على من باداه بالظلم و بقي هنـاك ثلاثة ايام بلياليها صائماً . وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد و بيده عكازة وهو قائم على بابه يقول له : لاتخف افعل ماشئت فانك مؤيد . فانتبه مذعوراً ذعراً مشو باً بالفرح وعاد الى منزله وحكى حلمه الى زوجته وهي ابنة أونك خان فقالت له : هذا زي اسقف كان يتردد الى ابي و يدعو له ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسأل جنكز خان من في خدمته من نصارى الاويغور: هل هنا أحد الاساقفة فقيل له عن ماء دنحا . فلما طلبه ودخل عليه بالبيرون الاسود قال هذا زي من رأيت في منامي لـكن شخصه ليس ذاك . قال الاسقف: يكون الخان قد رأى بعض قديسينا . قال العبري بعد ان ورد هذه الحـكاية وعبر عنها بلفظ قيل استمر في قوله : ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى و يحسن الظن بهم و يكرمهم (٣) .

«١» ابن الاثير ج ١٢ ص ١٤٠ «٢» هذه الحـكاية نقلها ابن العبري وهو نصراني ومع هذا عبر عنها بلفظ قيل لعدم وثوقه منها واعتقاده بصحتها ونحن نذكرها لنبين اوضاع القوم مع المخالفين لتظهر السياسة ... وفي طبقات السبكي اورد مثلها وليس فيها ذكر للنصارى «ج ١ ص ١٧٨ » «٣» ر : ص ٤٠٢ عبري

هذا وان جنكز خان اراد في سياسته ان يستفيد من العناصر الضعيفة والمخالفة للمسلمين والمذاهب المستضعفة من المسلمين فقرر لزوم رعايتهم ليحصل على المعلومات الكافية وليدلوه على خفايا المسلمين و بواطنهم وكافة أحوالهم في الوقت الذي هم عائشون معهم واعرف بهم ، و يظهر اثر ذلك بوضوح في فتح بغداد على يد هولاكو خان ، فقد مشى أولاده على هذه الفكرة ولم يشذوا عنها وهذه الحكاية قد اختلقت بعد ان وقع الأمر ففسرت اعماله بهذه الحكاية ؛ وميله للنصارى يؤل بما ذكرت من الاستعانة .

والمعلوم ان المغول قد تعاطوا المخابرات السياسية بينهم و بين الافرنج فكانت الحماية لهذا الغرض ومن طريق القسوس ... وكانت السلطة السياسية بايدي القسوس فهم هناك ليسوا دعاة دين وانما هم سياسيون ... والوقائع التاريخية تبرهن على وجود المخابرات على يد سواح الغربيين وترددهم لهذا الغرض ... ومثل ذلك يقال عن اعتناقهم النصرانية فانه لاصحة له وانما العلاقة سياسية لاغير و يفسر بتكاتف الأمتين على الهجوم والقضاء على العالم الاسلامي والتناصر على توهين قواه واكتساحه ...

حكومة خوارزمشاه :

ان حكومة خوارزمشاه كانت في ذلك العصر من أقوى الحكومات الاسلامية . وكانت في أمل الاستيلاء على الخلافة أو جعلها منقادة اليها كما كانت طوع أمر السلاجقة والصحيح ان المساعي مصروفة لالغائها ... فهي ذات الحول والطول . وملكها المعاصر لجنكز خان هو محمد علاء الدين . وكان لقبه قطب الدين فنيره . استقر في الحكم حين توفي والده خوارزمشاه تكش بن ارسلان في ٢٠ رمضان

سنة ٥٩٦ هـ ١٢٠٠ م . وكان والده عادلا حسن السيرة يعرف الفقه والأصول على مذهب الحنفية . وحكومتهم في خوارزم و بعض خراسان والري وغيرها من البلاد الجبلية وكان ضبطها طغرل بك السلجوقي من آل سبكتكين ثم جعلها سنة ٤٣٤ هـ ١٠٤٣ م الى ابر يقداره و بعدها وجهت حكومتها الى انوشتكين من عتقاء السلاجقة و بوفاته سنة ٤٩٠هـ ١٠٩٧م توالى عليها اولاده المعروفون بالخوارزمشاهية وهم :

١ — قطب الدين محمد بن انوشتكين (٤٩٠هـ ١٠٩٧م : ٥٢١هـ ١١٢٨م)

٢ — اتسز خوارزمشاه بن محمد (٥٢١هـ ١١٢٨م : ٥٥١هـ ١١٥٧م)

٣ — ايل ارسلان بن محمد (٥٥١هـ ١١٥٧م : ٥٦٨هـ ١١٧٣م)

٤ — سلطان شاه بن ايل ارسلان (٥٦٨هـ ١١٧٣م : ٥٨٩هـ ١١٩٤م)

٥ — علاء الدين تكش بن ايل ارسلان (٥٨٩هـ ١١٩٤م : ٥٩٦هـ ١٢٠٠م)

٦ — علاء الدين محمد بن تكش (٥٩٦هـ ١٢٠٠م : ٦١٧هـ ١٢٢١م)

وهذا الاخير عندما خلف والده هرب ابن اخيه هندو خان بن ملكشاه بن تكش منه وذهب الى ملك الغورية وهو غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام بن الحسين الغوري صاحب غزنة و بعض خراسان وغيرها يستنصره على عمه فاكرمه ووعده بالنصر . ومن ثم تولدت الحروب بين الطرفين الى ان توفي غياث الدين في جمادي الاولى سنة ٥٩٩ هـ ١٢٠٣ م وكان غياث الدين هذا مظفراً منصوراً لم تنهزم له راية قط وكان له دهاء ومكر ، وكان حسن الاعتقاد كثير الصدقات فيه فضل غزير وأدب مع حسن خط و بلاغة ، وكان ينسخ المصاحف بخطه و يقفها في المدارس التي بناها . وكان على (مذهب الكرامية) (١) ثم تركه وصار شافعياً .

«١» من فرق المرجئة ، اصحاب محمد بن كرام ، احد شيوخهم ومصنفي كتبهم ، خالفوا الجهمية في قولهم : الايمان هو القول باللسان دون المعرفة بالقلب واعتقادهم في الحسين رضي الله عنه قريب من اعتقاد اليزيدية « ر: اصل اليزيدية في التاريخ »

تخلفه ابنه محمود ولقب غياث الدين بلقب والده ولم يحسن عمه شهاب الدين الخلافة على ابن اخيه ولا على غيره من أهله .

وفي سنة ٦٠٠ هـ ١٢٠٤ م كان بين شهاب الدين ملك الغورية و بين خوارزمشاه محمد قتال انتصر فيه ملك الغورية واستنجد خوارزمشاه بالخطا فساروا وتحاربوا مع شهاب الدين فهزموه ثم عاد ووصل الى غزنة وتراجعت الامور اليه على ماكانت عليه . وفي اول ليلة من شعبان سنة ٦٠٢ هـ ١٢٠٦ م قتل شهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغوري ملك غزنة و بعض خراسان ، قيل انه قتله الاسماعيلية . وكان شجاعاً كثير الغزو عادلا في الرعية . وكان الامام فخر الدين الرازي يعظه في داره .

ولما قتل كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين المذكور ، فسار بهاء الدين ليمتلك غزنة ومعه ولداه علاء الدين وجلال الدين ، فادركت بهاء الدين الوفاة قبل أن يصل الى غزنة وعهد بالملك الى ابنه علاء الدين محمد فوصل غزنة ودخلها هو واخوه وتملكها . وكان تاج الدين يلدوز مملوك غياث الدين ملك الغورية كبير الدولة وكانت كرمان اقطاعه ومرجع الاتراك اليه ، فسار هذا على غزنة ومن ثم انسحب علاء الدين وجلال الدين ولدا بهاء الدين الى باميان وجمعا عليه العساكر فكانت النتيجة ان انتصرا عليه ، فاستقر علاء الدين في غزنة وذهب اخوه جلال الدين الى باميان ، ثم انه لم تستقر الاحوال ودام النضال بينهما حتى انتصر يلدوز فالقي القبض عليهما وعلى هندو خان ابن اخي ملك خوارزم المار الذكر فحبسهم ، ثم ظهر غيات الدين محمود بعد قتل عمه في (بست) فسار الى فيروزكوه وتملكها وجلس في دست ابيه وتلقب بالقابه وقد حاول استمالة يلدوز مملوك ابيه فلم ينجح والحاصل كانت مملكة الغورية في اضطراب بالغ اشده .

قتال خوارزمشاه مع الخطا (الخيتاى) :

وفي سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٨ م كاتب ملوك ماوراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارى خوارزمشاه يشكون مايلقونه من الخطا و يبذلون له الطاعة والخطبة والسكة ببلادهم ان دفع الخطا فعبر علاء الدين محمد خوارزمشاه نهر جيحون واقتتل مع الخطا. وحدثت عدة وقائع والحروب بينهم و بينه سجال . فاتفق أن خوارزمشاه انهزم واخذ اسيراً ولكن شخصاً من اصحابه وهو ابن شهاب الدين مسعود احتال في خلاصه باستخدامه له كغلام فقال للخطا انه فلان و يخشى أن ينقطع خبره فراد ان يعلمهم بحاله وطاب ذلك منهم فاجابوه الى سؤله فارسل خوارزمشاه فعاد الى مملكته وتراجع اليه عسكره .

وكان لخوارزم شاه اخ يقال له (علي شاه) بن تكش وكان نائب اخيه بخراسان فلما بلغه موت أخيه في الوقعة مع الخطا دعا الى نفسه بالسلطنة واختلف الناس بخراسان وجرت فيها فتن كثيرة .

فلما عاد خوارزم شاه محمد الى ملكه خاف أخوه (علي شاه) فسار الى غياث الدين محمود ملك الغورية فاكرمه واقامه عنده (بفيروزكوه) . و بعد ان استقر خوارزم شاه في ملكه و بلغه مافعله اخوه علي شاه أرسل عسكراً الى قتال غياث الدين محمود الغوري وكان مقدم عسكره (امير ملك) فسار الى (فيروز كوه) و بلغ ذلك غياث الدين محموداً فأرسل يبذل الطاعة و يطلب الامان فاعطاه (أميرملك) الامان فخرج غياث الدين مع علي شاه فقبض عليهما وارسل يعلم خوارزمشاه بالحال فامره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد . واستقامت خراسان كلها لخوارزم شاه وذلك سنة ٦٠٥ هـ ١٢٠٩ م بانقراض دولة الغورية بقتل آخر ملوكهم . وكانت دولتهم

من أحسن الدول . وكان محمود هذا عادلا كريماً .

الكرة على الخطا (الخيتاى) :

لما خلا الجو لخوارزمشاه في جهة خراسان عبر (نهر جيحون) وسار الى الخطا وكان وراء الخطا المغول في حدود الصين وكان هناك ملك يقال له كشلي خان (كوچلو) (وقد مر ذكره في مقارعاته مع جنگز خان) . وكان بينه و بين الخطا . عداوة مستحكمة فارسل كل من كشلي خان ومن الخطا يسأل خوارزمشاه ان يكون معه على خصمه . فاجابهما بالمغلطة وانتظر ما يكون منهما فتقارعا بينهما فانهزمت الخطا فمال عليهم خوارزمشاه وفتك فيهم وكذلك فعل كشلي خان بهم فانقرضت الخطا . ولم يبق منهم الا من اعتصم بالجبال او استسلم وصار في عسكر خوارزمشاه .

وهذه الوقعة من الظروف الكبرى المسهلة لجنگز خان في فتحه وامتلاكه لهذه (المملكة الكبرى) بحيث صار مجاوراً لخوارزمشاه بعد ما قضى عليها واكتسحها ...

بقايا الغورية :

وفي شعبان سنة ٦١٢ هـ ١٢١٥ م ملك خوارزمشاه محمد مدينة (غزنة) واعمالها . واخذها من يلدوز مملوك الغوري فهرب يلدوز الى لهاوور من الهند واستولى عليها ثم سار يلدوز من لهاوور واستولى على بعض بلاد الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين ايبك خشداش . فجرى بينه و بين عسكر قطب الدين مصاف فقتل . وكان حسن السيرة في الرعية كثير الاحسان اليهم .

وقائع أخرى :

وفي سنة ٦١٤ هـ ١٢١٨ م سار خوارزمشاه الى بلاد الجبل وغيرها فملكها .

ومنها ساوه وقزوين وزنجان و أبهر وهمذان واصفهان وقم وقاشان . ودخل ازبك ابن بهلوان صاحب اذر بيجان وأران في طاعة خوارزم شاه وخطب له ببلاده .

مسير خوارزمشاه الى بغداد :

ثم عزم خوارزم شاه على المسير الى بغداد للاستيلاء عليها (سنة ٦١٤هـ ١٢١٨م) وقدم بعض العسكر بين يديه وسار خوارزم شاه في أثرهم عن همذان يومين اوثلاثة. فسقط عليهم من الثلج مالم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ، . وخاف من حركة التتر على بلاده . فولى ولاة على البلاد التي استولى عليها ، وعاد الى خراسان ، وقطع خطبة الخليفة الامام الناصر من بلاد خراسان سنة ٦١٥ هـ ١٢١٩ م ،وكذلك قطعت خطبة الخليفة من بلاد ماوراء النهر . و بقيت خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة منها ، فان أهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هـذا بل يخطبون لمن يختارون ...

وهذه الحادثة فاتحة المناوشات الكبرى بين الخليفة وخوارزمشاه، واشار ابن الاثير وغيره الى ماشاع عن الخليفة في اغراء التتر للهجوم على خوارزمشاه ، ولكن ابا الفداء لم يتعرض لذلك وانما اكتفى بقوله : « ان جنگز خان راسل خوارزمشاه في الصلح فلم ينتظم فجمع جنگز خان عساكره والتقى مع خوارزمشاه محمد ، فانهزم خوارزمشاه فاستولى جنگز خان على بلاد ماوراء النهر ، ثم تبع خوارزمشاه محمداً وهو هارب بين بديه حتى دخل بحر طبرستان . ثم استولى على البلاد ... » انتهى وعلى كل حال وقوع الاغراء من الخليفة ليس بالمستبعد وقد استعان خوارزمشاه محمد بالخطا على الغورية بمثل ذلك . ومع هذا لا تصلح ان تكون سبباً رئيسياً يعول عليه ... فالواحد يخشى الآخر بل ان جنگز متأهب للوثوب ...

التتر والخوارزمشاهية :

ان خوارزمشاه محمد علاء الدين قضى على حكومات صغيرة وخرب فيها وانتهب وقارع الخلافة والحكومات مبعثرة ، لم تكن كتلة واحدة ، ولا استقرت حكومة خوارزمشاه بعد الحروب الدامية ولا اكتسبت انتظاماً ولا قويت سلطتها على الممالك المفتوحة ... فهي في حالة تاسيس ادارة قوية ففاجأها التتر ، ولم تبق حكومة قوية تخلفها في انكسارها . وهذه الممالك انهكتها الحروب وتبعثرت أحوالها ...

وعن هذه قال ابن الاثير : « ان هؤلاء التتر انما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع ، وسبب عدمه ان خوارزمشاه محمداً كان قد استولى على البلاد ، وقتل ملوكها وأفناهم ، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها ، فلما انهزم منهم لم يبق البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ... » انتهى (١)

وهذا السبب المسهل يضاف الى قوة جنگز خان التي قضت على حكومات واقوام كثيرة ، وأنهم من اهل البداوة والأعتياد على شظف العيش والبساطة ، والاكتفاء بما حصل وان الكل محاربون ، ونساؤهم وأولادهم عون لهم في غزوهم وحروبهم... وهذه الأسباب والظروف المتقدمة لاتخرج عن كونها مسهلات والا فالقوة في الاصل عظيمة ومدربة ، وقانونها (الياساق) قاطع لايقبل التردد ، او الافتكار ، بل هو واجب التنفيذ ، وأمراؤهم منقادون لرأس واحد ولا يسوغ لهم الاختلاط بأحد ، والمراجعة مع آخر او التدخل في سياسة ، (فالطاعة) أصل الآمرية والمأمورية... والجيش منسق ومنظم تنظيما لايكاد يتيسر لمن قبله ... وأقوى من كل مقارع له من أي قوم وأمة ، وليس هناك سر من الاسرار أو شيء خارق للعادة ، فمن ملك

«١» «ابن الأثير ج ١٢ ص ١٣٩»

هذا الجيش المنقاد ودبره هـذا التدبير ، وحصل على مثل هذه الظروف ... نال مبتغاه قطعاً ... ولم يكن ذلك الا نصيب القليل من الفاتحين وأعاظم الرجال...

ظهور المغول في المملكة الاسلامية :

في سنة ٦١٦ هـ كان ظهور المغول وفتكهم في المسلمين وكذا في هذه السنة كان تمكن الافرنج وتملكهم لدمياط وقتلهم أهلها وأسرهم ... وكأن هذه الأقوام في صلة وتآزر للقضاء على المملكة الاسلامية استفادة من تذبذب الحالة فلم ينكب المسلمون باعظم مما نكبوا في هذه السنة . والمصيبة الكبرى هي (ظهور التتر) وتملكهم أكثر بلاد الاسلام وسفك دمائهم وسبى حريمهم وذراريهم . ولم يفجع المسلمون منذ ظهر دين الاسلام بمثل هذه الفجيعة ... اما الذي سلم من هاتين الطائفتين (الأفرنج والتتر) فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق (١) .

وان خطر هؤلاء التتر كان أعظم فانهم لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة . فهذه الحادثة استطار شررها وعظم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح ولا يزال صداها يرن في الاذان حتى الساعة فان قوماً خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر و بلاساغون (٢) . ثم منها الى بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند و بخارى وغيرهما فيملكونها و يفعلون باهلها الافاعيل على الوجه الذي سيذكر ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريباً وقتلا ونهباً ثم يتجاوزونها الى الري وهمذان و بلد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد

«١» « ابن الاثير ص ١٣٨ ج ١٢ » وابو الفداء «٢» وردت في منكبرتي بلفظ « بلاساقون » « ر : ص ٩ منه » .

اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون اكثر اهليها ولم ينج الا الشريد النادر في اقل من سنة ... هذا مالم يسمع بمثله .

ثم لما فرغوا من اذربيجان وارانية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللاّن واللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلا ونهباً وتخريباً . ثم قصدوا بلاد قفچاق . وهم من اكثر الترك عدداً فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها ... فعلوا هذا في اسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار مسيرهم لاغير .

ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء واشد .

هذا مالم يطرق الاسماع مثله . فلم يبت احد من البلاد التي لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه .

والغريب في هؤلاء انهم لايحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم . فأنهم معهم الأغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لاغير . واما دوابهم التي يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لاتعرف الشعير . فهم اذا نزلوا منزلا لايحتاجون الى شيء من خارج . كذا قال ابن الاثير (١) ، لخص وقائعهم و بين أوصافهم والرعب الذي استولى على القلوب من جراء هجومهم ثم ذكر التفصيل...

أول وقعة جرت بين خوارزمشاه و بين جوجي (٢) خان :

ان جنگزخان حينما سمع بقتل التجار والوفود أرسل رسولا اسمه ابن كفرج بغرا

«١» « ص ١٣٨ ج ١٢ » «٢» ورد بلفظ « دوشي خان » في اكثر الكتب العربية « ر : منكبرتي ص ٩ »

مصحوبا باثنين من التتر الى خوارزمشاه يتهدده ويقول : « تقتلون اصحابي وتأخذون أموالهم ، استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لاقبل لكم به » وكان جنكز خان قد سار الى تركستان فملك كاشغر و بلاساغون وجميع البلاد وأزال عنها التتر الاولى ، فلم يظهر لهم خبر ولا بقي لهم اثر بل بادوا كما أصاب الخطا وأرسل الرسالة المذكورة الى خوارزمشاه ، فلما سمعها خوارزمشاه أمر بقتل رسوله فقتل وأمر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم الى صاحبهم جنسكز خان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له ان خوارزمشاه يقول لك انا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم وأفعل بك كما فعلت بأصحابك (١) فتجهز خوارزمشاه وسار بعد الرسول مبادراً ليسبق خبره ويكبسهم . فأدمن السير فمضى وقطع مسيرة أربعة أشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والاطفال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية ...

وكان سبب غيبتهم عن بيوتهم انهم ساروا الى محاربة أحد ملوك الترك كشلوخان (٢) (كوچلو خان) فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله وعادلوا فلقيهم في الطريق . فوصل اليهم الخبر بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فجدوا السير فأدركوه قبل أن يخرج من بيوتهم فلما رآه جوجي خان تذاكر مع أمرائه فنهوه عن الدخول بالحرب اذلم يأمر جنگز خان بالمقاتلة والحرب مع السلطان محمد خوارزمشاه خصوصاً انهم قليلون وهم كثيرون ولكن لو عقبهم خوارزمشاه حاربوه اضطراراً . اما جوجي خان فلم

«١» ومثلها في منكبرتي ص ٣٥، ٢٠» المعروف انه اي كشلو خان قضى عليه قبل هذه الحادثة كما مر وقبل ان يقتل التجار ... وكان ذلك سنة ٦١٢ هـ - ١٢١٦ م خلاف ماجاء في ابن الاثير كما نبه على ذلك المنشي النسوي في سيرة جلال الدين منكبرتي «ص ٩»

يوافق على هذه الفكرة وقال لايبقى لي وجه لملاقاة أبي واخواني (١) وتصافوا للحرب فاقتتلوا اقتتالا لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة ايام بلياليها ، فقتل من الطائفتين ما لا يعد ، ولم ينهزم أحد منهم ... وهاجم جوجي خان (دوشى خان) بنفسه لبضع مرات حتى وصل الى صاحب اللواء وموكب السلطان .

اما المسلمون فانهم صبروا حميـة للدين وعلموا أنهم ان انهزموا لم يبق للمسلمين باقية وأنهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم ، واما التتر فصبروا لاستنقاذ اهليهم وأموالهم واشتد بهم الأمر حتي ان احدهم كان ينزل عن فرسه و يقاتل قرنه راجلا و يتضار بون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال...

هذا القتال جميعه مع ابن جنگز خان . ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فاحصى من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين الفا ،واما من المغول فلا يحصى من قتل منهم ، فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض ، فلما اظلم الليل اوقد التتر النيران وتركوها بحالها وساروا ، وكذلك فعل المسلمون ، كل منهم سأم القتال ، فأما التتر فعادوا الى ملكهم جنگزخان ففرح جنگز بما فعله ولده وأنعم عليه بانعامات كبيرة ... (٢)

وأما المسلمون فرجعوا الى بخارى . فاستعد خوارزمشاه للحصار لعلمه بعجزه ، لان طائفة من عسكره لم يقدر ان يظفر بهم فكيف اذا جاؤا جميعهم مع ملكهم ؟ فامر أهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع . وجعل في بخارى عشرين الف فارس من العسكر يحمونهم ، وفي سمرقند خمسين الفاً . وقال لهم احفظوا البلد حتى أعود الى خوارزم وخراسان واجمع العساكر

«١» شجرة الترك «٢» شجرة الترك

واستنجد بالمسلمين وأعود اليكم .

فلما فرغ من ذلك رحل عائداً الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك .

هجوم جنكز خان على بلاد المسلمين :

في سنة ٦١٥ هـ (قال العبري سنة ٦١٠ هـ وليس بصحيح) قصد جنكز خان بلاد السلطان محمد فهاجم مدينة أوترار (١) من نواحي تركستان والتحق به خان قارليق وهو ارسلان خان بعساكر كثيرة وكذا أيدي قوت بقبائل الاويغور من بيش باليق ، وساغناق بقبيلة تكين من المااليق فالتفوا حول جنكز خان . وقال ابن العبري ولما وصل أعني جنكز خان الى نواحي تركستان أتاه الأمير ارسلان خان من غياليق (صحيحها قارليق) والامير ايدي قوب (صحيحها ايدي قوت) من بيش باليغ (باليق) والامير سفناق (ساغناق أو بالتخفيف سغناق فالتحريف ظاهر) من المااليغ (المااليق) وساروا بعساكرهم (٢)

ولما اجتمعت العساكر جميعها بقرب مدينة أوترار رتب جنكز خان على محاصرة أوترار ولديه اوكه داي (او كتاي) وچاغاتاي (جغاتاي) فابتدرا بمحاصرتها وسير جوجي خان (دوشي خان) الى مدينة جند (وفي العبري)انه سير ابنه الكبير في تومانين من العساكر الى جانب خجند والاقانويان وسه كتو بوغا بخمسة آلاف على فناكت (بناكت) وخجند وذهب هو بالباقي من الجيش مع ابنه تولى خان الى بخارا .

«١» وهذه المدينة تبعد عن مصب نهر آريس الذي يصب في سير دريا «سيحون» سبع كيلو مترات «٢» « ص ٤٠٢ » ابن العبري

محاصرة أوترار وضبطها :

دام القتال على اوترار مدة خمسة اشهر . لأن السلطان محمداً كان قد سير اليها غايرخان في خمسة آلاف فارس (وفي الشجرة كان معه خمسون الفاً لمحافظة المدينة) ثم لما علم ان المغول سوف يهاجمون المدينة سير من ضباطه قراجا (١) خاص حاجب وأمدّه في عشرة آلاف وكانوا كلهم بها . ولما ضاقت الحيلة بمن في المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور قراجا خان وأشار الى غاير خان في لزوم الصلح وتسليم البلد فأبى غاير خان الا المجاهدة حتى الموت ، لعلمه أن المغول لا يبقون عليه ، فلم ير في المصالحة مصلحة ، فتوقف قراجا الى هجوم الليل وخرج في اكثر عسكره الى الخارج من باب الصوفي (٢) فأخروه الى الصبح ، ثم حمل الى ابنى جنگزخان فأستنطقاه واستعلما منه كنه أحوال البلد وأمر بقتله وقتل كل من معه ، قائلين : اذا كنت لم تبق على مخدومك وولي نعمتك فلا تبقي علينا ، وزحف العسكر الى المدينة فدخلوها وأخرجوا أهلها جميعهم الى ظاهرها وأغاروا على ما فيها ، و بقي غاير خان في عشرين الفاً من عسكره متفرقين في دروب المدينة لم يتمكن منهم المغول ، وكانوا يخرجون خمسين خمسين يكاوحون و يطعنون في عسكر المغول و يقتلون ثم يقتلون .

وكان هذا دأبهم شهراً الى ان بقي غابر خان ومعه نفران يجالدون في سطح دار السلطنة وكان قد برز مرسوم الخان ان لا يقتل غاير خان في الحرب وطلب أن يحمل حياً اليه . فلذلك كثر التعب معه ، وقتل صاحباه و بقي وحده يقاتل بالآجر الذي

«١» وفي الشجرة قراحاجب «٢» وفي ابن العبري باب دروازة الصوفي فجمع بين باب ومعناها وهي دروازة وهذا غير صحيح .

كان الجواري يناولنـه من الجدار ، فلما عجز عن المنازلة أحاط به المغول وقبضوه وحملوه الى جنگز خان بعـد عودته من بخارى الى سمر قنـد ، وقتـل هناك في كوي سراي (١) .

ولو ان كل مدينة قاومت هذه المقاومة وناضلت هذه المناضلة لما تمكن المغول من الوقيعة العظمى بالبلاد لهذا الحد ، و بعد أن ذكر ذلك العبري بين أنه في شعبان سنة ٦١٢ هـ ١٢١٥ م ملك السلطان محمد مدينة غزنة . وكان استولى على عامة خراسان وملك باميان . ولذا يلاحظ الفرق في تاريخ الهجوم بين ٦١٠ و ٦١٥ هـ في شجرة الترك والعبري مع إن العبري يسلسل الحوادث ولـكنه خرج عن كافة المؤرخين مثل ابي الفداء وابن الاثير وسيرة منكبرتي والشجرة والصحيح ماجاء في الشجرة فانه يتفق ومنكبرتي .

تقدم جنگز خان على بخارى :

ان جنـگز خان توجه من اوترار على بخـارى . ولذا وافى على حين غرة على قلعة يقال لها زرنوق فلما رأى الاهلون جنگز خان قد حاصر القلعة استولى عليهم الرعب وخافوا كثيراً ، فغلقوا الابواب ، اما جنگز خان فانه كان له عالم يقال له (حاجب) وهو مسلم ، فبعثه الى المدينة سفيراً وهذا نصح الاهلين وحذرهم ، وعلى هذا اخذ جميع الاهلين هناك هدايا وقدموها الى جنگز خان ، فعاملهم بالحسنى وسمى مدينتهم قوتليق باليق ومعناه في لغة المغول المدينة المباركة .

وحينئذ أخذ شبان المدينة وترك شيوخها واستمر في طريقه فجاء مدينـة نور ، وهؤلاء ايضا حاصروا في المدينـة فأرسل عليهم جنگز خان رسولا ، و بعد تعاطي

«١» ابن العبري ص ٤٠٣

السفراء الكثيرين جاء الاهلون بهدايا الى الخان ورأوا منه حسن معاملة ، فأمر ان يأخذ الاهلون ما يتمكنون على اخذه من بذور و بقر وغيرهـا وان يخرجوا بها ، والباقي ترك جيشه ينتهبه فأنتهبه ٠

وفي سنة ٦١٦ هـ (وفي العبري في اوائــل المحرم سنة ٦١٧ هـ ١٢٢٠ م) جاء الى بخارى فاحاط بها ، وفي منتصف الليل هاجم كوك خان ، وسوينج خان وكوچلو خان بعشرين الفاً من العساكر ، فعلم بذلك جنگز خان فأتخذ لذلك الترتيبات اللازمة فتقاتل الفريقان بشدة وكانت الحرب طاحنة . وفي النتيجة تمت الغلبة لجنگز خان فنكل بالعشرين الفا . (وفي ابن العبري ان هؤلاء تحققوا عجزهم عن مقاومة المغول فخرجوا من الحصار بعـد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فاوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يبقوا منهم أثراً) . وفي وقت السحر ،قد فتح مفتي المدينة وعلماؤها الابواب فجاؤا الى الخان ، فدخل جنگز خان بنفسه المدينة ، وقد قال ابن الاثير ان دخول جنگز المدينة كان يوم الثلاثا رابع ذي الحجة سنة ٦١٦ هـ ١٢٢٠ م وذلك انهم حصروا بخارى وقاتلوا اهلها ثلاثة ايام قتالا شديداً متتابعاً . فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة ففارقوا البلد عائدين الى خراسان . (ولم يدر ابن الاثير بما اصابهم بعد خروجهم ولا حكى ذلك) . فلما اصبح اهل البلد وليس عندهم من العسكر أحـد ضعفت نفوسهم فارسلوا القاضي بدر الدين قاضيخان ليطلب الأمان للناس فاعطوهم الأمان . وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة . فلما أجابهم جنگز خان الى الامان فتحت أبواب المدينة في اليوم المذكور فدخل التتر بخارى ولم يتعرضوا الى أحد بل قالوا لهم كل ماهو للسلطـان عندكم من ذخيرة وغيرها أخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة ،واظهروا عندهم العدل وحسن

السيرة ودخل جنكز خان بنفسه وأحاط بالقلعة ونادى في البلد . ان لا يتخلف أحد ومن تخلف قتل فحضروا جميعهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك ... ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم ، ومنعوا القلعة اثنى عشر يوما يقاتلون التتر واهل البلد ، فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة ، فنقبوه واشتد حينئذ القتال ، ومن بها من المسلمين يرمون بكل مايجدون من حجارة ونار وسهام، ثم باكروهم في اليوم التالي فجدوا في القتال ، وقد تعب من بالقلعة وجاءهم مالا قبل لهم به فقهروا ودخل التتر القلعة وقاتلهم المسلمون. الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم...

فلما فرغ جنكز خان من القلعة أمر أن يكتب له رؤس البلد ورؤساؤهم ففعلوا ذلك فلما عرضوا عليه أمر باحضارهم فحضروا فقال أريد منكم (النقرة) التي باعكم خوارزمشاه فانها لي ومن اصحابي اخذت وهي عندكم فاحضر كل من كان عنده شيء منها بين يديه ، ثم أمرهم بالخروج من البلد فخرجوا مجردين من أموالهم ليس مع أحد منهم غير ثيابه التي عليه ، ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه وأحاط بالمسلمين فامر اصحابه أن يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرقوا أيدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضاً وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس وارتكبوا من النساء العظيم ، والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم فمنعهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل ، وممن اختار ذلك الامام ركن الدين امام زاده وولده والقاضي صدر الدين خان ومن استسلم أخذ أسيرا والقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب من طلب المال ، ثم رحلوا نحو سمرقند ، وقد تحققوا

عجز خوارزمشاه عنهم وهم بمكانة بين ترمذ و بلخ واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة فكل من أعيا وعجز عن المشي قتل .

فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاساري والاثقال وراءهم حتى تقدموا شيئاً فشيئاً ليكون أرعب للقلوب ، فلما رأي أهل البلد سوادهم استعظموه، فلما كان اليوم الثاني وصل الأسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلد ان الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية ، واما عامة البلد فلا يحصون كثرة ...

القتال على سمرقند :

وحينئذ خرج اليهم شجعان اهل سمرقند وأهل الجلد والقوة رجالة (مشاة) ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء التتر فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون واهل البلد يتبعونهم و يطمعون فيهم . وكانوا قد كمنوا لهم كميناً . فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم و بين البلد ورجع الباقون الذين أنشبوا القتال اولا فبقوا في الوسط وأخذهم السيف من كل جانب فلم يسلم منهم احد. قتلوا عن آخرهم وكانوا سبعين الفاً على ماقيل .

فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم (عزائمهم) وأيقنوا بالهلاك ، فقال الجند وكانوا أتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم ففتحوا أبواب البلد ، ولم يقدر العامة على منعهم وخرجوا الى التتر بأهليهم وأموالهم ، فقال لهم التتر أدفعوا الينا سلاحكم وأموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك ، فلما أخذوا أسلحتهم ودوابهم وضعوا السيوف فيهم

وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم ودوابهم ونساءهم .

وفي اليوم الرابع نادوا في البلد ان يخرج اهله جميعهم ومن تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع أهل سمرقند مثل فعلهم مع أهل بخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه ، وأحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله ، وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم سنة ٦١٧ هـ ١٢٢٠م(١)

ان هكذا اعمالا لا تزال مشهورة عن المغول ومدونـة في منشوراتهم للتهديد ، فعلوها باتفاق من عامة المؤرخين . واليك ايها القارئ ما قصه ابن العبري (٢) قال :

وفيها (سنة ٦١٧ هـ ١٢٢٠ م) في ربيع الاول نزل جنكز خان على مدينـة سمرقند وكان قد رتب السلطان محمد فيها مائة الف وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها . فلما نازلها منع اصحابـه عن المقاتلة وانفذ سنتاي نوين ومعه ثلاثين الف محارب في أثر السلطان محمد ، وغلاة نوين و بسور نوين الى جانب طالقان ، وأحاط باقي العسكر بالمدينـة وقت السحر فبرز اليهم مبارزو الخوارزمية ونازعوهم القتال ، وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار ، وأسروا جماعة وادخلوهم المدينة فلما كان من الغد ركب جنكز خان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال ، فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله من أوله الى اول الليل ووقف الابطال من المغول على أبواب المدينة ولم يمكنوا احداً من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ، ووقع الخلف بين اكابر المدينـة ، وتلونت الآراء فبعض مال الى المصالحة والتسليم ، و بعض لم يأمن على نفسـه وان اومن خوفا من غدر التاتار ،

«١» ابن الاثير «٣٢» ص ٤٠٨

فقوى عزم القاضى وشيخ الاسلام على الخروج فخرجا الى خدمة جنكز خان وطلبا الامان لهما ولأهل المدينة فلم يجبهما الا الى امان انفسهما ومن يلوذ بهما. فدخلا الى المدينة وفتحا ابوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا الى احد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء، ولم ينكفوا الا عن القاضي وشيخ الاسلام وعمن التجأ اليهما، فاحتمى بهما نيف وخمسون الفاً من الخلق، ولما أصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة، وقتل كل من لحقوه مختبئا في المغائر ومتواريا بالستاير، وقتلوا تلك الليلة نحو ثلاثين الف تركي وقنقلي، وقسموا بالنهار ثلاثين الفاً على الاولاد والامراء وأطلقوا الباقي ليرجعوا الى المدينة ويجمعوا من بينهم مائتي الف دينار ثمن أرواحهم، وكان المحصل لهذا المال ثقة الملك والأمير عميد وهما من اكابر سمرقند والشحنة طايغور (ويروى كايغور).

ومن هناك توجه جنكز خان بعساكره الى نواحي خوارزم وأنفذ الرسل اليهم يدعوهم الى الايليه، والدخول في طاعته».. الخ انتهى.

وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصل اليها فاستولى عليهم الخذلان حتى ضبطها جنكز خان فقد سيّر مرة عشرة آلاف فارس فعادوا وسير عشرين الفاً فعادوا ايضا...

وفي الشجرة أن خانات السلطان محمد قد قتلوا جميعهم مع جيشه في محاربة سمرقند بعد ان خرجوا وحاربوا بشدة وأسروا قسما من المغول في اليوم الاول، وفي اليوم التالي هاجمهم جنكز بنفسه فكانت الحرب طاحنة فلم يجسر احد من الخوارزميين ان يخرج الى المحاربة خارج البلد ولكن تحاربوا على السور بشدة ايضا...

وعند الغروب ذهب شيخ الاسلام والقاضي وأتوا الى جنكز يطلبون منه الامان فعاملهم بالحسنى وفتحوا أبواب البلد ، فتحوا باب المصلى ، وحينئذ هجم المغول ودخلوا من الباب وانتهبوا ما في المدينة ... سوى أن ألب خان قاتل وتضارب مع جيش جنكز حتى تمكن من النجاة بالف جندي ...

ثم ان جنكز وزع ثلاثين الفاً من الاهلين على النويان وعفا عن خمسين الفاً لشيخ الاسلام والقاضي وأخذ من الباقين مائتى الف دينار . وهذه الوقعة جرت في ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) .

مسير التتر الى خوارزمشاه :

لما ملك التتر سمرقند عمد جنكز خان وسير عشرين الف فارس (وفي رواية الشجرة ثلاثين الفاً) تحت قيادة چبه نويان ، وسو بوداي بهادر ، ودوغاچار القونقراتي وهذا الامير قتل من قبل تيمور ملك في نيسابور والرواية المعول عليها : أنه قتل في بلخ وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم و بين غيرهم .

فلما أمرهم جنكز خان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى فنج (١) آب (وفي أبي الفداء پنج آب) ومعناه (خمسة مياه او خمسة انهار) فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل في الماء وأمسكوا أذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل وهو

«١» لعله نهر آمو .

يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة ...

وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعباً وخوفا . وقد اختلفوا فيما بينهم وظنوا انهم كانوا يتماسكون بسبب أن النهر بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا أيدي سبا وطلبت كل طائفة منهم جهة ، ورحل خوارزمشاه لايلوي على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور ، فلما دخلها اجتمع عليه بعض العساكر فلم يستقر حتى وصل اولئك التتر اليها ، وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه فيجمع لهم ، فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران ، وهي له ايضاً فرحل التتر المغربون في اثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه ، فسار منها ووصل الري . ثم منها الى همذان والتتر وراءه ففارق همذان في نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران ومنها وصل الساحل المعروف بالسكون (آبسكون) وركب البحر المسمى ببحر طبرستان الى قلعة البحر . فلما نزل هو واصحابه في السفن وصلت التتر فرأوا خوارزمشاه قد دخل البحر فوقفوا على الساحل . فلما يئسوا من اللحاق به رجعوا .

وهؤلاء هم الذين قصدوا الري وما بعدها . وذلك أنهم رجعوا الى قاراندار فضبطوها وأسروا زوجته وأولاده الذكور هناك ومنها توجهوا الى ايلال . وكان أولاد السلطان محمد الصغار هناك فحاصروها . ويروى أنها في تلك السنة لم تأتها المياه مع أنها كانت كثيرة فلم تصبها الأمطار . وفي مدة ١٥ يوما نفدت مياهها . فاستولوا عليها . وهذه الوقعة كانت سنة ٦١٧ هـ ١٢٢١ م ويحكى انه حين سمع بسقوط هذه المدينة أغمي عليه فمات . و بعدها استولوا على نخجوان واذربيجان فخربوهما ،



٥ — جنكيز خان عظيم المغول تابع ص ٧٣

وجاؤا الى شروان ومضوا من دربند ، فاتفقوا مع القفچاق بداعى انهم منهم وسحقوا اللان . وحينئذ و بعد سحق اللان وتحققهم من ضعف القفچاق تحاربوا معهم وعادوا ظاهرين . وعلى هذا اكرمهم جنگز خان بانعامات كبرى ... (١)

وفاة خوارزمشاه محمد :

اما خوارزمشاه فانه حين وصل القلعة المذكورة مرض بذات الجنب في الجزيرة الكائنة في البحر فاقام بها طريداً شريداً لا يملك طارفا ولا تليداً ، والمرض يزداد حتى توفي سنة ٦١٧ هـ ١٢٢١ م . (٢)

وكانت مدة ملكه ٢١ سنة وشهوراً تقريبا . اتسع ملكه وعظم محله وأطاعه القاصى والدانى ولم يملك بعد السلجوقيين احد مثله فانه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة و بعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان و بلاد الجبال وخراسان و بعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم ، وكان فاضلا عالماً بالفقه والاصول وغيرهما ، وكان مكرما للعلماء محباً لهم محسناً اليهم ، يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه ، وكان صبوراً على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات ، انما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه ، وكان معظما لاهل الدين ، مقبلا عليهم متبركا بهم ...

وهذه خصائل عددها ابن الاثير وهي كافية لبيان مكانة الرجل ومقدرته ، وأقول انه لم يدخر وسعاً في تدبير المملكة ، ولو لم يقتل التجار والسفراء ولم يعاملهم بهذه المعاملة القاسية واتخذ الطريقة التي راعاها جنگز خان مع تجاره

«١» «شجرة الترك وابن الاثير ص ١٤٣» «٢» تاريخ ابي الفداء وسيرة المنكبرتي ص ٤٨.

لكان اكبر ملك حقيقة مهما كانت نتائج مقدراته، كما ان غلطته في مقاومة الخلافة وقطع الخطبة وضرب النقود ... مما هيجت عليه الرأي العام واحبطت مساعيه اكثر مما لو صحت مكاتبة الخليفة الناصر للتتر ودعوتهم للتسلط على خوارزمشاه ... وله أغلاط كبرى غير هذه مثل قتلة الشيخ مجد الدين العالم المشهور (١) . وكانت حروبه شديدة وطاحنة ولولا هذه الحروب وتوقف جنكز من أجلها لما صده صاد ... فقد رأى الهول منه وكاد ينتصر عليه ... وعلى كل كانت عظمته تفوق سائر الملوك وموكبه فخما وعلامات اعلامه لاتشبه غيرها ... ومن اراد التفصيل اكثر فليرجع الى أبي الفداء والى المنشي النسوي فانهما نقلا أمورا مستقصاة لايسعها بحثنا هذا فقد التزمنا الاختصار لبيان الأوضاع بين الحكومتين والمقارعات الحاصلة بينهما ...

جلال الدين منكبرتي :

سارجلال الدين منكبرتي (٢) بعد موت أبيه السلطان محمد من الجزيرة الى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه و بين التتر قتال فهرب جلال الدين من غزنة الى الهند فلحقه جنكز خان الى ماء السند وتصافقا صبيحة يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ٦١٨ هـ ١٢٢٢ م وكانت الكرة أولا على جنكز خان ثم عادت على جلال الدين وبالا وحال بينهما الليل وولى جلال الدين الأدبار منهزما وأسر ولد جلال الدين وهو ابن سبع سنين أو ثمان وقتل بين يدي جنكز خان صبراً .

«١» شجرة الترك ص ١٠٢ «٢» ورد في ابن الفوطي بلفظ منكو برتي و «منكو» اسم من اسماء الله أوصفة من صفاته و «برتي» ويردى بمعنى أعطى وتلفظ «بردي» ايضاً والمجموع بمعنى عطاء الله اوما هو قريب منها ...

ولما عاد جلال الدين الى حافة ماء السند كسيراً رأى والدته وام ولده وجماعة من حرمه يصحن بالله عليك اقتلنا أو خلصنا من الاسر فأمر بهن فغرقن ...

ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم فنجا منهم الى جانب البر الآخر نحو أربعة آلاف رجل حفاة عراة ... ثم جرى بين جلال الدين و بين اهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين ووصل الى لهاوور من الهند . ولما عزم جلال الدين على العودة الى جهة العراق استنتاب بهلوان أزبك على ما كان يملكه من بلاد الهند واستنتاب معه حسن قراق ولقبه (وفاء الملك) . وفي سنة ٦٢٧ هـ ١٢٣٠ م طرد (وفاء الملك) بهلوان أزبك واستولى وفاء الملك على ما كان يليه البهلوان من بلاد الهند .

وكان جلال الدين قد عاد من الهند ووصل كرمان في سنة ٦٢١هـ ١٢٢٥م وقاسى هو وعسكره في البراري بين كرمان والهند شدائد . ووصل معه أربعة الاف رجل. ثم سار جلال الدين الى خوزستان واستولى عليها ثم على اذر بيجان ثم كنجه وسائر بلاد اران .

وعند ذلك نقل جلال الدين أباه من الجزيرة الى قلعة ازدهن ودفنه بها . ولما استولى التتر عليها نبشوه وأحرقوه . وكذا فعلوا في محمود سبكتكين حين استولوا على غزنة .

وفي هذه الاثناء تمكن التتر من اذر بيجان فسار يريد ديار بكر ليذهب الى الخليفة ويلتجئ اليه و يعتضد بملوك الاطراف على التتر و يخوفهم عاقبة أمرهم ، وطلب النجدة من الملك الأشرف فلم ينجده ، وعزم على المسير الى اصفهان ، ثم انثنى عزمه و بات بمنزله ... ، وحينئذ أحاط به التتر وصبحوا عسكره :

فمساهم و بسطهم حرير وصبحهم و بسطهم تراب

ومن في كفه منهم قناة　　كمن في كفه منهم خضاب

فلم يشعر الا وأحاطت به اطلاب التتر بخيم جلال الدين وهو نائم ... فحمل بعض عسكره وهواورخان وكشف التتر عن المخيم ودخل بعض الخواص وأخذ بيد جلال الدين واخرجه وعليه طاقية بيضاء فاركبه الفرس وساق أورخان مع جلال الدين وتبعه التتر فقال جلال الدين لأورخان انفرد عني بحيث تشغل التتر بتتبع سرادك. وكان ذلك خطأ منه. فان أورخان تبعه جماعة من العسكر يقدرون بار بعة الاف فارس وقصد أصفهان واستولى عليها مدة

ولما انفرد جلال الدين عن اورخان ساق الى انحاء آمد فلم يمكن من الدخول، فسار الى قرية من قرى ميافارقين طالباً شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين، ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب الى جبل هناك وبه اكراد يتخطفون الناس فاخذوه وسلبوه ثم قتلوه.

ويحكي عنه المنشي النسوي انه كان اسمر قصيراً تركي الشارة والعبارة، يتكلم الفارسية، وانه كان يكاتب الخليفة على مبدأ الامر على ما كان يكاتبه به ابوه. فكان يكتب (خادمه المطواع منكبرتي) وبعد اخذ خلاط كاتبه بعبده. ويكتب الى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم ابيه وكانت علامته على توقيعه (النصر من الله وحده). وكان جلال الدين يخاطب ب (خداوند عالم) أي صاحب العالم.

وقال المنشي: «كان اسداً ضرغاماً، اشجع فرسانه اقداما، وكان حليما لاغضوبا ولا شتاما، وقوراً لايضحك الا تبسما، ولا يكثر كلاما، وكان يحب العدل غير انه صادف ايام الفتنة فغلب، ويحب الترفيه على الرعية لولا أنه ملك في زمان الفترة فغصب ..» وعلى كل « فتقلبات الايام بجلال الدين من اهباط واصعاد، واطفاء

شعلة نار وايقاد ، يوما نفاذ حد وايراء زند ، وآخر صرع خد ، وسقوط جد ، بينا تملكه ، اذ تكاد تهلكه ، وحال تعليه ، اذ رأيته تبتليه ، لبلغ افادة الغرض ، اذ في تصاريف أحوال الزمان به عجائب لم توجد أخواتها ... لفظته بلاد الترك الى اقاصي الهند واقاصي الهند الى اواسط الروم من مليك مطاع ، وطريد مرتاع ... الخ » مما يعين روحيته و يبين مقدرته ... وله اربع عشرة وقعة مع المغول في أحدى عشرة سنة فصلها النسوي المذكور ... (١)

وكان مقتله في منتصف شوال سنة ٦٢٨ هـ ١٢٣١ ومحمد المنشيء النسوي ممن كان في خدمة جلال الدين وملازمته في جميع اسفاره وغزواته الى ان قتل . وكان كاتب الانشاء ومحظياً متقدماً عنده فهو أخبر باحوال جلال الدين ووالده

وقد مر الكلام على كتابه (سيرة منكبرتي) ووقائعه و بعض النقول عنه ... وكان قد ذكر في أواخره انه كتبه سنة ٦٣٩ هـ . واما النسخة المطبوع عليها فقد نجزت سنة ٦٦٧ هـ .

ثم ان الخوارزمية عاثوا في البلاد في انحاء حلب وحصلت منهم غارات نهب وسفك دماء مالا يقل عن اعمال التتر كما في أبي الفداء وابن الفوطي مما يلي المباحث المتقدمة .

وقايع جنكز خان الاخرى :

ان جنكز خان بعد أن ضبط سمرقند توجه بعساكره الى نواحي خوارزم وأنفذ الرسل اليهم يدعوهم الى الايلية (٢) والدخول في طاعته . وشغلهم اياماً بالوعد

«١» ابو الفداء ج ٣ ص ١٥١ وسيرة المنكبرتي ص ٢ وص ٢٤٧ ، ٢٠ « المتابعة والانقياد له والدخول في عداد اهل مملكته وليست هي الالية بمعنى القسم كما قال الناشر لتاريخ ابن العبري » .

والوعيد والتأميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب الآت الحرب من منجنيق وما يرمى بها فانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوها بعد قتل ونهب وأسر ...

وفي اوائل سنة ٦١٨ هـ ١٢٢١ م عبر جنگزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه أعيانها و بذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وانواعاً من(الترغو) (١) فلم يقبل منهم بسبب ان السلطان جلال الدين كان في تلك النواحي يهيئ أسباب الحرب و يستعد للقتال . ولذا أمر بخروج أهل بلخ فقتل فيهم اكثر الأهلين وأسر ...

ومن هناك توجه نحو الطالقان وفعل باهليها مثل مافعل باولئك وأبقى البعض ومنها سار الى باميان فعصى أهلوها وقاتلوا قتالا شديداً واتفق ان اصيب بعض أولاد جغاتاي بسهم فقضى نحبه ، وكان من احب أحفاد جنگزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضطرمت النيران في قلوب المغول وجدوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والاجنة ولم يأسروا منها احداً قط وتركوها ارضاً قفراً ، لم يسكنها أحد اليوم (كذا قال ابن العبري) وسموها ماوباليغ اي مدينة البؤس .

ولما فرغ جنگزخان من تخريب بلاد خراسان سمع ان السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلا ونهاراً بحيث أن المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم اذا نزلوا فحين وصلوا الى غزنة أخبروا بان جلال الدين قد رحل عنها منذ خمسة عشر يوما وهو عازم على أن يعبر نهر السند فلم يستقر جنگزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فاحاط به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة وهو في الوسط و بالغ المغول في المكاوحة وتقدم

(١) الاقمشة الحريرية . اوالنفائس الاخرى « لغة الجغطاي ص ١١٦ » .

جنكز خان ان يقبض حيا ووصل جغاتاي واوكتاي ايضاً من جانب خوارزم . فلما رأى جلال الدين حراجة الموقف حمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بذلك وأبدى من البطولة والشهامة مالا يوصف ...

وعندما رأى التضييق عليه وان لانجاة بهذا الديدن همّ بالعبور واقحم فرسه النهر بعد ان ودع أولاده وخواصه فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان وأصحابه ينظرون اليه و يتأملونه حيأرى ...

فتعجب جنكز خان من ذلك وقال لولديه : من مثل أبيه ينبغي ان يلد أبناً مثله فاذا نجا من هذه الوقعة جرت على يديه وقائع كثيرة ، ومن كلامه : لا يغفل من يعقل . وأراد جماعة من البهادرية ان يتبعوه فمنعهم جنكز خان قائلا انكم لستم من رجاله . وذلك لانه كان يرامي المغول بالسهام وهو في سط الشط وحينئذ أمر جنكز خان بقتل جميع الذكور من أولاده . وكان ذلك قدحدث في شهر رجب ولذا قيل في المثل ، عش رجباً تر عجبا . (١) وقال ابو الفداء انه غرق أهله كما مر ذلك عند الكلام على جلال الدين ... وانما ذكرناها هنا و بنص آخر لاطراد وقائع جنكز ...

وفي سنة ٦٢٤ هـ ١٢٢٧ م قفل جنكز خان من الممالك الغربية الى منازله القديمة الشرقية . ثم رحل من هناك الى بلاد تنكوت (تنغوت) (وهي بلاد شرقي التبت وغربي نهر الصين المسمى (هو) اي النهر الاصغر) وهنالك عرض له مرض من عفونة الهواء الوخيم .

ولما اشتد مرضه استدعى اولاده : جغاتاي واوكتاي والغ نوين وكاكان وجورختاي واوردجار (وفي رواية اوروجان وفي نسخة أخرى اردوجار) فأوصاهم

«١» تاريخ ابن العبري ص ٤١٢ وشجرة الترك

ان يخلفه ابنه اوكتاي لمزية رأيه المتين وعقله الرزين فجعله ولي عهده فوافقوه على اختياره . وهذا نص وصيته لاولاده :

« أعلموا يا اولادي الجياد أنه قد قرب سفري الى دار الآخرة ودنا أجلي ، وأنا بقوة الآله ، والتأييد السماوي استخلصت مملكة عريضة ، بسيطة بحيث يسلك من وسطها الى طرف منها مسيرة سنة من أجلكم يا أولادي ، وهيأتها لكم فوصيتي اليكم انكم تشتغلون بعدي بدفع الاعداء ورفع الاصدقاء ، وتكونون جميعاً على رأي واحد حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال ، وتتمتعوا بالممكة . » اهـ

وقد أورد هذه الوصية صاحب جامع التواريخ بنص عربي ونقلتها من تاريخه العربي . وكان يوصي اولاده بالصيد والقنص ومطاردة الوحش عند ركود الحروب وهدنة القتال كأنه يريدهم ان يكونوا في تمرن دائم للحروب مع الناس ، اومع الحيوان ...

ثم اشتد وجعه فتوفي في ٤ رمضان ٦٢٤ هـ ١٢٢٧ م (وفي شجرة الترك انه توفي بتاريخ ١٤ رمضان وقد عاش ٧٣ سنة وفي تواريخ الصين انه عمر ٦٦ سنه وطالت حكومته ٢٥ عاما) .

وحينئذ شكلوا مجمعاً كبيراً يسمى عندهم (قوريلتاي) (وهذا هو الصحيح ولا يلتفت الى القول بأنه القعر يلياي فانه غير معروف ولا صحيح) . فكان اجتماعهم سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م واجمعوا على اوكتاي حسب الوصية فالحوا عليه بالقبول وهو يتمنع لمدة ٤٠ يوما حتى قبل . فلقبوه (قاآن) أي ملك او سلطان واجلسوه على سرير المملكة (١)

«١» تاريخ ابن العبري ص ٤٢٨ وفيه تفصيل عن مراسم الجلوس .

صفوة القول عن جنكز خان :

ان هذا الملك كانت ادارته اشبه بحكومات اليوم . فلم يضع عقلا ولم ينتهج غياً . فهو صاحب حكومة مدنية لم يؤسس عمادها على دين وشكلها استعماري ، استخدم جماعات من العناصر المختلفة والامم المستضعفة لترويج غرضه وتمشية منهاجه . وان كان الاقوام الذين معه سلكوا المحرمات واباح هو المنهيات لامور لا تخفى على العاقل مغازيها بالنظر لاوضاع الاجتماع آنئذ ... ولكنهم احترموا ضعفاء الاقوام وجعلوهم احراراً في كل مراسمهم الدينية فصار يظن لاول وهلة انهم نصارى من قبل النصارى وهكذا ... ولكن المفهوم انهم يقدسون الشمس فنراهم في تولية اوكتاي السلطنة مقام ابيه قد جثوا على ركبهم تسع مرات دلالة على التعظيم له . ثم خرجوا من المخيم وجثوا ثلاث مرات حيال الشمس ... ومن هذا يفهم انهم يعظمون الشمس و يخضعون لاشراقها ...

قال ابن السبكي في الطبيقات : « كان من اعقل الناس ، وأخبرهم بالحروب ووضع له شرعا اخترعه ، ودينا ابتدعه ... سماه (الياسا) لا يحكمون الا به ، وكان كافراً يعبد الشمس ... » اهـ وقد مر النقل عنه ان قومه أطاعوه طاعة العباد المخلصين لرب العالمين ... (١)

وأن القصة التالية توضح عقيدة جنكز خان :

« ان جنكز خان بعد ان ضبط طوران وايرانو بعد أن أتم امراؤه وابناؤه ماعهد اليهم من تخريب انحاء غزنة من قبل اوكتاي وتعقيب أثر السلطان جلال الدين من قبل جغتاي خان فانعدم أثره وعاد بغنائم وفيرة وأسرى كثيرين ... جاء الى

«١» طبقات الشافعية ص ١٧٦

سمرقند وعين في الولايات حكاما عسكريين (داروغا) ومضى من نهر آمو وجاء الى بخارى . وان اولاده الذين بعثهم الى الاطراف عادوا جميعاً والتحقوا به .
وحينئذ أرسل الى أهليها ان يبعثوا اليه احدعلمائهم يسأل منه بعض الامورفبعثوا اليه القاضي أشرف ومعه واعظ آخر فجرت بينهما المحاورة الآتية :

جنكز خان — ما المسلمون ؟ ولماذا انتم مسلمون ؟

الجماعة — المسلمون عبيد الله • والله واحد ، وليس له مثل ولا شريك •

ج — انا ايضا اعتقد ان الله واحد !

هم — ولله رسل • هم سفراء الله • ارسلهم ليبينوا اوامره ونواهيه •

ج — وهذا مقبول •

هم — ونحن نصلي خمس أوقات نعبد الله بها •

ج — وهذا حسن •

هم — ونصوم شهراً في السنة •

ج — وهذا حسن أيضاً •

هم — أن لله بيتاً في مكة • فاذا تمكنا من الذهاب اليه فعلنا

ج — لا اوافق على هذا فالعالم كله بيت الله . فلماذا يخصص في محل معين ؟

ثم انتهت المحاورة بهذا الوجه .

ولم يبين له هؤلاء العلماء السبب الذي أورده القرآن الكريم نفسه وهو انه أول بيت وضع للناس وأنه واسطة التعارف بين المسلمين وموطن التكبير لله على الهداية باعتبارانه موطن الهداية والدعوة الاولى ...

فاذن جنكز خان لهما بالعودة ولكنهما طلبا ان يعفو عنهم فلطف بهم وأعطاهم

طرخانا (١) . ومن هناك توجه الى سمرقند ومنها ذهب الى صحراء قبجاق هناك أمر ان يجروا الصيد . و بعدها عاد لوطنه ونصح أولاده وأوصاهم ببعض الوصايا في ادارة الممالك وكيفية المحاربة و باي صورة يعامل الناس وما ماثل ... »

ومن وصاياه : لا يؤذ بعضكم بعضا على أمور الدنيا فاذا شعر بعضكم بألم من الآخر فليسارع لازلته حالا لتكونوا بمأمن من شرور الأعداء ، اجعلوا اوكتاي ملكا بعدي ، أطيعوه وكونوا دائما في جانبه ، اقتلوا شيدورقو وكافة من معه قبل ان يعلم بوفاتي (وهذا كان قد عصى ثم طلب الأمان وهو والي تنغوت) ، ثم أعلنوا وفاتي للناس .

هذا مجمل وصاياه وعقائده .

وأن أقواله وقوانينه والتقاليد التي وضعها تبين بوجه الأجمال ادارته زيادة على ما مرّ من أعماله وتدابيره وهي :

١ — انه قسم جيشه الى اقسام كل قسم عشرة آلاف نسمة سماه (تومانا) وهو (٢) المعروف عندنا اليوم (بالفرقة) وجعل عليه قائداً يقال له (نويان) أو (نوين) وهو (آمر الفرقة) ثم قسم هذا فجعل لكل الف منه قائداً يقال له بيكباش اوما يسمى عندنا (آمر فوج) وقسم هؤلاء الى مئات جعل قائداً على كل مائة يدعى يوزباش وعندنا (آمر السرية) . فرّقه الى عشرات فجعل على كل عشرة مقدما(او نباشي) يسمى عندنا (آمر حضيرة) كما انه أعتبر على الخمسين مقدما يدعى عندنا (آمر فصيل) ، ومنع ان يتصل قائد التومان (النويان) باخر مثله وليس له أمر على الغير

«١» الترخان ، او طرخان بمعنى العفو العام او العفو عن بعض التكاليف ، واعطاء الامتيازات الخاصة ، ويطلق على المعفو عن التكاليف الاميرية ... ر « : لغة جغطاي ص ١٠٨ » ، مر الكلام عليه فيما سبق . «٢» بمعنى عشرة الاف ، وتطلق على اللواء ايضاً . وعند العجم يراد به نقد معروف .

كما انه يجب أن تراعى السلسلة في الآمرية فالنفر لا يراجع الآمره وهكذا من فوقه على مراتبهم.

٢ — الزم بقانونه أن لا يقصر فرد في لوازمه من الخيط الى الابرة الى قطعة الخام فكل لوازمه ينبغى ان تكون جاهزة بلا نقص ... ومن لا يراعي ذلك يعاقب بأشد العقوبة .

٣ — وكان يعاقب بشدة كل من لم يسمع كلام أبيه من الاولاد والاخ الاكبر من بين باقي الاخوة والزوجة من زوجها ...

٤ — يعاقب كل من يسرق و يقطع الطريق أو يعمل الشر بعقوبة شديدة ، لذا لم توجد في زمنه أمثال هذه الأمور .

٥ — ان جنگز خان كان يقدم للقيادة من كان عاقلا ، شجاعا ، و يجعل الافراد من سأر الناس . واما الضعفاء والعجزة فانه يتخذهم رعاة فيوزع الاعمال بهذه الصورة . والأمم المتمدنة اليوم تراعي هذا القانون تقريبا في جنديتها ..

وهكذا قضى اشغاله بنجاح وقويت دولته وحكومته وازداد شأنها يوما فيوما .

٦ — ومن قوانينه ان يأتيه القواد كل سنة من او نباشي (آمر حضيرة) الى النويان (آمر الفرقة) فيواجهونه و يتلقون منه الاوامر و يصغون الى نصحه . وقال : ان من فعل ذلك تمكن ان يصير قائداً لجيش عظيم ومن لم يفعل فلا يصلح للقيادة. لان هؤلاء في نظره يشبهون الصخرة التي لو طرحت في ماء عميق بقت بعدها اثراً وذهبت عن العيان .

٧ — كان يقول جنگز : ان من يدبر بيته أحسن تدبير يتمكن من ادارة المملكة.

٨ — وكان يقول : من تمكن على ادارة عشرة افراد وأحسن سوقهم تيسر له

سوق جيش عظيم .

٩ — من تمكن من نظافة بيته يستطيع أن يحرس حكومته من السراق وأهل الشقاء (١) .

وله أقوال كثيرة أمثال هذه . فلو كتبناها كلها لكونت كتابا ضخماً ولذا اكتفينا ببعضها ... وقد شاعت قوانينه هذه وانتشرت بين الأمم ، وقد تعرض لها مؤرخو الاسلام ولكن صاحب فوات الوفيات سماها (النسق) والحال انها (اليساق) أو (الياسا) ومعناها النواهي أو المحرمات والزواجر او الواجبات التي لا يصح التهاون بها ... وقد بالغ الناس في التشديد بخصوصها وقد اورد صاحب الخطط (المقريزي) الكثير منها

وقال : « أخبرني ... ابو هاشم احمد بن البرهان ... أنه رأى نسخة من الياسة (الياسا) بخزانة المدرسة المستنصريه ببغداد . » اه ثم بين جملة مما شرعه جنكز خان فيها ... (٢) .

وكذا صاحب جامع التواريخ وجها نكشا للجويني و (تيمور وتزوكاتي) ... والظاهر ان الذين نقلوها لم يجدوها مدونة ومكتوبة وانما هي محفوظة . لان الامة كانت أمية وتتلقى هذه الاوامر فتحفظها وهي أوامر مختصرة أو قوانين كلية وقواعد معتادة . ولا يزال العراقيون يطلقون على منع الدخول (بيسق) او كما يقول العوام (يصغ) وكذا الترك يلفظونها بهذا اللفظ ولعلها وصلتنا منهم او من الترك سكان العراق القدماء .

وعلى كل حال أوامره تعنى التزام النظام والطاعة ولا تقبل التساهل او التهاون بوجه فالشدة مرعية في تطبيقها والعقوبة على المخالفة صارمة جداً ... واما النظر الى التخريبات وأعتبارها هدماً للنظام فهذا غير صحيح . لأن المراد من ذلك أمحاء

«١» شجرة الترك «٢» خطط المقريزي ج٣ ص ٣٥٨

قوة العدو وأن لا يتبدل عليهم الاهلون فيكونوا بلاءاً ، وفيها ترهيب للناس وقسر على الطاعة . فالغاية في نظرهم تبرر الواسطة ومع هذا فالخوف والاحتراس ضروري والحساب للأمور شأن العقلاء واكابر الفاتحين ... ولكن هذا القائد أفرط في الاحتراس فابقى له سمعة سيئة في التاريخ فصار مضرب المثل في الظلم والعدوان وكل ما جاوز حده انقلب الغرض منه وصار الى ضده . فالبشرية جربت هذه التجربة المرة وسجلتها في أعمالها وفيها عبرة لمن جاء بعده من القواد والفاتحين ولا يزال اللوم والتنديد موجهين على من يخرج عن الطريق المعروف . وا كتسبت الحروب في هذه الأيام (ايامنا اثناء تحرير هذا التاريخ) شكلا موسساً على حقوق الحرب وأسباب صحيحة وقطعية والمخالف يقبح و يطعن من أجله بشرف الامة التي قام باسمها من جراء عمله ... ومع هذا فلا تفترق بعض الحكومات عن سابقاتها من أنها عصابات منظمة فلم تكتف بما لديها ... ولكنها سائرة من حيث العموم الى أن تكون جماعة لادارة الامة ادارة رشيدة .....

حكومة اوكتاي قاآن

اوكتاي قاآن :

اتفق مؤرخو الاسلام على تلفظ هذا الاسم بالوجه المذكور في صدر هذا المقال . وفي شجرة الترك ينطق به هكذا (اوكه داي) وليس هناك تفاوت كبير . وانما هو من جهة ضبط الكلمة وأظهار حركاتها الحرفية باشباع الحركات لاغير . ولذا راعينا تلفظه الشائع . وهذه اللفظة تعني الصاعد ، او المعتلي ... (١)

«١» تاريخ المغول لموراجا دوهسون ص ٢١٤ وفي لغة جغتاي جاء لفظ «اوكتاي» بمعنى القاتل ، والقوي والشجاع او البطل . والاعلام قد تلاحظ فيها التسميات الاولى دون مراعاة لمدلولها المعروف .

ان اوكتاي ثالث أولاد جنكز خان تولى زمام الحكم سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م أي بعد أبيه بسنتين،وذلك ان الاولاد والامراء ارسلوا الرسل الى باقي الأولادوالامراء ليجتمعوا في القوريليتاى (المجلس العام و يعقد للأمور المهمة والقضايا الكبرى المدلهمة و يتألف من أهل الحل والعقد لاتخاذ القرار فيما يمكن عمله .)

وفي سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩ م (وفي شجرة الترك سنة ٦٢٧ هـ ١٢٣٠ م) تم اجتماع الأولاد وامراء المغول فوصل من جهة القفجاق (قپچاق) الأولاد دوشي (جوجي خان) (١)وأولاده . ومن جانب اتميل اوكتاي ومن ناحية المشرق عمهم اوتكين و بلكتاي نوين والجتاي نوين والغ نوين

واما الأولاد الصغار فكانوا في أوردو جنكز خان (٢)

وفي زمن الربيع حضروا كلهم في عساكرهم واتخذوا الأفراح لمدة ثلاثة ايام متوالية ثم شرعوا فيما تقدم به جنكز خان من الوصية والعهد بالمملكة الى اوكتاي فامتثلوا الأوامر الجنكزية ، واعترفوا باهليته لذلك فاستقالهم اوكتاي الولاية قائلا : أن امر الوالد وان كان لا اعتراض عليه ولكن ههنا أخ اكبر مني وأعمام أولى مني بها . فلم يقبلوا منه واصروا على انه لابد من امتثال مرسوم الوالد وداموا على اصرارهم أربعين يوما وما زالوا يتضرعون اليه و يلحون عليه بالمسالة حتى أجاب الى ذلك فكشفوا رؤسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذ جغاتاي (أخوه الكبير) بيده اليمنى واوتكين عمه بيده اليسرى فاجلساه على سرير المملكة ولقباه

«١» في المغولية جاءت بلفظ جوجي وغيرهم نطقوا بها «دوشي» و«توشي» وهي بمعنى الضيف المفاجي على غرة ، او الصبي المحبوب ... «لغة جغتاي» .

«٢» يلفظ عندنا اوردي بمعنى الجيش ، والفيلق وكذلك عند الترك وهو مستعمل عندهم وتطلق على المعسكر ايضاً .

(قاآن) وامسك له الغ نوين كأس شراب فسقاه وجثا كل من كان حاضراً داخل المخيم وخارجه على ركبتيه تسع مرات ودعوا له ، ثم برزوا كلهم الى الخارج وجثوا ثلاث مرات حيال الشمس .

وانما اختص الغ نوين بمسك الكأس لانه أصغر أولاد جنكز خان . ومن عادة المغول ان الابن الصغير لايقتسم ولا يخرج عن بيت أبيه . واذا مات الأب فهو يتولى تدبير المنزل ففي تلك الاربعين يوما كان يقول اوكتاي : ان الغ نوين هو صاحب البيت واكثر مواظبة لخدمته وابلغ مني تعلماً لسياسته . فالمصلحة تفويض هذا الأمر اليه . فلذلك سبق الجميع بتصريح الطاعة .

واما الامراء فانتخبوا من بناتهم الأبكار الصالحة لخدمة قاآن أربعين بنتاً وحملوهن مزينات بالحلى الفاخرة والخيول الرائعة الى خدمته .

ولما فرغ من هذه الأمور صرف همته الى ضبط الممالك وجهز جورماغون (١) في ثلاثين الف فارس وسيره الى ناحية خراسان لتعقيب السلطان جلال الدين لانه كان أتى من الهند واستولى على كرمان وشيراز واذربيجان وتبريز وعلى مدن أخرى وجمع له جيوشاً عظيمة . فلما سمع جلال الدين بسوق الجيوش عليه انسحب الى انحاء ديار بكر فكردستان بالوجه المنوه عنه فقتله الاكراد رغبة في فرسه وكركه وقيل انه ترك لباسه واكتسى أثواب درويش ولم يبق له خبر فطمس أثره (٢) .

وانفذ سنتاي بهادر (ويروى سيناى بهادر) في مثل ذلك العسكر الى جانب قفچاق وسقسين و بلغار . وجماعة أخرى ذهبت الى التبت وقصد هو بنفسه بلاد الخطا وذلك في ربيع الأول ٦٢٧ هـ ١٢٣٠ م فكانت الحروب سجالا بين الطرفين

«١» ورد بلفظ جرماغون أيضاً. ٢. ر : ابن العبري ص ٤٣١ »

وبالنتيجة اكمل فتحها وفي هذه الاثناء توفي تولى خان لمرض أصابه في حين انهم كانوا مسرورين بفتح بلاد الخطا وكان أحب الأخوة الى قاآن فاغتم لذلك كثيراً. وأمر ان تتولى زوجته سرقوتني بيكي (بنت أخي اونك خان هي سورقوقتي) تدبير عسكره وكان لها من الأولاد أربعة بنين أحدهم منكو قاآن والآخر هلاكو فاحسنت تربيتهم وادارة أصحابه. وكانت تدين بالنصرانية.

وبعد قليل مات ايضاً الأخ الكبير وهو توشي (دوشي) وخلف سبعة بنين كان أحدهم باتو تسلم بأمر القاآن البلاد الشمالية وهي بلاد الصقالبة واللان والروس والبلغار وجعل مخيمه على نهر أتل وغزا هذه النواحي فانتصر انتصارات باهرة... ونالته في الأخير مغلوبية فاحشة ولكن لم تفل من غرب المغول ولا فترت من عزمهم

وفي سنة ٦٣٣ هـ ١٢٣٦ م غزا التاتار بلد أربل وعبروا الى بلد نينوى ونزلوا على ساقية ترجلة (لفظها ابن العبري ترجلي) وكرمليس فهرب اهل كرمليس ودخلوا بيعتها. وكان لها بابان فدخلها المغول وقعد اميران منهم كل واحد على باب واذنوا للناس في الخروج عن البيعة فمن خرج من احد بابيها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر اطلقه الامير الذي على ذلك الباب وابقاه فتعجب الناس لذلك. (١)

وفي سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٧ م في شهر شوال غزا التاتار بلد أربل وهرب اهل المدينة الى قلعتها فحاصروها أربعين يوما. ثم أعطوا مالا فرحلوا عنها في ٦ ذي الحجة لانهم سمعوا ان قد جاء المدد من بغداد. (٢)

وفي سنة ٦٣٥ غزا التاتار العراق ووصلوا الى تخوم بغداد الى موضع يسمى زنكاباد وفي ابن الفوطي الى دقوقا، والى سر من رأى فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار

«١» في ابن الفوطي في حوادث هذه السنة بعض التفصيل من جهة وابن العبري ص ٤٣٦ «٢» ابن الفوطي سنة ٦٣٤ هـ وابن العبري ص ٤٣٧

وشرف الدين اقبال الشرابي في عساكرهما فلقوا المغول وهزموهم وخافوا من عودهم فنصبوا المنجنيقات على سور بغداد .(١)

وفي آخر هذه السنة عاد التاتار الى بلد بغداد ووصلوا الى خانقين فلقيهم جيش بغداد فانكسر جيش الخليفة وعادوا منهزمين الى بغداد بعد ان قتل منهم خلق كثير وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا . وكانت هـذه الوقعة في ٣ ذي القعدة . وقد اضطرب امر بغداد بسببها (٢)

و يلاحظ ان المغول في حروبهم اذا أصابتهم نكبة لاتفتر عزمهم ولا تقلل من مقدرتهم وانما يراعون الدواعي و يتخذون التدابير لاعادة الكرة ... وهذا من العقل بمكانة ، كما ان التزام الحكومة العراقية الجيش وبذل المصاريف وايجاد الشغب والاطلاع على الحالة وجس النبض ... مما يعرف بحقيقة الوضع ، فالقوم ليسوا غزاة طالبين الاستفادة الموقتة وانما هم عارفون ومنتهجون خطة سليمة للفتح واتخذوا الأرهاب والقسوة وسائل لتأمينها والقضاء على الشعب والحكومة معاً ...

وبعد هذا التاريخ جرت للمغول حروب عظمى سواء في الاناضول او الكرج والأرمن واذربيجان وكانوا المنتصرين فنهبوا وسلبوا وقتلوا ... ثم مضوا فلم يسلم منهم المسلمون ولا النصارى فقد عم اذاهم الطوائف جميعها ...

وفي سنة ٦٤٢ هـ ١٢٤٥ م أغار التتر على بغداد ولم يتمكنوا من منازلتها ... او بالتعبير الصحيح عادوا بعد ان قتلوا ونهبوا ومنهم كان فريق عبر دجيل وفعل هناك مثل هؤلاء ... (٣)

«١» ابن الفوطي سنة ٦٣٥ هـ «٢» الفوطي سنة ٦٣٥ هـ وابن العبري «٣» الفوطي حوادث سنة ٦٤٣ هـ .

مرض القاآن :

وفي سنة ٦٤٣ هـ ١٢٤٦ م مرض القاآن . ولما اشتد مرضه سير رسولا في طلب ابنه كيوك فلم يمهله القضاء للاجتماع به فاقام بالمكان الذي بلغه فيه وفاته . وكانت والدته تور اكنه خاتون (١) ذات دهاء كاف وفطنة فاتفق جغاتاي و باقي الأولاد على انها تتصرف في تد بير الممالك الى وقت القوريلتاي (مجلس الشورى) لانها ام الاولاد الذين لهم الاستحقاق في الخانية .

وفي زمن هذا القاآن نرى المحاربات شديدة ولـكنها لاتخرج عن كونها غزواً ونهباً وسلباً لحد هذا التاريخ ولم تستقر الحكومة وتكتسب شكلا مدنياً منظما ، او انها لم تتيسر لها ادارة الممالك المضبوطة والوقوف مع المجاورين عند حد دولي معروف ، وان ارسال الرسل والمخابرات لم تدعهم يركنون الى مسالمة فلا يرضون بغير التسليم والانقياد التام ...

هذه هي الحالة العامة لحكومة المغول ، ولا يفوتنا ان نذكر لهذا القاآن خطته الدالة على التعديل نوعاً في الاوضاع السياسية وتطييب قلوب المسلمين وهي :

١ — يحكى انه جاء رجل لايؤمن بالدين الاسلامي فقال له : « اني رأيت رؤيا، قال لي جنكز خان فيها في الحلم : اخبر اوكتاي ان يقتل المسلمين ! » فقال له هل هو الذي قال لك أو ترجمانه . فقال هو قال لي من لسانه ثم سأله اوكتاي عن معرفته اللغة المغولية فاجاب بالسلب . وحينئذ قال : أقتلوه ! تكلم بالكذب . لان جنكز خان لايعلم لغة سوى لغته .

«١» في تاريخ ابن العبري جاءت بلفظ « تورا كينا » ص ٤٤٨ وفي شجرة الترك تورا كينه باشباع الحركة ص ١٤٧

٢ — ويحكى انه كان اوكتاي قاآن امر ان تذبح الشياه بشق صدرها لا بذبحها من مذبحها . فاخذ أحد المسلمين شاة واغلق بابه فذبحها بالوجه الشرعي عند المسلمين . وحينئذ جاءه مغولي فدخل عليه واخبر الملك بذلك . فقال انه اطاع الأمر بغلقه الباب فلا يستحق عقوبة ، وأمر بقتل المغولي لانتهاكه حرمة دار المسلم .

والقصص والحكايات تنقل عن لطفه وكرمه ... بكثرة وكان له أربع زوجات و ٦٠ سرية ، وله من الاولاد سبعة منهم خمسة من زوجته تورا كنه واثنان من السرايا . وولى عهده حفيده شيرامون كوجو [ونظراً لقول الخواجه رشيد الدين هو كوجر] .

وقد خلفه ابنه كيوك رغم وصيته بان يكون ابن ابنه شيرامون كوجو (١) .

حكومة كيوك بن اوكتاي

كيوك بن اوكتاي :

في سنة ٦٤٤ هـ ١٢٤٧ م تم اجتماع الاولاد والاحفاد وامراء المغول في وقت الربيع . وحضر في المجمع من غير المغول جماعة مما وراء النهر وتركستان الامير مسعود بيك ، ومن خراسان الاميرأرغون اغا وصحبته اكابر العراق واللور واذر بيجان وشروان ووفود آخرون من الروم ، ومن الأرمن ، ومن كرجستان ، ومن الشام ، ومن بغداد فخر الدين قاضي القضاة ، ومن علاء الدين صاحب الالموت محتشمو قهستان ...

فلما تم هذا المجمع الذي لم يعهد مثله وقع الاتفاق على كيوك . وانما اختير هو

«١» شجرة الترك ص ١٤٨

دون اخوته لكونه مشهوراً بالغلبة والشطط والاقتحام والتسلط • وكان هو اكبر الاخوة فأهل للولاية واجلس على سرير الملك وخدموه ودعوا له كالعادة وسموه گيوك قاآن وكان قد حضر حفلة سلطنته اثنان من قسوس الأفرنج •

وفي سنة ٦٤٥ هـ ١٢٤٨ م ولي كيوك خان على بلاد الروم والموصل والشام والكرج (وفي رواية والارمن) نوينا اسمه ايلجيكتاي ؛ وعلى ممالك الخطا الصاحب محمود يالواجي وعلى ما وراء النهر وتركستان الأمير مسعود ، وعلى بلاد خراسان والعراق واذربيجان وشروان واللور وكرمان وفارس واطراف الهند الأمير ارغون اغا ...

واما رسول الخليفة فخاطبه خطاب واعد ووعد بل واعظ ومنذر • واما رسل الملاحدة فصرفهم مذلين مهانين ..•

وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان أمير كبير اسمه قداق وشاركه امير آخر اسمه جنيقاي (ويروى تجنيفاي) قال العبري وهذان أحسنا النظر الى النصارى وحسنا اعتقاد كيوك خان في النصرانية ووالدته وأهل بيته فصارت الدولة مسيحية •••

وقال صاحب الشجرة ان هذا الملك وزع الخزائن على الناس بصورة لم يسبقه اليها احد قبله وكان يراعي النصاري ومبنى هذا الاتفاق •• دامت سلطنته سنة واحدة •

وبهذا وزع الاعمال وشرع في تنظيم الحكومة وترتيبها • وفي سنة ٦٤٧ هـ ١٢٤٩ م توفيت تورا كينه خاتون ام كيوك خان فتشاءم كيوك خان ورحل الى البلاد الغربية • ولما وصل الى ناحية قمستكي وبينها وبين مدينة بيش باليغ خمس مراحل ادركه أجله في تاسع ربيع الآخر من السنة المذكورة • فارسلت زوجته المسماة قاميش وفي العبري (أغول غانميش) رسولا الى باتو بن تولي واعلمته بالقضية

وتوجهت هي الى جانب قوناق وايميل واقامت بالمكان الذي كان يقيم به كيوك خان اولا . فسيرت سورقوقتى بيكي (١) زوجة تولي خان وهي اكبر الخواتين يومئذ اليها رسولا تعزيها وحمل اليها ثيابا و بوقتاقا (و يروي و بوقتايا) .

اما باتو (٢) فانه سار من بلاده الشمالية متوجها الى المشرق ليجتمع بكيوك خان لأنه كان يلح عليه بالمسير اليه . فلما وصل الى موضع يقال له الاقاق و بينه و بين مدينة فياليق ثماني مراحل بلغه وفاة كيوك خان . فاقام هناك وسير رسولا الى قاميش (اغول غانميش) زوجة كيوك خان وأذن لها بالتصرف في الممالك الى ان يقع الاتفاق على من يصلح للأمر وأرسل ايضاً الى الجوانب ليجتمع الأولاد والعشائر والأمراء .

مانكو (٣) قاآن :

هو ابن تولي (٤) خان من زوجته الكبرى سورقوقتى بيكي بنت جاكمبو، أخ اونك خان ملك كرايت . وللمترجم زوجات وسراري (قوما) كثيرة .

ففي سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥١ م اجتمع اولاد الملوك وامراء المغول . فوصل من حدود

«١» وردت في ابن العبري بلفظ «سرقوتني» وفي شجرة الترك سورقوقتي وهو الذي عولنا عليه راجع ص ١٤٩ «٢» في ابن العبري جاء بلفظ باتوا والصحيح «باتو» . «٣» جاء في وفيات الاعيان ص ١٨ ج ١ بلفظ «موركونا» وفي جامع التواريخ «مونككا» وفي شجرة الترك «مانكو» او «مانغو» وفي العبري وافق جامع التواريخ . والاختلاف في الاعلام وضبطها كبير جداً ... والصحيح المؤيد في كتب اللغة هو ماجاء في شجرة الترك . «٤» اختلف في اسم ابيه تولي خان ايضاً بين «بولي ومولى» كما في طبقات الشافعية وفيه في بعض المواطن وفي غيره وهو الأصح تولي خان كما ذكر في صلب الكتاب .

قراقروم مانكو بن تولي خان واما سيرامون و باقي احفاد وخواتين القاآن فسيروا قونقو رتقاي وكتبوا خطهم انه قائم مقامهم وان باتو هو اكبر الاولاد وهو الحاكم وهم راضون بما يرضاه .

واما اغول غانميش (١) خاتون (قاميش) زوجة كيوك خان ومن معها من اولاد الملوك فوصلوا الى خدمة باتو ولم يقيموا عنده اكثر من يوم بل رجعوا الى معسكرهم واستنابوا أميراً منهم يقال له تيمور نوين واذنوا له ان يوافق على ما يتفق عليه الجمع كله وان اختلفت الاهواء فلا يطيع احداً حتى يعلمهم كيفية الحال . فبقي جغاتاي ومانكو وسائر من كان حاضراً من الاولاد والاحفاد والامراء يتشاورون اياما في هذا الامر وفوضوا الامر الى باتو لانه اكبر الجماعة وأسدهم رأيا . فبعد ثلاثة ايام من يوم التفويض قال :

—ان مثل هذا الخطب الخطير ليس فينا من يفي بحق القيام به غير مانكو. فوافقوه كلهم على ذلك واجلسوه على سرير المملكة في قراقروم وكلوران أصل وطن جنكز خان و باتو مع باقي الاولاد والاكابر خدموه جاثين على ركبهم كالعادة . ثم انصرف كل واحد الى محله بناء على انهم يجتمعون في السنة المقبلة يعقدون مجمعا كبيراً (قوريلتاي) ليحضره الاولاد والاكابر ممن لم يحضر الآن اتماما للبيعة العامة .

وفي سنة ٦٤٩ هـ ١٢٥١ م وقت الربيع حضر اكثر الاولاد مثل بركه اغول وأخيه بغاتيمور وعمهم الجتاي الكبير والامراء المعتبرين من أردو جنكز خان . وفي اليوم التاسع من ربيع الآخر كشفوا رؤسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم ورفعوا مانكو على سرير المملكة وسموه مانكو قاآن وجثوا على ركبهم تسع مرات . وكان له

«١» جاء في جامع التواريخ او قول قيميش « ر : ص ٢٧٢ ج ٢ » وفي شجرة الترك قاميش .

حينئذ سبعة من الاخوة منهم قبلاي وهلاكو ... فترتبوا جالسين على يمينه والخواتين على يساره واقاموا الاحتفال والمهرجان لمدة سبعة ايام .

وحينئذ نظم مانكو قاآن أمور حكومته وأرسل بعض الجيوش الى الثغور وصار يرعى شؤن البلاد التي تحت سلطته و يقضي حاجات اتباعه وأعوانه من قريبين و بعيدين .

وأول فكرة عرضت له بعد ان تمت مراسم جلوسه وانفضاض المهنئين الذين جاؤه للتبريك ان أرسل بايجونويان مع جيش جرار لمحافظة ايران . وهذا حينما وصل الى محل مأموريته بعث رسولا الى الخليفة يعرض فيه شكواه من الملاحدة وحينئذ قدم اليه قاضي القضاة شمس الدين القزويني طاعته والمثول بين يديه . وكان القاضي لابساً درعاً . و بين الى بايجونويان انه يخشى من الملاحدة أن يظفروا به و يقتلوه . ولذا لبس الدرع . ثم أخذ يظهر تألمه من تغلب هؤلاء الملاحدة . وان هذا القاضي طلب أن تعرض شكواه الى القاآن (١) .

وفي سنة ٦٥٠هـ ١٢٥٢م توجهت قاميش (اغول غانميش) وجماعتها في عساكرهم نحو فيلاق مونكو قاآن (مانكو) . وكان المقدم على جيوشهم سيرامون ونافوا . ولما قربوا اتفق ان رجلا من اردو مانكو قاآن من الذين يربون السباع لاولاد الملك هرب منه اسده فخرج في طلبه متحريا عنه في الجبال والصحاري فاجتاز بطرف من عسكر سيرامون فوجد صبياً منهم قد انكسرت عجلته وهو جالس عندها فلما رأى المذكور مجتازاً استدعاه ليستعين به في ترميم عجلته . فاجابه الى ذلك ونزل من فرسه وأخذ يصلح معه العجلة فوقع بصره على اسلحة مستورة في باطن العجلة

(١) « الجامع الرشيدى » .

فسأل الغلام عنها فقال له ما اغفلك كأنك لست منا كيف لاتعرف ان كل العجلات التي معنا كهذه مشحونة بآلات الحرب .

فلما تحقق ذلك ترك الأسد الآبق وسار مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد عائداً الى اصحابه وأعلمهم بما رأى وسمع . فأمر مانـكو قاآن أن يمضي اليهم (منكسار) في الفي فارس و يستطلع حالهم . فمضى وذكر مانقل عنهم فلم يتمالـكوا توجيه امرهم وداخلهم الرعب ولم يسعهم الا التسليم لما يقضى به القاآن عليهم .

ولما حضر الـكبير منهم والصغير وقع السئوال وثبتت الجريمة عليهم فعوقبوا بما استوجبوا من الهلاك وتقسيم عساكرهم على الأولاد والامراء . فتم القضاء على امر المخالفين.

اعمال منـكو قاآن :

بعد أن قضى على المخالفين شرع في ترتيب العساكر وضبط الممالك . فاقطع بلاد الخطا وماچين وقراجائك (الظاهر قراخطا) من حد الميرى الى سليكاي [سولنقا] وتنكوت [تنكقوت] وتبت وجورجه وكولى لقبلاي اغول (وفي الرشيدي قو بلاي). اخيه ، والبلاد الغربية وتحصيل الاموال لهلاكو اخيه الاخر ، وولى على البـلاد الشرقية من شاطيء جيحون الى منتهى بلاد الخطا الصاحب المعظم يلواج (هو محمود يالواجي) وولده مسعود بيك ، وعلى ممالك خراسان ومازندران وهندوستان والعراق وفارس وكرمان ولور واران واذربيجان وكرجستان والموصل والشام الأمير ارغون اغا (كذا في العبري ...) وامر أن يؤدي المتمول الغني في بلاد الخطا في السنة ١٥ ديناراً والوضيع الفقير ديناراً واحداً . و ببلاد خراسان يزن المتمول في السنة ١٠ دنانير والفقير ديناراً واحداً . وعن ذوات الاربع مما يسمونه [قو يجور] (١)

«١» قوي في لغتهم الشاء والغنم . « ر : لغة الجغتاي ص ٢٤٢ » .

يؤخذ واحد عن مائة رأس من جنس واحد ومن ليس له مائة لا يؤخذ منه شيء .

واطلق العباد وأرباب الدين من الوثنيين والنصارى والمسلمين من جميع المؤونات والأوزان والتكاليف ... (١)

توجه هلاكو الى البلاد الغربية :

ان القاآن كان يرى في سيماء أخيه هلاكو خان امارات الفتح والغلبة ويتفرس في عزائمه انه سيستولي على العالم كما انه يفكر في ان بعض الممالك الآن في حوزة آل جنگزخان والبعض الآخر لايزال في تصرف غيرهم ولم تدخل بعد في حوزتهم وتحت سلطتهم وانه يلاحظ انفسحة العالم واسعة الارجاء فعزم ان يدع كل صوب واقليم الى ادارة واحد من اخوته وامرته فيجعلها تحت سلطانهم ويكون هو في وطنه مترفهاً ورئيس الكل في منتصف الممالك فيقرر العدل كما يجب ...

نضج هذا الفكر عنده وتم له تدبيره فجهز اخوته تنفيذاً لما ارتآه ولا يهمنا تفصيل القول عن وقائع الاقاليم الاخرى وما أحرز فيها من نصر وما تأسست من حكومة اذ لا تعلق لها بنا سوى اننا نقول ان هذه الحكومة كان حليفها النصر حيثما توجهت ونكتفي ببيان طراز قيامهم والخطة التي مشوا بمقتضاها لفتح العالم.

وذلك انه بعد ان نضج هذا الفكر وتم التدبير جهز أحد اخوته وهو قبلاي قاآن بجيش الى ممالك ختاي وماچين وقراجانك وتنكقوت وتبت وجورجه وسولنقا وكولى و بعض اقاليم الهند التي تتصل بختاي وماچين . ومن ثم انقطعت عنا أخبار الحكومة الاصلية الا قليلا فصرنا لا ننظر الا الى وقائع هذا القائد والفاتح العظيم (هلاكو) خان فانه انفصل رويداً رويداً عن أصل حكومته التي أسسها

---

(١) ابن العبري .

جنكز خان . ولذا نرى البعض يزعم أنه الملك المطلق والخان الاعظم (١) .

ففي سنة ٦٥١هـ ١٢٥٣ م توجه هلاكو خان (٢) من نواحي قراقروم الى الاقطار الغربية وسير معه منكو قاآن خمس الجيوش وصحبه أخوه الصغير سنتاي اوغول ، ومن جانب باتو بلغاي ابن سبقان وقورنار اوغول وقولى (ويروى يلغاي عوض بلغاي وتولا عوض قولى) في عساكر باتو ، ومن قبل جغتاي تكودار (ويروى توكدار) اوغول ابن بوخي اغول ، ومن جانب جيجكان بيكي بوقا تيمور في عسكر الاويرات ، ومن ناحية الخطا الف بيت من صناع المنجنيقات وأصحاب الحيل في اصلاح الات الحرب . فكان امير الترك كيدبوقا الباورجي ، وكان القائم مقام هلاكو بجيش منكو قاآن ولده جومغار بسبب ان امه اكبر خواتين ابيه هلاكو .

ومن الامراء الذين رافقوا هلاكو خان : دوقوز خاتون وهي اعظم الخواتين . واولجاي خاتون ، والابنان الكبيران : آباقا ، ويشموت [وما ورد في العبري من انه يسمون فغير صحيح] .

فالقاآن كان أمره ان يتوجه اولا لجهة غربي ايران ثم يذهب الى سورية ومصر والروم وأرمينية ، فباشر في العمل واستصحب معه الجيوش التي كانت ارسلت من قبل مع بايجونويان كما ان القاآن عززه بجيوش أخرى ، فهاجم بهم الغرب .

وصية منكو قاآن لهلاكو :

وكان منكو قاآن قد وصى هلاكو بالوصية التالية قائلا مامؤداه :

« اني مرسلك مع هذا الجيش الجرار من ملك توران (طوران ولا يزال العرب

«١» « الجامع الرشيدي »

«٢» في ابن الفوطي اجمال عن هذا في حوادث سنة ٦٥١ هـ .

والغرب يقولون اللغات الطورانية) الى مملكة ايران وموصيك ان تعمل بمقتضى يوسون (تعاليم أو بالتعبير الأصح قواعد) و ياسا (١) جنگز خان في كليات الامور وجزئياتها ، نفذ تعاليم جنگز خان بحذافيرها ولا تتهاون بها ، واعلم أن من أطاعك وانقاد لأمرك ونهيك من هنا الى أقصى بلاد مصر فاخفض له جناحك واظهر له حبك ، ومن عصاك أو خالفك فاسحقه واذله مع زوجه وولده وسائر اقربائه ومتعلقاته ونكل بهم جميعاً .

« ابدأ بهدم القلاع والأسوار والاستحكامات وخربها من اول قهستان الى منتهى خراسان ، فاذا أنهيت ذلك وتم لك الفور في ايران فتوجه نحو العراق ، وأهلك من انتصب لمناوأتك واراد ان يكون عثرة في طريقك من لر وكرد وغيرهما ممن يعادونك أو يعارضونك .

« ولا تتعرض للخليفة (٢) ببغداد ان كان اظهر لك الطاعة وانقاد لخدمتك . واما اذا أبدى غروراً وكبراً ولم يخاص لك قلباً ولساناً فعامله كغيره ممن سبق .

« وعليك أن تجعل العقل رائدك والرأي الصائب مقتداك ونهجك في كل الأحوال ولا تزغ عن ذلك ، وان تراعي الحيطة والرزانة وتكون يقظاً متنبهاً فى جميع الأحوال .

« ولا تكاف الرعايا بتكاليف باهضة لايطيقونها ولا يستطيعون القيام بها ، وعليك ان ترفه عليهم ، وان تعمر البلاد التي كنت استوليت عليها وهدمتها في حينها ، واعد لها عمارتها ثانية .

«١» مخفف ياساق بمعنى أوامر ونواهي ، او زواجر وموانع وجاءت بلفظ ياسه ايضاً .

«٢» لعل هذا ابناء على المخابرات السياسية السابقة ايام جنكز خان .

« وعليك ان تفتح ممالك الطغاة بالقوة الآلهية لتكون الممالك المفتوحة ميداناً فسيحاً للمربع و المشتى و أن تشاور في جميع القضايا دوقوز خاتون وتعقد معها مجلساً . » انتهى (١) .

وكان في نية منكوقاآن ان يرسل هلاكو بجيش عظيم فعمل وعزمه بتدبيره وأملهان يبقى في ايران بعد الاستيلاء عليها ويكون سلطاناً مطلقاً فيها ، ولكنه أمره ظاهراً ان يرجع اليه اذا تم له الفوز .

وبعد ان أتم وصاياه ونصائحه بهذا الوجه أكرمه ومن تبعه من الخواتين والاولاد كلا على حدة في الذهب واللباس والخيل ما يليق بهم من وافر العطايا وانعم على بقية الامراء والاتباع الذين كانوا بصحبته ...

ولما وصلوا حدود تركستان استقبلهم صاحب تركستان وما وراء النهر أمير مسعود بك وامراء تلك الانحاء . وقاموا بخدمات جلى نحوهم وقدموا الهدايا اللائقة .

والحاصل ان هلاكو خان ذهب الى معسكره في اواخر سنة ٦٥٠هـ ١٢٥٣م في ذي الحجة وفي ذي الحجة من سنة ٦٥١ هـ ١٢٥٤ م توجه لغربي ايران . فكانوا اثناء ذهابهم يسهلون الطرق والمعابر للمرور وينشئون الجسور على الانهار وكل واحد من الامراء والاولاد يدبر الجيش الذي في عهدته وتحت قيادته ويسعى في نظامه وترتيبه لئلا يتشوش انتظامه .

وفي سنة ٦٥٢ هـ ١٢٥٤ م تواردت (الرسل) في طلب السلطان عز الدين صاحب الروم ليحضر بنفسه في خدمة منكوقاآن . فاعتذر بظهور اعداء له من ناحية المغرب . وقد أوضح أبو الفداء العلاقة معهم في حوادث سنه ٦٤١ هـ وما

«١» الجامع الرشيدي

بعدها ، فنكتفي بالاشارة هنا .

سفر هلاكو وقصده بلاد الملاحدة ووقائع اخرى :

وفي شعبان سنة ٦٥٣هـ ١٢٥٥م نزل هلاكو بمروج مدينة سمرقند ، اقام بها أربعين يوما وحينئذ استقبله الملك شمس الدين كرت ونال حظوة عند الخان اكثر من غيره من سائر الذين استقبلوه وهناك ادرك اخاه سنتاي اوغول اجله واخبر بوفاة أخيه الآخر في طرف بلاذر فتكدر خاطره لهاتين الوقعتين فوصل اليه الأمير أرغون واكثر اكابر خراسان وقووا عزمه .

ثم وصلوا خراسان وعسكروا هناك . فاقاموا شهراً واحداً في خلاله نشروا أوامر (يرليغات) الى ملوك الطوائف تشعر بنواياهم وانهم لم يأتوا بقصد التسخير. وانما جاؤا لأبادة (الملاحدة) والقضاء على هذه الطائفة المفسدة . ومن سلم وأتى الى المعسكر وساعد بالعدد والعدة بقي له وطنه وحافظ على جيوشه واهليه وقبلت طاعته ...

ومن أبدى التهاون والأهمال في امتثال الأمر فحينئذ واثر ان نسحق تلك الطائفة بقوة الباري تعالى نتوجه على العاصي ولا نسمع منه عذراً ونعامله آنئذ بما نعامل به الطائفة المذكورة .

وأرسل هلاكو لتبليغ هذه الاوامر سفراء سريعي السير . وحين سمعوا بالخبر وافت الوفود من انحاء كثيرة لعرض الطاعة . فورد من الروم السلاطين عزالدين وركن الدين ، ومن فارس سعد ابن اتابك مظفر ، ومن العراق وخراسان واذربيجان آخرون . وكذا من كرجستان وغيرها . فأبدوا الطاعة والانقياد .

وفي غرة ذى الحجة سنة ٦٥٣ هـ ١٢٥٦ م انشأوا جسراً على نهر جيحون وعبروا . وكان الوقت شتاء شديد البرد لا يقشع غيمه ولا ينقطع وقوع الثلج ،

وهناك قضى جيشه الشتاء فلم يستطع المضي لتلف الخيول الكثيرة . فأمر الامراء ان يقصدوا في عساكرهم قلاع الملاحدة ...

وكان مقدم الاسماعيلية يومئذ ركن الدين خورشاه (١) بن علاء الدين وأخربت خمس قلاع من قلاعه التي لم يكن فيها ذخائر للحصار وأقبل رسول هلاكو الى حدقصران

وكان أرسل كيتوبوقا نويان قائداً بتاريخ جمادي الثانية سنة ٦٥٠ هـ ٢٦٥٢ م الى حرب الملاحدة فذهب الى هناك . وفي اوائل المحرم لسنة ٦٥١ هـ ١٢٥٣ م عبر نهر جيحون وأخذ يغزو ولايات قهستان . وكان معه خمسة آلاف من الخيالة ومثلهم من المشاة ووصل الى كردكوه .

وفي خلال المدة بين ربيع الاول لسنة ٦٥١ وصفر سنة ٦٥٥ هـ ١٢٥٧ م استولى على بقاع عديدة حتى حدود زاوه ... فتمرض هناك ، من ثم ارسل كوكا ايكا وكيتوبوقانويان مع سائر الأمراء لفتح باقي المدن .

وفي ٧ ربيع الاول وصلو الى بلدة تون وفي ١٩ ربيع الآخر استولوا على بلدة شهرستان وتوجهوا نحو طوس ففتحوها وتوجهوا الى دامغان وخربوا الموت (عاصمة الاسماعيلية) .

وفي هذه الاثناء لازم الخواجه نصير الدين الطوسي هلاكو خان وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي فحظي عنده وانعم عليه فعمل الرصد بمراغة .

ثم توجه نحو خورشاه ملك الاسماعيلية للاستيلاء على قلاعه و بلاده وكان من محاسن الصدف — كذا قال الخواجه رشيد الدين — مرافقة نصير الدين الطوسي لهلاكو في هذه الحملة . وكان هو السبب في حقن الدماء وتسليم البلاد لهلاكو .

«١» ورد في بعض الكتب خوزشاه وليس بصحيح وقد ذكره صاحب جامع التواريخ وغيره مكرراً بالوجه المذكور في الاصل .

لان الناس كانوا لا يستطيعون الحرب معه فسعى في المسالمة وأخذ ينصح خورشاه لطاعة هلاكو والانقياد له . فقبل خورشاه النصيحة . وكان يتماهل في اظهار الطاعة الى ان حاصروه من جميع الجهات في قيادة بوقاتيمور وكوكا ايلكا وذلك في ١٤ شوال سنة ٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م حتى اضطروه الى التسليم في اواخر ذي القعدة من السنة المذكورة . وقتل سنة ٦٥٥ هـ . (١) فافتتحت بلاد الملاحدة .

اجمال عن الملاحدة :

هذه الحكومة من حكومات الاسماعيلية ، دامت من سنة ٤٧٣ هـ (وعلى قول صاحب جامع التواريخ من سنة ٤٧٧ هـ) (٢) الى سنة ٦٥٤ هـ ولي امرها ثمانية امراء اولهم الحسن بن علي بن محمد الصباح الحميري وآخرهم ركن الدين خورشاه ؛ وكانت قاسية في حكمها وانتهكت حرمات وقتلت علماء وأمراء ، وأجرت مظالم سجلها التاريخ عليها ...

وهذه قائمة باسماء حكامها :

١ — الحسن ابن علي بن محمد الصباح (٤٧٣ هـ ١٠٨١ م : ٥١٨ هـ ١١٢٥ م

٢ — كيابزرك أميد (٥١٨هـ ١١٢٥ م : ٥٣٣ هـ ١١٣٩ م

٣ — كيا محمد بن كيابزرك أميد (٥٣٣ هـ ١١٣٩ م : ٥٥٧ هـ ١١٦٢ م

٤ — الحسن بن كيا محمد (٥٥٧هـ ١١٦٢ م : ٥٦١ هـ ١١٦٦ م

٥ — خواند محمد بن الحسن (٥٦١ هـ ١١٦٦ م : ٦٠٧ هـ ١٢١١ م

«١» ابن الفوطي حوادث سنة ٦٥٤ هـ ، وقد اوضح ابن العبري ، وجامع التواريخ سبب قتل خورشاه «٢» في جامع التواريخ ان اسم « الموت » هو تاريخ حكومتهم وظهورهم وحروفها تساوي ٤٧٧ فبنى تاريخه على هذا الاساس .



٦ ـــ جلوس اوكتاي قاآن تابع ص ١٣٤

٦ — خواند جلال الدين حسن ابن خواند محمد (٦٠٧ هـ ١٢١١م : ٦١٨ هـ ١٢٢٢ م)

٧ — خواند علاء الدين محمد ابن خواند جلال الدين حسن (٦١٨ هـ ١٢٢٢ م : ٦٥٣ هـ ١٢٥٦ م)

٨ — خواند ركن الدين خور شاه بن علاء الدين محمد (٦٥٣ هـ ١٢٥٦ م : ٦٥٤ هـ ١٢٥٧ م)

وهذا الاخير ووالده قتلهما المغول وقضوا على ادارتهم ...

وقال في جامع التواريخ ملوكهم سبعة باغفال جلال الدين حسن السادس من المذكورين في القائمة .

وأوضح عقائدهم ناصر خسرو في كتبه (وجه دين) ، و (زاد المسافرين) ، و (سفر نامة) ، و (روشنا أي) وغيره وكان هذا قد تلقى تعاليمه من مصر مركز الدعوة ، ومن نفس قرامطة البحرين فصارت أساساً لهؤلاء ...

و يعتقدون ما يعتقده غـلاة التصوف من الوحدة والاتحاد والحلول وهم منهم ، و يتمسكون بالفلسفة اليونانية ، و بأمور من شأنها ابطال الشريعة الاسلامية بالركون الى تأويلات خرجوا بها عن مدلول اللفظ ، وصرفوهـا عما يفهم منها الى معاني الحروف ، والرموز المكنونة فيها وهي من اختراعهم لتوجيه الناس اليها دون الالتفات الى معاني الآيات ...

ومنهم اشتقت عقائد (غلاة التصرف) ؛ و (الحروفية) ، و (الدروز) ، والاغاخانية والكشفية والبابية ، والبهائية ... في أزمنة مختلفة ، واشكال متنوعة ...

وأصل عقيدتهم تسليم القياد للاشخاص بحيث يعدونهم تارة آلهة ، وأخرى أئمة أودعاة ، اودعاة الدعاة وهكذا ... فيتمسكون بالاشخاص تمسكا ليس وراءه حد...

وقد تكلم كثيرون عن عقائدهم ، وأظهروا بعض ما ابطنوا منها ، ولا تزال المجاهيل عديدة ، وأشتهر من كتبهم (رسائل اخوان الصفا) ، وكتب ، (ناصر خسرو) ، وفي كتب الملل والنحلل بيانات كثيرة عن عقائدهم ، وفي (كتاب الفرق) وعندي مخطوط منه تفصيل كثير عن عقائدهم ، وطريق دعوتهم ، ومؤلفه أبو محمد لا نعرف عنه اكثر من انه يمان ، مجاورلهم ، اطلع على مؤلفاتهم ونقل عنها عازيا كل قول لصاحبه ...

وعند استئصال هذه الفرقة من قبل هلاكو خان طلب علاء الدين الجويني من هلاكو حينما كان في (لمسر) (١) أن يطلع على مكتبتهم المشهورة في بلدة (الموت) فوافق وحينئذ ذهب اليها وأخرج منها المصاحف والكتب النفسية ، والكراسي وكتاب الحلق ، والاسطرلابات وغيرها فانتقاها من بين كتبهم ، وحرق الباقي مما يتعلق بضلالاتهم مما لا يستند الى معقول او منقول ... حكي ذلك كله الجويني ونشر لهم ملخص مايسمي عندهم بـ (سيرة سيدنا) (سركذشت سيدنا) في مناقب الحسن ابن الصباح مؤسس حكومة الملاحدة ، ذكر ذلك في الجلد الثالث من كتابه (جهان كشا) ، ثم بسط القول اكثر الخواجه رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ في المجلد الثاني منه ...

ولا تزال كتب الاسماعيلية موجودة في الهند واليمن . وقد عثرنا مؤخراً على رسالة منظومة فى عقائدهم تسمى (سمط الحقائق) للداعي على بن حنظلة بن ابي سالم ...

وعلى كل ما زالت ولا تزال النشرات عنهم متوالية ...

توغل هلاكو خاد فى فتوحه:

وفي شوال سنة ٦٥٤ هـ كان توجه هلاكو نحو مدينة طالقان ، ومنها توجه

«١» في جامع التواريخ « لمبسر » .

نحو قهستان .

وفي ربيع الاول سنة ٦٥٥ هـ اتم هلاكو خان أمر الملاحدة وتوجه من قزوين الى همذان وحينئذ وصله القائد بايجونويان من حدود آذربيجان . فعاتبه هلاكو خان وقال اني لولا كثرة الجيوش ووعورة الطرق لافتتحت بغداد . وأنقذتها من أيدي الكفار (يقصد الخلفاء) . ثم ذهب بايجو نحو الروم وحارب الأمير غياث الدين بن علاء الدين في مكان يسمي كوسه داغ فكان المنتصر .

اما هلاكو خان فانه مع سائر امراء الجيش أخذ يهيىء العدد في صحراء همذان بقرب كردستان ويستعد للكفاح .

وفي هذه الاثناء سير السلطان عز الدين رسولا الى خدمة هلاكو خان شاكيا على بايجونويان انه ازاحه من ملكه فأمر هلاكو خان ان يقتسم الممالك هو واخوه ركن الدين ...

ثم خرج بايجونويان من حدود الروم طالباً العراق . ولما وصلوا ملطية خرج اهلها الى خدمة بايجونويان بانواع الهدايا (الترغو) (١) والتحف ...

توجه هلاكو تلقاء بغداد

توجه هلاكو على بغداد — تردد الرسل :

في ٩ ربيع الآخر سنة ٦٥٥ هـ ١٢٥٧ م وصل هلاكو خان الى دينور قاصداً بغداد ومن هناك رجع الى همذان في ١٢ رجب من تلك السنة . وفي ١٠ رمضان أرسل رسولا الى الخليفة مزوداً بالتهديدات والوعيد ومعاتبا له في عدم نصرته له في حرب الملاحدة (الاسماعيلية) قائلا :

---

(١) تلفظ تورغو ايضاً وتعني النفائس والاقمشة الثمينة كما مر .

— « كلما استنجدت بك اعتذرت ولم تبعث لنا مدداً مع أنك من عائلة قديمة وسلالة نبيلة . اما سمعت باننا من ظهور جنگز خان الى يومنا هذا قد أصبنا العالم ما أصبناه بجيشنا المغولي والحقنا بالاسرة الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والاتابكية وغيرهم ما الحقنا مع ما كانوا عليه من الكبرياء والعظمة والمقدرة ... اما رأيتم مانالهم الآن من الذل والهوان ...

ولم تكن بغداد في يوم مسدودة على هؤلاء الامراء . وانما كانت مفتحة الابواب لهم . فكيف تكون مغلقة في وجوهنا وموصدة عنا مع مالنا من الحول والسلطة والعظمة ...

اننا نحذرك مغبة المناوأة والعداء وأن تتقي الحرب والا تضرب ... فالشمس لاتستر بغربال ... هذا وقد مضى مامضى فعليك أن تهدم القلاع وتطم الخنادق وتسلم البلدة والممالك الى أحد اولادي ، وان تتوجه لملاقاتنا ، واذا صعب عليك المجيء فأرسل الينا الوزير وسليمان شاه والدواتدار ليأخذوا العهد منا و يوصلوه اليك بلا زيادة ولا نقصان .

واذا لم تفعل ذلك ولم تراع ما انطوى عليه هذا الكتاب فتأهب للقتال واستعد للنضال وجهز جيشك وعين جبهة القتال . فانا متهيئون للكفاح ، ومستأنسون به ...

فاذا جهزت العساكر وغضبت عليك فاعلم انك لاتنجو مني ولو صعدت الى السماء او اختفيت في باطن الأرض فلا واقي لك ... وان اردت ان تبقى رئيساً لاسرتك القديمة النبيلة فاسمع نصيحتي ... والا فسنرى مايريد الله بنا و بكم . » انتهى

هذا وكان ايام محاصرته قلاع الملاحدة قد سير رسولا الى الخليفة المستعصم يطلب منه نجدة — كما اشار في هذا الكتاب — فاراد الخليفة أن يسير اليه فلم

يمكنه الامراء وقالوا :

— ان هلاكو رجل صاحب احتيال وخديعة . وليس محتاجاً الى نجدتنا . وانما غرضه اخلاء بغداد من الرجال ليملكها بسهولة ...

فتقاعد الخليفة بسبب ذلك من ارسال الرجال . ولما فتح هلاكو تلك القلاع ارسل رسولا آخر الى الخليفة وعاتبه على أهماله تسيير النجدة بكتابه المدون اعلاه فوصل الرسل الى بغداد وانذروا الخليفة وحينئذ شاور الوزير فيما يجب أن يفعلوه فقال :

— لاوجه لارضاء هذا الملك الجبار الا ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه . . .

وعندما أخذوا في تجهيز مايسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب والذهب والفضة والمماليك والجواري والخيل والبغال والجمال قال الدويدار الصغير واصحابه:

— ان الوزير انما يدبر شأن نفسه مع التتار وهو يروم تسليمنا اليهم . فلا نمكنه من ذلك !!

وحينئذ أبطل الخليفة تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نزر لاقيمة له وارسله مع شرف الدين عبد الله ابن استاذ الدار محي الدين يوسف ابن الجوزي وكان رجلا فصيحاً وجعل صحبته جماعة سيرهم مع رسل هلاكو ، وزود الخليفة رسله بجواب الى هلاكو وهو :

— ايها الولد الغر الذي لم يبلغ الحلم أظن أنك تريد ان تذهب بحياتك وتتطلب قصر الأجل ، تتخيل ان اقبال الأيام ومساعدة الظروف تدوم لك ، كانك تحاول ان تسيطر على العالم ، وتحسب أن أمرك قضاء مبرم ، وارادتك حكم محتم ، فأراك تطمع بمالا يتيسر ... !

اما تعلم ان اهل المشرق والمغرب من غني وفقير وشيخ وشاب ممن يدينون بدين الله يذعنون لي بالطاعة ، واذا اشرت عليهم ان يجمعوا شملهم فعلوا واستولوا على ايران وتوجهوا من هناك الى توران فاكتسحوا ممالككم الا أني لا ارغب في ايجاد البغضاء ولا أود أذى الخلق فلا احب أن يفتح لسان الورى من هيبة جيوشي ورهبتهم بتحسين او استياء ... !!

وأنت لو كنت تزرع بذر المحبة والسلم في قلبك لما كنت تكلفنا بهدم القلاع وطم الخنادق .

والحاصل أدعوك ان ترجع الى خراسان ! والا فان جيشنا كبير يحجب غبار خيله نور الشمس . » انتهى .

وارسل معهم بعض الهدايا والتحف كما تقدم .

ولما صار رسل هلاكو خارج بغداد كانت الصحراء مملوءة من عوام الناس واخذوا يسبون الرسل و يظهرون السفه . وكانوا يأخذون بأثواب الرسل و يمزقونها ويشتمونهم و يتفوهون بما يؤذونهم به ... فلما علم الوزير بذلك أرسل من يفرقون هؤلاء السفهاء عنهم .

وحين ماوصل الرسل الى هلاكو عرضوا عليه ما شاهدوه وما نالهم فغضب هلاكو وقال :

— تبين ان الخليفة ليس له كفاءة . فاذا ساعدني الله وامدني بمدد منه فسأقوم معوجه !! .

ثم وصل رسل الخليفة الى هلاكو عقيب ذلك وهم ابن الجوزي المذكور و بدر الدين وزنكي و بلغوا الرسالة فغضب هلاكو من كلمات الخليفة وقال في نفسه :

— يظهر ان الله بريد السوء بهؤلاء القوم !

واذن هلاكو بانصراف رسل الخليفة وقال لهم :

— ان الخالق القديم منذ نشر لواء جنكز وهبنا وجه الأرض من الشرق الى الغرب فكل من كان مخلصاً لنا حفظ ماله وأهله وأولاده ونجا من مخالب الموت ومن خالفنا فليس له أمان ولا أمن .

وأخذ يعاتب الخليفة وكتب له :

— أن حب الجاه والمال والغرور قد أثر ببصيرتك بحيث لم تسمع نصائح المصلحين ومريدي الخير ولم تعد تسمع أذناك كلام المشفقين فانحرفت عن طريق آبائك وأجدادك فعليك أن تستعد للقتال فاني سائر عليكم نحو بغداد بجيوش عدد النمل والجراد . واذا تبدلت الأحوال فذاك لله ... !

وفي سنة ٦٥٥ هـ تجاوز هلاكو حدود همذان بجيوشه الكثيرة ...

ولما وافى رسل بغداد بعد ما أدوا الرسالة الى الخليفة وقرروا ماقاله هلاكو برمته وعرضوها على الخليفة استطلع الخليفة رأى وزيره وامرائه في دفع هذا الخصم القاهر ، والعدو القادر فقال له الوزير :

— ان ساعدي الخصم لاتغلان الا ببذل المال ، والنصرة على الاعداء لاتحصل الا بالصرف ، لان المال انما يدخر لوقاية العز والشرف . فعلينا أن نرسل اليهم الف حمل من الأموال النفيسة محمولة على الف من كرائم الأبل والف حصان عربي نجيب وان نقدمها مع موسيقى تعزف أمامها ، وان نبعث للأمراء لكل منهم تحفاً وهدايا تليق بمقامهم ...

وهذه تقدم مع رسل دهاة كفاة وأن نعتذر عما بدر وأن تقرأ الخطب ، وتضرب النقود باسمه . » انتهى .

فقبل الخليفة رأى الوزير . ثم أمر بتنفيذ ما ذكره الوزير ، وكان بين مجاهد

الدين ايبك و يسمى الدواتدار الصغير و بين الوزير عداوة مستحكمة وكدورة قديمة (١) فانتهز الدواتدار الفرصة للفتك بالوزير فذهب الى الخليفة ومعه الامراء وذوو الاغراض وقالوا : أن رأي الوزير وتدبيره ناشيء عن مصلحة شخصية و يريد بذلك ان يحبب نفسه الى هلاكو ليفتك بنا و بجيشنا فيوقعنا بمحن . فيجب أن نرسل الجيش ونستعد للنضال ..

فخدع الخليفة بهذه الكلمات وعدل عن رأيه بحمل الاموال وقال لا خوف من المستقبل . لان بيني و بين هلاكو خان واخيه منكو قا آن روابط ودية ومحبة صميمية لا عداوة ونفرة . وحيث انى أحبهم فلا شك انهم يحبونني و يميلون الي وأحسب ان الرسل قد بلغوني عنهم كذبا . واذا ظهر خلاف فلا خشية منه . لان كل الملوك والسلاطين على وجه الارض بمنزلة جنود لنا فهم مطيعون ومنقادون فلا خوف من تهديد المغول ووعيدهم ولو انهم ممتعون بقوة وشوكة ... فهم بالنسبة للعباسيين لا أهمية لهم ...

فاضطرب الوزير من هذه الكلمات وأيقن بالوبال عليهم وعلى الخلافة . وكان يرى انقراض الخلافة وسقوط العباسيين في وزارته صعبا عليه وهو يراه مجسما في ذهنه ومخيلته وكان يتألم جداً من هذه الاحوال فهو كالملدوغ فلم يدخر وسعاً من السير الحثيث والتدبير الصائب لسلامة هذه العائلة (٢) ...

وكان أعاظم بغداد كسليمان شاه بن برجم وفتح الدين ابن كره ومجاهد الدين الدواتدار الصغير ... قد اجتمعوا عند الوزير وفتحوا السنتهم بالطعن على الخليفة ،

«١» كان الوزير من المتهمين في ان الدواتدار الصغير دبر خلع الخليفة ، وغيره اتهم بذلك ايضا وقد فصل ابن الفوطي هذا الحادث في سنة ٦٥٣ هـ .
«٢» جامع التواريخ

وقالوا انه مولع بالمطر بين ومنهمك باللهو و يبغض العسكريين وأمراء الجيش ...

قال سليمان شاه : ان الخليفة اذا لم يقدم على دفع العدو ولم يبادر الى رتق الخلل فلا يؤمل أن يجلب خواطر الناس اليه ، وعما قريب نرى الجيش المغولي مسلطا على بغداد لا يرحم احداً كما فعل بسائر البلاد وفتك باهلهـا وهتك الحرمات وتجاوز على عصمة المخدرات ... ولما لم يستول المغول على كافة المواطن فاننا نتمكن من مهاجمتهم ليلاومداهمتهم على حين غرة خصوصاً أنهم لم يضيقوا علينا بعد ولم يحصرونا من كل جانب ... فلو جمعنا جيشا وفتكنا بهم ليلا وعلى غفلة لا ستطعنا تفريق شملهم . واذا وقع خلاف ذلك فنكون قد أدينا الواجب في المقاومـة والدفاع لآخر نفس .

فلما سمع الخليفة بذلك قال : ان رأي سليمان شاه وتدبيره مصيب فاستعرضوا الجيوش حسبما قرره ... ! لأراهم وابذل لهم ما يحتاجون .

اما الوزير فانه يعلم ان الخليفة لا يبذل المال ولـكنه لا يظهر ذلك خشية من اعدائـه وقال لرئيس الاستعراض (التجهيزات) أن يجهز الجيش تدريجا ليذاع صيت تجمعهم في القريب والبعيد من الاماكن وليتشجع في البذل ولئلا يحصل فتور في قصده وارادته .

و بعد خمسة أشهر أعلم رئيس التجهيزات الوزير بانه جمع فرقا عظيمـة وجيوشا كثيرة ، وانهم يحتاجون الى المال من الذهب والفضة فعرض الوزير ذلك على الخليفة فاعتذر

وحينئذ يئس الوزير من مواعيده تماما ورضي بالقضاء ووجه عيون الانتظار الى أبواب الاصطبار ... ؟

وكانت العلاقة لا تزال سيئة في هذه الفترة بين الدواتدار والوزير فاخذ اراذل

البلد والاوباش المشايعين للدواتدار يشيعون على افواه الناس ان الوزير متفق مع هلاكوخان ويريد نصرته وخذلان الخليفة فارسل الخليفة الى هلاكوخان قليلا من التحف والهدايا مع بدر الدين وزنكي والقاضي البندنيجي وبلغهم ان يقولوا لهلاكو:

— اننا مع علمنا ان هلاكو لا يقصد لنا السوء ولكنه يسأل من الواقفين على الاحوال بان ما من ملوك وسلاطين قصدو السلالة العباسية ودار السلام الا كانت عاقبتهم وخيمة مع ما كان لهم من الصلابة والقوة ، لأن بناء هذا البيت محكم للغاية وسيبقى أبد الدهر ، وان يعقوب الصفاري قصد الخليفة بجيش عظيم وتوجه الى بغداد ولم يصل الى غرضه فابتلي بوجع البطن وقبل ان يتحقق غرضه مات من الوجع المذكور وكذا أخوه عمرو عزم على الوقيعة بالخليفة فالقي القبض عليه اسماعيل بن احمد الساماني وسجنه وأرسله الى بغداد ليرى جزاء ما كسبت يداه. وكذا البصاصيري (١) توجه الى بغداد ومعه جيش لجب من مصر فوصلها والقى القبض على الخليفة وحبسه في الحديثة وأمر الناس ان يخطبوا باسم المستنصر (أحد خلفاء الاسماعيلية بمصر) (٢) وتضرب النقود باسمه. فاطلع طغرل بيك السلجوقى على ذلك وتوجه بعسكر جرار من خراسان لنصرة الخليفة فنكل به وأخرج الخليفة من الحبس واجلسه على مقر خلافته ، وكذلك السلطان محمد السلجوقي قصد ايضا بغداد فانهزم في اثناء الطريق كما ان السلطان محمداً خوارزمشاه عزم على ابادة هذا البيت بجيش عظيم ومن اثر غضب الله نزل عليهم امطاراً غزيرة وصواعق فرجع

«١» البساسيري . «٢» هؤلاء لايفترقون كثيراً عن اسماعيلية خراسان المعروفين بالملاحدة ولعل بينهما فروقاً لانستطيع ادراكها . . وكتاب الفرق المذكور يتكلم عن هؤلاء وكذا «سمط الحقائق» . . . .

خائبا خاسئا بعدان هلك اكثر جيوشه ورأى جزاء أعماله من جدك جنگز خان في جزيرة (آبسكون)

لذا كان قصدكم هذا البيت ليس من مصلحتكم فاعتبر بهذا الزمان الغدار » انتهى .

فغضب هلاكو من هذه الكلمات غضبا شديداً وأرجع الرسل من حيث اتوا ، وعلى كل حال لا يرى هلاكو قمية للبيت العباسي ولا يعرض له شأنا ، وان الوقائع أمثال هذه كان لها عوامل وأسباب لم تقترن بنتيجة لا أن تولد اعتقاداً مثل هذا خصوصاً في من يعتقد ان الخلفاء كفار . فلا يصد جيش العدو الا بمثله ولا يقارع بالبيان واللسان . فالحجة للقواضب وللعدة الكافية الكافلة ...

ومع هذا نرى النقول جاءتنا من رجال المغول وكتابهم ... والاقلام بيد اعداء الخلافة العربية يكتبون بها ما شاؤا ...

وكل هذه الاقوال مصروفة لتبرئة ساحة الوزير و بيان الوضع السيء للخليفة باسناد كل خرق له ...

تدابير هلاكو للزحف على بغداد :

ان هلاكو حينما رجع رسل الخليفة أخذ يوجس خيفة على نفسه من كثرة جيوش بغداد . ثم أمر بتجهيز الجيوش والتأهب بنية ان يستولي اولا على اطراف بغداد ونواحيها ليسهل عليه دخولها في يده نظراً للاستحكامات المنيعة التي كانت تعترضه في طريقه .

وعليه أرسل الى حسام الدين عكة . وكان هذا حاكما على درتنك (١) ونواحيها

«١» ودرتنك كانت أيام الخلافة وما بعدها تعد من الوية بغداد واحتفظت بذلك الى ايام سلطان سليمان القانوني ، وبعدها ... واليوم بيد ايران ...

من قبل الخليفة وكان متأملا من الخليفة فلبى دعوة هلا كو بلا تردد ففوض ما تحت يده من الممالك الى ابنه أمير سعد وذهب بنفسه لخدمة هلا كو فرأى منه كل عطف ولطف فأمره بالرجوع وجعل تحت تصرفه نواحي اخرى مثل دز و روده ، ودزمرج ، ونواحي أخرى .

سخر هذا دزاً وأطاعه الدزيون وانقادوا له . ولما رأى انه نال ما كان يأمله بالأمس وأجتمع تحت امرته جيوش سليمان شاه وقبلوا طاعته أخذه الكبر والغرور (كذا في خواجه رشيد الدين) وأرسل الي حاكم اربيل تاج الدين محمد ابن صلايا العلوي وقال له اني زرت هلا كوخان واطلعت على كفاءته وكياسته . واني رأيته رجلا مهيباً وذا انفة . ولكن لم أخش سطوته وليس هو ذا قدر ومنزلة في نظري فان الخليفة اكرمني وشجعني وأرسل الي جيشا لتأييدي ونصرتي فانا ايضا اتمكن ان ابرز جيشا من الكرد والتركمان ما يقرب من مائة الف مقاتل واسد الطرق في وجه هلا كو وعساكره ولا يستطيع مخلوق حينئذاك من دخول بغداد .

وعلى هذا أعلم حاكم أربيل ذلك للوزير فعرض هذا الامر الى الخليفة فلم يلتفت الخليفة اليه فوصل الخبر الى مسامع هلا كو وثار ثائره وزاد حنقه وأمر باعزام قائد الجيش كيتو بوقانويان بثلاثين الف مقاتل للتنكيل بهم .

ولما تقدم الجيش المغولي الى تلك النواحي ارسل القائد الى حسام الدين يخبره انهم متوجهون الى بغداد ويحتاجون الى مشورته ولم يدر انها خدعة وحيلة للوقيعة به فعزم على الذهاب بلا تدبر ولا تفكر . فجاء اليهم فامره القائد بان يخرج زوجته واسرته وأولاده وسائر متعلقاته وعساكره... ان كان يريد النجاة وأن يعرضوا انفسهم امامه للاحصاء ليقرر لهم الرواتب طبق عددهم .

فلم ير بداً من الامتثال وحينئذ اخرج هؤلاء فقال له القائد انك ان تخلص لنا

وتكون في صفاء مع السلطان هلاكو خان فعليك ان تأمر اصحابك بهدم القلاع والحصون ليتحقق لنا حسن نيتك ... فأحس حسام الدين بانهم اطلعوا على منوياته (مذاكرته مع الخليفة والمكاتبات معه) فيئس من حياته وامر الاصحاب بهدم القلاع .

و بعد ان امتثلهم فيما أمروه قتلوه واصحابه الا ابنه أمير سعد الذي امتنع عن طاعتهم وكان متحصناً في القلعة مع اعوانه فأنذروه بالتهديد فلم يجب لذلك وقال :

— انكم اناس لا وثوق بمواعيدكم ولا اعتماد عليكم . وما مواعيدكم الا دسائس وحيل .

و بقي متواريا في الجبال والوديان ثم ذهب الى بغداد فلقى حين قدومه اكراما من صاحب الديوان . واقام بها الى ان قتل في الحرب .

ثم رجع القائد كيتو بوقا نويان ثملا بخمرة النصر وجاء الى هلاكو خان وهذا الذي اوقعوا به هو حسام الدين خليل بن بدر الكردي الوارد ذكره في حوادث سنة ٦٥٣ هـ من ابن الفوطي الا انه بينهما تخالف وما جاء في جامع التواريخ يفصل الوقعة ، والشخص واحد ، و بعض العبارات تتفق تماماً ... (١)

وكان هلاكو يستشير اركان دولته وأعيان حاشيته عن فتح بغداد . فكل واحد كان يبدي رأيه حسب اعتقاده فطلب حضور حسام الدين المنجم الذي كان مصاحباً لهلاكو خان بأمر القاآن . وهذا لم يقدم على امر ما الا برأيه ومشورته فقال له :

— بين لنا رأيك بلا تردد ولا مداهنة فيما تراه من الحوادث الدالة على وقوع ذلك استطلاعا من سير الكواكب ومطالع النجوم فقال له المنجم بلا تردد ولا خوف :

«١» جامع التواريخ ج ٢ ص ٢٠٤

— اني لاارى من المصلحة أن تقصد الخلافة العباسية وان تدفع بجيشك الى بغداد اذ مامن ملك مقتدر وسلطان قاهر أراد سوءاً بالعباسيين بقصد الاستيلاء على بغداد الا كان نصيبه الخيبة والخذلان وانسلاب الملك من يده وانقطاع حياته. واذا لم يسمع الملك بما نصحته وقصد بغداد واساء على العباسيين فسيقع من عمله هذا ست حوادث :

١ — هلاك الدواب والحيوانات ومرض الجنود .

٢ — لاتطلع الشمس من مشرقها.

٣ — تقطع الامطار .

٤ — تهب ريح صرصر او عاصفة شديدة و يقع زلزال يخرب العالم .

٥ — لا تنبت الارض نباتاً .

٦ — يموت في تلك سلطان عظيم .

فطلب هلاكو منه ادلة قاطعة وحجج دامغة و براهين ساطعة ياتى بها اثباتا لما بينه فعجز عن ذلك .

ثم اخذ الامراء وقواد الجيوش يحثون هلاكو بالمسير و يقوون عزمه و يقولون له : ان توجهنا الى بغداد عين الصلاح والصواب .

وحينئذ أمر أن يحضر الخواجه نصير الدين الطوسي فاستطلع رأيه في القضية فتوهم الخواجه أن هذا الطلب على سبيل الأمتحان له فقال مبدياً رأيه بان مابينه حسام الدين المنجم غير صحيح ولا تقع حادثة ما . فقال هلاكو : فما ذا يكون ؟ قال له :

— انما تكون أنت خليفة بمكانه .

ثم أمر هلاكو باجتماع المنجمين المذكورين فقال الخواجه :

— اتفق جمهور علماء الاسلام بان اكثر الصحابة قتلوا ولم يقع فساد في الكون. وإذا قالوا أن هذه الحوادث سوف تقع لأجل العباسيين ومن خصائصهم فان طاهراً قد ذهب بأمر المأمون من خراسان وقتل أخاه محمداً الامين ، وان المتوكل قد قتل بتحريك من أبنه أو ان ابن المتوكل اتفق مع الامراء وقتل أباه ، وان المنتصر والمعتز قتلا من قبل الحراس والحجاب بتحريك من الامراء ... وقد قتل من الخلفاء عدد كثير ولم يقع خلل في الكون .

الزحف على بغداد :

ثم انه بعد الاطلاع على ماتقدم وسماع الأقوال وتدبرها من قبل هلاكو استعد للزحف وعزم عزما جازما لفتحها وجيش جيوشاً من الأطراف والجوانب. وأمر بعض القطعات المغولية المرابطة في جهة الروم التي كانت تحت قيادة جرماغون وبايجو نويان(١) ان تسير على ميمنته من أطراف أربيل وتتوجه نحو مدينة الموصل وتعبر جسرها وتعسكر في الجانب الغربي من بغداد وعين لمسيرهم الى غربي بغداد وقتاً معيناً يصادف وقت مجيء الرايات المغولية من المشرق وامر ايضاً قواداً آخرين من المغلول ان يسيروا الى ميمنته وهم: (بلغا بن شيبان بن جوجي) ، و (توتار بن سنقور بن جوجي) ، و (قولي بن اورده بن جوجي) ، و (سونجاق نويان) (٢) ، و (بوقا تيمور نويان) ، وامر (كيتو بوقا نويان) و (قدسون) و (نرك ايلكا) أن يسيروا على الميسرة من حدود لورستان و بيات وتكريت وخوزستان وكانت جبهتهم ممتدة الى سواحل عمان . (٣)

ثم توجه هلاكو خان من أرياف همدان ووضع على رأسه التاج المغولي المسمى

«١» ورد في تاريخ الفخري بلفظ « باجو » «٢» ورد في الحوادث الجامعة بلفظ سوغو نجاق وكذا في جامع التواريخ . «٣» الظاهر عبادان .

[قباق (١) نويان] ويعني (تاج القيادة) أو (تاج الامارة) .

وفي أواخر المحرم لسنة ٦٥٥ توجه ومعه جيش عظيم وسار من طريق كرمنشاه وحلوان وبرفقته من أعاظم الامراء :

كوكا ايلكا ، وارقتو ، وارغون اغا ، وقراتاي بتيكجي (٢) (بمعنى كاتب) ، وسيف الدين بتيكجي.

وكانوا من مدبري مملكته . وكذا كان معه الخواجه نصير الدين الطوسي والصاحب علاء الدين عطا ملك مع أعاظم ايران وكتابها .

ولما وصلوا الى أسد آباد أرسل ايضاً رسولا الى الخليفة يبلغه لزوم حضوره الى هلا كو خان . وجاءهم ايضاً من بغداد الى دينور ابن الجوزي للمرة الأخرى حاملا كتاب الخليفة ممزوجا بالوعد والوعيد والتضرع والالتماس طالباً رجوع هلا كو خان مع جيشه وانصرافه عن التوجه الى بغداد مبيناً انقياد الخليفة لما يقرره هلا كو وما يطلب ارساله من المال في كل سنة الى خزانة هلا كو .

تدبر هلا كو في الامر وظن ان الخليفة ينوي بهذا أن يرجع مع جيشه ليستعد هو ويكتب للأطراف فقال :

— نظراً لقطعنا المسافات البعيدة لايسعنا أن نرجع بلا ملاقاة الخليفة ومواجهته. ثم بعد الحضور والمشافهة نرجع باجازته .

ومن هناك توغلوا في جبال كردستان .

«١» قباق مايلبس في الرأس ونويان يراد بها القائد ، أو الامير « الشهزادة » ، وما جاء في جامع التواريخ بلفظ قياق بالياء فغير صحيح . «٢» وهو بتقديم التاء على الياء بخلاف ماجاء في جامع التواريخ « راجع : لغة جغتاي ص ٧٤ » .

وفي ٢٧ من الشهر المذكور نزل في كرمانشاه (١) فتطاولت أيديهم بالسلب والغارة للأطراف ...

ثم أمر هلاكو باحضار الامراء (الشهزادية)وسونجاق و بايجونويان وسونتاي على وجه السرعة وأن يصلوا اليه قرب طاق كسرى ، فالقوا القبض على (ايبك الحلبي) و (سيف الدين قلچ) وأتوا بهما الى هلاكو فعفا هلاكو عن ايبك وتعهد هذا أن يعرض له الأمر على وجه الصحة . ثم عينه هلاكو خان ضابطاً ليزك المغول(٢) .

وفي الحوادث الجامعة : «سارالسلطان حينئذ نحو بغداد ، وامر الامير سوغونجاق أن يسير بقطعة من الجيوش على اربل ، و يعبر دجلة ففعل وسار السلطان في باقي الجيوش . فلما بلغ الخليفة مسيره أمر الدويدار أن يخرج من بغداد بالعساكر فخرج ونزل قريباً من بعقوبا . فلما بلغه وصول سوغو نجاق و بايجو عبر دجلة ونزل حيال حربى ، وأرسل أميراً يعرف بايبك الحلبي في مقدمته فمضى واتصل ببايجو واقبل بين يدي العسكر يعرفهم الطرق و يهديهم . » اه (٣)

ثم أنعم هلاكو على الأمراء وأمرهم أن يعبروا دجلة و يتوجهوا نحو غربي بغداد . وكانت لهم عادة أن يحرقوا الصوف الذي في كتف الأغنام فاحرقوه وعبروا دجلة وتوجهوا نحو غربي بغداد .

وكانت جيوش بغداد معسكرة في تلك الجهة تحت قيادة قراسنقور القبجاقي ولما كان سلطان جوق (٤) من الخوارزميين بمعية المغول (في يزكهم) وهو في خـدمة هلاكو أرسل رسالة الى قراسنقور (٥) يخبره باننا واياكم من جلدة واحدة وقوم

«١» تلفظ عند الايرانيين كرمان شاهان والعرب يقولون قرمسين واليوم شائعة « كرمنشاه » على لسان العموم . «٢» جامع التواريخ . «٣» ابن الفوطي حوادث سنة ٦٥٥ هـ-٤٠» وفي موطن آخر ورد بلفظ« سلطان جون» «٥» جاء في اكثر الكتب العربية « قراسنقر »

واحد ونحن بعد الدفاع الكثير عجزنا واضطررنا الى طاعة هلاكو والآن نحن في خدمته وهو يحسن الينا . وأنتم ايضاً ارأفوا بأرواحكم واشفقوا على أولادكم واطيعوا المغول حتى تكونوا في مأمن منهم على أنفسكم واموالكم واولادكم . فاجابهم قراسنقور :

—ان المغول أعجز من أن يتمكنوا من الفتك بالبيت العباسي . لأن هذا البيت رأى أمثال جنكز خان كثيراً . فاساسه أحكم من أن يمسه جنكز واتباعه بسوء ولا يتزلزل لكل عاصفة مهما كانت شديدة . وهم منذ اكثر من خمسمائة سنة يحكمون كابراً عن كابر . وكل من قصدهم بسوء نال جزاءه ، ولا يأمن سطوات الدهر.

ولما كنت تكلفني بالطاعة لدولة المغول الحديثة العهد فقولكم هذا بعيد عن الكياسة . ومن لوازم القرابة والصداقة انكم لما رأيتم هلاكو خان فتح قلاع الملاحدة ان تصدوه وترجعوه الى الري وترجعوا الى مواطنكم تركستان وخراسان .

فالخليفة متألم من تطاول هلاكو خان . وان هلاكو خان اذا كان ندم عن فعله وجب عليه أن يرجع بجيشه الى همدان حتى يتشفع الدواتدار له عند الخليفة ليعفو عن هلاكو ويقبل الصلح فيسد باب القتال والجدال .

وهذا الكتاب قدمه (سلطان جوق) الى هلاكو خان .

وحينما اطلع هلاكو على مضمون هذا الكتاب ضحك بسخرية وقال :

— ان قوتي وعظمتي نتيجة فعلي وارادتي ولم تكن بدرهم ولا دينار . واذا يسر الله نصرتي وأعانني فلا أخشى من الخليفة وجيشه .

ثم انه أرسل رسولا آخر يبلغ الخليفة انه يدعوه بالحضور اليه قبل سليمان شاه والدواتدار حتى يسمع نصيحته . وتوجه في اليوم التالي الى اطراف نهر حلوان . فاقام هناك من ٩ ذي الحجة الى ٢٢ منه وفي تلك الاثناء ورد اليه كيتو بوقا نويان

آتياً من لورستان وكان قد استولى على الكثير منها طوعاً وكرهاً . وفي ٩ المحرم سنة ٦٥٦ هـ توجه بايجو نويان و بوقا تيمور وسونجاق على الموعد من طريق دجيل فعبروا دجلة ومنها مضوا حتى وافوا الى حدود نهر عيسى .

وقد التمس سونجاق نويان من بايجو أن يكون في مقدمة العسكر المتوجه الى غربي بغداد فوافق وسار مع جيشه ووصل الى حربي (١) . وكان مجاهد الدين ايبك الدواتدار قائد جيش الخليفة هناك مع فتح الدين بن كر القائد وعسكروا بين بعقوبة وباجسرى . ولما سمعوا بوصول المغول الى غربي بغداد غيروا وجهتهم وساروا من دجلة الى حدود الأنبار على ابواب قصر المنصور في صدر المزرقة و يبعد تسع ساعات عن بغداد ورتبوا صفوفهم واستعرضوا الجيوش مع عساكر سونجاق نويان و بوقا تيمور اما جيش المغول فانه عطف عن المصاف وانحاز الى نهر بشير من بز الدجيل فرأوا بايجو واتصلوا به فقال لهم ارجعوا . وفي هذا المكان كسروا سدة النهر من هناك ليغرقوا جيش بغداد ولتغمر المياه تلك الصحراء ...

وفي يوم الخميس وقت طلوع الفجر من يوم عاشوراء هاجم بايجو وبوقا تيمور جيوش الدواتدار وابن كر وهزموهم شر هزيمة . وقتل في هذه الحرب قراسنقور وفتح الدين بن كر وهما قواد الجيش مع اثنى عشر الفاً من الجيش . وهؤلاء عدا من غرق في النهر . وانهزم الدواتدار مع جيشه المكسور ووصلوا بغداد . وكان مقدار وافر من الجيش قد انهزم الى نواحي الحلة والكوفة و بقوا متفرقين مدة .

وفي يوم الثلاثاء منتصف المحرم استولى بوقا تيمور و بايجو وسونجاق على الجانب الغربي من بغداد ونزلوا في ساحل دجلة في اطراف البلدة .

«١» جاءت في جامع التواريخ بلفظ حربية وصحيحها ماذكر والعامة عندنا يسمونها « حربة » وهي اطلال وبقربها « جسر حربة » قنطرة لاتزال قائمة .

ووصل في هذه الاثناء من أطراف نخاسية وصرصر القائد كيتو بوقا نويان مع امراء آخرين بجيش عظيم .

وعن هذه جاء في ابن الفوطي :

« ذكرنا في سنة ٥٥ مسير السلطان هلاكو قاآن من بلاده نحو بغداد ، وأنه أمر الامير بايجو بالمسير الى اربل وان يعبر دجلة ويسير الى بغداد من الجانب الغربي ففعل ذلك ، فلما بلغ الخليفة وصوله تقدم الى الدويدار الصغير مجاهد الدين ايبك وجماعة من الامراء بالتوجه الى لقائه ، فعبروا دجلة فلما تجاوزوا قنطرة باب البصرة بفرسخ واحد رأوا عساكر المغول قد اقبلت كالجراد المنتشر فالتقوا واقتتلوا يوم الاربعاء تاسع المحرم ، فانكسرت عساكر المغول قصداً وخديعة ، فتبعهم الدويدار وقتل منهم عدة كثيرة وحمل رؤسهم الى بغداد ، وما زال يتبعهم بقية نهاره فأشار عليه الأمير فتح الدين بن كربان يثبت مكانه ولا يتبعهم ، فلم يصغ اليه ، فادركه الليل وقد تجاوز نهر بشير بنز دجيل فباتوا هناك فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالا شديداً ، فلم يثبت عساكر الدويدار ، فانكسروا وكروا راجعين الى بغداد فوجدوا نهر بشير قد فاض من الليل وملأ الصحراء فعجزت الخيول عن سلوكه ، ووحلت فيه ، فلم يخلص منه الا من كانت فرسه شديدة ، والقى معظم العسكر نفسه في دجلة فهلك منهم خلق كثير ، ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على اقبح صورة ، وتبعهم الامير بايجو وعسكره يقتلون فيهم ، وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم ، ونزلوا بالجانب الغربي ، فشرعوا بالرمي بالنشاب الى الجانب الشرقي ، فكانت سهامهم تصل الدور الشطانية اهـ (١)

اما هلاكو فقد توجه من خانقين الى بغداد ونزل في شرقيها في ١١ المحرم سنة

«١» الحوادث الجامعة سنة ٦٥٦ هـ ومثله في الفخري

٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وكان العسكر المغولي منتشراً في اطراف بغداد كالجراد وقد توغل في هذه الانحاء ونصبوا المنجنيقات حوالي بغداد .

وفي يوم الثلاثاء ٢٢ المحرم ابتدأوا بالحرب واشتبكوا في القتال ، وكان جيش هلاكو قد اتخذ مقره وسار هلاكو من (طريق خراسان) من نواحي الخالص متوجها على ميسرة المدينة وهدفه (برج العجمي) (١) . وكان هدف ايلكو نويان ، نحو باب كلواذي ، وقولى ، وبلغا ، وتوتار ، وشيرامون ، وارقيو ، كانت وجهتهم وسط المدينة باب سوق السلطان (الباب الوسطاني) .

وبوقا تيمور متوجه من أطراف القلعة من جانب القبلة في موضع دولاب . وتوجه بقل وبايجو وسونجاق من جانب غربي بغداد نحو البيمارستان العضدي .

وكان هؤلاء قد اشتبكوا مشتركا ونصبوا مقابل (برج العجمي) مجانيق متعددة وضعضوا البرج المذكور .

وفي هذه الاثناء أرسل الخليفة الوزير ومعه الجاثليق وقال لهم بلغوا هلاكو بأن الخليفة أوفى بعهده وأرسل لك الوزير الذي اردته قبلا فيكون بعمله هذا قد نفذ امر السلطان فقال هلاكو خان :

— ان هذا قد اشترطته على أبواب همذان حينما كنت هناك . وفي هذا الوقت وصلنا بغداد وتلاطمت الفتن والانقلابات . فلا يسعني أن اكتفي أو اقنع بوصول وزير واحد فأريد أن يأتوا الي ثلاثتهم : الدواتدار وسليمان شاه والوزير فرجع الرسل الى المدينة ودخلوها .

«١» هذا البرج لايزال معروفاً واصله ان الشيخ عبد القادر الكيلاني كان يلزم الخلوة فيه فسمى برج العجمي نسبة اليه ... كما في بهجة الاسرار و « مقام الشيخ » هناك كان معروفاً الى ايام احتلال بغداد على يد الانجليز والآن محله معروف الا انه اندرس وزال بناؤه ...

وفي اليوم التالي توجه الوزير وصاحب الديوان وجماعة من مشاهير البلدة وأعيانها الى هلاكو فخرجوا من بغداد فارجعهم الجيش المغولي . ودامت الحرب ستة ايام متوالية . وأمر السلطان هلاكو أن يرسلوا يرليغات (فرامين سلطانيـــة) الى القضاة والعلماء والشيوخ والعلويين والاعيان (أو التجار) والذين ليسوا معهم في حرب ... يؤمنونهم بها على ارواحهم وشدوا هـــذه الـكـتب بالواح ونشروهـا في انحاء المدينة (رموها) للاعلام بها واعلانها .

ولما لم يكن لديهم احجار للرمى صاروا يجلبون الاحجار من جبل حمرين وجلولاء فصاروا يرمونها بواسطة المنجنيقات في المدينة . وكانوا يقطعون النخيل و يجلعون ذلك مكان الاحجار المرمى .

وفي يوم الجمعة ٢٥ المحرم هدموا (برج العجمي) .

وفي يوم الأثنين ٢٨ منه تقابلت الجيوش قرب (برج العجمي) وأخذ التتـار يستولون على البرج و ينسحب الناس من داخلها . وكذا اشتـد الأمر من جانب سوق السلطان.

ولما كان القائدان بلغا وتوتار اللذين كان هدفهما جانب السوق السلطاني لم يتمكنا بعد من الاستيلاء عليه واقاهما السلطان هلاكو وشد عزمهم بتحريك نخوتهم . وكانوا طول الليل يحاولون الاستيلاء على سور المدينة .

ثم ان هلاكو امرهم ان ينصبوا جسرين احدهما في أعلى بغداد وآخر في اسفلها فاعدوا السفن لها والمجانيق وقطعوا طريق المداين والبصرة . وهؤلاء كانوا تحت قيادة بوقاتيمور ومعه تومان اي فرقة (عشرة الآف من الجيش) فاقاموا على طريق المداين والبصرة . وكان قصدهم من قطع الطريق ان يمنعوا كل من يريد الفرار من بغداد و يحاول الهزيمة .

في هـذا الموقف اشتد الحرب في بغـداد وضاق الامر بالناس وحينئذ اراد الدواتدار ان يركب في سفينة و ينهزم الى جانب السيب . ولما مر من قريـــة (العقابية) (١) أحاطه جيش بوقاتيمور وأخذوا يرمون السفينة بالاحجار والسهام وقوارير النفط بواسطة المنجنيقات واستولوا على ثلاث سفن وأهلكوا من فيها فرجع الدواتدار حينما رأي الفرار صعبا عليه . فاطلع الخليفة على هذه الحالة فيئس من حكومة بغداد وملكها يأسا كليا . لانه لم ير مفراً ولاملجأ لنفسه فقال : ليس لي بد من طاعتهم .

وعلى هذا أرسل الخليفـــة فخر الدين الدمغاني وابن الدرنوس (٢) ومعهما تحف قليلة . لانه حاذر ان يرسل تحفا كثيرة فتدل على خوفه منهم فيحصل بذلك تعنت من العدو وعناد . فلم يلتفت هلاكو الى التحف المرسلة ومن ثم رجعوا خائبين .

وفي يوم الثلاثا ٢٩ المحرم خرج أحـد اولاد الخليفـــة وهو المتوسط منهم ابو الفضائل (الفضل) عبد الرحمن ومعه الوزير وصاحب الديوان وجمع من الاعاظم ومعهم اموال كثيرة فلم يقع ذلك كله موقع القبول من هلاكو خان ...

قرية في الاراضي المعروفة اليوم باراضي العقابية قرب بغداد في الجانب الغربي في اراضي الدورة وقد سميت في جامع التواريخ بقرية العقاب وكذا في الحوادث الجامعة «٢» هو عبدالغني بن الدرنوس ذكره ابن الطقطقي وقال كان حمالا فتوصل في ايام المستنصر حتى صار براجاً في بعض ابراج دار الخليفة فما زال يحسن التوصل الى ولد المستنصر وهو المستعصم وكان في زمن ابيه محبوساً ، فما زال يتعهده بالخدمة الى ان جلس على سرير الخلافة فعرف له حق الخدمة ورتبه متقدم البراجين ثم استحجبه حتى بلغ ان صار اذا دخل الى الوزير ينهض له ويخلي المجلس لعله جاء في مشافهة من عند الخليفة ولقب نجم الدين الخاص ... الخ ص ٣٣ .

وفي سلخ المحرم خرج ابن الخليفة الاكبر والوزير وجمع من المقربين بقصد الرجاء والشفاعة فلم يجد ذلك نفعا . وحينئذ ارسل هلاكو الخواجة نصير الدين وايتيمور بصفتهما رسلا الى الخليفة و بصحبتهما صاحب الديوان فخر الدين الدامغاني وابن الجوزي وابن درنوش وكانوا يقصدون جلب سليمان شاه والدواتدار .

وفي غرة صفر دخلوا بغداد وجاؤا بيرليغ (امر سلطاني) وعهد (پايزه)ليطمئنوهما وقالوا :

— ان الخليفة اذا أراد ان يخرج فليخرج . والا فالرأي له .

وأمر هلاكو الجيش المغولي ان يستقر في أطراف بغداد الى ان يرجع الرسل و يبلغوه النتيجة .

وفي يوم الخميس غرة صفر تمكنوا من اقناع الدواتدار وسليمان شاه فخرجوا بمعيتهم . ولما وصلوا الى المعسكر امرهما ان يرجعا ثانيا و يخرجا متعلقاتهما من بغداد حتي يكونوا في مأمن من الفتك . فلما رأى الاهلون في بغداد ذلك عزموا ان يتبعوهما . وحينئذ أحاط بهم الجيش المغولي وقسموهم الفا ومائة وعشراً الى العسكر وقالوا لهم هؤلاء سهامكم فاقتلوهم فقتلوهم عن آخرهم .

ومن بقي في المدينــة أخــذوا يختفون في الزوايا والتكايا والاماكن غير المنظورة كالثقوب والسواقى والآبار ... ليبعدوا عن الانظار فخرج جماعة من اعيان بغداد وأرادوا نجاة منهم وقالوا ان خلقاً كثيراً يطلب الامان و يظهر الطاعة . وأن الخليفة واولاده سيخرجون فأمهلونا .

وفي هــذه الاثناء أصاب سهم عين أحد اكابر امراء هلاكو وهو (هندوي بتيكجي) فغضب هلاكو خان وسخط على الاهلين فاستعجل في الاستيلاء على

بغداد وأمر الخواجة نصير الدين ان يقف عند باب الحلبة و يؤمن الناس للخروج من هذا الباب فاخذ الناس يخرجون جماعات كثيرة .

وفي يوم الجمعة ثاني صفر قتلوا الدواتدار فاحتال سليمان شاه للخلاص فجمع نحو سبعمائة نسمة من أقاربه وقد حضروا كلهم لدى هلاكو خان مكتفين (مغلولي الايدي) فعاتبه هلاكو خان وقال له : ان لك علما في التنجيم وسير الكواكب وتعلم حالات السعود والنحوس . أما كنت ترى هذا اليوم الأسود ، اليوم الذي تكون عاقبته سيئة عليك فلم لم تنصح مولاك ؟ ! ليبادر لخدمتنا من طريق الصلح !

فقال له سليمان شاه (هو شهاب الدين الأمير ابن برجم) :

— أن الخليفة مستبد ولم يكن رجلا سعيداً (موفقا) ليسمع نصائح المصلحين الذين يريدون له خيراً !!

فأمر بقتلهم واتباعهم تماما . وقتلوا ايضا ابن الدواتدار الكبير وهو الأمير (تاج الدين) ابن علاء الدين الطبرسي وقطعوا رؤوس هؤلاء الثلاثة وسلموها الي الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ فارسلها الى الموصل . فبكي بدر الدين للصداقة بينه و بين سليمان شاه ولكن لم يربداً من تعليق رؤسهم فعلقت حذراً من أن تصيبه نقمة من هلاكو خان .

ثم ان الخليفة لما رأى الأمر قد تضايق عليه من كل الجوانب وانه خرج الأمر من يده دعا الوزير وسأله تدبيراً فاجابه :

يظنون ان الأمر سهل وأنما هو السيف عدت للقاء مضار به

وفي يوم الاحد ٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ خرج الخليفة من بغداد ومعه ابناؤه الثلاثة وهم ابو الفضل عبد الرحمن وأبو العباس واحمد ابو المناقب مبارك مع ثلاثة آلاف

من السادات والائمة والقضاة والاكابر والاعيان فوصلوا الى هلاكو خان فلم يبد هلاكو خان اثراً من الغضب عليهم وأخذ يسأل أحوالهم بكلمات طيبة ثم قال للخليفة :

— مر الناس ان يلقوا السلاح ويخرجوا من المدينة حتى أحصيهم فرجع الخليفة الى المدينة ونادى المنادي بامر الخليفة أن يلقوا السلاح ويخرجوا فالقوا اسلحتهم وأخذوا يخرجون من المدينة . وكان الجيش المغولي يقتلهم عند خروجهم .

ثم أمر ان يخيم الخليفة وأولاده ومتعلقاته محاذيا لباب كلواذى وهو محل معسكر كيتو بوقانويان فنزلوا هناك وعين بعض افراد المغول لحراستهم وكان الخليفة يرى انه سيهلك قطعاً فلم يبق له ارتياب . وكان يأسف على اباثه قبول النصائح (١) ...

احتلال بغداد :

ثم بتاريخ ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ استولى المغول على بغداد ودخلوها وقد مر الكلام على ذلك في اول الكتاب ...

وقد أوقعوا بالاهلين ما لم يخطر ببال ، وقد اتفق المؤرخون في حكاية الحادث وعظم المصاب (٢) ...

وفي يوم الأربعاء ٧ صفر باشر المغول بالقتل العام وسلب الأموال فهجم الجيش المغولي دفعة واحدة وكانوا يحرقون الأخضر واليابس فلم يسلم منهم احد الا البيوت الحقيرة للغرباء والزراع ... فكان الهول عظيما ...

«١» جامع التواريخ وابن العبري وغيرهما ... «٢» ر: ص ٣٧ : ٤٠ من هذا الكتاب

وفي يوم الجمعة ٩ صفر دخل هلا كو المدينة وتوجه الى مقر الخليفة وجلس في الميمنية وامر ان يحضر الامراء واشار باحضار الخليفة وقال له :

— اننا ضيوف وأنت رب المنزل فأت الينا بما يليق لضيافتنا . فزعم الخليفة ان ذلك صحيح وكان يرجف من الخوف ومندهشا لدرجة أنه عاد لا يعلم مفاتيح خزائنه فأمر ان يكسروا الاقفال فأخرجوا ما يقدر بالفين من الثياب وعشرة آلاف دينار ونفائس ومرصعات وجواهر عديدة ... فلم يلتفت هلا كوخان الى هذه الاشياء ووزعها على الامراء الحاضرين .

ثم خاطب الخليفة بان الأموال الموجودة في سطح الأرض ظاهرة فتريد ان تبين الدفائن وموضعها وماهيتها فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء من الذهب في وسط السراي (البلاط الملكي أو القصر الملكي) فأخذوا يحفرون المكان الذى عينه فوجدوه مملوءاً من الذهب الأبريز (الخالص) . وكانت كل قطعة منه بزنة مائة مثقال .

ثم أمر ان يحصوا حرم الخليفة فوجدوا ٧٠٠ من النساء والسرايا والفا من الخدم ...

فلما اطلع الخليفة على احصاء حرمه تضرع وقال ان حرمي لم تكن الشمس والقمر تطلع عليها فقال له هلا كو : ان عليك ان تختار مائة منهن وخل الباقين فجمع الخليفة مائة من النساء اللات لهن علاقة به من اقار به والخاصين به فجمع منهن مائة وهن القريبات اليه فارسلهن خارج بغداد ورجع هلا كو خان الى معسكره ليلا وأمر القائد سونجاق ان يذهب الى المدينة (بغداد) و يضبط اموال الخليفة ويخرجها فجمع هذا ما كان ادخره الخلفاء في مدة خمسمائة سنة فلفها باقمشة وأخرجوها ...

وقد أحرقت اكثر المواقع الشريفة في هذه الوقعة كجامع الخليفة ومشهدموسى الجواد ومراقد الخلفاء .

وحينئذ التمس الناس من شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنجاني و (ملك دل راست) (١) ليذهبوا الى هلاكو خان و يطلبوا الأمان فتشفع هؤلاء فشفعهم وأمر أن يكفوا عن القتال وسلب الاموال . وأمر باستقرار الناس وأشتغالهم بكسبهم . وعليه أمن من بقي من الناس ممن نجا من سيوفهم ...

وقال ابن الطقطقي :

« واما حال العسكر السلطانى فانه يوم الخميس رابع المحرم من سنة ٦٥٦ هـ ... قد طبق وجه الارض وأحاط ببغداد من جميع جهاتها ، ثم شرعوا في استعمال أسباب الحصار ، وشرع عسكر الخليفة فى المدافعة والمقاومة الى يوم ٢٩ المحرم فلم يشعر الناس الا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج العجمي ... وتقحم العسكر السلطاني هجوما ودخولا ، فجرى من القتل الذريع ، والنهب العظيم ، والتمثيل البليغ ما يعظم سماعه جملة فما الظن بتفصيله ... » اهـ (٢) ولا محل لايراد جميع النصوص المنقولة وأستيعابها ...

خروج هلاكو من بغداد ووقائع اخرى :

في يوم الأربعاء ١٤ صفر رحل هلاكو خان من بغداد نظراً لعفونة هوائها بسبب القتلى ونزل في قرية الوقف والجلابية . (٣)وأرسل الأمير عبدالرحمن لفتح ولاية خوزستان وطلب احضار الخليفة فكان يرى الخليفة امارات سيئة مما

«١» هو نجم الدين ابو جعفر احمد بن عمران ويسمي وزير راست دل ايضا « ر : ص ٣٠٨ جامع التواريخ » . «٢» الفخري ص ٣٠١ «٣» الظاهر الجلالية .

سيصيبه واشتد خوفه فقال للوزير :

— ما التدبير لنجاتنا !

فأجابه :

— لحيتنا طويلة ! (وكان قصده من ذلك انه لما دبر أول الأمر وأبدى رأيه بأرسال تحف كثيرة لدفع هذه المصيبة قال الدواتدار آنئذ : لحية الوزير طويلة !) وكان قد أفسد تدبيره بهذه الكلمة فقنع الخليفة بقوله .

والخلاصة ان الخليفة لم يبق له أمل في الحياة وطلب رخصة ان يدخل الحمام ويجدد غسله . فامر هلاكو ان يصحبه خمسة من المغول وكان الخليفة يكره صحبة هؤلاء الخمسة الذين عينوا لحراسته وكان يكرر :

وأصبحنا لنا دار كجنات وفردوس   وأمسينا بلا دار كأن لم نغن بالامس

القضاء على الخليفة :

وفي آخر يوم الاربعاء ١٤ صفر سنة ٦٥٦ قضوا على الخليفة وعلى أولاده وخمسة من خدمه وملازميه في (قرية الوقف) .

وفي اليوم التالي قتلوا من كان اتبع الخليفة وخرج معه وأقام في باب كلواذى . ولم يبقوا ممن وجدوا من العباسيين الا نفراً معدوداً ممن لم يدخل في الحساب .

ووهبوا مبارك شاه ابن الخليفة الأكبر الى اولجاي خاتون . وهذه ارسلته الى مراغة وكان مع الخواجة نصير الدين فزوجوه بامرأة مغولية فولد لها منه ولدان .

وفي يوم الجمعة ١٦ صفر استشهد ابن الخليفة المتوسط ، قضى عليه والحق بابناء الخليفة الآخرين وكانوا قد قتلوا في باب كلواذى فتم أمر آخر الخلفاء العباسيين وانقرضت حكومتهم وبهذا خلصت بغداد للتتر ...

ترجمة الخليفة المستعصم بالله :

هو ابو أحمد عبدالله المستعصم بالله ابن الخليفة المستنصر بالله ابى جعفر . ولما توفى والده بكرة الجمعة ١٠ جمادي الثانية لسنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٢ م لم يكن حاضراً فاستدعاه شرف الدين إقبال الشرابي (١) من مسكنه بالتاج سراً من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره فحضر ومعه خادمه مرشد الهندي فسلم عليه الشرابي بالخلافة وأجلسه على سرير الخلافة وكان والده مسجى ، وكتم الامر الى ليلة السبت ١١ من الشهر المذكور ، ثم استدعى الوزير ابن الناقد فحضر في محفة لعجزه عن المشي وأحضر استاذ الدار ثم حضر عمه أبو الفتوح حبيب وجماعة من بيت الخلافة ومن أولاد الخلفاء فبايعوه ثم بايعه الوزير واستاذ الدار ثم تقدم بتعيين الامراء لحراسة البلد .

أصبح الناس يوم السبت فشاهدوا أبواب دار الخلافة مغلقة وقد أمر عبداللطيف بن عبدالوهاب الواعظ ان يشعر الناس بوفاة الخليفة المستنصر بالله وجلوس ولده المستعصم .

ثم استدعى الى دار الوزارة المدرسون ومشايخ الربط والولاة والزعماء واعيان الناس وفتح باب العامة فدخل منه من استدعى للدخول وعليهم ثياب العزاء فبايعوا على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم . واستاذ الدار يلقن الناس لفظ البيعة .

ثم اسبلت الستارة وانفصل الناس . وكانت الحال ساكنة والناس على اشغالهم .

ثم جلس في اليوم الثاني فدخل كافة الامراء والمماليك وبايعوه . وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة حضرها من تخلف من الأمراء والغرباء وضروب الناس كالتجار وغيرهم ...

«١» توفي سنة ٦٥٣هـ وترجمته في ابن الفوطي في حوادث هذه السنة .

ثم أمر الناس بالخروج ومضى الوزير واستاذ الدار ...

هذا ولا محل لتفصيل كل ماجرى من مراسم أبهة ، واشكال عظمة ... (١)

ثم تقدم الخليفة بالافراج عمن كان محبوساً بحبس الجرائم وليس في قتله حد شرعي .

وفي يوم الجمعة ١٧ جمادي الآخرة قد نثرت مبالغ كثيرة من النقود في الجوامع عند ذكر الخليفة .

ثم جاءت الوفود من الجهات القريبة والنائية للعزاء والتبريك . وفي ٢ رجب أمر الخليفة بتغيير ثياب العزاء وخلع على الامراء والاعيان ونفذت خلع الى ولاة الأطراف ايضاً (٢)

وهنا نقول لم تكن الخلافة والبيعة في الحقيقة الا من قبل مملوكه الشرابي ... ثم استدعى بعض أهل الحل والعقد ... وما هذه المراسم والترتيبات الا بقايا عن الفرس والأعجام ، ومثلها مامر عن تتويج ملوك المغول والابهة والعظمة ... لمن لايستحق أن يستعظم لهذا الحد ... فاننا أمرنا بطاعة الخليفة للقيام بواجب الخلافة ومراعاة لوازمها ... وان هي الا الادارة الرشيدة بتطبيق الشرع وتأمين العدل والمحافظة على بيضة الاسلام ... ومن حين دخلت هذه الظواهر والمظاهر واستعظام الامور اظهاراً للكبرياء والابهة ... دب دبيب الضعف والانحطاط وحاول القوم بهذه وأمثالها ان يبرزوا لاعين الرائين ...

وغالب من تكلموا على الخليفة من كتاب المغول ومؤرخي عصورهم فلا يعول على ما يقولون من وصفه الشخصي ، ولنورد بعض النصوص ، قال ابن الطقطقي :

« كان ... شديد الكلف باللهو واللعب وسماع الأغاني لايكاد مجلسه يخلو من

«١» التفصيل في ابن الفوطي . «٢» « ر : تاريخ الفوطي » .

ذلك ساعة واحدة ، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات لايراعون له صلاحاً ... وكتبت له الرقاع ... في ابواب دار الخلافة فمن ذلك :

قل للخليفة مهلا   اتاك مـالا تحب
هاقد دهتك فنون   من المصائب غرب
فانهض بعزم والا   غشاك ويل وحرب
كسر وهتك واسر   ضرب ونهب وسلب

كل ذلك وهو عاكف على سمـاع الاغاني ... » الى آخر ماجاء ... مما كتب ارضاء للقوم وأمرائهم ... وكان قد نقل عنه حكاية عبدالغني بن الدرنوس وتقبيح رأي المستعصم مما لايسع المقام ذكر امثالها ... وقص ترجمته الواسعة عند بيان الخلفاء ... (١)

وقد نعته ابن العبري بقوله :

« وكان صاحب لهو وقصف ، وشغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء وكان ضعيف الرأي ، قليل العزم ، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول . وكان اذا نبه على ماينبغي ان يفعله في أمر التتار اما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم، أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق فكان يقول : انا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها علي اذا نزلت لهم عن باقي البلاد ولا يهاجمونني وأنابها وهي بيتي ودار مقامي . فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب فاصيب بمكاره لم تخطر بباله ... » اهـ

وفي تواريخ المنغول الاخرى مايؤيد هذه وقد مر ذكر بعضها ...

«١» الفخري ص ٤٢ وص ٣٣ وص ٢٩٧



٧ — قبلاي قاآن تابع ص ١٤٦

وفي خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي مانصه :

« قال ابن الساعي : شاهـدته يعني الخليفة المستعصم وهو اسمر اللون مسترسل اللحية ، ربعة ، ليس بالطويل ، ظاهر الحياء ، لين الـكلام ، سهل الاخلاق ، سليم الصدر ...

كان حافظاً للقرآن المجيد ، عاكفاً على تلاوته ،مواظباً على الصلوات في اوقاتها وصوم الاثنين والخميس من كل شهر وصوم شهر رجب دائماً لايخل بذلك مدة خلافته وقبل خلافته وله جاريتان قبل الخلافة له من احداهما ثلاثة بنين وبنت ومن الأخرى اربع بنات فلما أفضت الخلافة اليه لم يتغير عليهما ولا اغارهما بل راعاهما حفظاً لعهدهما . ثم طلبت منه ام البنين ان يعتقها و يتزوجها ففعل ذلك فلما ماتت استجد اخرى وحظيت عنده فلم يعترض بغيرها وجاء منها بولد ذكر وطلبت منه ايضاً ان يعتقها و يتزوجها ففعل ذلك . هذا فيما يرجع الى حسن العشرة وحفظ العهد ومراعاة الصحبة والوفاء . وكان عفيف الفرج لم ينكشف ذيله على حرام قط ، ولا شرب مسكراً ولا وقعت عينه عليه ، ولم يعلم انه عصى الله بفرجه ولا فمه غير انه لم ينزه سمعه من سماع المحرم فانه كان مغرماً بسماع الملاهي محباً للهو واللعب ، يبلغه ان مغنية ، او صاحب طرب في بلد من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طلبه .

ثم وكل اموره الـكليات الى غير الاكفاء واهمل مايجب عليه حفظه والنظر فيه فانفذ الله فيه قضاءه وقدره وأجرى عليه ماقدره فقتل ... فكانت مدة خلافته ١٦ سنة و ٧ أشهر و ٤ أيام وعمره ٤٦ سنة ... وكان ولد يوم ١١ شوال سنة ٦٠٩ وامه ام ولد واسمها هاجر . » اه

والظاهر كما يفهم من الاستدلال ببعض الحوادث والنقول المارة انه كان مغلوباً على

أمره ، وامراؤه متخالفون ، فهو مضطر للماشاة وتوجيه الادارة بقدر الامكان...

وكان الامراء قد ضربوا على يد الخليفة باستخدام العوام والاذاعة في تقبيح عمل الوزير. وبالنتيجة توجيه اللائمة على الخليفة من جراء التزامه الوزير وقسره على متابعة اولئك ... مما دعا الى تذبذب الادارة وسقوط المملكة ...

والامراء كلهم او اكثرهم كانوا من المماليك الترك او كان أهل السلطة منهم وكانوا يتناوبونها ويتنازعون عليها من مدة طويلة ويتحكمون في غيرهم ... فانحلت الادارة أو بالتعبير الأصح صارت منقادة طوع ارادتهم ، وتسييرهم وكان منهم اقبال الشرابي وقد تنازع على السلطة قبل هذا مع رشيق فالخليفة من حين تسنم عرش الخلافة قربه وكان شرابياً له ... فنال مكانة لحد انه ولي زمان القيادة للخيالة (سرخيل العسكر) أو قل انه صار اكبر اهل العقد والحل ، وغالب رجال الجيش من الترك .

ومهما كان الامر او تعدد الأمراء العرب أو كثروا ... فالعروة بيد الكواز، والحكومة حقيقة بيد الجيش التركي ...

ومن الادلة التاريخية المذاكرات والمعارضات الجارية عند الحوادث المهمة كحوادث المغول العديدة والمداولات من أجلها والاستفادة من الاوضاع السياسية وحوادث العزل والنصب ... فكان الخلفاء فداء هذا الاصرار والعناد الذي قام به الامراء والوزير دون انصياع الى الصواب أو محافظة للاعتدال ولا مراعاة الغرض وكانت الحزبية بالغة غايتها ... وكانت الفتن تجري ومنها ماوقع بين الدواتدار الصغير وبين الوزير، ومثلها ماجرى بين محلة ابي حنيفة والخضريين و بين أهل الرصافة ، ومنها ماوقع بين أهل الكرخ الشيعة ، والسنة ... وهكذا اهمل البلد بوقوع الغرق العظيم وتلف اكثر عماراته ... ومن ثم زادت التقولات وكثرت على

الخليفة وعلى وزيره وامرائه التنديدات ، وأهمها ان الخليفة أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم بميله لرأي الوزير ... فآلت أحوالهم الى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع ...

هذه الحالة من وسائل توليد العداء بين أفراد الشعب ، وعدم سماع الأقوال النافعة ... يضاف الى هذه فقدان الاقوات بحدوث الغلاء ، والعدو على الابواب توجه نحو العراق ... قال المجد النشابي متألماً لما وقع ولما ستؤدي اليه التذبذبات في الادارة وقلة الحزم ولم يستثن أحداً :

ياسائلي ولمحض الحق يرتاد ... اصخ فعندي نشدان وانشاد

* * *

عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا ... حماه جهلا برأي فيه افساد
اذا ترامت أمور الناس ليس لهم ... فيها رواء ولا حزم وانجاد
اما الوزير فمشغول بعنبره ... والعارضان فنساج ومداد
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل ... وتارة هو جنكي وعواد
وشيخ الاسلام صدر الدين همته ... مقصورة لحطام المال يصطاد

* * *

ان جئت يثرب اوشارفت ساحتها ... فقل لمن انزلت في حقه صاد
الكفر أضرم في الاسلام جذوته ... وليس يرجى لنار الكفر اخماد
واضيعة الملك والدين الحنيف وما ... تلقاه من حادثات الدهر بغداد
ان المنية منى كي تساور لي ... فللمنية اصدار وايراد
من قبل واقعة شنعاء مظلمة ... يشيب من هولها طفل وا كباد(١)

«١» تاريخ الفوطي

ومع هذه الآلام والمصائب على الاهلين والجند لا يؤمل ضبط الادارة وتحسين الحالة فضلا عن صد غائلة العدو الذي جاء بجيوش تملأ الفضاء واستصحب الات الحصار وغيرها واجفل اهل السواد من بين يديه الى بغداد حتى ضاقت على سعتها وامتلأت شوارعها ونال الناس الخوف الشديد ...

ولا نطيل القول باكثر فقد مر بنا بعض الحوادث الخاصة بالمغول والتدابير المتخذة ضدهم ... مما يعين حقيقة الحالة ... كما ان الوضع الراهن بالنظر لحدود سلطة الخليفة جغرافياً صريح في الاستدلال على ضعف ادارته ، والاهواء تتجاذبه ، والأمواج السياسية تتقاذفه ... وتكاد تقضي عليه قبل ان يتصادم مع جيش قوي قد اتخذ كل أهبة ، واحتاط بكل ماوسعه من تبصر وحساب للأمر ...

قتل الخليفة بالوجه المشروح ،(١) والاسف ملء القلوب على انقراض هذه الاسرة وعلى تسلط حكومة أجنبية لا علاقة للاهلين بها ولا رابطة لهم معها سوى القدرة الحربية التى قضت على جيش المسلمين ... فاستولى اليأس على القلوب ، وماتت السجايا العالية ... والعوامل في اماتتها كثيرة ومنها ما وقع على يد نفس الحكومة المنقرضة حباً في الاحتفاظ ببيتها واشادته ... خذلت العرب في مواطن عديدة ، وحوادث كثيرة الى ان وصلوا الى حالة لم تعد فيهم معها قدرة ان يقودوا الجيوش وان يناضلوا عن الكيان ويحرصوا على حفظ بيضة الاسلام ... واليأس قتال ولا اضر منه على النفوس ... وقد استولى على الكل ... ولعل اكبر عامل فيه الوزير فانه لم يتخذ تدبيراً وانما كان يخذل ... فلم تظهر منه مساعدة ، ولا أي عمل من شأنه ان يدفع العدو وكل ما عرف التخذيل لكل تدبير واظهار التألم منه وتقوية اليأس ...

«١» ر : ص ١٢٥ من تاريخ الفخري وما يليها وفيها تفصيل عن حادثة القتل .

وهكذا قضى الأمر . ولم تفرح النفوس ، وتنتعش لمدة قصيرة الا عند ما قبل المغول الاسلامية ومالوا اليها رغبة فيهـا ... ولـكن هـذه لم تفد لاحياء الروح العربية وانعاشها باعادة قدرتها الاولى وسجاياها الماضية ...

نظرة عامة فى عهد العرب المسلمين في العراق

أيام العرب المسلمين فى العراق :

في عام ١٧ هـ ٦٣٨ م — على اصح الروايات — خلص العراق للعرب المسلمين واختطوا الكوفة وعسكروا فيها بتاريخ المحرم لسنة ١٧ هـ بعد مقارعات دامت بضع سنوات من المحرم ١٢ هـ ٦٣٣ م يتخللها بعض فواصل قليلة آخرها وقعة جلولاء ، وكان في ايدى الفرس الساسانيين وشعوبه مختلفة من فرس وعرب وكلدان وكرد ...

واذلت هذه الحروب الساسانيين وعركتهم عركة قطعت اوصالهم . ومزقتهم اي ممزق . وعاون العرب المسلمين جماعات من عرب العراق من الشيبانيين ورئيسهم المثنى وغيرهم والعرب آنئذ في ضواحي الفرات وفي الحيرة ومواطن أخرى كثيرة حتي خليج فارس (الأبلة) . وأساسا عهدهم قديم في سكنى العراق فاندغموا في العرب المسلمين سواء منهم من قبل الأسلامية او من بقي على دينه الاصلي وغالبهم آنئذ نساطرة ...

رأى الفرس من العرب وفيهم من كان تحت نير سلطتهم وأدارتهم ما لم يروه من قوم ، ولا شاهدوا كحروبهم من امة ما ... والمدة التي قضوها لتخليص العراق وفتحه قليلة جداً لم تتيسر لامة حتى في هـذه الايام ... مع مُلاحظـة الفواصل ، والحروب الاولى وهي اشبه بحروب عصابات لغرض التشويش في الادارة والتزام

جيوش كثيرة في انحاء عديدة والمطاولة في ذلك...

وكان الميل الى الدين الاسلامي واعتناقه كبيراً جداً . دخل الناس فيه أفواجا ... و بعد استقراره للعرب المسلمين جاءته الفرس . وقد قبلت الاسلامية كما ان اقواما جديـدة أخرى دخلت في الاسلاميـة وأهم عناصرها الترك ولا تزال بقاياهم الى اليوم ... وموضوعنا يتناول :

١ — العرب :

من اوضح العناصر العراقية الشعب العر بى فهو ا كثرها دائما وتغلب على سائر الاقوام ... وعناصره القحطانية والعدنانية . وكانت الاسلامية ظهرت في الحجاز عام البعثة في مكة المكرمة وا كثر الاهلين هناك حتى صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام من الجذم العدنانى وأهل المدينة من القحطانية ومثلهم أهل اليمن ...

وأهل المدن في ذلك العهد من العرب عامـة اصحاب امارات صغرى محددة سلطتها في مدنها ، وفي بعض القبائل المجاورة لها ... واهل البادية قبائل تمت الى احد الجذمين (١) ولها رؤساء يديرون شؤنها وهم في حالة مبعثرة ، مشتتـة لا تجمعهم جامعة ، وفي الغالب لا علاقة لقبيلة مع اخرى ولا ارتباطا سياسيا اوقوميا الا بعض الحلوف والعهود بنتيجة المجاورة او القر بى ... والامارات لديهم قليلة جداً ، ولا يلتفت الى دعاوي بعض امرائهم . أو شعرائهم في حماستهم من انهم أقوى الامم ، وانهـم تخر لهم الجبابرة ساجدين ، وأنهم ملكوا البر والبحر ... ومن شاهد القوم في باديتهم لاول وهلة ، ورأى ادارتهم بنظرة بسيطة قطع انهم اهل بدواة... والأمر بين ذاك الغلو في الدعوى والمبالغة في الذم من المجاورين (الفرس

«١» القبائل المتحيرة قليلة .

خاصة) ... فللعرب نظام اجتماعى لكل قبيلة ويكاد يتشابه في القبائل بتفاوت قليل مما اصله معروف ومتعين ... يضاف الى هذا مالديهم من اخلاق نبيلة في كثير من احوالهم كالشمم والاباء ، وحفظ الجوار والوفاء ... والصلاح لكل ما يستطاع من المكانة الاجتماعية . والفضائل النفسية ...

كان يفقدهم التضامن ، والاجتماع العام نظراً الى تاصل العداء وتمكنه منهم ، ومن ظواهره الاخذ بالثأر ولو تقادم العهد ... والنهب والسلب (الغزو) ، والتباعد من بعضهم البعض بحيث تكاد كل قبيلة ان تنفصل عن غيرها وتستقل في كافة شؤنها ... يدل على ذلك التفاوت نوعا في لغاتهم ، والتباين في أديانهم ، والتخالف في عوائدهم ، وغزو بعضهم بعضا ، وقتالهم سواء في حلهم وترحالهم ... لم تؤلف بينهم جامعة ، وتغلب عليهم الفوارق اكثر من التشابه ، ولم يتفقوا الا بعض الاتفاقات كما في (التنوخ) المعروف تاريخياً ... وهؤلاء حلوا البحرين . ثم مالوا الى ضواحي العراق وتملكوا بعض انحائه ... وكونوا امارات صارت ملجأ للعرب الذين هاجروا اليهم بعد ذلك ، وكان قد سبقهم الى التوطن (الحضر) في العراق . و (الغسانيون) في سورية ، ولهؤلاء تاريخ معروف اجمالا . وتنقل عنهم مبالغات زائدة مثلما ينقل بفخر وحماسة عن امراء البادية ... المجاورون — خصوصا الفرس — تجاوزا الحد في الذم ونبزوهم بشر الاوصاف ، وعدوها خصائص لازمة قطعا ، وغير منفكة ... ولم يدروا ان الاقوام في تبعثرها الاجتماعي وأوضاعها المشتتة لا تختلف عن العرب ، وأنها تحتاج الى من ينفخ فيها روح الشجاعة والبطولة ، والدعوة الى الاصلاح ... والعرب اقرب الامم لقبول الحضارة ، واكثر استعداداً للحصول عليها ...

و بينا هي في هذه الحالة ، او ما يقاربها اذ ظهر المبدأ الاسلامي الجليل ، والدين

القويم فأصلح العقيدة ووحد الامة ، ونظم شؤن العائلة ، والقبيلة ؛ وسير كافة أقسام الشعب نحو نظام اجتماعي عام اساسه الاخوة الدينية ، وهذب الكل ، والف بين شؤنهم ، وساقهم الى الوحدة في كل معانيها ، وجعل أساسها الأخلاص في العقيدة والاخوة التامة ، والتبشير بالاخلاق الفاضلة الشريفة ... و بعث فيهم روحا جديدة لها علو همتها ، وقرر التعاون على البر والتقوى والاصلاح ما استطاع الى ذلك سبيلا ومنع من الاثم والفسوق والتنابز بالالقاب مما شأنه ان يولد البغضاء . والحاصل جعل الاساس الاخلاص لله وحده ، وان يراعى الخير لصلاح الجماعة والأمة ونفعها بل هو اصلاح لجميع الشعوب ... مما لم تالفه البشرية في عصورها البائدة ...

نهض هذا المبدأ السامي بهؤلاء القوم ؛ و بشر ودعا ان يترك ا كثر ما كان عليه القوم ، وما كانوا تلقوه عن آبائهم من الرذائل والشرور فصاروا خير أمـة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ... فنالته مصاعب كبرى ومخالفات شديدة في سبيل هذه الدعوة شأن الجديد الذي لم يجرب ولم تعرف نتائجه ... أو لغرابته وعدم مألوفيته ... خصوصاً في جزيرة العرب حتى اذعن الكل ... ومن ثم دعا هؤلاء القوم مجاوريهم فعارضوهم ايضا وجادلوهم بل جالدوهم حتى استظهر العرب المسلمون عليهم ...

قوم عمائمهم ذلت لعزتها الا قعساء تيجان كسرى والا كاليل

ومن الاقطار التي اذعنت بالطاعة : العراق و كثير من أهليه عرب فانه جادل مدة قليلة وحكومته فارسية فاذعن بالطاعة وولى القوم الأدبار ... ومن ثم تغلب العنصر العربي وخلص العراق بالوجه المذكور آنفاً ...

وحينئذ كون حكومة عربية ، واسس حضارة على يد الخلفاء الراشدين ومن وليهم

وكانت حكومته مستقلة في ادارتها الا في بعض الشؤن كالولاية ، والقضاء ، والاستشارة في المهمات وعظائم الامور وهي من خير الادارات، وحكومته من أفضل الحكومات... لم تدع مجالا للتدمير والتخريب ولا محلا للقسوة والظلم ...

٢— حكومات :

١ — وحكوماته من زمن عمر (رض) الى آخر ايام الامام علي (رض) تدعى (حكومة الخلفاء الراشدين) . وهذه بشرت بالمبدأ الاسلامي الجليل ورأت من الناس قبولا كبيراً ولم يصبها خلل الا في أواخر ايام عثمان (رض) وايام الامام علي (رض) فصار العراق فيها موطناً لوقائع مهمة مثل وقعة الجمل وصفين والنهروان... حدثت من جراء نزاع الخلافة والقيام عليها من جوانب مختلفة وفي هذا الحين صار العراق موطن الخليفة الامام علي (رض) حتى كان مشهده الاخير فيه ...

٢ — وقد تلتها (الحكومة الأموية) وبهذه انقاد العراق الى الشام ببيعة الحسن (رض) عام ٤٠ هـ لمعاوية (رض) ومن ثم انقطع النزاع على الخلافة نوعا ولا مد قصير ، تخلص الحكم للأمويين وصارت مملكة العراق تابعة للشام بعد ان كانت منقادة للحجاز أولا وعاصمة للخليفة الامام علي (رض) ثانياً ... ودامت سلطة الامويين الى عام ١٣٢ هـ وفي ايامها نالت الاسلامية مكنة عظمى ورسوخاً وسعة في الملك .

وفي خلال الحكم الاموي حدثت وقائع سياسية وحربية مهمة ... ونهضات على الحكم الاموي من كثيرين والكل يرى انه الاهل للحكم والاحق به ... ولكن هذه الحوادث كلها لم تؤثر على الروح الاسلامية في فتوحها وانتشارها ... ولم تقض على وضعها وادارتها القويمة رغم تلاعب الاهواء واختلاف النزعات والحزبية القاسية

في وضعها ، والقاهرة في نكايتها بعدوها والمتصلبة في سائر أحوالها ...

وتوالى على العراق سواء في عهد الخلفاء او في عهد الأمويين امراء كثيرون وحدثت وقائع ذات بال أهمها قتلة الحسين (رض) ، وحوادث المختار ، ووقائع الحجاج، وما اعقبها من حوادث العلوية والعباسية ... الى آخر ماهنالك مما لا طريق فيه للتوسع...

٣ — الخلافة العباسية وهذه نتيجة تشويش في الادارة ، وثورة على الأمويين بصورة متوالية ومن كل فج ، واحزاب قوية ... فكان العراق وخراسان موطن النشرات والاذاعات والترتيبات المختلفة على الامويين لبعده عن العاصمة حتى تغلب الحزب العلوي والعباسي فاتفقا على الوقيعة بالأمويين ، والقضاء على حكومتهم فتمكن القوم من مرادهم ...

تكونت الحكومة العباسية . وهذه قد صفا لها الجو وسارت أمورها بنجاح وقويت في ايامها ثقافة المسلمين ونشطت عقيدتهم نشاطاً تاماً الا انها بعد قليل وجدت من العلويين نفرة ، وصار ديدنهم الدعوة والتكتم ومراعاة الحزبية تارة والظهور أخرى فشوشوا على العباسيين أمرهم ... فلم تقو الدعوة العلوية على قلب هذه الحكومة والسيطرة على الادارة ... ولكنها لم تخل من ازعاج ونفرة ، ومن تكدير الصفو ، او الخوف او التخوف من جانب العباسيين بانضواء الأحزاب المعارضة الى العلوية وغالبهم فارسي النزعة ... وقد وقعت فتن أدت الى استقلال العلويين في مصر والمغرب ، وتكوين حكومة ايضاً باسم العلويين في اليمن واخرى في نجد (الاحساء والبحرين) ، وفي ايران بانحاء قهستان والموت ... وكل هذه لم تفل من غرب العباسيين ، ولا استطاعت القضاء عليهم ولم يتم ذلك الا على يد هلاكو عام ٦٥٦هـ والخلافة العباسية في آخر رمق من حياتها ... وخلصت المملكة العراقية للتتر بعد ان دامت حكومتها للعباسيين من ١٢ ربيع الأول عام ١٣٢هـ

٧٤٩ م الى ٥ صفر ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م .

وبهذا فقد العراق الحكم العربي في البلاد . وفي الحقيقة كان فقدانه لاستقلاله وحكمه من أمد بعيد فالاسم كان للعباسيين والواقع ان العباسيين كانت حكومتهم فارسية في اوائل امرها ، تركية في اواخرها ... ولم يكن حكم للعباسيين عربياً فالحربية بيد أهلها والوزارة منقادة للسيف وكفى ... وان كانت المدونات عربية.

هذا ولا مجال للتفصيل والاطالة ... وعلى كل دام الحكم في العراق للعرب المسلمين من سنة ١٧ هـ الى سنة ٦٥٦ هـ .

٣ — الشعوب الاخرى في العراق :

ان الأقوام العراقية بعد الفتح الاسلامي تغلبت عليهم العربية والعرب منهم يمتون الى العنصر القحطاني ويتلوهم في الكثرة الجذم العدناني . واول من مال الى العرب المسلمين من غير العرب الديلم فانهم انحازوا الى العرب وقاتلوا معهم ... أيام الفتوحات الاسلامية الاولى وهناك واثر تأسيس الحكم المدني أو بالتعبير الاصح بعد انقراض الفرس مالت ايران الى العراق وعاودته مسلمة وتكاثر فيه الفرس وحصل على ثقافة جديدة ، هي الثقافة العربية ولكنها كانت تنزع الى حضارتها الفارسية الاولى بتلقينات و بلا تلقينات ، أو بذكرى الماضي والميل اليه... خصوصاً ان بعض القوم لايزال على ديانته الاولى وصار هؤلاء يبشرون بالوطنية الايرانية ويدعون اليها حينما رأوا ان لا قدرة لهم ولا قوة على المناضلة عن كيان دينهم ... وهكذا فعل باقي اعداء المسلمين ممن دخلوا في الذمة ، وصاروا من المعاهدين ... يبثون مامن شأنه التشويش ويروجون اذاعة روح التفرقة سواء في كلماتهم ، او أعمالهم ، او سائر احوالهم حتى مدوناتهم التاريخية ... الا ان قلة العناصر

الاخرى من اكبر دواعي خذلانها وعدم الاستطاعة في التأثيرات الكبرى على الدين ، والثقافة وتغلبت الاخوة الدينية في الاكثرية الساحقة ... وان كان الاثر مشاهداً في السياسة وملموساً ... ولا تعاب الحكومة الا من جهة تعصبها الشديد للعرب بزيادة عن غيرهم ...

لم ينتبه العرب في الدور الاموي لتغلب الفرس من طريق الاعتصام بالمخالفين الا وقد انقلب الحكم وزالت الأموية من العراق وغيره ... وقد جربت تجارب عديدة او اكتشفت مؤامرات كثيرة لقلب الحكومة العباسية في عين الطريقة التي قضي بها على الاموية بل اشد واقوى فذهبت التدابير عبثاً وبلا جدوى وان كلفت بمالا يستهان به بل تعد من البواعث الكبرى للقضاء على الحكومة العباسية ... لما نالها من التأثير المتوالي ... ونجاحها في هذه ظاهري ...

اما التدابير الأخرى التي قامت بها العباسية كالقضاء على أبي مسلم الخراساني اولا وعلى البرامكة ثانياً ، وجلب الاتراك لايقاف تغلب الفرس عند حد والسيطرة عليهم ... فهي مما كون بلاءاً آخر وحول الحكومة من فارسية الى تركية ...

وذلك ان القوم لم يحتاطوا دائماً وفي غالب احوالهم لقهر اعدائهم ، او المناوئين لهم ، او المتغلبين من رجالهم ... كما فعل أسلافهم واوائلهم الذين كانوا يفكرون في الاخطار وما ينجم من بوادر الحوادث والاشارة الخفيفة تكفي للتنبه ... وان يتداركوا الخلل وتوقع المصائب ببصيرة ... وانما استهوى القوم النعيم وتركوا الحزم وفاتتهم اليقظة للحوادث وأبطرهم المال ، وانغمسوا في الملاذ واتبعوا الشهوات والاهواء ...

فلما استخدم القوم الترك وخلفهم ابناؤهم ولم يلقنوا السياسة ومنطوياتها . أو انهم أهملوا أمرها لانهماكهم في ملذاتهم ، ولانهم امنوا الطواري بخدامهم الصادقين

فأمّروهم وباتوا بطمأنينة كاملة ... ومن هنا داهمهم الخطر وتسرب اليهم الضرر ، ونالهم المكروه من جراء الأهمال ... أو قل سلموا مقاليد الامور اليهم ، بل انهم استرسلوا في الاهواء فناب عنهم خدامهم واعوانهم فصاروا هم الامراء بل الخلفاء واودع اليهم الحل والعقد وصارت الدولة في ايديهم ...

عرف هؤلاء الامراء خلفاءهم . ولما استقر لهم المقام في ادارتهم ، ونالوا الامارة ، تسلطوا ... وتدخلوا في كافة الشؤن حتى في أمور الخلافة ، ولم تدر الخلفاء ما ذا يفعل بهم ... فعهدت الأمور الى هؤلاء المماليك من حوط الثغور والنظر في السياسية ... ولما شعر بعض الخلفاء بما جرى حاول القيام فلم يتمكن وهو في حالة من يصحو من سكرته قليلا فقام المماليك في وجهم علنا . وطغوا على ملوكهم ... فاصاب الخلفاء منهم ما أصابهم ، وقد يكون ماأصاب بعض الخلفاء بلا علم منه ولا معرفة بما وقع ... ذلك لأن الامراء تقارعوا فيما بينهم فكانت العاقبة ان سخط هؤلاء على الخليفة للسخط على مملوكه وهو أمير آخر ... وهكذا .

ومن ثم قوي أمرهم كثيراً واستمروا في الادارة ولم يستطع في هذه الحالة الخلفاء ان يستعينوا بغيرهم للقضاء عليهم ... الى ان قضي على الخلفاء وعليهم ... بالصورة المشروحة عند الكلام على الخليفة المستعصم . لذا نرى قادة جيشنا في محاربة المغول تركا وتتراً والمخابرات السياسية والاستهواء كان من هذه الناحية وحادثة ايبك الحلبي من جملة هذه فقد مال للجيش المغولي وصار هاديه في سيره...

ولعل اكبر دواعي تمكن المغول هوان الترك كانوا منبثين في كل الانحاء فلم يجد المغول غرابة أو عدم الفة معهم بل التفاهم سهل جداً ... وهكذا وقع...

والعامل المهم في التسلط لم يكن في تغلب العناصر وحدها فقد رأينا الامة اليقظة لا تبالي بتغلب عنصر او اكثر ... وانما تستفيد من هذا التغلب لتجعلهم

في تطاحن ... او كما فعلت الاسلامية بان سوت بين الجميع ... وانما كان الخلل في سوء الادارة فالعباسيون شغلوا بالملاذ والملاهي ولم يكن لهم من الوقت ما يبصرهم بادارة المملكة ولم ينظروا الالنعيم أنفسهم وتنعمهم فساق ذلك الى قهر الاهلين وظلمهم ... ومن ثم تدخل المماليك في الادارة وذاقوا حلاوتها فسيطروا وهكذا استمروا حتى انتزعوها من اهليها ... وكان الانتباه احيانا من بعض العباسيين بعد ان قضى الامر وسبق السيف العذل يعد في غير اوانه ولم يعدل في الوضع ، ولا في التغلب على العنصر القابض على ازمة السلطة ... ومن العدل الآلهي ان لا يدوم ملك بلا نظر ، وحسن ادارة ...

والامة في الحقيقة لا تدرى الا بقيام خليفة مكان آخر وهي في حالاتها تئن من ظلم السابق وتتوقع عتو اللاحق ... وكانت السلطة تتناوبها المماليك وأمراء الترك الواحد اثر الآخر ، والحكم للأقوى ... والخليفة تابع لمراسم يجريها فكانه آلة ميكانيكية تابعة لحركة غيرها ليس له من الأمر شيء ... ويكفيه الجوارى الكثيرة ، والملاذ النفسية ولا تهمه الادارة ولا الشعب ...

والاولى لحكومة مثل هذه ان تموت اولا لانها ساعدت على سحق الشعب فلم تسوّ بين افراده ، وثانيا لم تبق فيه من المقدرة للنهوض في وجهها ومحاسبتها على اعمالها ... وهذه الغلبة اي أنتصار الحكومة على الشعب لم يسبق له نظير في أمة ... والمأسوف عليه انها لم تستبدل بما هو اصلح منها . وأنما الحالة سارت الى التسافل والتدنّي يوما فيوما الى ان قضي عليها وعلى الاهلين ولم يبق فيهم من يعرف للحرية قيمة ولا للحياة الاجتماعية مكانة فهم مسيرون لا يدرون ماذا يفعل بهم او يراد ... يسومهم الملوك والامراء سوء العذاب يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم ... ولا بلاء اكبر من هذا ...

ويتبادر الى الذهن ان تبديل الادارة الى الترك او استبدالها بهم كان غير صواب والأمر لم يكن كذلك وانما كان تدبيراً صالحاً الا ان هذا العنصر ترك وشأنه ومال الخلفاء الى الانهماك بالملذات وتسليم الادارة الى الخدم والحشم من هؤلاء ... دون علم بما ستصير اليه الحالة فساق ذلك الى نتائج مؤلمة والا فلم يعوز حل ولم يعص تدبير لو كانت الادارة استمرت على رشدها ويقظتها ... واللوم في التدبير الاول فانه الذي ساق الى الانهماك في الملاذ النفسية اي ان القوم لم يعلموا بما ستجري عليه الحالة وان الملوك لم تطرد فيهم المزايا ... وكان الاولى ان يقووا العنصر العربي ويعتمدوا عليه ولكنهم كانوا حاربوه للقضاء على الاموية فلم يعد لهم امان منه فكأنه عدو الد لا يصير يوما صاحبا وحبيبا ... وكانوا يخشون ان يتقدم قائد عربي خوفا ان ينتزع السلطة ، او يشمخ عليهم بانفه ولم يروا متسعا من الوقت الى ان يفكروا في الذى أمنوا منه او اطمأنوا به ونالوا الانتصار به على عدوهم انه سيعاديهم يوما ما ، او ينازعهم السلطة والادارة ... وهذا من نقص التدبير فكانوا محل العبرة والاستبصار ، وحديثا لمن بعدهم وخير مزدجر للملوك امثالهم ... نعم ان الاقوام الاخرى من العناصر السائرة ممن جعلوهم آلة لتدمير عدو ... ملتفة حولهم لا يتحاشون من تقبيل الاقدام ، وابداء كل ذل وخضوع للتوصل الى الادارة او الدخول في الخدمة من اي فرجة وجدت ... مما لا يأتلف والنفس العربية الشماء ، والروح الابية المجبولة على الحرية ، والنفسية الكاملة لا الذليلة المقهورة ...

والحاصل ان التنازع صار اخيراً وبعد أنعزال العرب عن الادارة بين العناصر غير العربية ، وأهين الشعب العربي ولكنه لم يستكن لهذه الاهانة ورجح شظف العيش والعرى على الذل والخنوع ... وصار في الانزواء او في الانحياز التام عن

التدخلات الادارية ... واستغنى عن الحكومة ورضي بالميسور اذ لم يجد له ناصراً ... بل طارده القوم حتى في خصه و بيت شعره ، او خيامه الخلقة ... فلم يبال ... وأصاب اولئك الحلفاء من الذل والمسكنة ما لا يقل عن اي ذل رغم ظواهر السلطان . و بهرجة الديوان ، وضخامة البنيان ... هذا ولا يكاد يقف القلم عن جريه فالشجى يبعث الشجى والحديث ذو شجون وشؤون بل آلام واوجاع ... ونكتفي بهذا .

والعناصر العراقية :

١ — العرب : وهم المسلمون وفيهم النصارى ولا تزال جزيرة العرب تفيض بعشائرها العربية المسلمة كلما ضاق موطنها بهم . وقد مر القول عنهم .

٢ — العجم وغالبهم المسلمون وفيهم المجوس والمزدكية...وا كثر الافسادات كانت من غير المسلمين منهم ، والمسوق بآرائهم من المسلمين قليل .

٣ — الترك . وفيهم التتر وغيرهم ومن بقاياهم اليوم البيات.

٤ — الكرد . وهؤلاء من العناصر الفعالة في العراق وكلما زادت نفوس سكان الجبال منهم مالت الى المدن .

وفي وقائع كثيرة خدموا الاسلامية ، وناصروها ، فكانوا عضدها القوي وساعدها المكين ... وهم من اقدم سكان العراق ومن اوضح العناصر فيه ... وقد برز منهم علماء ، وامراء كثيرون ...

٥ — الكلدان . وهم نصارى ولهم كيانهم الديني ولم يكن لهم من الكثرة ما يترك اثرا كبيرا الا انهم كلما زادت نفوسهم مالوا من القرى الى المدن وما زالوا ولا يزالون في قلة ... ولا يفرقون عن العرب في احوالهم وعاداتهم ...

٦ — الصابئة . أرباب دين وكيان معا . وهم من اقل العناصر العراقية .

٧ — اليهود . وهم اهل دين وسكناهم قديمة ... وهم في قلة أيضاً .

وزارة مؤيد الدين ابن العلقمي

من ١٤ صفر سنة ٦٥٦ الى مستهل جمادي الثانية

تنظيم ادارة بغداد :

ان حادثة بغداد شوشت الادارة و بعثرت الامور وغيرت المعالم ، وهذا امر طبيعي ، بقيت الحالة العسكرية والحربية الى اليوم الذي قتل فيه الخليفة (١٤ صفر) ومن ثم عين لادارة بغداد وترتيب شؤنها الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي فقد جعل وزيراً .

فهو آخر وزير للعباسيين واول وزير للمغول في بغداد واختير معه من الموظفين في الادارة :

فخر الدين ابن الدامغاني صاحب الديوان نصب للديوان ايضاً ، والأمير علي بهادر للشحنة ، وارتاقان واوزان كرشحين له (رده) ونائبين لقراتاي عماد الدين عمر القزويني و (الاعمال الشرقية) كالخالص وطريق خراسان والبندنيجين فوضت الى نجم الدين ابي جعفر احمد بن عمران الذي كان يسمى بالوزير الصادق او المخلص (راست دل) ، وهو من أهل باجسرى ، وكان يخدم زمن الخليفة عاملا فاتصل ببعض الامراء ايام الحرب وحضر بين يدى السلطان هلاكو خان وأنهى اليه من حال العراق ما أوجب تقديمه وتشريفه ، فعهد اليه ان يتفق مع الوزير وصاحب الديوان في الحكم ولقب بـ (الملك) ، ونجم الدين عبد الغني بن درنوس ، وشرف الدين العلوي المعروف بالطويل ، وجعل تاج الدين علي ابن الدوامي حاجب

الباب (صدر الأعمال الفراتية) (١)؛ كان قد خرج مع الوزير الى حضرة السلطان فأمر ان يكون صدر الاعمال الفراتية فلم تطل مدته وتوفي في ربيع الاول فنصب ولده مجد الدين حسين مكانه .

وحضر(قاضي القضاة) نظام الدين عبدالمنعم وجاء في جامع التواريخ انه (عبد المؤمن)البندنيجي ولما صار بين يدي هلاكوخان اقره على القضاء .وكان قاضي القضاء في زمن الحكومة العباسية الى اواخر ايامها، قد عين لهذا المنصب سنة ٦٥٥هـ نقل اليها من قضاء الجانب الغربي (٢) .

فلما عاد الوزير والجماعة المذكورة من السلطان هلاكو خان قرروا حال البلاد ومهدوا قواعدها وعينوا بها الصدور والنظار والنواب فعينوا :

سراج الدين بن البجلي في الاعمال الواسطية والبصرية .

ونجم الدين بن المعين صدر الأعمال الحلية والكوفية .

وفخر الدين مبارك ابن المخرّمي صدر دجيل والمستنصري .

وعز الدين بن ابي الحديد كاتب السلة . فلم تطل أيامه وتوفى فرتب مكانه ابن الجمل النصراني .

وعز الدين بن الموسوي العلوي نائب الشرطة .

والشيخ عبد الصمد بن ابي الجيش امام مسجد قمرية خازن الديوان .

ورتبوا في جميع الأعمال نوابا وشرعوا في عمارتها .

ووصل الأمير قيراغا (وفي جامع التواريخ قرابواقا) وايلكان نويان الى بغداد مع ثلاثة آلاف من المغول ليعمروا ما كانوا هدموه وان يقبضوا على نواصي الأمور .

«١» ابن الفوطي .«٢» حوادث سنة ٦٥٥ هـ من الفوطي .

وعين الأمير قراتاي عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائباً عن الوزير . فكان يحضر الديوان مع الجماعة . وكان ذا دين ومروءة وعين شهاب الدين بن عبدالله صدراً للوقوف وتقدم اليه بعمارة جامع الخليفة . وكان قد احرق وكذا مشهد موسى الجواد (مشهد الكاظمين) ثم فتح المدارس والربط وأثبت الفقهاء والصوفية وأدرّ عليهم الاخباز والمشاهرات وسلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد ابن الاثير وجعل أمر الفراشين والبوابين اليه .

وحينئذ اخذ الناس يدفنون قتلاهم ورفعوا جثث الدواب المطروحة في الاسواق والازقة وشرعوا في تعمير الاسواق (١) ...

ومما نقله الفوطي ان الجاثليق تقدم بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التى على شاطئ دجلة فسكنها ودق الناقوس على اعلاها واستولى على (دار الفلك) التى كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة ، وعلى الرباط البشيري المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني ...

التشكيلات الادارية :

هؤلاء موظفو العراق آنئذ ، وان التشكيلات الادارية أبقيت على ما هي عليه وأهم اوصافها ان الوزير في الحقيقة لم يكن مستقلا في الحكم ، وهذا طبيعي في حكومة أجنبية لم تعرف حقيقة الاشخاص ومع هذا راعت الترتيبات السابقة بمقياس صغير فاضافت الى الوزير من يراقب اعماله مراقبة عامة ...

نعم ان حكومة هلاكو لم تتول ادارة العراق رأساً وانما استعانت بنا ولو كانت

«١» ابن الفوطي وجامع التواريخ .

تدار رأسا من قبل الفاتحين لا محت كافة نضاراتها ، ولذهب حسنها بمدة وجيزة وما أصابها حين الفتح من دمار فكان اشبه بالمرض يعتري البدن ثم يزول ... سوى ان هؤلاء كانوا أبصر بالمضرة ، وأعلم بطرق افادة الأجنبي فثبّتوا مواقعهم واستفادوا وقد قرروا الادارة السالفة باختصار ...

والحكومة المركزية كانت تودع شؤنها لامير مغولي بمقام مراقب حذرا من اختلاس الاموال ، او التدخل في شؤن السياسة المضرة بصالحهم ... لكنها رأت من القوم الفساد الاخلاقي والتنازع بين الافراد على الوظائف بحيث صار كل يسند الخيانة لصاحبه و يظهر الخدمة والاخلاص ... فلم تقف الحكومة على حقيقة الاقوال من كل جانب فولت الادارة الى غيرهم ... الا انها لم تنزع كل الوظائف وانما احتفظت ببعضها واستخدمت الباقين من أهل العراق .

والتشكيلات الادارية آنئذ تقسم الى :

١ — بغداد . وفيها الوزير وفي الغالب له مشرف ونائب وصاحب الديوان والشحنة ونائب الشرطة وخازن الديوان .

٢ — الاعمال الشرقية (الخالص وطريق خراسان والبندنيجين) .

٣ — الأعمال الفراتية .

٤ — الأعمال الواسطية والبصرية .

٥ — اعمال دجيل والمستنصري .

٦ — الاعمال الكوفية والحلية .

٧ — اعمال الأنبار .

٨ — اعمال داقوقا .

والاخيرتان لم ينظر في هذه الايام في أمر ادارتها ، ولا عدتا ضمن الاعمال التي

جرى التوظيف من أجلها للقيام بشؤنها ...

واما أربل فانها لا تزال خارجة عن حدود هذه المملكة ... وكان يعين لهذه الاعمال الصدور والصدر هنا بمقام (متصرف) وكل منطقة من هذه الاعمال بمنزلة (اللواء) ، وقد يسمى القائم بادارته الملك وهذا اللقب يناله من كانت له خدمة يستحق عليها هذا اللقب مثل نجم الدين أبي جعفر أحمد بن عمران الباجسري وغيره ومعهم النواب والنظار حسب الحاجة وسعة الاعمال ...

وعلى هذا اكتسبت الادارة استقرارا نوعا وأبقيت المملكة على ادارتها السابقة وقوانينها ... الا انها لم تبقها على أتساعها بل صغرت الادارة وجعلتها متناسبة مع القابلية الحاضرة ...

وقائع وحوادث أخرى :

ولنرجع الى ذكر وقائع بغداد . فبعد ان رتبت أمور بغداد ووجهت الاعمال أي في يوم الخميس ٢٩ صفر توجه عز الدين(١) ابن الوزير وصاحب الديوان الى اعتاب السلطان هلاكو خان لاطلاعه على الاحوال فسمعوا اوامره ورجعوا الى بغداد .

وكان في يوم الجمعة ٢٣ صفر رحل هلاكو ونزل بجوار قبة الشيخ مكارم ومن هناك رحل حتى وصل مع معسكره الى خانقين .

واثناء حصار بغداد كان قد اتى نفر من العلويين وأعاظم أهل الحلة وعلمائها فالتمسوا امانا من هلاكو فأرسل اليهم (بوكله) و (امير نجلي النخچواني) وأرسل في اثرهم بوقاتيمور وهو أخ اوجاي خاتون ليمتحنوا أخلاص أهل الحلة والكوفة

«١» وجاء في جامع التواريخ انه شرف الدين والاصح الاول كما في التاريخ المنسوب للفوطي انه عز الدين ابو الفضل ، وهكذا جاء في الوافي بالوفيات كما سيجيء .

فاستقبلوهم وجيوشهم استقبـالا باهراً ونصبـوا جسراً على الفرات لعبورهم وفرحـوا بوصولهم واظهروا مزيد السرور ...

رأى بوقا تيمور اخلاصهم وثباتهم فرحل في ١٠ صفر وتوجه الى واسط . وفي اليوم ١٧ منه وصلها فلم يطعه الأهلون هناك وشرع في قتالهم ومحاربتهم وقتل منهم ما يقارب الاربعين الفاً .

ومن هناك توجه الى خوزستان واصطحب معه شرف الدين ابن الجوزي فاطاع اهل تستر وقتل من بقى من جيش الخليفة هناك وانهزم بعضهم وأظهر الطاعة البعض الآخر ممن كان قد فر الى حدود البصرة .

ثم أن الأمير سيف الدين البتكيجي (البيتكچي) التمس ان يرسل معه مائة من المغول الى النجف لمحافظة مشهد امير المؤمنين علي (رض) واهليه ومن جاوره .

وفي ١٢ ربيع الأول عاد بوقا تيمور الى معسكر هلاكو في سياه كوه . وفي ١٩ منه ارجع رسل حلب الذين جاؤا الى بغداد .

نص الكتاب المرسل الى حلب :

وهذا نص الـكتاب الذي كتبه الخواجه نصير الدين الطوسي بأمر من هلاكو خان :

« أما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ٦٥٦ هـ فساء صباح المنذرين فدعونا مالـكها وأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلا . وقد دعوناك الى طاعتنا فأن أتيت فروح وريحان وأن ابيت فخزي وخسران . فلا تـكن كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بـكفه ... فتكون من الأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً . وما ذلك على الله بعزيز . والسلام على من اتبع الهدى . » انتهى .

ماجرى بعد ذلك :

وفي يوم الاربعاء ١١ ربيع الآخر وصل هلاكوخان الى معسكره في حدود همذان وسياه كوه . فاستراح هناك من عناء السفر وانحرف مزاجه اسبوعاً كاملا ثم كسب الصحة .

وفي ١٦ منه الى ٢٠ منه توالى وصول الامراء الى هلاكوخان وهم (ايلكانويان) وآخرون .

أواخر أيام الوزير ابن العلقمي : (وفاته)

لم تطل أيام هذا الوزير ولم يبق في الادارة الا قليلا وغاية ماعمله أن أبقى الادارة كما كانت تقريباً بعد ان زال من البين مناوؤه على يد هلاكو و بعد ان نالت المملكة مكانتها الحقيقية فاكتسبت شكلها المصغر ... وحينئذ عاجلته المنية في مستهل جمادي الثانية (١) من هذه السنة نخدم حكومة العباسيين والمغول معاً ونال رضاها رغم الشغب الموجه عليه ... ودفن في مشهد موسى ابن جعفر (ع) (الكاظمية) . فخلفه ابنه عز الدين ابو الفضل فصار وزيرا .

ترجمة حاله :

ان غالب ترجمة الرجل ، وتاريخ حياته رسمي وحكومي أي انه سياسي أوضح من غيره . وهو آخر وزير للعباسيين واول وزير للمغول .

وفي الفخري :

« هو أسدي أصله من النيل (قرب الحلة) وقيل لجده العلقمي لانه حفر النهر

«١» ابن الفوطي ، وفي كتاب الفخري توفى في جمادي الاولى ص٣٠٣ ، وفي جامع التواريخ انه توفى في ثاني جمادي الآخرة ص ٣١٢

المسمى بالمتقي ، ثم سبي الغازاني . اشتغل في صباه بالأدب فتفقه فيه ، وكتب خطاً مليحاً » . اهـ

كان الى سنة ٦٢٩ مشرف دار التشريفات للخليفة المستنصر ، ..

وفي يوم الاثنين ١٩ شوال من السنة المذكورة ولي استاذية الدار و بقي في هذا المنصب الى آخر ايام المستنصر ومن بعده في أيام المستعصم حتى سنة ٦٤٣هـ وفيها نال الوزارة آخر نهار الاثنين ١٣ صفر (١) واستمر فيها الى آخر ايام العباسيين ...

وهذا الوزير كان كاملا في العلوم والاداب وقد نقلت عنه جملة صالحة من الآثار الادبية عن مؤرخين عديدين منهم الفوطي ، وابن ابي الحديد في شرح النهج ، وفوات الوفيات ، والوافي بالوفيات وفيها النثر والنظم في ساعات خطرة وحالات حرجة وآنية مما يدل على غزارة أدبه وفضله ...

وفي الفخري « واشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب، وممن صنف له الصغاني اللغوي صنف له (العباب) في اللغة ، وابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ...

وكان خواص الخليفة جميعهم يكرهونه و يحسدونه ، وكان الخليفة يعتقد فيه و يحبه، وكثروا عليه عنده فكف يده عن اكثر الامور ، ونسبه الناس الى انه خامر ،

«١» في التاريخ المعروف بالفوطي خطأ نشأ من ترتيب صفحاته فذكرت فيه وزارته بتاريخ عام ٦٥٣ هـ أيام وفاة ابي الازهر احمد بن الناقد يدل على ذلك العنوان المذكور سنة ٦٤٣ في ترتيب الوزارة واهمال مراسمها مع ان المؤرخين اتفقت كلمتهم على ان وزارته دامت ١٤ سنة . وفي الفخري : «مات نصير الدين» « ابن الناقد » سنة ٦٤٢ هـ ولما توفى ولي ابن العلقمي الوزارة ... » ص ٢٩٥ و ص ٣٠١ .

وليس ذلك بصحيح . » اه

فالحوادث أثرت تأثيراً كبيراً على سمعته في الداخل والخارج ولا تزال باقية مابقي التاريخ و بقيت آثاره ...

ومن نظر قدرة الحكومة العباسية آنئذ ودرجة سلطتها وشاهد وضعها السياسي والعسكري وانها لم تكن لها من المكانة ماتستطيع أن تدفع عنها الملوك الذين هاجموها قبل المغول ... قطع بان منزلتها كانت اسمية ا كثر منها فعلية ...خصوصاً بعد ان عرفنا ان حكومة المغول بقوتها القاهرة قد قضت على حكومات جمة ، وارعبت العالم بما احدثته من دويّ وضجة ... فليس في وسع الحكومة العباسية أن تقاوم ، وكان وزيرها أعلم بالوضع فأبدى لزوم المسالمة فلم يسمع منه قول . وكان قد أنشد :

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيعوا الحزم فيه أي ضياع

فمطاع الكلام غير سديد وسديد المقال غير مطاع

وكان بينه و بين أمراء بغداد مشاحنة واستفادة من وقائع المغول نسبوا اليه الخيانة واتخذوها وسيلة للوقيعة به كما أنه نسب اليهم محاولة خلع الخليفة ... فكانت نتائج هذا الخلاف بين الطرفين وخيمة ...

فاتخذ مناجزوه آراءه هذه وسيلة للوقيعة به والتنديد بها وتفنيدها والاذاعات المرة عنها بنسبة الخيانة اليه ... وقد ذكرها غالب المؤرخين ففي التاريخ المسمى بالفوطي قال :

« توفي الوزير ... وعمره ٦٣ سنة وكان عالماً ، فاضلا أديباً ، يحب العلماء ويسدى اليهم المعروف الا ان خيانته لمخدومه تدل على سوء اصله . » اه (١)

---

(١) « ر : حوادث سنة ٦٥٦ هـ » .

وفي ابن خلدون :

« بينا هلا كو سائراً نحو الاسماعيلية بلغه في طريقه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب أر بل يستحثه للمسير الى بغداد و يسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمي رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ ، وتعصب عليهم أهل السنة وتمسكوا بان ابن الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا باهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس الى ابن الصلايا بار بل وكان صديقاً له بان يستحث التترلملك بغدادواسقط عامة الجند يموه انه يصانع التتر بعطائهم ... وسار هلا كو والتتر الى بغداد واستنفر بنحو (هو بايجو) مقدم التتر ببلاد الروم فيمن كان معه من العسا كر فامتنع اولا ثم اجاب وسار اليه (الخ ما هناك من حوادث الفتح حتي قال) : واستبقي ابن العلقمي على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام في الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر اقرب الى هلا كو منه فبقي على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلا كو . » انتهى (١)

ومثله في تواريخ أخرى عديدة ولا نرانا في حاجة الى نقل كل ما شاع من هذا النوع ... وانما نكتفى بملخص ما قصه صاحب كتاب (الوافي بالوفيات) قال :

« ابو طالب الوزير المدبر مؤيد الدين محمد بن محمد(٢) بن محمد المعروف بابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم ، ولي الوزارة ١٤ سنة فاظهر الرفض قليلا ، وكان وزيراً كافياً ، خبيراً بتدبير الملك ، ولم يزل ناصحاً لاستاذه حتى وقع بينه و بين الدوادار ، لانه كان يتغالى في السنة ، وعضده ابن الخليفة ، فحصل عنده من

---

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٤٣

(٢) ورد في ابن ابي الحديد وغيره بدل محمد « احمد » .

الضغن ما اوجب له انه سعى في دمار الاسلام ، وخراب بغداد على ما هو مشهور لانه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال فى شعره :

وزير رضى من بأسه وانتقامه — بطي رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسجع الورقاء وهي حمامة — وليس لها نهي يطاع ولا امر

واخذ يكاتب التتار الى ان جرّ هولاكو وجرأه على اخذ بغداد ، وقرر مع هولاكو اموراً انعكست عليه وندم حيث لا ينفعه الندم ، وكان كثيراً ما يقول عند ذلك :

وجرى القضاء بعكس ما املته

لانه عومل بانواع الهوان من اراذل التتار والمرتدة ... ولم تطل مدته حتى مات غماً وغبناً في اوائل سنة ٦٥٧ هـ ، ومولده في شهر ربيع الاول سنة ٥٩١ هـ ... (الى ان قال) : واشتغل بالحلة على عميد الرؤساء ايوب وعاد الى بغداد ، واقام عند خاله عضد الدين ابي نصر المبارك بن الضحاك وكان استاذ الدار » . (١)

وعلى كل ان الحكومة كانت ضعيفة ومحكومة الزوال قطعاً ، وليس لها قدرة على المقاومة بوجه ولكن اللوم انما يوجه على الوزير من جراء تخذيل الخلافة والشعب باضاعته قسراً لآراء الآخرين التى استقر عليها رأي حكومته بالوجه المذكور دون ان يتخذ معها تدبيراً حازما ، وان الترجيح او المتابعة لآراء الآخرين والقطع به يجب ان يكون مقرونا بقوة ومساعدة قلباً وقالبا ما دام القوم رجحوا غير رأيه ... فلم يقم بعمل ، ولا شوق الخليفة على الدوام في الحرب واتخاذ لوازمها .

وفي هذا جريرة عظمى الا ان مؤرخي المغول مثل صاحب جامع التواريخ والفخري وجهوا اللوم مباشرة على الخليفة من جهة أنه لم يتمكن من الوزير ولم يتسلط عليه في أمور المال والصرف على الجند ، والحال ان هذا الاهمال انما ينسب الى

---

(١) الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٨٤ .

الوزير المسؤل عن الحكومة فكان الاولى به ان يعتزل المنصب او يقوم بواجباته لا أن يمنع ارزاق الجند ، ويسقط اكثرهم من ديوان العرض بحيث آلت أحوالهم الى سؤال الناس و بذل وجوههم للطلب في الاسواق والجوامع ... مع أن العدو على الأبواب ...

وتابع هؤلاء المؤرخين اخرون في هذه الفكرة والتزام التوجيه بموجبها ...

ومدة وزارته — ايام الحكم المغولي — قليلة جداً ، وفيها بعد قتل الخليفة عاد والجماعة الذين معه من خدمة هلاكو ، فقرروا حال البلاد ، ومهدوا قواعد الحكومة وعينوا لها الصدور والنظار والنواب ... ورتبوا جميع الاعمال ، وشرعوا في عمارة المدينة ... وكان يندد به من جهة قبوله الوزارة بعد قتل الخليفة ، ... ومن جراء لومه الخليفة وتسفيهه لرأيه بعتاب وتقريع ... وأمثال ذلك مما كان يتمثل به من البيت المشهور والمنقول سابقا ... ومهما يكن فالآراء متضاربة في أمره ، ووضعه ما حكيناه ، والتقصير موجه على الكل فلا يسلم منه أحد ...



وزارة عز الدين ابي الفضل بن العلقمي

من ٢ جمادي الثانية سنة ٦٥٦ هـ

وزارة بغداد :

يوم الخميس ٢ جمادى الثانية وجهت وزارة بغداد بأمر من السلطان هلاكو الى عز الدين ابى الفضل بن مؤيد الدين العلقمي وقد جاء في جامع التواريخ انه شرف الدين والصحيح المنقول عن التاريخ المنسوب للفوطي وكتاب الوافي بالوفيات انه ما قدمنا . فصار وزيراً مكان ابيه الوزير المتوفى .

اربل — الاستيلاء عليها (قتله ابن صلايا) :

أن اربل من ألوية العراق وكان يعين لها صدر فلما عزم هلاكو على فتح بغداد كان قد ارسل ارقيونويان لفتح هذه المدينة (اربل) (١) وهي قلعة حصينة يكاد لا يكون لها نظير في البلاد فزاول ارقيونويان محاصرتها وفتحها ولكن سكانها الأكراد قاوموه مقاومة الابطال ...

وفي هذه الاثناء انفرد باظهار الطاعة تاج الدين ابو المعالي محمد ابن الصلايا العلوي ووصل الى القائد ارقيونويان فقال له :

— انما يصح اظهار الطاعة بتسليم القلعة :

فرجع تاج الدين الى باب القلعة و بذل جهوداً لاقناع الاكراد فلم ينل مطلوبه منهم ولم يسمعوا قوله فأخذ يبالغ في الالحاح والتماس العفو فلم يفده ذلك فاضطر للذهاب الى ارقيونويان وهذا ارسله الى هلاكوخان فلم ينل قبولا منه وأمر بقتله فقتل في

---

(١) لفظها الصحيح اربل ، والآن شائعة بلفظ اربيل وقد جرى كتاب العجم على هذا .

سياه كوه ، وكان كريما ، جواداً ، فاضلا متدينا يبالغ في عقوبة من يفسد او يشرب الخمر . وهذا هو الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحى الهاشمي العلوي المدائني نائب الخليفة باربل كان من رجال الدهر عقلا ووراياً وهيبة ... قتله هلاكو في ربيع الآخر (١) ...

ثم ان القائد ارقيونويان حاصر قلعة اربل مدة فلم ينقادواله بل بقوا في الحصار . فاستعان عليهم بالسلطان بدر الدين لؤلؤ ليرسل جيشاً اليه فارسل . وأن سكان أهل القلعة نزلوا ليلا وباغتوا المغول وقتلوا منهم خلقاً كثيراً واحرقوا منجنيقاتهم ثم رجعوا الى المدينة مقرهم .

فعجز القائد ارقيونويان من مقاومتهم الشديدة ودعا اليه بدر الدين لؤلؤ واستشاره فقال له بدر الدين لؤلؤ :

— التدبير هو ان تترك مهمة الفتح الى موسم آخر . لأن الاكراد عاجزين عن الحروب و يملون منها . وفي زمن المعركة يفرون الى الجبال حيث ان هذا الموسم طيب الهواء . ولهم ذخائر كثيرة ومؤن كافية ، والقلعة في غاية الاحكام ... ولذا يتعذر فتحها الا بالحيلة .

ثم ان القائد المذكور فوض مهمة فتح القلعة — مدينة أربل — الى السلطان بدر الدين لؤلؤ وهذا قد هدم سور القلعـة . وبهذه الوسيـلة والتدبير استولى على المدينـة .

وعلى كل تسلط العدو علينا بتدبير منا وحيل احتلناها لمصلحته ، فالكل عاونوه وساعدوه بأمور لا تخطر على بال ...

وكانت اربل لزين الدين علي المعروف بكوچك من التركمان ملك اربل

---

(١) ابن الفوطى والشذرات ج ٥ ص ٢٨٤

و بلاداً كثيرة في تلك النواحي وفرقها على اولاد أتابك قطب الدين بن مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى اربل وانقطع بها الى ان توفي ليلة الأحد ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ فولي بعده ولده مظفر الدين أبوسعيد كوكبوري (كوكبري) وكان عمره (١٤ سنة) فاقام مدة ثم تغلب عليه أتابكه مجاهد الدين قايماز ، وكتب محضراً انه ليس أهلا ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف وكان أصغر منه ، ثم اخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه الى بغداد فلم ينل بها مطلوبه ، ثم سار الى الموصل فاقطعه مالكها سيف الدين غازي بن مودود مدينة حران فانتقل اليها وأقام بها مدة .

ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده وتمكن منه وزاده في الاقطاع الرّها سنة ٥٧٨ هـ أخذها صلاح الدين من ابن الزعفراني وأعطاها مظفر الدين مع حران.وأخذ الرقة من ابن حسان وأعطاها ابن الزعفراني . ثم اعطاها سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خاتون بنت ايوب . وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزة وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره .

ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلا عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت اليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه وكان في جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر الدين وهو يومئذ صاحب أربل فأقام قليلا ، ثم مرض وتوفي في ٢٨ رمضان سنة ٥٨٦ هـ بالناصرة فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان ان ينزل عن حران والرّها وسميساط و يعوضه أربل فأجاب الى ذلك وضم اليه شهرزور فتوجه اليها ودخل أربل في ذي الحجـة سنة ٥٨٦ هـ و بقي فيها الى ان توفي ٨ رمضان عام ٦٣٠ هـ

وكانت ولادته بالموصل ليلة الثلاثاء ٢٧ من المحرم سنة ٥٤٨ (١)

وكان قد جاء الى بغداد عام ٦٢٨ هـ فاحتفل به احتفالا باهراً ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك .

وفي ١٧ رمضان لسنة ٦٣٠ هـ ورد الخبر بوفاة مظفر الدين ابي سعيد كوكبري (ورد في ابن خلكان كوكبوري وضبطه كذلك) فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء للتوجه الى أربل وكان بها خادمان احدهما برنقش والآخر خالص فامتنعا من فتح البلد فحصلت معركة ثم افتتح وجاءت البشائر الى بغداد فأمر الخليفة باحضار الأمير شمس الدين باتكين امير البصرة فورد بغداد في ١٤ ذي القعدة فوجهت اليه ، وسار فوصلها في ١٩ منه (٢) .

وهكذا توالى الامراء عليها ، الى ان جاء هلاكو فاستولى عليها وكان ناظرها ابن الصلايا (٣) فقتله ... وليها بعد الوقيعة من التتار في سنة ٦٣٥ هـ وبقي الى ان قتل سنة ٦٥٦ هـ بالوجه المشروح .

اما الامير شمس الدين باتكين فانه عاد الى بغداد و بقي فيها الى ان توفي سنة ٦٤٠ هـ .

نقل اموال بغداد واموال الملاحدة وغيرها :

ان هلاكو أمر بارسال الخزائن والاموال الوافرة المستحصلة حين فتح بغداد الى اذربيجان بصحبة الملك ناصر الدين ابن علاء الدين صاحب الري . وكذا الاموال التي حصلوا عليها حين استيلائهم على قلاع الملاحدة و بلاد

---

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٣٥

(٢) « تاريخ الفوطي — فيه تفصيل » .

(٣) ورد في جامع التواريخ وغيره بلفظ ابن صلاية .

الروم والكرج والارمن (واللر) والكرد وأمر الملك مجد الدين التبريزى بانشاء عمارة عالية ومحكمة على الجبل الذي هو في ساحل بحيرة اورمية وسلماس .

وهذا قد بنى عمارة عالية في غاية الاحكام والمتانة واخذوا من هناك جميع النقود والاموال ووضعوها في العمارة بعد ان صيروا الذهب والفضة قطعا .

كذا في جامع التواريخ . وجاء في غيره ان هلاكو امر ان تبنى عمارة عالية داخل جزيرة في بحيرة اورمية (بحر كبودان) ما بين مدينة سلماس واورمية فتمت كما اراد ووضعت فيها الاموال وقطع الذهب والفضة ، وان هذه الجزيرة غارت سنة ٦٨١ هـ في السنة التي مات فيها ابقا خان (١) .

وأرسل هلاكو خان الى اخيه منكو قاآن من هذه الاموال تحفاً وهدايا مع بشائر ظفرهم وفتحهم واطلعه على كيفية استيلائهم على ممالك ايران ، ثم عاصمة الخلافة ، واعلمه انه عازم على الذهاب الى ديار مصر والشام اذ تم له فتح بغداد .

وكان حامل هذه الرسالة الامير هولاجو .

اما القاآن فانه قد فرح بهذا الفتح وسر كثيراً لنبأ هذه البشارة العظمى ... !

وفود الى هلاكو خان :

بتاريخ ٢٩ رجب سنة ٦٥٦ هـ وفد بدر الدين لؤلؤ الى هلاكو باشارة من حضرته فوصل اليه في حدود مراغة . وكان تجاوز من العمر ٩٠ عاما . فبالغ هلاكو خان باكرامه واعزازه ورجع في ٦ شعبان من السنة المذكورة .

وفي ٧ شعبان من تلك السنة وفد اليه اتابك سعد بن ابى بكر اتابك

---

(١) عباس اقبال : «تاريخ مفصل ايران» . وهذا تاليف نافع ، طبع سنة ١٣١٢ هجرية شمسية في طهران .

فارس (١) ليهنئ هلاكو خان بفتح بغداد وصل الى اعتابه فرأى منه كل لطف وانعام ، ثم رجع .

وفي ٤ منه وصل اليه السلطان عز الدين ملك الروم في حدود تبريز ثم وصل اليه السلطان ركن الدين يوم الاربعاء ٨ منه.

وكان هلاكو خان متألما من السلطان عز الدين لعدم التفاته الى احد قواده بايجونويان ومحاربته له . و بعد استيلاء المغول على بغداد احس عز الدين بالخطر الحائق به فدبر حيلة ينقذ بها نفسه ويتدرع بها للخلاص فركن الى المثول بين يدي هلاكو خان وأغتنم فرصة الوفادة بصنع نعل جعل صورته مصورة فيه وقدمه الى هلاكو وقال له :

— ان صورتي التي تحت نعلك آمل ان تكون شفيعا لي وتجعلني مفتخراً بلطفك .

فاستذل لهذا الحد فتعساً له ولما صنع ...

وحينئذ رق عليه هلاكو خان و بتوسط دوقوز خان عفا عنه .

حكاية عن هلاكو تعين خطته :

لا نرى فائدة في استيعاب أحوال هذا الفاتح وذكر وقائعه مما ليس له تعلق

«١» أصل «آتا» تركية بمعنى الأب وبك بمعنى أمير ، ثم اطلق اتابك بعد وبلا مد على من يقوم بتربية اولاد ملوك السلاجقة من الاتراك ثم اودعت لبعض هؤلاء ادارة بعض الممالك كولاة فاستقلوا بمرور الايام فصار يطلق عليهم «الاتابكة» وملوك الاتابكة ... ومن هؤلاء اتابكة فارس مثل اتا بك سعد المذكور، واتابكة الموصل وهم اتابكة العراق وسيأتي الكلام عليهم ...

بالعراق واحواله . فهو بالاجمال فاتح عظيم ، ـ والقصة الآتية تبين سياسته وخطته .

يحكى ان الخواجه نصير الدين الطوسي عرض على هلا كو خان ان السلطان جلال الدين خوارزمشاه الذي كان قد انهزم من استيلاء المغول ولما وصل الى تبريز أخذ جنده يمدون الأيدي و يتطاولون على الرعايا فطلب منه لزوم تأديبهم وعرض له عن هذه الحالة فقال :

— اننا في هذا الوقت نشتغل في الفتح والاستيلاء لا في حراسة الملك وان حالة الاستيلاء لا يلتفت فيها الى أحوال الرعايا ... ولما كنا لم نتم الاستيلاء فلا نراعي ذلك . ولكننا بعد ان تنتهي الفتوح نصغي الى سماع شكاوى الناس وتظلمهم .

واما ما تفضل به السلطان هلا كو فهو :

« انه بحمد الله تعالى قد استولى وملك ولا يزال مع الطغاة في حالة الحرب ومع المطيعين في حالة العدل » ، لا كجلال الدين فانه في حالة ضعف وعجز لم يكن فاتحا (جهانكير) فحسب ، ولا مالكا لزمام الادارة وحدها (جهاندار) ...

وهذه توضح اوضاعهم وحالاتهم السياسية والحربية بصورة جلية .

والحاصل ان هلا كو خان بعد هذا توجه الى ديار الشام واستولى على حلب ومدن كثيرة من سورية وكل هذا الدور هو زمن حروب واستيلاء كما تقدم ...

أثر سقوط بغداد في النفوس

كانت بغداد الى حين سقوطها على يد هلا كو تعتبر عاصمة العالم الأسلامي ومركز خلافته لمدة تزيد على خمسمائة سنة ولم تفقد مكانتها العظمى وسيطرتها الدينية

والعلمية والصناعية والادبية وان حصل اعتلال في السياسة في غالب الاحيان وكان قد حاول خوارزمشاه محمد الغاء الخلافة ، ورفع الخطبة ... فلم يفلح كما مر ذلك فيما سبق .

مزاياها العلمية لم تعتل بوجه وان كانت تأسست مواطن علمية كبرى في الاقطار الاسلامية النائية والمستقلة عنها ... فهي في احتكاك معها دائماً واتصال بها ولو على طريق الحج والزيارة او على سبيل الأخذ والتلقي للدراسة من جانب رجال المدارس الأخرى وسائر العلماء ...

هي السوق الاعظم لتجارة العلوم وعرضها والمعهد الاكبر للمعارف والثقافة والحضارة ، كانت غنية برجالها لا يضارعها قطر ما ، ومركز اساسي للحضارة بأنواعها والبواقي فروع قد تفرعت منه ولم تستغن عنه ... وغالب من رحل عنها من علمائها نال المكانة السامية في القطر الذي حل فيه ...

هذه المكانة من دينية وعلمية وسياسية وأدبية وصناعية انما يستدعى فقدانها وضياعها الحزن العظيم والألم الكبير . فانها صارت مدينة عادية يعين لها وال او وزير وتابعة لغيرها بعد ان كانت رأس المدن وام البلاد وعادت لا قيمة لها سياسية ولا منزلة علمية ...

ناهيك مما اصابها في النفوس والاموال ، و (حادثة الضياع الكبرى) هي في الحقيقة ضياع الاستقلال والادارة والمركز الديني ، فالاهلون وان كانوا في تذمر من ادارة العباسيين بسبب ما كانوا يرون من انواع الجفاء والظلم على يد المسيطرين من الاتراك فان رأسها (خليفتها) منهم ، وصبغتها صبغتهم وطابعها طابعهم ، وادارتها — وان كانت قاسية ومؤلمة — تعد منهم . فلا يودون الاجنبي ولو ملك خير الصفات ولا يرغبون في سيطرة الاغيار وان جاؤا من السماء ...

هذا ما دعا الشعراء ان قالوا قصائد كثيرة ابدوا فيها احساسهم ، وما نالهم من آلام في هذه الوقعة التى لم تضارعها وقعة اصابت البلاد الاحادثة (ضياع بغداد) على يد الانجليز ...

وعلى كل حال ان النفوس لا تريد ان تحكم الا بما شاءت وطبق رغبتها ، ولا تود ان يسيطر عليها الا من تهواه وتميل اليه من رجالها المخلصين وابنائها البررة ...

والامم اليوم لم يأت لها الوقت ان تدقق فيه المبادي فتختار احسنها ، وان تراعي الادارات فتنتقي خيرها ... فلا تزال تنظر الى الطوابع الخاصة والعلائم الفارقة فلا لوم عليها ان تحزن وان يذكر شعراؤها المصاب ...

فاض على لسان شعرائها ما كان يشعر به الكل . فهلاكو لم يغير في الادارة ولا في رجال الحكومة الا قليلا ولكنه بدل السلطة وغير الرأس (رأس الحكومة) وان كان ابقى الشرائع على مجراها وترك الشؤن تجري بمقتضى حالتها ... بعد أن انتهب خزائنها واموالها وقتل في نفوسها ...

ولا محل لا يراد جميع ماقيل من شعر عن هذه الحادثة وما ولدته من ضجة في العالم الاسلامي وانما اكتفى بما قيل اثر المصاب قال شمس الدين محمد بن عبد الله الكوفي الواعظ :

بانوا ولي ادمع في الخد تشتبك	ولوعة في مجال الصدر تعترك
بالرغم لا بالرضى مني فراقهم	ساروا ولم ادراي الارض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بعدهم	أشر علي فان الرأي مشترك
عز اللقاء وضاقت دونه حيلي	فالقلب في أمره حيران مرتبك
يعوقني عن مرادي ما بليت به	كما يعوق جناحي طائر شرك

أروم صبراً وقلبي لا يطاوعني	وكيف ينهض من قد خانه الورك
ان كنت فاقد الف نح عليه معي	فاننا كانا في ذاك نشترك
يا نكبة ما نجا من صرفها أحد	من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عز في احبتنا	ايدي الاعادي فما أبقوا ولا تركوا
لو ان ما نالهم يفدى فديتهم	بمهجتي وبما اصبحت أمتلك
ربع الهداية أضحى بعد بعدهم	معطلا ودم الاسلام منسفك
اين الذين على كل الورى حكموا	اين الذين اقتنوا اين الألى ملكوا
وقفت من بعدهم في الدار اسألها	عنهم وعما حووا فيها وما ملكوا
اجابني الطلل البالي وربعهم الـ	خالي نعم ههنا كانوا وقد هلكوا

لا يحسبوا الدمع ماء في الخدود جرى
وانما هي روح الصب تنسبك

ولما شاهد هذا الشاعر ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء واحرقت تلك الاماكن وابرزت العظام والرؤس على بعض الحيطان قال :

ان ترد عبرة فتلك بنو	العباس حلت عليهم الآفات
استبيح الحريم اذ قتل الاحيا —	ء منهم واحرق الأموات

ومما قاله ايضا :

يا عصبة الاسلام نوحوا واندبوا	اسفاً على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه	لابن الفرات فصار لابن العلقمي (١)

ولهذا الشاعر مراثي أخرى في خراب بغداد وانقراض الخلفاء (٢) .

«١» « ر : تاريخ الفوطي والشذرات ص ٢٧١ »

«٢» « ر : ص ٢٣٧ و ص ٢٣٨ من ج ١ فوات الوفيات » .

وما قاله غيره من هذه النوع كثير ومن هؤلاء سعدي الشيرازي فقد ابدى تألمه لهذا الحادث الجلل بما نظمه في العربية والفارسية ...

ولم يكن أثر هذه الوقعة مقصورا على موقع ، او مختصاً بزمن وانما أثر في نفوس شعرائنا في عصور مختلفة ومواطن عديدة فلا نرى فائدة في ذكرها سوى اعادة الاسى وتحريك الاشجان وتهييج الاحزان ، مما لا يفيد في التربية والسجايا القويمة بل ذلك لم يكن شأن الرجال ، والعاقل من فكر في طريقة الخلاص دون ان يستولي اليأس على قلبه و ياخذ القنوط منه مأخذه ... والمطلوب تعمير المغلوبية ، استفادة مما حدث بان ننهض من الكبوة لا ان نجعل البكاء ديناً والندب ديدنا ...

ولا ينكر ان المرء تفيض نفسه ، وتشتد آلامه وأحزانه من عظم المصاب ، او ينفد صبره و يظهر أثر ذلك على لسانه او وجهه .

وهذا الرصافي ابن عصرنا يتوجع لهذه القارعة و يتألم لها قال :

هو الدهر لم يرحم اذا شد في حرب ... ولم يتئد اما تمخض بالخطب

يزمجر أحيانا و يضحك تارة ... فيظهر في بردين للجد واللعب

فلا هو في سلم فنأمن بطشه ... ولا هو في حرب فنقعد للحرب

يسالم حتى تأخذ القوم غرة ... فيهجم زحفا في زعازعه النكب

ارى الدهر كالميزان يصعد بالحصى ... و يهبط بالموزون ذى الثمن المربى

أدال من العرب الاعاجم بعد ما ... ادال بنى عباسها من بنى حرب

ولم أر للأيام اشنع سبة ... لعمرك من ملك العلوج على العرب

* * *

صفت لبني العباس أحواض عزهم ... زمانا وعادت بعد مخلبة الشرب

عنت لهم الدنيا فساسوا بلادهــا بعدل اضاء الملك في سالف الحقب
فكانوا طفاح الارض عزاً ومنعة خلائف ساسوا بالسيوف و بالكتب
لقد ملكوا ملكا بكت أخريانه بدمع على المستعصم الشهم منصب
تشاغل باللذات عن حوط ملكه فدارت على ابن العلقمي رحى الشغب
اطال هجوداً في مضاجع لهوه على ترف والدهر يقظان ذو ألب
لقد غره ان الخطوب روابض ولم يدر ان الليث يربض للوثب
فكان كمروان الحمار اذ انقضت به دولة مدت يد الفتح للغرب

* * *

جرت فتنة من شيعة الكرخ جلحت على شيعة في الكرخ بالقتل والنهب
فقامت لدى ابن العلقمي ضغائن تحجرن من تحت النياط على القلب
فأضمر للمستعصم الغدر وانطوى على الحقد مدفوعا الى الغش والكذب
وخادعه في الأمر وهو وزيره موار بة اذ كان مستضعف الأرب
فأبعد عنه في البلاد جنوده وشتتهم من أوب أرض الى أوب
ودسّ الى الطاغي هلاكو رسالةً مغلغلةً يدعوه فيها الى الحرب
وقال له ان جئت بغداد غازيا تملكتها من غير طعن ولا ضرب
فثار هلاكو بالمغول تؤمه كتائب خضر تضرب السهل بالصعب
وقاد جيوشاً لم تمر بمخصب من الارض الا عاد ملتهب الجدب
جيوش ترد الهضب في السير صفصفاً وتعرك في تسيارها الجنب بالجنب
فما عتمت حتى بنت بغبارها سماء على ارض العراق من الترب
ولما ابادت جيش بغداد هالكا على رغم فتح الدين قائده الندب



٨ — تولي خان وزوجته سورقوقتي تابع ص ١٤٢

أقامت على اسوار بغداد برهة تعض بها عض الثقاف على الكعب
فضاق عليها بالحصار خناقها وغصت بكرب ياله الله من كرب
وقد حم فيها الامن بالرعب فانبرت له رحضاء من عيون أولى الرعب
هناك دعا المستعصم القوم باكيا بدمع على لحييه منهمل سكب
فابدى له ابن العلقمي تحزنا طوى تحته كشحا على المكر والخلب
وقال له قد ضاق بالخطب ذرعنا وانت ترى ما للمغول من الخطب
فكم نحن نبقى والعدو محاصر نذل ونشقى في الدفاع وفي الذب
وماذا عسى تجدي الحصون بارضنا وهم قد اقاموا راصدين على الدرب
فدع (يا امير المؤمنين) قتالهم على هدنة تبقيك ملتئم الشعب
ولسنا (وان كانت كباراً قصورنا) نردّ هولاكو بالقتال على العقب
فهادنه واخرج في رجالك نحوه وصاهره واشدد منه أزرك بالقرب
والا فان الامر قد جدّ جدّه وليس سوى هذا لصدعك من رأب

* * *

فلما رأى المستعصم الخرق واسعاً وان ليس للداء الذي حل من طب
مشى كارهاً والموت يعجل خطوه يؤم لفيفاً من بنين ومن صحب
وراح بعقد الصلح يجمع شمله كمن راح بين النون يجمع والضب
فامسكه رهناً وقتل صحبه هلاكو ولم يسمع لهم قط من عتب
واغرى ببغداد الجنود كما غدا بادماء يغري كلبه صاحب الكلب
فظلت بهم بغداد ثكلى مرنة تفجع بين القتل والسبي والنهب
وجاسوا خلال الدور ينتهبونها وصبوا عليها بطشهم ايما صب
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعاً مهتكة استاره خائف السرب

وباتت به من واكف الدمع بالبكا عيون المها شتراء منزوعة الهدب
وراحت سبايا للمغول عقائل من اللاء لم تمدد لهن يد الثلب
لقد شربوا بالهون اوشال عزها وما أسأروا شيئاً لعمرك في القعب
فقلص ظل كان في الملك وارفاً وامحل ملك كان مغلولب العشب

* * *

لقد بات اذ ذاك الخلفية جاثماً على الخسف مرقوبا بار بعة غلب
وخارت قواه بالسعار لمنعه ثلاثة أيام عن الاكل والشرب
فقال وقد نقت ضفادع بطنه ألا كسرة ياقوم اشفي بها سغبي
فقال هلاكو عاجلوه بقصعة من الذهب الأبريز واللؤلؤ الرطب
وقولوا له كل مابدا لك انها لآلئ لم تعبث بهن يد الثقب
ألست لهذا اليوم كنت ادخرتها فدونك فانظر هل تنوب عن الحب
وكنت بها دون الممالك معجباً وفاتك ان المقت من ثمر العجب
ولو كنت في عز البلاد أهنتها وانزلت منها الجند في منزل خصب
لما ا كلتك اليوم حربى وأن غدت تذيب لظاها عنصر الحجر الصلب
سأبذلها دون الجنود ازيدهم صيالا بها فوق المطهمة القب
وسوف وان لم يبق الا حديثنا تميز ملوك الارض دأبك من دأبي

* * *

هنالك والطوسي أفتى بقتله قروه بقتل آدب الفجع الأدب
أشار هلاكو نحو علج فتله نخر صريعاً لليدين وللجنب
فادرج في لبد وديس بارجل الى ان قضى بالرفس ثمة والضرب
وقد اثخنت بغداد من بعد قتله جروح بوار جاء بالحجج الشهب

وما اندملت تلك الجروح وانمـا   ببغداد منها اليوم ندب على ندب

والى مدة قريبة اعتدنا المصائب واستولى اليأس وكادت تزول من اذهاننا فكرة الأستقلال ...

لولا اننا نرى النفوس اليوم طافحة بالأمل ، والانتعاش باد ، والصدور منشرحة ...

حوادث الموصل

وفاة بدر الدين لؤلؤ :

توفي بالموصل في شعبان سنة ٦٥٦ هـ وجاء في جامع التواريخ انه توفي سنة ٦٥٩ هـ وفي تاريخ ابن خلـكان انه توفي يوم الجمعة ٣ شعبان سنه ٦٥٧ هـ بقلعة الموصل ودفن بها في مشهد هناك وعمره نحو ثمانين سنة (١) ، وكان قد توجه الى السلطان هلاكو بعد واقعة بغداد فانعم عليه وأعاده ، فلما دخل الموصل مرض أياما ومات وعمره ثمانين سنـة وفي جامع التواريخ بلغ ٩٦ عاما ، ملك الموصل خمسين سنـة ودفن بالقلعة ثم نقل الى مدرسة انشأها على شاطئ دجلة تعرف بالبدرية . وكان عاقلا حازما لبيباً جواداً كريمـاً ، ذا دهاء وحيـلة . مدحـه ابن سنان الخفاجي فأجازه بألف دينار وخلع عليه وطلب من الشيخ عز الدين ابن الأثير ان يجمع تاريخاً ويجعله باسمه ففعل وعمل التاريخ الـكامل فاجزل صلته . وكرمه وجوده وصنائعه وحسن سيرته مشهور . كان كثير الاحسان الى الرعية ، مائلا الى رغباتهم عادلا شهما ، حسن السياسة ، كثير القتل والتشويه والمواخذة وقيل كان موته سنة ٥٧ ، وقام بعده ابنه الملك الصالح اسماعيل وهذا ملك الموصل كان ابني بدر الدين الاخرين تملك المظفر علاء الدين منهما سنجاراً والمجاهد اسحق تملك جزيرة

---

(١) ج ١ ص ١٠٤ في ترجمة ابن المشطوب .

ابن عمر فابقاهم هلاكو عليها مدة ثم استولى عليها ولحقوا بمصر فانقرضت حكومتهم ولم يبق لها ذكر ...

ومن الغريب ان صاحب وفيات الاعيان لم يعقد له ترجمة خاصة مع انه معاصر له وكذا في فوات الوفيات ، وخلاصة ما علم من الآثار التاريخية انه كان ممن تربى في احضان اتابكة العراق المعروفين بأتابكة الموصل من الامراء الذين كانوا تبعاً لحكومة السلاجقة و برزوا في خدمات كبرى ونالوا الامارة واولهم عماد الدين زنكي ولي عام ٥٢١ هـ ١١٣٧ م ودامت حكومتهم الى سنة ٦٣١ هـ ١٢٣٤ م ومن ثم استقل بدر الدين لؤلؤ في دار المملكة ، وكان ارمنيا مملوكا لنور الدين ارسلان شاه ابن عز الدين مسعود صاحب الموصل ، دبر دولة استاذه ودولة ولده الملك القاهر عز الدين مسعود فلما مات القاهر سنة ٦١٥ هـ ١٢١٩ م ، اقام بدر الدين ولد القاهر وهو نور الدين ارسلان شاه و يسمى عليا صورة و بقي اتابكه الى آخر السنة ، فمات فاستقل هو بالسلطنة ...

وفي الحقيقة انه استقل بالادارة من وفاة نور الدين عام ٦٠٧ هـ ١٢١١ م ولذا لم يخطىء من قال انه ملك خمسين عاما . وكانت حكومته تضيق وتتسع الى ان زحف هلاكو على العراق فاستولى على بغداد ثم عاد الى آذربيجان وحينئذ أتاه بدر الدين لؤلؤ وأذعن له بالطاعة فاقره على الموصل وقد توفي عام ٦٥٧ هـ أو ٦٥٦ هـ على اختلاف في ذلك وترجمته مذكورة في قاموس الأعلام ودائرة المعارف للبستاني وتاريخ الفوطي والشذرات ... وقد خلفه أولاده بالوجه المشروح .

وفيات

مضى الكلام عن أشهر الوفيات ، والآن نذكر سائر المعروفين ممن توفي :

١ ـــ علم الدين احمد . اخو الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي . توفى بعد اخيه بقليل .

٢ ـــ تاج الدين على ابن الدوامي كان حاجب الباب ، ولاه هولاكو صدرية الاعمال الفراتية . وكانت وفاته في ١٣ ربيع الاول .

٣ ـــ الشيخ ابو المناقب شهاب الدين محمود بن احمد الزنجاني . الفقيه الشافعي كان رئيس الشافعية ببغداد ، وكان قاضي القضاة فعزل . قتل شهيداً في وقعة التتار . وهو والد عز الدين احمد بن محمود الذي كان قد ولي قضاء الجانب الغربي ببغداد سنة ٦٥٥ هـ . قال عنه في طبقات السبكي : « برع في المذهب والخلاف والاصول ودرس بالنظامية وعزل ودرس بالمستنصرية وصنف تفسير القرآن ... » اهـ (١)

٤ ـــ مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس العلوي .

٥ ـــ القاضي موفق الدين ابو المعالي القاسم ابن ابي الحديد المدائني ، توفي في جمادى الثانية . وفي الشذرات توفى ببغداد في رجب وقال : كان متكلما اشعرياً ، كاتباً ، منشئاً بليغاً ، وفقيهاً اديباً ، شاعراً ، محسناً ، مشاركا في اكثر العلوم (٢)

٦ ـــ اخوه عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ، توفى بعده باربعة عشر يوماً ، كذا في الحوادث الجامعة . وفي فوات الوفيات انه توفي سنة ٦٥٥ هـ ، وفي آخر شرح نهج البلاغة من مصنفاته ترجمة منقولة عن ابن الفوطي من كتابه (معجز الآداب في معجم الالقاب) وفيها انه لما اخذت بغداد كان ممن خاص من القتل في دار الوزير مؤيد الدين مع اخيه والشيخ تاج الدين على بن انجب الخ .

وهو معتزلي ، فقيه ، شاعر ...

«١» عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ج ١٩ وابن الفوطي، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ١٥٤ «٢» الشذرات ج ٥ وابن الفوطي .

ومن مؤلفاته :

(١) الفلك الدائر على المثل السائر .

(٢) نظم فصيح ثعلب .

(٣) شرح نهج البلاغة . كتبه باسم الوزير ابن العلقمي وهو كتاب مفيد في موضوعه وفيه تكلم عرضاً عن وقائع المغول قبل تسلطهم على بغداد وا كتساحها ، ومباحثه عنها مهمة ، اوضح وقائع المغول وهجومهم على الممالك الاسلامية ، وغارتهم على بغداد وار بل بتفصيل زائد وتقف حوادثه عند سنة ٦٤٣ ﻫ ايام وزارة مؤيد الدين ابن العلقمي ، ومدحه هناك بقصيدة (١) ...

طبع بمصر سنة ١٣٢٩ ﻫ ولا تخلو هذه الطبعة من اغلاط فاحشة ، منها انه سمى (اترار) المدينة المشهورة (اتران) غلطاً . وضبطها صاحب الوافي بالوفيات (اطرار) بضم الهمزة وسكون الطاء وبالف بين رائين وقال : فاراب من بلاد الترك وتسمى الآن اطرار (٢) ...

وللمترجم تعليقات على كتابي المحصول والمحصل للرازي وغيرها (٣) ...

٧ — موفق الدين ابو محمد عبد القاهر بن محمد ابن الفوطي البغدادي الحنبلي . قال ابن الساعي : كان اماماً ثقة ، اديباً ، فاضلا ، حافظاً للقرآن ، عالماً بالعربية ، واللغة ، والنجوم ، كاتباً شاعراً ، صاحب امثال ... ولي كتابة (ديوان العرض)، وقتل صبراً في الواقعة ببغداد . (٤)

٨ — الشيخ علي الخباز الزاهد . احد مشايخ العراق ، له زاوية واتباع ، واحوال

«١» شرح النهج ج ٢ ص ٣٧١ «٢» ج ١ ص ١٠٨ «٣» فوات الوفيات ج ١ ص ٣١٧ ، «٤» شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٧٨ وعقد الجمان ج ١٩

وكرامات قتله التتار والقى على مزبلة بباب زاويته ثلاثة ايام حتى اكلت الكلاب من لحمه .

٩ — الامام شعلة . هو ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الموصلي المقرئ العلامة قرأ القرآن على ابي الحسن علي بن عبد العزيز الاربلي وغيره وتفقه ، وله معرفة تامة بالعربية ، وبرع في الادب والقراآت ، وشعره في غاية الجودة . ومن مؤلفاته :

(١) نظم كتاب الشمعة في القراآت السبعة .

(٢) شرح الشاطبية .

(٣) كتاب الناسخ والمنسوخ .

(٤) كتاب فضائل الأئمة الاربعة

توفى في صفر بالموصل . (١)

١٠ — محي الدين ابو نصر محمد بن ابي صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي ، سمع من والده ومن الحسن بن علي بن المرتضى العلوي وغيرهما . كان عالماً ، ورعاً زاهداً ، يدرس بمدرسة جده و يلازم الاشتغال بالعلم الى ان توفى . ولي ابوه قضاء القضاة في خلافة الظاهر بامر الله ولم يقلد قضاء القضاة سواه عن الحنابلة وعزل سنة ٦٢٣ هـ وولاه والده القضاء والحكم بدار الخلافة فجلس في مجلس الحكم مجلساً واحداً وحكم ، ثم عزل نفسه وترك القضاء تورعاً ولازم مدرستهم بباب الازج توفى ليلة الاثنين ١٢ شوال ببغداد ودفن الى جنب جده الشيخ عبد القادر بمدرسته ، وكانت وفاته بعد انقضاء الواقعة . وكانت وفاة والده سنة ٦٣٣ هـ . (٢)

١١ — ابن شقير الشيخ عفيف الدين ابو الفضل المرجى بن الحسن الواسطي المقرئ التاجر السفار . ولد سنة ٥٦١ هـ ، وقرأ القراآت على ابي بكر الباقلاني

«١» الشذرات ج ٥ «٢» الشذرات ج ٥ وابن الفوطي

واتقنها وتفقه ، وكان آخر من روى وحدث عن ابي طالب الكتاني . (١)

١٢ — الصرصري . الشيخ العلامة ابو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري (بفتح الصادين نسبة الى قرية على فرسخين من بغداد) ، الشاعر المادح الحنبلي ، الضرير البغدادي ، وشعره في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم مشهور ، كان حسان زمانه ، وديوانه معروف . كان اليه المنتهى في معرفة اللغة ، ويقال انه حفظ صحاح الجوهري ، وصحب الشيخ علي بن ادريس اليعقوبي تلميذ الشيخ عبد القادر الجيلي ، وكان ذكياً يتوقد ذكاء ، ينظم على البديهة وله :

١ — نظم الكافي للشيخ موفق الدين بن قدامه .

٢ — نظم مختصر الخرقي .

قتله التتار حينما دخلوا بغداد برباط الشيخ علي الخباز وحمل الى صرصر ودفن بها . (٢)

١٣ — شيخ الشيوخ ببغداد صدر الدين ابو الحسن علي بن الحسين ابن النيار . كان اولا مؤدباً للخليفة المستعصم بالله فلما صارت اليه الخلافة نال رفعة عظيمة وولاه مشيخة الشيوخ ببغداد . ثم انه ذبح بدار الخلافة كما تذبح الشاة في وقعة التتار . (٣)

١٤ — عز الدين حسين ابن النيار اخو شيخ الشيوخ . (٤)

١٥ — آل الجوزي . توفى منهم الصاحب العلامة محى الدين ابو المحاسن يوسف ابن الشيخ ابى الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد التيمى البكري البغدادي الحنبلي ، استاذ دار المستعصم بالله . ولد سنة ٥٨٠ هـ ، سمع من أبيه

«١» الشذرات ج ٥ «٢» عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ج ١٩ والشذرات ج ٥ «٣» عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ج ١٩ «٤» ابن الفوطي

وذاكر ابن كامل وابن برش وطائفة وقرأ القرآن بواسطة علي ابن الباقلاني ، وكان كثير المحفوظ ، قوي المشاركة في العلوم ، وافر الحشمة ، لبس الخرقة من الشيخ ضياء الدين ابن سكينة ، واشتغل بالفقه والخلاف والاصول وبرع في ذلك وكان اشهر فيه من ابيه ، وولي الولايات الجليلة ثم انقطع في داره يعظ ويفتي ويدرس... وله من المصنفات (معادن الابريز في تفسير الكتاب العزيز) و (المذهب الاحمد في مذهب احمد) و (الايضاح) في الجدل . قتل مع اولاده الثلاثة وهم الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن . وكان فاضلا بارعاً واعظاً له تصانيف قتل وقد جاوز الخمسين .

وشرف الدين عبد الله . ولي الحسبة ثم تزهد عنها ودرّس .

وتاج الدين عبد الكريم ولي الحسبة ايضاً لما تركها اخوه ودرس . قتل ولم يبلغ عشرين سنة . (١)

١٦ — ابن الحلاوي . هو شرف الدين ابو الطيب احمد بن محمد بن ابي الوفاء الهزبر، له فضيلة تامة ، وشعره في غاية الجودة والرقة . مدح الملوك والكبار ، عاش ٥٣ سنة ، وكان في خدمة صاحب الموصل . (٢)

وقائع العراق

سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م)

تغيير في الموظفين :

في هذا العام توجه فخر الدين ابن الدامغاني (صاحب الديوان) الى (السلطان هلاكو) ومعه (صدور اعمال العراق) . فانعم السلطان عليه واراد ان يفوض امر

«١» الشذرات ج ٥ «٢» الشذرات ج ٥

العراق اليه فوقع نجم الدين بن عمران عليه ونسب اليه انه اطلق من السجن بالمدائن رجلا من انساب الخليفة المستعصم فتوجه الى الشام ... فانتقض امره واعتقل. فتوفي بنواحي اشنى (اسنى) من أعمال اذر بيجان. وكان عمره نحوه ٦٥ سنة...

ورتب نجم الدين ابن المعين (صاحب ديوان بغداد) فسار اليها وجماعة الصدور صحبته . فلما دخلها مرض وتوفي بها .

وكان من جملة من توجه الى الاردو سراج الدين ابن البجلي صدر واسط والبصرة فأثبت عليه انه اخربها واهمل مصالحها فأمر بقتله فقتل . ورتب في واسط مجد الدين صالح بن الهذيل نقلا من صدرية نهري عيسى وملك ولقب (بالملك) . فلما وصل اليها وقرر قواعدها عمل لها جسراً فتم في أمد يسير ولم يكن لها من حين عمرت جسر .

ضريبة شخصية :

وفي هذه السنة تقدم بجمع اهل بغداد وكتبت اسماؤهم وجعل عليهم امراء الوف ومئات وعشرات وقرر على كل واحد منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حاله ماعدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ الا انه لم يعين احصاء عنهم مجموعاً ... فما زالوا على ذلك الى ان ولي الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني العراق فاسقط ذلك عنهم .

وفاة الوزير عز الدين ابي الفضل العلقمي

وفاة الوزير و بعض احواله :

في ذي الحجة سنة ٦٥٧ هـ توفي عز الدين ابو الفضل محمد بن الوزير مؤيد الدين محمد ابن العلقمي . ولي الوزارة بعد وفاة أبيه . وكان على القاعدة التي كانت زمن الخليفة في الملبوس والمركوب .

دخل يوماً فقيل لعلي بهادر شحنة بغداد أن فرس الوزير على الباب وفي حلقها مشدة وعليها كنوش ابريسم فقام ومضى وشاهدها فعجب من ذلك فقيل له هذه كانت على قواعد الوزراء والعظمآء في زمن الخليفة فبال قائماً على المشدة وأمر باخراج الفرس من الدركاه وعاد وهو مغتاظ ، منكر لهذه الحال .

وكان عمر عز الدين نحو أربعين سنة قال في الوافي بالوفيات :

« قرأ القرآن والعربية على التقي حسن ابن الباقلاني الحلى النحوي ، واللغة على رضي الدين الصغاني ، وكتب التقاليد عن الخليفة ايام والده .

وله النظم المتوسط ، كتب على كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي .

سماء انارت للفضائل انجماً ... وبحر اثار الدر فذاً وتوأما

جلا أوجه الآداب زهراً مضيئة ... فثقف عود العلم حتى تقوما

اثار خفيات الفضائل فانثنى ... سناها مضيئاً بعد ان كان مظلماً

وألف من بعد التفرق شملها ... على ان فيه حسنها متقسما

تضمن اسماء ينير بها الدجى ... ويهدى بها الغاوي ويجلى بها العمى(١)

ولا يعلم عن أحواله ومقدرته في الادارة وغاية مانعلمه انه كان تزوج بنت القمي وانه ولي الوزارة بعد أبيه . وفي الحقيقة اليد للفاتح فكانت ولايته إسمية نوعاً ولم يبد منه عمل يدل على مقدرة أو يبين عن مهارة ... والغرض من نصب هذا وامثاله الاطلاع على الحالة والتبصر في الادارة وطريق الجباية ومعرفة من لهم وعليهم ...

*

* *

---

(١) الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٨٥

ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني

في ذي الحجة سنة ٦٥٧ هـ

في هذه السنة في ذي الحجة ولي بغداد علاء الدين عطا ملك الجويني وجعل معه عماد الدين عمر بن محمد القزويني (١) ، ومن ثم انقطعت الوزارة من البغداديين وصارت لصنائع المغولا وموظفيهم من الايرانيين ولهم حق السبق فى الطاعة ... ولذا نرى بعض المؤرخين يتهمون الايرانيين في تشويق هلاكو للاستيلاء على بغداد ... من جراء قبضهم على ادارة بغداد ...

وعلاء الدين هذا من أسرة عريقة في الآداب والادارة ، ولها مكانتها فى ايران ... ومن أفراد هذه الأسرة من استخدم عند الخوارزميين والمغول ، وأول من انتسب الى المغول منهم بهاء الدين محمد ابن شمس الدين الجويني ايام امارة چينتمور على خراسان ومازندران فجعله صاحب ديوان خراسان ومازندران ...واظهر كفاءة تامة ومقدرة وافرة .

وفى سنة ٦٣٣ هـ ذهب الى قراقوروم بصحبة گرگوز الى اوكتاي قاآن فنال التفاتاً منه ولقبه (صاحب الديوان) وهذا اللقب لازمهم ، ومنحه (پايزه) (٢) و (يرليغاً)(٣) مختوماً بختم احمر ، و بقي في خدمة المغول فى ايران أيام گرگوز وأيام الأمير (ارغون)

«١» ابن الفوطي «٢» عندهم بمقام وسام وتكون من ذهب او فضة او نحاس أو من الخشب فى بعض الاحيان ويحفر عليها اسم الله واشارة السلطان وتمنح غالباً الى امراء الجيش، ومنها ما ينقش فيها رأس اسد ويقال لها « پايزه سرشير » وهى من اعظم الأوسمة «٣» هو الغرمان ، أو المنشور ، او الامر أو الكتاب السلطانى ويوضع فيه ختم أحمر «آل تمغا» أو مايسمى «آلتون تمغا» ، أومختوما بحبر يقال له « قراتمغا » ، والختم يكون مربعاً .

وتوفي بهاء الدين سنة ٦٥١ هـ عن عمر ٦٦ سنة . وله من الاولاد شمس الدين صاحب ديوان الممالك والمترجم علاء الدين .

وقد اضطربت الآراء في أصل هذا البيت ، يقال انهم يمتون الى امام الحرمين الجويني لمجرد الموافقة في الانتساب الى جوين كما هو رأي صاحب مجالس المؤمنين ، وصاحب مجمع الفصحاء الا ان هذا غير معروف لمعاصريه . وبعضهم جعل أنه ينتمي الى الفضل بن الربيع الوزير ومن القائلين بهذا شمس الدين الذهبي صاحب التاريخ نقلا عن ابن الفوطي فاتخذ صاحب تاريخ الفخري هذه الاشاعة المذكورة وسيلة للطعن به اظهاراً لغضاضته بسبب قتلة والده على ما سيبين ...

ومهما يكن فالمترجم ولي بغداد وكان قد ولد سنة ٦٢٣ هـ وصار كاتباً خاصاً للامير ارغون (والد الامير نوروز الذي كانت له اليد البيضاء والمساعي العظيمة في اسلامية السلطان غازان من سلاطين المغول في العراق وايران) ، فذهب الى مغولستان مراراً وشاهد بنفسه بلاد الترك واتصل بالقوم اتصالا مباشراً فتمكن ان يجمع مادة تاريخه ... اطلع على الاقوام هناك ، وشاهد البلدان ، وعرف الامراء كما اوضح ذلك في مقدمة كتابه (جهانكشا) ، وهذا الكتاب كان المرجع المهم لتاريخ المغول الا انه وقف به عند حكومة الملاحدة فلم يتجاوزها ، واشترك الجويني مع هلاكو في حرب الملاحدة مما مرّ البيان عنه وهكذا لازمه الى ان أودع اليه منصب بغداد .

وفي جامع التواريخ انه ولي بغداد عام ٦٦١ هـ حينما قتل هلاكو وزيره الامير سيف الدين بيتكجي ووجه منصب الوزارة الى شمس الدين الجويني ... وهذا غير صحيح لما جاء في ابن الفوطي من ان ذلك كله كان سنة ٦٥٧ هـ ، ولما جاء عن علاء الدين نفسه في رسالة له يقال لها (تسلية الاخوان) (١) انه عين لهذا المنصب عام ٦٥٧ هـ

(١) منها نسخة في مكتبة باريس

قال فيها ما معناه :

« ان القادر تعالى ... انتزع ممالك العراق و بغداد وخوزستان من ايدي بني العباس وتصرفهم ، وأودعها ليد السلطان هلاكو ... وفي شهور سنة ٦٥٧ ﻫ اي بعد وقعة بغداد بسنة قد أسندت هذه المملكة ، وفوضت الي لاقوم بمهماتها ... » اﻫ(١)

و باقي احواله سيأتي الكلام عليها في حينها ...

كاتب الانشاء في الديوان

وفي هذه السنة وصل بهاء الدين علي بن الفخر عيسى الاربلي الى بغداد ورتب كاتب الانشاء في الديوان . واقام ببغداد الى ان مات ، وستأتي ترجمته عند بيان وفيات سنة ٦٩٢ ﻫ .

وقائع سنة ٦٥٨ ﻫ

(١٢٦٠ م)

شكوى على الوالي (صاحب الديوان) :

في هذه السنة اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا السلطان هلاكو خان حيث كان في الشام (كان سار الى حلب والشام في اواخر سنة ٦٥٧ فافتتحها و بلاداً اخرى من سورية) ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان اشياء اعتمدوها واثبتوا ما استوعبه من الاموال فأعاده معهم الى بغداد ليقابل على ذلك . فلما قوبل وثبت عليه ما نسب اليه أنهوا ذلك الى السلطان فأمر بقتله فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت وكان يجلس في الديوان و يستر وجهه .

---

(١) اسلامده تاريخ ومؤرخلر وجهانكشاي جويني

قضاء القضاة ببغداد :

وفي هذه السنة ولى الصاحب علاء الدين عز الدين احمد بن محمود الزنجاني قضاء القضاة ببغداد نقلا من الجانب الغربي وخلع عليه . وكان قضاء الجانب الغربي يقوم به قاض ، والجانب الشرقي يقوم به قاضي القضاة . وهذا الترتيب كان جارياً زمن الخلفاء العباسيين فلم يتغير الحال في القضاء ... وكانت المراسم لا تزال مرعية . وكان يخلع على قاضى القضاة عند توجيه المنصب اليه ...

وكان عز الدين احمد بن محمود الزنجاني قد عين لقضاء الجانب الغربي زمن العباسيين سنة ٦٥٥ ﻫ وهو ابن محمود بن احمد الزنجاني وقد مرّ الكلام على وفاة والده المذكور فى السنة الماضية . (١)

وقائع سنة ٦٥٩ ﻫ

(١٢٦١ م)

الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل وحوادث سورية :

ان الملك الصالح نظراً للحوادث التي وقعت اخيراً في سورية من انخذال عساكر المغول انتقض على هلاكو وذهب الى دمشق واتفق مع الملك الظاهر ثم عاد الى الموصل وسيأتي تفصيل ذلك ...

صاحب الديوان شمس الدين فى بغداد :

وفي هذه السنة وصل صاحب الديوان شمس الدين الى بغداد ومعه (يرليغ) يتضمن براءة اخيه علاء الدين مما نسب اليه وولايته العراق و بسط يده فيها فلما اقرئ في الديوان قال الصاحب شمس الدين لعلي بهادر شحنة بغداد (الشعر اذا حلق نبت

والرأس اذا حاق لم ينبت) ودبر في قتله وقتل عماد الدين القزويني على ما نذكره .

في المدرسة المستنصرية :

وفي هذه السنة ايضاً رتب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية (١) نقلا من الاعادة بها وحضر درسه الصاحب علاء الدين والاكابر والعلماء فخلع عليه .

المستنصر بالله — العراق :

في رجب بويع بمصر المستنصر بالله احمد بن الظاهر محمد بن الناصر لدين الله العباسي الاسود وفوض الامور الى الملك الظاهر بيبرس ثم قدما دمشق ثم سار المستنصر ليأخذ بغداد و يقيم بها وكان في آخر العام مصاف بينه و بين التتار الذين بالعراق فعدم المستنصر في الوقعة وانهزم الحاكم قبحا . والمستنصر هذا كان محبوساً ببغداد حبسه التتار فلما اطلقوه التجأ لعرب العراق فاحضروه الى مصر و بايعوه ، وكان شديد القوى عنده شجاعة واقدام (٢) .

وقائع سنة ٦٦٠ هـ

(١٢٦٢م)

قتل الملك الصالح واخيه : (حوادث الموصل)

تقدمت الاشارة الى ان السلطان هلاكو خان قد سار في اواخر سنة ٦٥٧ هـ بعساكر عظيمة الى الشام وكان في اول الاستيلاء كتب الى الاطراف يهددها

-١- هذه المدرسة شرع ببنائها سنة ٦٢٥هـ وافتتحت عام ٦٣١ هـ - التفصيل في تاريخ الفوطي حوادث سنة ٦٣١ هـ - . -٢- الشذرات ج ٥

ويدعوها لطاعته ... وكان استدعى مالكها الملك الناصر صاحب الشام فأنفذ ولده الملقب بالملك العزيز واصحبه التحف والهدايا فأنعم عليه وأعاده وقال له نحن طلبنا اباك وحيث لم يحضر نحن نسير اليه فلما بلغه ذلك حار في امره وسار بأهله واولاده الى الكرك .

ثم ان السلطان هلاكو خان أمر بعمل ثلاثة جسور على الفرات وسار بجيوش لا تحصى فعبروا وتوجه الى حلب فحصروها وقاتلوا من بها وفتحوها في ٥ صفر ، ثم ملك الشام جميعها عنوة وصلحاً لمن سأله الامان . ثم ان السلطان احكم ثغور الشام وترك هناك جيشاً عليه الامير كتبغا ورحل عنها فترك على ماردين صاحبها نجم الدين غازي فارسل اليه ولده قرا أرسلان الملقب بالملك المظفر فأنعم السلطان عليه وأمره ان يحسن لابيه الطاعة فلما عاد اليه وابلغه الطاعة اعتقله خوفاً منه ان يقبض عليه فدام حصر ماردين ووقع فيها وباء كاد يفني من بها فمات صاحبها نجم الدين غازي فخرج ابنه الملك المظفر من الحبس ونزل الى عبودية السلطان فخلع عليه وأعاده ثم رحل قاصداً مقرّ ملكه .

واما كتبغا فانه نزل على الكرك واستنزل الملك الناصر بأمان وسيره الى عبودية السلطان فاكرمه ووعده انه اذا ملك مصر اعاده الى الشام .

وفي سنة ٦٥٩ سار الملك المظفر قطز صاحب مصر الى الشام لما عرف ان السلطان هلاكو خان قد عاد الى بلاده فخرج اليه الامير كتبغا ومن معه من العساكر والتقوا واقتتلوا عند (عين جالوت) فقتل كتبغا وعدة من اولاده وجمع كثير من عسكره وانهزم الباقون وتعد هذه الوقعة من الانتصارات المهمة ومن اكبر العوامل لصد التتار عن التقدم ... وفرح بها المسلمون وكانوا يظنون ان لن تكسر راية للمغول . ومن العوامل الاخرى التي صدت تيار المغول الخلاف بين هلاكو وابن

عمه بركة (بركَي) فانه مما قل من قوتهم وشنأهم ... ثم انه دخل الملك المظفر قطز دمشق واستولى على الشام جميعه واحكم اموره وقرر قوانينه وعاد الى مصر .

فلما كان بنواحي غزة وثب البندقدار في عدة من مماليك الصالح ايوب فقتلوه واتفق الامراء عليه فجعلوه سلطانهم ولقب الملك الظاهر فسار في الجيوش حتى دخل مصر . فلما استقر بها شرع في قتل كل من توسم فيه الرئاسة حتى توطد ملكه ...

فلما بلغ السلطان هلاكوخان ذلك امر بقتل الناصر واخيه وأصحابهما وكانوا عنده ثم أمر ايلكانوين بالمسير الى الشام فسار بخلق كثير من العسكر . فلما قرب من دمشق بلغه ان الملك الظاهر قد تجهز للقائه ووصل الى دمشق فعاد الى بلاد الروم .

كل ذلك بلغ الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ ففارق الموصل وقصد الملك الظاهر وهو بدمشق وطلب منه جيشاً يمنع به المغول عن قصد الموصل فوعده بذلك .

وعندما عاد ايلكانوين عين له جماعة من العسكر فسار بهم الى الموصل وانفذ سنجر مملوك ابيه على مقدمته فلما بلغ الموصل منع عن دخولها اياما فوثب محي الدين بن ز بلاق في طائفة من العوام وفتحوا له باب الجسر فدخل منه ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم فبلغه ان عسكر المغول واصل اليه فخرج ومعه الف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى به عسكر المغول فقتلوه وقتلوا اكثر من معه .

فلما بلغ السلطان هلاكو خان ذلك سير الأمير سمداغو (١) نوين الى الموصل واما الملك الصالح بن بدر الدين فانه وصل الموصل ودخلها فلما استقر بها وصل الامير

---

(١) ورد في النسخة الاصلية من الفوطي بهذا اللفظ - سمداغو - .

سمداغو نوين وحصره ونصب المناجيق على سور الموصل وخندق عليها وواصل الزحف والقتال مدة اثنى عشر شهراً وكان اهلها قد أبلوا في الجهاد بلاءً حسناً وقام الملك الصالح في ذلك قياما تاما ونصب حيال مجانيق المغول بباب الميدان والجصاصين ثلاثين منجنيقاً ترمي ليلا ونهاراً .

فلما طال الحصار ورأى سمداغو ان القتال والزحف لا يجديان نفعاً امسك عن ذلك الى أن فنيت ميرة أهلها وتعذرت الاقوات عليهم واشتد بهم الامر حتى اكلوا الميتة ولحوم الكلاب ...

فحينئذ طلب الملك الصالح من سمداغو الامان له ولأهل البلد وترددت الرسل بينهما فاجابه الى ذلك فلما خرج اليه قبض عليه وعلى ولده واتباعه ودخل العسكر الى البلد وقتلوا ونهبوا وسبوا واسروا ...

ثم أمر بقتل ولده الملقب علاء الملك فقتل وعلق رأسه على باب الجسر وسير الملك الصالح واخاه الملك الكامل الى السلطان هلاكو خان . فأمر بالملك الصالح فسلخ وجهه وهو حي ثم قتل وقتل اخوه وكان طفلا وقتل اصحابهم واتباعهم .

وكان الملك الصالح لما اشتد حصر الموصل كاتب سلطان الشام يسأله مساعدته فأرسل لنصرته اميراً اسمه ايلبرلك في جماعة فلما وصل سنجار كتب على الجناح الى الملك الصالح يعرفه وصوله فاتفق ان بعض المغول رمى ذلك الطائر بسهم فوجد الخط فحمله الى سمداغو فارسل جماعة من عسكره نحو ايلبرلك فساروا اليه وقاتلوه بظاهر سنجار فقتلوه وقتلوا معظم اصحابه وانهزم الباقون .

ابن زبلاق :

ومن جملة من قتل بالموصل في هذه الوقعة محي الدين محمد بن يوسف ابن زبلاق وكان من الفضلاء وشاعراً مجيداً حسن المعاني وله رسائل واشعار مشهورة

منها قوله يعتذر الى من يستدعيه :

انا في منزلي وقد وهب ‏ ‏ الله نديما وقينة وعقارا

فابسطوا العذر في التأخر عنكم ‏ ‏ شغل الحلي اهله ان يعارا

وترجمته و بعض شعره مذكور في الشذرات وبلفظ زيلاق .

ابن يونس الباعشيقي (والي الموصل الجديد) :

ثم رتب ابن يونس الباعشيقي واليا بالموصل . ورتب معه الأمير نور شحنة

نقرة وفلوس :

وفي هذه السنة ابطلت الدراهم السواد بالموصل وكانت نحو ار بعين درهما بدينار وضرب بها دراهم نقرة وفلوس .

فتح جزيرة ابن عمر :

ولما فرغ سمداغو من فتح الموصل سار الى جزيرة ابن عمر ففتحها بامان وقتل حاكمها واستعمل عليها رجلا نصرانياً اسمه مارحيا . ثم عاد الى السلطان .

وقائع بغداد في هذه السنة

قتل عماد الدين القزويني :

وفي سنة ٦٦٠ هـ قتل عماد الدين القزويني أحد الحكام ببغداد . وسبب ذلك ما تقدم ذكره في وقائع السنة الماضية . فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والاكابر بما صار اليه من الاموال وعرض ذلك على السلطان هلاكو خان فأمر بالفحص عنه فثبت عليه اكثره فامر بقتله .

قتل مجد الدين ملك واسط :

وفي هذه السنة ايضا قبض الصاحب شمس الدين على مجد الدين صالح ابن

الهذيل ملك واسط وطولب بالبقايا وشدد عليه . ثم دوشخ وضرب وطيف به في واسط واستوفي منه قدر يسير ساعده به الناس وقبض على اصحابه ونوابه وطولبوا بالاموال وضربوا ...

ثم سلمت الاعمال الواسطية الى الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان فانحدر اليها واستصحب فخر الدين مظفر ابن الطرّاح وجعله نائبا عنه في تدبيرها . وهذا جاء ذكره في فوات الوفيات عند الكلام على اخيه الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد وقال :

« من بيت رياسة وحشمة وعلم وحديث ... وكان لاخيه فخر الدين المظفر بن محمد تقدم عند التتار ... » اه (١)

وقائع سنة ٦٦١ هـ

(١٢٦٣ م)

قتل علي بهادر شحنة بغداد والعلوى المعروف بالطويل :

في هذه السنة قتل علي بهادر شحنة بغداد والعلوى المعروف بالطويل وكانا ممن سعى في الصاحب علاء الدين كما تقدم فاخذ الصاحب شمس الدين خطوط حكام بغداد بما صار اليهما من الاموال وما اعتمدا في العراق وعرض ذلك على السلطان فأمر بقتلهما . فارسل الايلچية في طلبهما من بغداد فلما سارا عنها انفذ من قتلهما ...

وعين الأمير قرابوقا شحنة بغداد .

وكان علي بهادر حسن السياسة مظهراً للخير ملازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرها

---

(١) ج ١ ص ١٧٣ فوات الوفيات .

فلما قتل قبض على شهاب الدين داود ابن عبدوس وكيله وثقل بالحديد وطولب بالأموال فأدى عشرة آلاف دينار .

ثم ان الصاحب علاء الدين خاطب في أمره فتقدم باعادة ذلك عليه .

نقابة الطالبيين :

وفي هذه السنة ولي السيد رضي الدين علي بن طاووس نقابة الطالبيين بالعراق .

وفيات

١ — توفي عز الدين عبد الرحمن بن الناقد وعمره احدى وخمسون سنة وخمسة اشهر .

٢ — الرسعني . نسبة الى رأس العين وهو العلامة عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر المحدث ، المفسر ، الحنبلي ، ولد سنة ٥٨٩ هو وسمع بدمشق من الكندي ، و ببغداد من ابن منينا ، وصنف تفسيراً جيداً سماه رموز الكنوز ، وكان شيخ الجزيرة في زمانه . ولى مشيخة دار الحديث بالموصل ، وكانت له حرمة وافرة عند صاحب الموصل وغيره من ملوك الجزيرة ، ومن مصنفاته (كتاب مصرع الحسين) الزمه بتأليفه صاحب الموصل فكتب فيه ما صح من المقتل دون غيره وكان متمسكا بالسنة والآثار وله نظم حسن توفي ١٢ ربيع الآخر من هذه السنة (١) .

*

* *

«١» الشذرات ج٥

وقائع سنة ٦٦٢ هـ

(١٢٦٤ م)

نصير الدين الطوسي والدويدار في بغداد :

في هذه السنة وصل نصير الدين الطوسي الى بغداد لتصفح الاحوال والنظر (في أمر الوقوف) والبحث عن الاجناد والمماليك ...

ثم انحدر الى واسط والبصرة وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل الرصد .

ووصلها ايضاً جلال الدين ابن مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير (١)

القبض على ابن عمران — محاكمته : (قتله)

قبض على نجم الدين احمد بن عمران الباجسري وأخرج مكتوفاً راجلا الى ظاهر بغداد وقد نصبت هناك خيمة بها :

صاحب الديوان علاء الدين

والخواجة نصير الدين الطوسي

وابن الدواتدار

وجماعة من الامراء

فعمل له (يارغو) (٢) وقوبل على امور نسبت اليه فوجب عليه القتل فقتل واخذ ابن الدواتدار مرارته . ثم طيف برأسه على خشبة ونهبت داره ...

وكان حسن السيرة ذا مروءة ، كان من متصرفي السواد ببغداد فلما وصل السلطان هلاكو العراق توصل حتى مثل في حضرته وانهى اليه من الأحوال ما أوجب الانعام

---

(١) ويلفظ الدواتدار ، والدوادار ايضاً . (٢) اليارغو المحكمة او المجلس للتحقيق او ما يسمى بالمحاكمة العرفية .

عليه وتقديمه حتى صار من جملة الحكام ببغداد. وشارك في تدبير الأعمال وخوطب بالملك. فقال في حق علاء الدين صاحب الديوان وعاداه فافضت حاله الى ما جرى عليه ... وكان قد وقع في كثيرين فأصابه ما أصابهم ...

ابن الدويدار :

ثم ان ابن الدواتدار شرع في بيع ماله من الغنم والبقر والجواميس وغير ذلك واقترض من الاكابر والتجار مالا كثيراً واستعار خيولا وآلات السفر وأظهر انه يريد الخروج الى الصيد وزيارة المشاهد واخذ والدته وقصد مشهد الحسين (ع) ثم توجه الى الشام فتأخر عنه جماعة ممن صحبه من الجند لعجزهم.

فلما عادوا الى بغداد اخذهم قرابوقا شحنة بغداد وقتلهم وقبض على كل من كان ببغداد وواسط وغيرها من الجند فقتلهم ...

اعتقال علاء الدين صاحب الديوان :

وفي هذه السنة قبض قرابوقا شحنة بغداد على علاء الدين صاحب الديوان واعتقله ونسب اليه اشياء قد عزم على ان يعتمدها فأرسل الى اخيه الصاحب شمس الدين وهو باذر بيجان يعرفه ذلك فعرض أمره على السلطان فأمر ان يأتي اليه باختياره ومعه كل من قال عنه وسعى به الى قرابوقا تحت الاستظهار ...

فلما وصلوا وعمل (اليارغو) لم يثبت على الصاحب علاء الدين ما نسب اليه فأمر بقتل من سعى به وعزل قرابوقا عن العراق وأعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته الى بغداد ... ورتب (توكال بخشى) شحنة بغداد (هوشتاي) نوكره (وجاء بلفظ هوشتكتاي) ... كذا في ابن الفوطي وفيه نظر على ما سيجيء في حوادث سنة ٦٦٥ هـ.

وقائع سنة ٦٦٣ هـ

(١٢٦٥ م)

وفاة السلطان هلاكو خان

وفاة هلاكو خان :

في ١٩ ربيع الآخر توفي السلطان هلاكو خان (١) وفي ابن خلدون انه توفي سنة ٦٦٢ هـ. ودفن في قلعة تلا من أعمال مراغة عن نحو خمسين سنة من العمر. كان عالي الهمة عظيم السياسة عارفا بغوامض الامور وتدبير الملك . فاق من تقدمه بالرأي السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة ...

كان يحب العلماء والفضلاء ويحسن اليهم ويجزل صلاتهم ويشفق على رعيته ويأمر بالاحسان اليهم والتخفيف عنهم ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت عادة الملوك به من التكليفات والتوزيعات وغير ذلك (٢) ...

ولم يكن هو (٣) القاآن أي الملك الاعظم للمغول كما تقدم وانما ارسله أخوه منكوقاآن لاكتساح ايران وبلاد الملاحدة والعراق وسورية ... الا انه كان مستقلا

«١» اصل هلاكو قولاخو ومعناها الفرس الاحمر والابيض وصارت علماً على الخان المذكور ابن تولي خان ابن جنكيز خان « لغة جغتاي » ويقال ايضاً - قولاقو - كما في شمس الدين سامي وفي كتاب - ترك بيوكري - مثله وزاد ان هولوق ، واولوق واولاق واولاغ من اصل واحد واولوق واولاق منها بمعنى الفرس - ص ١٠٨ - . «٢» -تاريخ الفوطي- . «٣» القاآن عند المغول اعظم الملوك او ما يقال له عندنا -سلطان السلاطين- -امبراطور- ودونه - الخاقان - واقل سلطة منه -الخان- ثم -بكلربكي- بمعنى امير الامراء ثم -بك- اي امير .

في ادارته كما ان أخاه ليس له الأمل ان يكون هلاكو تحت ادارته وانما غرضه ان يستقل ...

والحق انه بالنظر لما مر من الحوادث لم يقبل بالظلم والتعدي ، ولم يغمض عيناً او يتهاون لاحد في سوء الادارة ولا رضى باختلاس ... ومن أهم ما يذكر عنه انه ساوى بين العناصر وراعى الحرية لكل دين ومذهب في تقاليده ومراسمه ولم يطلب من احد سوى الصدق والاخلاص والعقل القويم ... و بعدها جعل الحرية في ان يعتقد كل بما شاء ورغب ، يضاف الى ذلك انه حافظ على مؤسسات كل طائفة وموقوفاتها وراعى ما ارصدت لاجله ...

وفي تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من اهل الازمان للعلامة الاثري المؤرخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي الشهير بابن ابي عذيبة ما نصه :

« كان هلاكو ... من اعظم ملوك التتر ، وكان شجاعاً ، مقداماً ، حازماً ، مدبراً ، ذا همة عالية ، وسطوة مهابة ، وخبرة بالحروب ، ومحبة في العلوم العقلية من غير ان يعتقل منها شيئاً ، اجتمع له جماعة من فضلاء العالم ، وجمع حكماء مملكته ، وأمرهم ان يرصدوا الكواكب ، وكان يطلق الكثير من الاموال والبلاد وهو على قاعدة المغل في عدم التقييد بدين من الاديان ، وكان سعيداً في حروبه طوى البلاد ، واستولى على الممالك في أيسر مدة ... قال الظهير الكازروني حكى النجم احمد ابن البواب النقاش نزيل مراغة قال : عزم هلاكو على زواج بنت ملك الكرج فأبت حتى يسلم فقال عرفوني ما أقول فعرضوا عليه الشهادتين فأقر بهما وشهد عليه بذلك خواجة نصير الدين الطوسي وفخر الدين المنجم فلما بلغها الفخر المنجم انعمت بالزواج وعقدوا العقد باسم تامار خاتون بنت الملك داود على ثلاثين الف دينار . قال

ابن البواب وانا كتبت الكتاب في ثوب اطلس ابيض . » اه (١)

ولا نرى فائدة في النقل عن مؤرخين كثيرين فتكاد الأقوال تتفق في الاعجاب مما قام به مما لم يتيسر لفاتحين كثيرين ... ولم يعترضه في طريقه الا معاداة بركة خان (٢) ابن جوجي بن جنكز فانه ناصبه الحرب وصارحه القتال وكان ملك (قبجاق) وأراد ان يذل هلاكو لما قام به من القسوة في المسلمين وفي الخليفة دون عقد شورى فجهز جيشاً عظيماً لمقارعته وفي شوال سنة ٦٦٠ ه تقاتلا فانتصر هلاكو عليه ، وأرسل ابنه ابقاخان بجيش قوي عليه وتأهب هو ايضاً للمرة الثانية فالتقى الجمعان فتغلب بركة خان على عدوه وولي الادبار في جمادى الاولى سنة ٦٦١ ه ، وكذلك وقعة (عين جالوت) أثرت على الوضع وضعضعت من القوة ... مما دعا ان تتوقف الفتوح و يفتر العزم بل تخور القوى فلم تتحق الأماني والاتفاقات مع الصليبيين... ولولا ان الخوف لا يزال مستولياً على النفوس لهاجت عليه البلاد من كل صوب...

«١» الجلد الخامس منه . وهذا الكتاب من التواريخ النادرة في خمس مجلدات وفيه بيان عن العلماء في ايام كل خليفة او ملك ويعتمد على مؤلفات مهمة وستأتي النقول عنه في حينها وعندي نسخة خطية منه منقولة على نسخة صاحب المعالي فخر الدين باشا آل جميل ببغداد ، واولها : الحمد لله القديم قبل حدوث الزمان والمكان الخ . وتنتهي حوادثه في سنة ٨٠٦ ه. «٢» ويلفظ برقاي وبركاي كما في جامع التواريخ ، وفي شجرة الترك بوركه خان . وهذا هو ابن جوجي خان ابن جنكز خان ولي مملكة القبجاق المعروفة بدشت قبجاق اي صحراء قبجاق سنة ٦٥٤ ه ولما كان مسلماً صار المسلمون يسمون مملكته «دشت بركة» تفاؤلا باسمه... وكان يحب المسلمين وهو اول من اسلم من ملوك المغول ، ويعزى سبب المشادة بينه وبين هلاكو الى فعلات هذا الاخير بالمسلمين وقتل الخليفة دون ان يؤلف الشورى « كنكاش » ويستطلع الآراء...

ولـكنه لم يخل من الحساب للأمر ، ويقال انه السبب الوحيد لوفاته ... قال ابن ابي عذيبة المذكور :

« فلما بلغ هلاكو قتل كتبغا (١) وعسكره وما جرى لهم (في عين جالوت) حنق وطلب الملك الناصر ... وقتله ... ثم لما انكسر عسكر التتر جرد قطز في أثرهم بيبرس البندقداري فتبعهم الى أطراف البلاد وقتلوا عن آخرهم . فلما سمع هلاكو بهذه القضية وكان متوجها الى العراق لحقه خناق ومات بعلة الصرع...» اه

والظاهران السببين اجتمعا او بالتعبير الاصح تواليا فاوديا بحياته غماً ... وكان قد اشغله هم القضاء على بركة خان وتأهب لمناضلته مرة اخرى الا انه مرض في ربيع الاول سنة ٦٦٣ هـ قال في جامع التواريخ وتوفي في ١٩ ربيع الآخر في شاطئ نهر جغاتو الكائن في جنوب بحيرة اورمية ودفن في جبل شنهو تجاه قرية خوارقان (دهخواركان) (٢) .

وكان محباً للعمارات واقام الكثير منها في حدود مراغه ، وبحيرة اورمية ونهر جغاتو (٣) ، وجبل الآتاع (طاغ) وميله الى التنجيم ، والفلك والكيمياء كان كبيراً ، ويقال انه بذل ما انتهبه من ثراء في سبيل الكيمياء ، كما بني الرصد في مراغة وبذل له الاموال الوافرة واتخذ له مكتبة كبرى ...

وكان على مذهب البوذية ، وفي خوى بنى داراً للاصنام ... ولكن زوجته دوقوز خاتون بنت ابن اونك خان من الكرايت كانت على النصرانية ، وهذه كانت زوجة

---

(١) هو كيتوبوقا من قبيلة كرايت . وقد ورد في الغالب بلفظ كتبغا ، وكتبوغا

(٢) جامع التواريخ ص ٤١٦ ومفصل تاريخ ايران ص ١٩٨ . (٣) وهذا النهر يسمى عند الايرانيين زرينه رود . واما المغول فيدعونه ـ جغاتو نغاتو ـ كما في ص ٤٠٠ من جامع التواريخ .

والده تولى خان ، و بعد وفاته تزوج بهـا وكان لها نفوذ عظيم عليه ورأى النصارى بسببها توجهاً زائداً ... وكان ذلك مما ادى الى اتفاقات مهمة بين المغول والحكومات المسيحية الغربية للقضاء على الاسلامية ... فخذل المغول في الوقائع السالفة فصارت من البواعث الرئيسية لتوقفهم ، وحبوط مساعيهم في تحقيق امانيهم ... خصوصاً كانت الاسلامية قد تجدد نشاطهـا باسلام مملكة القبجاق على يد بركة خان رأس حكومتها وهناك سبب آخر وهو ان امراء ايران كان لهم النفوذ الكبير لمنع توسيع سلطة الارمن وتوقيف نفوذهم عند حده ... وماتت (دقوز خاتون) بعد قليل اي في ٥ جمادى الثانية ٦٦٣ ﻫ و يعزى صاحب جامع التواريخ تأثره من حادث ابن الدواتدار الصغير وما فعله في بغداد وذهابه الى سورية هارباً من حكم المغول ... وهذا ايضاً يعد سبباً آخر لاضطرابه ...

وكان قد رثاه الطوسي بابيات فارسية مبيناً فيها تاريخ وفاته ... خلفه ابنه اباقاخان في ٨ جمادى الثانية من السنة المذكورة ...

والحاصل أن حكومته أشبه بالحكومات المتمدنة التي تراعي الحريـة الدينيـة بحذافيرها ولم تتقصد النكاية بأهل نحلة أو دين ... ! بل هو اوسع صدراً .

لم يحارب الا المحارب ومهمته سياسية حربية صرفة ... وما قام به الجيش من سوء الاحوال وانتهاك الحرمات فلا يعذر من أجله والظاهر أنه كان هذا منهاجه ، أو أنه لا مندوحة له من وقوعه ولا يتيسر صده قضاء على النزعات واستئصالالهـا من اساسها مما دعا ان يعـد من أكبر السفاكين ... وعلى كل كان من السياسـة المدنية بمكان ...

ولو كانت الحكومة العباسية طبقت الخطة السياسية الاسلامية في منتهاها كما راعتها في أولاها لما تسلطت عليها الاقوام ، ولا خشيت بطش الزائغين ، ولمـا

ركنت الى العصبية الحزبية التي ادت الى الخلاف اكثر والى الثورات اعظم ، ولما فزعت الى التوسل بالعنصرية ، أو المذهبية وما شاكل ...

ومعلوم ان تطبيق هذا المبدأ يحتاج الى قوة وسلطة قهارة تدع كلا يقف عند حده ويراعى غيره كما يراعى نفسه ولكن المبدأ العباسي تداعى بنيانه وهوت حيطانه ولم يعد يصلح للحياة بل البقاء في جانبه خطر ومهلكة ...

وهنا يلاحظ في حكومات ذلك العصر انها اصل الجماعة وسائر الاقوام الذين تحت سلطتها خلقوا لتعيش هي برفاه وسعادة وأطمئنان" دون ان يلتفت الى ما يؤدي الى ثراء الشعب ونعيمه ورفاهيته . فترى الخليفة يخزن اموال الامة و يجعلها لنفسه ولم تستفد الامة ما يعود لمصلحتها بالخير شيئاً يذكر ... وكذا هلاكو يهاجم الامة و يسلبها أموالها و يغتنم ما خزنه الخليفة غنيمة باردة ... فلم تبق للأمة مؤسسات نافعة ، ومفيدة اللهم الا ما يساعد على مصلحة اعدائها وأعمالهم العسكرية من صنع جسور وتسهيل طرق ... والحاصل لم تدع هذه الحكومات من قوتها لسلب اموال الامة والتنعم بها ... الا فعلته ...

وحكاية نصير الدين الطوسي المارة آنفا عنه كاشفة لحقيقة خطته رغم المبالغة فيها كما انها مطابقة لنهج جنكيز خان ووصاياه لأولاده وسلوكه مع الاقوام ... فهو فاتح (جهانكير) ومدبر (جهاندار) مما يعبر به عنه ... وعلى كل هي تعديل في الخطط ...

أما سياسته في العراق بعد الفتح فانه لم يداج احداً ولم يراع جانبا ولا اغمض عن عات ولا تغافل عن ظالم او ناهب وهمه اقامة العدل ومراعاة السياسة الحكيمة فكانت اذنه صاغية ومحاكمة الموظف المنسوبة اليه الخيانة حاسمة ... لم يتردد في اقامة العدل وتنفيذه في حق من استوجب العقوبة ولوكان اعز الناس اليه او

اكبر من قام بخدمة له ...

وهذه سجايا لا نكاد نراها في حكومة ولا نعرفها عند احد من معاصريه ومن بعدهم... حكومة رشيدة ولكن النفوس فاسدة والسلوك رديء والناس منطوون على سيء الاعمال وخبيث الافعال ... وتكاد تضارع ادارته خطة العرب المسلمين لو لا قسوتها وفضاعتها ...

ومما ينكر عليه نهجه الديني ايضا فهو غير مسلم ، وأعماله ليست مصروفة لخير الجماعة وصلاحها ... وانه اول كافر وطأ هذه الارض مذ زمن عمر بن الخطاب (رض) فنفرته الامم الاسلامية جمعاء من جراء هجومه على بغداد ونكايته بالخلفاء والقضاء عليهم وسفكه الدماء الوفيرة وسيطرته على هذه البلاد ، وجعلها منقادة له ، مما أوجب استياء كافة المسلمين في شرق البلاد وغربها .. ولا يزالون يذكرونها والحزن رفيقهم والهم حليفهم ...

ذلك أمر أراده الله تعالى ليعلموا ان دعوى الاسلامية وحدها لا تجديهم نفعاً ما لم يسلكوا طريقها الحق ومنهجها القويم ، وأهم ما في هذا الايمان الخالص والاستقامة التامة ومراعاة العدل ولومع من نكره ... وهذه مقومات الاجتماع ووسائل حسن الارتباط بين القوم والامة او الامم قلباً وقالباً ...

وعلى كل حال ان الحوادث الجزئية المارة وغيرها مما هو معروف عنه تنبيء عن مقدرة هذا الفاتح العظيم والسياسى الخطير الذي في وسعه ادارة عالم لا أمة او بضعة أمم بسياسة حكيمة وعقل مدبر وفكر كامل ... ومن أهم ما قام به ضدنا انه اضاع مزايا العراق باتخاذه عاصمة الملك في موطن بعيد عن العراق ... مما قلل من مكانته .... وجعله مملكة أصغر شأنا من غيرها ...

ومهما يكن الامر فهو ليس فاتحاً فحسب وانما هو سياسي خطير ولا تزال الامم

ترى الصعوبات الجمة في تطبيق خطته لانها لا تزال تمشي بمقتضى الحزبية (هذا من شيعته وهذا من عدوه) ولكنها تتضاءل امام عظمة الاسلامية واعتدال دمها مع كافة الاقوام بنهجها القويم الاقوم والعام الشامل ...

أسس حكومة عظمى في ايران وانقاد له العراق من الموصل الى بغداد فالبصرة وقارع الاطراف وأهم حروبه كانت في سورية وفي القفجاق (قبجاق) حينما نازعه بركة خان واراد ان يقضى عليه من جراء حنقه وغضبه على الخليفة وتألمه لمصابه ... فلم ينجح في حروبه معه ومقارعاته له ... فتم لهلاكو الفوز واستقل بايران وما والاها واحكم ادارة العراق ، وبعث بكتبه (١) ثم سار بجيشه القوي الى الاطراف الا أنه شعر بالخطر مؤخراً لما رأى من الاوضاع .

دام حكمه ببغداد من ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ واستمرت ادارته الى تاريخ وفاته في ١٩ ربيع الآخر سنة ٦٦٣ . وهو الذي قارع العباسيين وقضى عليهم وقتل الخليفة المستعصم ولم يبق منهم احداً الا ابن الخليفة وأخاه . اما الاخ فكان استنجد وجمع وحشد عساكر الشام ومصر وجاؤا على طريق الانبار فقتلهم المغول عن آخرهم وقتل أخا الخليفة . وبقي الابن في مصر فاعلنوا خلافته وسموه (ابن البركة) فتحولت الخلافة الى هناك ولم تخرج من كونها خلافة بالاسم ومراعاة مراسم دون قيام باعبائها ومهماتها ... فلا يجلس السلطان بمصر الا باذنهم وبيعتهم ظاهراً الى ان انقرضوا الانقراض الاخير على يد السلطان سليم المعروف بياوز فنقل الخلافة اليه وسمى نفسه بالخليفة (٢) . وتلك الايام نداولها بين الناس .

«١» منها ما مر نقله ومنها ما هو مذكور في الشذرات ج ٥ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ وابن العبري ص ٤٨٤ . «٢» الغياثي وغيره

السلطان آباقاخان

ولي في ٢٥ ر بيع الآخر سنة ٦٦٣ هـ

في ٢٥ ر بيع الآخر لسنة ٦٦٣ ولي آباقا خان (١) وأجمع الامراء والعساكر على طاعته وذلك بعد ابيه السلطان هلاكو خان وكان حين توفي والده حاكما في مازندران فتحرك على وجه السرعة والعجلة فجاء الى تبريز وحلّ محل ابيه .

وفي زمن والده كان يذكر في عناوين الاحكام اسماء منكوقا آن ، ثم قبلاي قا آن أما آباقا فلم يوافق على ذكر اسم قو بيلاي وانما ذكر اسمه أصالة وأعلن نفسه ملكا على ايران مستقلا (٢) .

وذلك أن مانكوقا آن كان قد توفي في مملكة الصين بعد ان اكتسح غالبها فولي بعده قو بيلاي قا آن وقد وقع خلاف في ملوكيته الا انه تمكن من اخضاع المخالفين واذعن الجميع له بالطاعة ، وفتح مملكة الصين بتمامها ، وولي الحكم ٣٥ عاما ، وعلى ما جاء في خلاصة الاخبار انه توفي سنة ٦٩٣ هـ (٣) ...

وقد عمرت بلاد ايران والروم بحسن سيرته . وكان مدار ملكه على الامير سوغنجاق ، والوزير الخواجة شمس الدين صاحب الديوان وهو ابن الصاحب بهاء

«١» ذكره صاحب قاموس الاعلام بلفظ -اباقاخان- وأحال بالمراجعة الى مادة -ابقا- واما في دائرة المعارف للبستاني والشذرات وابي الفداء -ابغا- بالغين وهكذا جاء عن ابن خلدون وفي دائرة المعارف الاسلامية-اباقا- بلا مد والصحيح الاول وان كان نطق المؤلفون بالالفاظ الاخرى وجاء في لغة جغتاي بلفظ-اباغه-و -اباقه-وقال معناها العم ، والابن الكبير لهلاكو-ص٢- -وشجرة الترك وجامع التواريخ ووصاف وغيرها- . «٢» ابن الفوطي . «٣» شجرة الترك وغيرها واسم قو بيلاي يلفظ في تواريخ عديدة -قبلاي- ، و -قوبلاي- واصل تلفظه قو بيلاي.

الدين الجويني . وكانوا أباً عن جد اصحاب ديوان خراسان وكانوا قائمين بانواع الـكمالات ، وحازوا فنون العلم ، وفازوا بالنصيب الـكامل ، وأحرزوا قصب السبق في تربية العلماء الافاضل ، ونالوا من حسن السيرة والعدل مالم يصل اليه همم الاواخر والاوائل ، وكانوا ملجأ لسلاطين ايران وملاذاً وموئلا للملوك ومعاذاً في ذلك الزمن(١) .

حوادث العراق في هذه السنة :

اقر السلطان اباقاخان ولاية الصاحب علاء الدين ببغداد ، وصله يرليغ منه وخوله به ان يكون حاكماً مطلقاً لا يكون فوق يده يد وكان شحنة بغداد قرابوغا ونائبه اسحق الارمني ... كذا في ابن العبري وفيما يلي ما يخالف هذا ... (٢) وقد نسبا اليه المماثلة الى سورية فلم يثبت ذلك عليه .

حوادث الموصل :

وفي هذه السنة (سنة ٦٦٣) عين رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالموصل وفي تاريخ الموصل انه ناصر الدين القافا فدخلها وقبض على الزكي الاربلي الذي كان واليها وطالبه بالبقايا التي ساقها الحساب عليه واستوفى منه معظمها ثم قتله ، والزكي الاربلي هذا كان من اجناد الموصل و بعد ان استولى سمداغو على الموصل وجعل حاكمها الامير شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي نظراً لخدمته في ايصال الـكتاب الوارد الى الملك الصالح من اخيه علاء الدين يدعوه ان يكون مع البندقدار سعى الزكي الاربلي في الامير المذكور وقال عنه انه جمع الاموال والجواهر من خزائن بيت بدر الدين ... فانكر فضربوه اشد الضرب ليقر وقتل وتولى الموصل الزكي سنة ٦٦١ هـ . (٣)

---

(١) تاريخ الغياثي . (٢) و (٣) ابن العبري وفيه تفصيل ... والفوطي .

وقعة الجاثليق :

وفي هذه السنة قبض مليخا الجاثليق على نصراني من اهل بغداد قد اسلم فاعتقله بداره المعروفة (بدار الدويدار الكبير) على شاطىء دجلة وعزم على تفريقه فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا ونهبوا سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال النصارى وحصروا الجاثليق واحرقوا باب داره وقاتلوا اصحابه فنزل في سفينة وقصد صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فأمر (الـكلخية) بكف العوام وركب (توكال بخشي)شحنة بغداد واخذ نفراً من العوام وقتل منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة .

ثم ان الجاثليق توجه الى الاردو (١) السلطاني وعاد الى اربل و بنى بقلعتها بيعة. ثم قدم بغداد واقام بها الى ان مات ورتب في منصبه (ماردنحا) الاربلي .

وقائع سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م)

فيلان ببغداد :

وفيها وصل الى بغداد رجل معه فيلان افرد الديوان لهما داراً فاقام اياماً ثم توجه بهما الى السلطان .

وفاة المخرمي :

في هذه السنة توفي فخر الدين ابو سعيد المبارك بن المخرمي .

ترجمة المخرمي :

توفي فخر الدين ابو سعيد المبارك ابن المخرمي وكان قد خدم الخلفاء في عدة خدمات منها القضاء ومنها نيابة ديوان الزمام ثم رتب وكيل باب طراد والنظر بدار التشريفات

«١» يراد به فيلق السلطان ومركز وجوده لا مطلق الفيلق كما يفهم من لفظه المجرد

عوض علي ابن العنبري نقلا من نيابة ديوان الزمام . (١)

وفي ربيع الآخر سنة ٦٣٣هـ نقل الى صدرية المخزن وخلع عليه واعطي مركوباً بعدة كاملة وأنعم عليه بألف دينار واسكن في الدار المنسوبة الى الوزير عبد الله ابن يونس المجاورة للديوان ، ثم نقل فخر الدين ابن المخرمي الى صدرية ديوان الزمام في تلك السنة .

وفي سنة ٦٣٧ هـ توفي والده عز الدين ابو زكريا يحيى وهو شيخ خير ، دين من بيت معروف بالرواية والدراية والقضاء والعدالة والتنابه والتصوف والولاية ... قد تصرف في اعمال السواد نظراً واشرافاً ، وكان مشكور السيرة ، كيساً ، متواضعاً . ركب في ١٢ رمضان سنة ٦٣٧ الى الجامع فصلى الجمعة وخرج ليركب فلما قارب الباب وقع الى الارض ومات فحمل الى دار ولده فخر الدين ابي سعيد المبارك صاحب ديوان الزمام ولم يكن حاضراً ببغداد فغسل وصلي عليه في جامع القصر وحضر جنازته الولاة وارباب الدولة والامراء والاعيان وشيعوه الى دجلة وحمل الى مقبرة باب حرب فدفن بالقرب من قبر احمد (رض) وقد جاوز الثمانين وقدم ولده فخر الدين بعد وفاته بثلاثة ايام .

وبقي المترجم فخر الدين في منصبه الى سنة ٦٤٣ هـ وحينئذ كفت يده فانقطع الى داره الى ان ملك السلطان هلاكو بغداد فلما تقرر حال الحكام بها ولاه صدراً بدجيل ثم نقل الى مشيخة رباط الحريم بموجب التماسه وايثاره العزلة والعبادة فبقي على ذلك الى ان مات ودفن بحضرة الامام احمد بن حنبل رحمه الله .

وقد ورد في حوادث عزله عن ديوان الزمام ان له ابناً اسمه كمال الدين محمد ، واخاً اسمه شمس الدين عبد الرحمن وآخر جمال الدين علي ، وابن عم اسمه رضي الدين

«١» ابن الفوطي حوادث سنة ٦٣٢ هـ .

علي ابن المخرمي . (١)

والمترجم من اسرة قديمة السكنى ببغداد فان والده عز الدين ابا زكريا يحيى بن المبارك بن علي بن الحسين بن بندار المخرمي ، وجده بندار المخرمي كان اعجمياً قدم بغداد واستوطنها وسكن المخرّم (محلة أعلى البلد) فنسب اليها . واما جده المبارك بن علي فكان فقيهاً فاضلا عالماً : عدلا ثقة اشتغل بالفقه حتى برع ودرس وافتى و بنى المدرسة المنسوبة الى تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله ، وشهد عند قاضي القضاة ابي الحسن الدامغاني سنة ٤٨٨ هـ ثم ولي قضاء باب الازج وكان نزهاً في ولايته . (٢)

ومن هذا تعرف مكانة هذه الاسرة وقيمتها الادبية والعلمية وشهرتها بالصلاح وحسن السلوك وآخرها بالنظر لحوادث هذه الايام مترجمنا .

وفيات

١ — وفاة ابن طاووس . توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي ابن طاووس وحمل الى مشهد جده علي ابن ابي طالب (ع) قيل كان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة . وقد مر بيان توليه النقابة ... وقال عنه ابن الطقطقي :

« لما فتح السلطان هلاكو بغداد سنة ٦٥٦ هـ أمر ان يستفتى العلماء ايما افضل السلطان الكافر العادل ، او السلطان المسلم الجائر ، ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب ، وكان رضي الدين عليّ ابن طاووس حاضراً هذا المجلس وكان مقدماً محترماً ، فلما رأى احجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع الناس خطوطهم

«١» ر : «حوادث سنة ٦٣٨ و ٦٤١ و ٦٤٣ هـ من تاريخ ابن الفوطي» .

«٢» «حوادث سنة ٦٣٧ هـ من الفوطي» .

بعده . » هـ (١)

ولا مجال لقبول هذه الفتوى بعد العلم بأن السلطان المسلم مهدد بالامة وسخطها عليه وخلعه والملتزم ان لا تقبل حكومة الكافر وولايته ... واليوم — بصورة عامة — لا ترضى الامة ان تحكم الا بنفسها ، والادارة او الارادة للامة وتختار رئيسها ليمثل رغبتها ويمضي طبق ما تريد ... والتهديدات الالهية كثيرة في لزوم اتباع المسلم دون سواه ... وتقييده بما قيده الشارع ...

والمترجم من العلماء المشاهير ورجال الشيعة المعروفين وله مؤلفات عديدة ذكرها صاحب روضات الجنات ، وصاحب أمل الآمل ، وصاحب لؤلؤة البحرين ... والمطبوع منها كتاب الاقبال ومنهج الدعوات وغيرهما ... وكان بينه و بين الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي واخيه وابنه صداقة متأكدة أقام ببغداد نحواً من ١٥ سنة ثم رجع الى الحلة ثم سكن المشهد الشريف برهة ثم عاد في دولة المغول الى بغداد الى ان توفي في ٥ ذي القعدة وكانت ولادته في المحرم سنة ٥٨٩ هـ . (٢)

٢ — وفاة ابي بكر الشيباني البغدادي . هو الشيخ المعمر ابو بكر ابن ابراهيم الشيباني البغدادي الصوفي بخانقاه سعيد السعداء . مات ليلة ٢٢ ذي القعدة ودفن بالسفح المقطم ، وكان قد ولد سنة ٥٥١ هـ وهو شيخ صالح ، صوفي ، من اكابر المعروفين ... (٣)

وقائع سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦) م

ان السلطان اباقاخان اول من انفصل من حكومة جنكز خان الاصلية واعلن استقلاله كما تقدم فكانت نتيجة ذلك ان هاجمه في هذه السنة (٦٦٥ هـ)

«١» الفخري ص ١٥ . «٢» روضات الجنات ص ٣٩٦ . «٣» عقد الجمان .

براق(١) بن جغتاي بن قبلاي قاآن فعبر النهر الى غربيه بعساكر كثيرة... فسار اباقاخان للقائه فالتقوا بنواحي هراة واقتتلوا قتالا شديداً استظهر فيه براق خان ثم صار النصر حليف اباقا خان فانهزم براق خان وعسكره وتمت هزيمتهم الى جيحون وتبعهم عسكر السلطان اباقاخان يقتلون فيهم وينهبون ويأسرون وغرق منهم خلق كثير في جيحون ونجا براق خان وبعض عسكره ...

هذه هي حادثة الانفصال ومن ثم اعتبر آنئذ الاستقلال وانفردت الحكومة بالادارة وتدبير شئون الحكومة باسمها ...

وقائع العراق الاخرى في هذه السنة :

١ — فيها عزل توكال بخشي عن نوكرية هوشتكتاي شحنة بغداد وجعل عوضه (تتارقيا) .

٢ - وفيها وصل شمس الدين محمد الكبشي الى بغداد وعين مدرساً بمدرسة النظامية وحضر درسه الحكام والعلماء فلم يزل على ذلك الى ان خطر له التوجه الى بهاء الدين ابن الصاحب شمس الدين الجويني فسار اليه .

وقائع سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م)

بناء رباط :

أمر علاء الدين صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد الامام علي (رض) ليسكنه المقيمون المجاورون هناك ووقف عليه وقوفاً كثيرة ، وادرّ لمن يسكنه ما يحتاج اليه .

«١» براق هذا ويلفظ - باراق خان - ابن ييسو نتو بن موتوكن بن جغتاي - جاغاتاي - من ملوك ما وراء النهر . وهذا قبل الاسلامية بعد توليه الحكم بسنتين ولقب نفسه - السلطان غياث الدين - وهو اول من اسلم من نسل جغتاي ثم صار بعد امد كافة اكابر المغول مسلمين ... - شجرة الترك - .

ضرب نقود :

أمر بضرب فلوس من المس (النحاس) ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها وجعل كل اربعة وعشرين فلساً بدرهم و بكل دينار خمسة ارطال ...

التأهب للحج :

أمر الناس بالتأهب للحج واحضر (عرب الطريق) واطلق لهم من ماله شيئاً كثيراً واخذ منهم الرهائن على ان يسيروا الحجاج و يعيدوهم ... (١)

ولما توجه الناس مضى الصاحب معهم الى الكوفة ، وجهز الفقراء وزوّدهم وعين للناس من يتأمّر عليهم في السفر فحجوا وعادوا سالمين ...

قتل ابن الخشكري :

أمر الصاحب بقتل (ابن الخشكري) (٢) النعماني الشاعر .

وفيات :

١ — توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانية .

٢ — توفي الشيخ ضياء الدين محمود الجاجرمي شيخ رباط الشونيزى .

٣ — عفيف الدين علي بن عدلان . وهو ابو الحسن الربعي الموصلي ، ولد سنة ٥٨٣ هـ وتوفى في ٩ شوال سنة ٦٦٦ هـ وكان علامة تصدر بجامع الصالح ، وكان من اذكياء بني آدم واحد الأئمة المشهورين بمعرفة الادب وله مصنفات ... وترجمته في فوات الوفيات (٣)

٤ — الشريف ابو العباس احمد بن ابي محمد عبد المحسن الواسطي العراقي التاجر

«١» هؤلاء رؤساء قبيلة طي . «٢» ورد بلفظ ـ الحشكري ـ والتفصيل عنه في ابن الفوطي . «٣» فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ وعقد الجمان ج ١٩ .

مات بثغر الاسكندرية في ٥ صفر . ومولده بالغراف ... (عقد الجمان ج ١٩)

ولاية الموصل :

وفي هذه السنة ولي على الموصل رجل نصراني اسمه مسعود . وهو من قرى اربل اسمها برقوطا . وعزل عنها البابا . ورتب معه شحنة من المغول اسمه اشموط .

ومسعود هذا كان ابوه اعلم الدين يعقوب التاجر من أخص ثقاة اباقا وأعز المقربين اليه وكان في هذه السنة جاء لزيارة اباقا وفي عودته ادركته المنية فكافأ ولده الاكبر بولاية الموصل واربل ... (١) وعزل (البابا) (٢) .

وقائع سنة ٦٦٧ هـ

(١٢٦٨ م)

قدوم السلطان آباقاخان الى بغداد :

في هذه السنة قدم السلطان آباقاخان الى بغداد وفي خدمته الامراء والوزراء والعساكر فاقام الى زمن الربيع وعاد واعتمد الصاحب علاء الدين في الخدمة بالتحف والاعلاق النفيسة ما يجب .

صدر الاعمال الحلية :

وفي هذه السنة رتب السيد النقيب تاج الدين علي ابن الطقطقي العلوي صدراً بالاعمال الحلية .

«١» تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ج١ص ٢٤٠ وهو في مجلدين طبع الاول سنة ١٣٤٢ هـ-١٩٢٣م- والثاني سنة ١٩٢٨ م . «٢» والظاهر ان لقب -البابا- هو المعروف اليوم -ببه- او -بابان- والملحوظ انه اصل الاسرة البابانية أو من امرائهـا وتنسب الى هؤلاء وهو الاقرب واما القول بانه -فأفأ- فمنقول عن النسخة السريانية وسيأتي الكلام عن البابان فى العهد العثماني .

وفيات :

١ — توفي اقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي ودفن في صفة الشيخ جنيد . وبلغ ٧٦ سنة . وكان ورعاً ، تقياً ، حسن السيرة اشتغل في عنفوان شبابه بمدرسة دار الذهب ببغداد حتى برع ، وافتى ثم رتب معيداً بالمدرسة المستنصرية ، ثم شهد عند اقضى القضاة كمال الدين عبد الرحمن ابن اللمغاني ، ثم جعل في ديوان العرض ... ثم عين قاضياً في الجانب الغربي سنة ٥٢ ثم نقل الى الجانب الشرقي وخوطب باقضى القضاة سنة ٥٥ فاستمر على ذلك ... فلما توفى رتب قاضي القضاة سراج الدين محمد ابن ابي فراس الهنايسي الشافعي نقلا من التدريس بالمدرسة البشيرية ... (١)

٢ — القاضي فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل الطهراني الراوي الحنفي .

٣ — الشيخ الصالح الزاهد محمد بن السكران ودفن في رباطه بناحية المباركة من الخالص . والتفصيل عنه في ابن الفوطي . ومرقده معروف اليوم قرب الجديدة من انحاء الخالص .

حوادث أخرى :

١ — سقط في هذه السنة وفر كثير كان سمكه في السطوح دون الشبر .

وقائع سنة ٦٦٨ هـ

(١٢٦٩ م)

ولاية الموصل وشحنتها :

في هذه السنة رفع البابا على مسعود البرقوطي والي الموصل واشموط الشحنة بما

---

(١) ابن الفوطي .

وصل من الاموال اليهما فاخذا وحوسبا وعزلا وسلمت الموصل الى البابا وجعل معه بعض امراء المغول شحنة .

وقائع في بغداد :

١ — تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصريه يقبض الماء من دجلة ويرمي الى مزملتها ثم يجري تحت الارض الى بركة عملت في صحن المدرسة . ثم يخرج منها الى مزملة عملت تجاه ايوان الساعات خارج المدرسة وجدد تطبيق صحنهاوتبييض حيطانها وكان المتولي لذلك شمس الدين الخراساني (صدر الوقوف) .

٢ — ثم أمر بعمارة مسناة مسجد قمرية بالجانب الغربي وكانت قد خربت في زمن الخليفة المستعصم عند زيادة دجلة وغرق بغداد وعمل موضعها سكراً من الخشب وبقي الى الآن فتقدم بتجديده وعمله كما كان اولا .

٣ — تقدم بترتيب الشيخ نور الدين علي بن الاطلبي الحنفي مدرساً بالبشيرية عن فخر الدين الطهراني المتوفي في السنة الماضية .

حادثة اغتيال :

في ١٥ جمادى الآخرة ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجمعة فلما وصل الى المسجد الذى عند عقد مشرعة الابريين نهض عليه رجل وضربه بسكين عدة ضربات فانهزم كل من كان بين يديه من (السرهنكية) (١) وهرب الرجل ايضا . فعرض له رجل كان قاعداً بباب غلة بن تومة والقى عليه كساءه ولحقه السرهنكية فضربوه بالدبابيس وقبضوه . واما الصاحب فانه ادخل دار بهاء

«١» اعوانه وحاشيته من مباشرين وغيرهم ... والآن رتبة عسكرية معروفة في ايران .

الدين ابن الفخر عيسى وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة (بديوان الشرابي) ولما عرف بذلك خرج حافيا وتلقاه ودخل بين يديه وأحضر الطبيب فسبر الجرح ومصه فوجده سليما من السم واحضر الجارح وسئل من وضعه فلم يقل شيئا وعاجله الموت . لكن توهموا ان ذلك بوضع بعض النصارى .

وفيات :

١ — توفي الشيخ أبو نصر محمد بن أبي الحسن الخراز الصوفي ببغداد . كان شيخاً ورعا يقول الشعر . وله ديوان مشهور ...

وجاء عنه في عقد الجمان انه الشيخ ابو نصر محمد ابن الحسن الخوار الصوفي ... كان جميل المعاشرة حسن المذاكرة وله :

نهض القلب حين اقبلت أجلا   لا لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود أولى   من نهوض الاجساد للاجساد

٢ — تقي الدين بن كليب النحوى الواسطى . وكان فاضلا ، شاعراً .

حوادث أخرى :

في هذه السنة غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة مائة وخمسين ديناراً وكان الخبز يتعذر في الاسواق اكثر الاوقات .

وقائع سنة ٦٦٩ هـ

(١٢٧٠ م)

ذبول حادثة ببغداد :

في هذه السنة قتل العدل نجم الدين يحيى بن عبد العزيز الناسخ ، وسبب ذلك انه نسب الى مكاتبة ملوك الشام فحبس وقرر فاعترف بذلك فأمر بقتله . وكان

فاضلا ورعا تقيا . والاتهامات في هذه مما يلتفت اليه دائما .

وفيات :

١ — توفي صفي الدين عبد الله بن جميل الجبي . كان اديباً فاضلا ، ظريفاً ، خليعاً حسن الاخلاق طيب المحاضرة . من شعراء الديوان ايام الخليفة ، وله اشعار حسنة .

٢ — توفى الشيخ سراج الدين عبد الله ابن الشرمساحى المالكي ، مدرس المستنصرية ، وكان عالما كثير العبادة . ورد زمن الخليفة المستنصر ومعه أخوه علم الدين أحمد ، فلما توفى عين أخوه علم الدين موضعه نقلا من تدريس البشيريـــة .

وقائع سنة ٦٧٠ هـ

(١٢٧١ م)

عقد نكاح لبنت ابن الخليفة :

في هذه السنة وصل الخواجه شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد الجويني صاحب ديوان الممالك وسأل من الصاحب علاء الدين عمه تزويجه بابنة أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم وهي رابعة فاحضر قاضى القضاة سراج الدين محمد ابن أبي فراس الهنايسي وجماعة العدول والمشائخ فاشترطت والدتها وهي زوجة علاء الدين قبل العقد ان لا يشرب الخمر وأجاب الى ذلك فعقد العقد وكتب (كتاب الصداق) بخط بهاء الدين أبي الفخر عيسى الأربلي المنشي فشهد فيه قاضي القضاة وعدلان . وهذه صورته :

« الحمد لله الذي جمع الشمل ونظمه ، وقوّى عقد الألفة وأحكمه ، وأوثق حبل

الاجتماع وأبرمه ، وصلواته على سيدنا محمد الذي شرفه وعظمه ، ورفع قدره وكرمه ، وعلى آله وصحبه الذين أوضحوا منار الايمان وعلمه ، وأظهروا برهانه وأناروا ظلمه ، وكشفوا لبسه وخصصوا مبهمه .

هذا ما أشهد عليه المولى الصاحب المعظم ، شرف الدولة والدين ، ملك الوزراء مفخر الدنيا ، هرون بن المولى الصاحب (المعظم شرف الدولة والدين) الأعظم العادل المؤيد المجاهد المرابط ، شمس الدين اصف العهد ، ملك وزراء الآفاق ، مالك رق المعالي بالاستحقاق ، فريد العصر في شرف الخلال وكرم الاخلاق ، محمد بن الصاحب المعظم بهاء الدين محمد . أطال الله عمر الخلف ، واهدى الرضوان الى السلف ، في صحة من رأيه الكريم ، ونفاذ من تصرفه القويم ، ومضاء من سداده المستقيم ان عليه وقبله وفي ذمته ، وخالص ماله لزوجته السيدة الجليلة المعظمة المكرمة المقدسة الطاهرة الزكية أمة الله المباركة المدعوة رابعة اخت البتول الزهراء في طهارة الميلاد وأبنة عمها في نسب الآباء والاجداد بنت الامير الكبير السعيد الشهيد أبي العباس أحمد ابن الامام السعيد الشهيد أبي أحمد عبد الله الامام المستعصم بالله امير المؤمنين (وذكر نسبه الى العباس عم النبي ﷺ) من العين مائة الف دينار ذهباً عيناً صحاحاً وذلك بحق صداقها الذي تزوجها عليه تزويجاً صحيحا شرعيا تولي مرشد وشاهدي عدل وتولى هذا العقد الميمون قاضي القضاة شرقا وغربا و بعداً وقرباً سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي باذنها ورضاها فصار المبلغ المشار اليه ديناً لها عليه وحقاً واجبا ثابتا لازما وصداقا حالا غير مؤجل يؤديه اليها متى شاءت من ليل أو نهار ، من غير دفع ولا منع ولا اعتذار ، أقر المولى الصاحب المعظم شرف الدين المشهد على نفسه انه مليء بالنقد المذكور وهو مائة الف دينار من النقد المعين فيه وفيّ به قادر عليه وقبل ذلك وصحّ قبوله

و بذلك جميعه أشهد على نفسه الكريمة في جمادى الآخرة سنة ٦٧٠ هـ » انتهى
وفي ابن ابي عذيبة وتعرف بالسيدة النبوية توفيت معه في سنة واحدة على ما سيجي ولها منه المأمون عبد الله والأمين محمد وزبيدة قال « قتل زوجها هارون فلم يعلم أحد منهما بموت الآخر وكان صداقها مائة الف دينار وهذا ما سمع بمثله الا لملك فان القائم بأمر الله اصدق خديجة السلجوقية مائة الف دينار وكذلك المكتفي زوج ابنته زبيدة بالسلطان مسعود بن محمد ملكشاه على صداق مائة الف دينار . » هـ (١)

تجديد منارة جامع الخليفة (٢) :

وفي هذه السنة أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد منارة جامع الخليفة ، وكان صدر الاوقاف يومئذ شهاب الدين علي بن عبد الله فشرع في ذلك وانتجزت في آخر شعبان . ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ولم يتأذّ احد ممن كان هناك .

حريق في سوق المدرسة النظامية :

وفي هذه السنة وقع حريق بسوق المدرسة النظامية فاحترق جميعه وهلك فيه خلق كثير ممن كان في الغرف . وذهب من اموال الناس شيء كثير . فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وقف المدرسة .

عمارات اخرى : (في واسط)

وفي هذه السنة أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمارة موضع في نهر جعفر من

«١» ابن ابي عذيبة ج ٥ . «٢» هو المعروف اليوم بجامع الخلفاء وقد جاء ذكره في تاريخ الغياثي وان المنارة كانت قريبة من سوق الايكجية وهم اهل المغازل او الغزل .

أعمال واسط سماه (المأمن) و بنى فيه ديوانا وجامعاً وخانا وحماما وسوقا وانتقل اليه خلق كثير . وكان التجار المنحدرون الى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم اليـه فانتفعوا بـه وأمنوا على أموالهم و بنى فيه ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسة .

وفيات :

١ — توفي قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس المنايسي في آخر رمضان ودفن في الصفة التي تقابل ضريح الشيخ معروف (ر) ، كان في مبدأ امره فقيها ، ثم ولي مدرساً في المدرسة البشيرية ، ثم نقل الى القضاء وولى القضاء بعده عز الدين أحمد الزنجاني .

٢ — قتل نجم الدين خواجه أمام كان من نواب الصاحب علاء الدين ، قدم معه من خراسان فاثبته فقيها بالمدرسة المستنصرية وفوض اليه امر وكالته في خاصته وقدمه واعلى مرتبته حتى صار المشار اليه في بغداد وحصل اموالا عظيمة ثم كفر النعمة واستعد للقول في الصاحب فبلغه ذلك ، فقبض عليه وحبسه في داره فنقب الحبس وخرج منه ليلا والتجأ الى بعض امراء المغول وضمن له مالا على ان يوصله الى السلطان فادركه الصاحب وقتله ... (١)

وقائع سنة ٦٧١ هـ

(١٢٧٢ م)

المدرسة العصمية :

في هذه السنة تكاملت عمارة المدرسة التى أمرت بانشائها زوجة علاء الدين صاحب الديوان مجاور مشهد عبيد الله (ع) ظاهر بغداد وسميت العصمتية ووقفتها

---

(١) ابن الفوطي .



٩ — منكو قاآن تابع ص ١٤٢

على الطوائف الاربعة و بنت الى جانبها تربة لها ورباطاً للمتصوفة وفتحت في هذه السنة ورتب بها القاضي عز الدين ابو العز محمد بن جعفر البصري مدرس الطائفة الشافعية وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي مدرس الحنفية وشرف الدين داود الجيلي مدرس الحنابلة ، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ مدرس المالكية وخلع على الجميع وعمل بها وليمة وجعلت النظر فيها الى شهاب الدين علي بن عبد الله والاشراف عليه الى من ولي قضاء القضاة ببغداد .

قاضي ومدرس : (وفاته)

وفيها عين تاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصلي الشافعي قاضياً بالجانب الغربي ببغداد وأضيف اليه الدرس بالمدرسة البشيرية . وكان رجلا فاضلا عالماً . له مصنفات مشهورة . فلم تطل أيامه وتوفي في آخر هذه السنة .

وفاة قاض آخر :

وفي هذه السنة توفي ايضاً القاضي مجد الدين أحمد الدوري فجأة .

الخواجة شرف الدين والمدرسة النظامية :

وفي هذه السنة جلس الخواجة شرف الدين هرون ابن الصاحب شمس الدين بن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة (بالمدرسة النظامية) والقى دروساً وحضر علاء الدين صاحب الديوان عمه وكافة ارباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته . وانشد الشعراء بعد فراغه .

نائب القاضي ببغداد : (وفاته)

في هذه السنة رتب قاضي القضاة عز الدين احمد ابن الزنجاني عز الدين ابا العز احمد (١) بن جعفر البصري نائباً عنه في القضاء ببغداد . وقد توفي بعد ذلك بقليل

---

(١) ورد اثناء الكلام على المدرسة العصمتية بلفظ محمد « تاريخ الفوطي » .

اي لم يكمل السنة ودفن عند الجنيد وكان عالماً فاضلا ولي تدريس النظامية بعد واقعة بغداد ثم نقل الى تدريس مدرسة الاصحاب ودرس في المدرسة العصمتية عند فتحها وناب في الحكم والقضاء كما تقدم .

وفاة ابي القاسم الموصلي :

توفي تاج الدين عبد الرحيم بن محمد الموصلي من بيت الفقه والرياسة . ولد سنة ٥٩٨ هـ وسمع وحدث وصنف ، واختصر الوجيز والمحصول ، وله طريقة في الخلاف ... (١)

وقائع سنة ٦٧٢ هـ

(١٢٧٣ م)

السلطان اباقاخان في بغداد :

في هذه السنة وصل السلطان اباقاخان الى بغداد وفي خدمته الامراء والعساكر والخواجة نصير الدين الطوسي وعبر دجلة وتصيد في اراضي قوسان (٢) حتى بلغ قريباً من واسط . ثم عاد الى بغداد ونزل بالمحوّل .

وأمر بالاحسان الى الرعايا وتخفيف التمغات وحذف الاثقال عنهم وكتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية .

ثم اقطع المحول بلغان خاتون .

فلما انقضى الشتاء عاد الى مقر ملكه .

---

(١) «عقد الجمان ج ١٩ . (٢) بالضم ثم السكون وسين مهملة وآخره نون كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ونهره الذي يستي زروعه يقال له الزاب الاعلى . كذا في معجم البلدان . وهذا الزاب هو النيل كما في مراصد الاطلاع .

واما الخواجة نصير الدين الطوسي فانه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وادر أخباز الفقهاء والمدرسين والصوفية واطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها.

اضافة تستر وأعمالها:

وأمر السلطان باضافة تستر وأعمالها الى علاء الدين صاحب الديوان وكانت أيام الخلافة مرتبطة ببغداد وتعد من أعمالها فتوجه الصاحب اليها وتصفح احوالها وعين بها نوابا و بهذا صارت أحدى الويـة العراق فذكروا له ان بها رجلا يدعى النبوة وقد اتفق معه جماعة وقد نقص لهم من الفروض صلاة العصر وعشاء الآخرة فأمر باحضاره وسأله عن هذه الحال فرآه ذكيا عارفا ببعض العلوم فامر بقتله فقتل وسلم الى العوام واخذ اكثر من كان قد اتبعه. وهذا كان صبياً من ابناء التجار اسمه كي اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم وكان ينظم شعراً بالفارسية فادعى انه عيسى بن مريم وقال ان بلغت من العمر ثماني وثلاثين سنة تم أمري. ونظم شعراً يتضمن ذلك فقيل ولم يبلغ ما ذكره من العمر.

تعيين مدرسين:

وفي هذه السنة عين نجم الدين محمد بن ابي العز البصري مدرس الطائفة الشافعية بمدرسة الاصحاب، ونصير الدين الفاروقي مدرس المدرسة النظامية (١).

علاء الدين صاحب الديوان في واسط:

وفي هذه السنة انحدر علاء الدين صاحب الديوان الى واسط وقبض على فخر الدين مظفر ابن الطراح واصحابه ونوابه وأخذ منهم اموالا كثيرة وعزله ورتب

---

(١) ابن الفوطي

عوضه شمس الدين محمد ابن البروجردي (١) .

الابهري الزمهرير :

وفيها أحضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري المعروف بالزمهرير تقدم بعض الخواتين الى الخواجه نصير الدين الطوسي بمشيخة رباط الخلاطية فرتبه عوضا عن شمس الدين ابن اليزدي . وكان شيخا لم يخالط الصوفية ولا عرف قواعدهم ولا تأدب بآدابهم وكان الناس يولعون به فقال له يوما شمس الدين الكوفي الواعظ أنا وانت لا نرى الجنة فتأثر لذلك واغتاظ منه فقال له ان الله تعالى يقول (لا ترون فيها شمسا ولا زمهريرا) . ولم يزل شيخا بالرباط الى سنة ٦٧٧ هـ ثم سافر وأعيد ابن اليزدي الى الرباط .

وفيات :

١ — قتل النقيب تاج الدين علي بن رمضان بن الطقطقي بظاهر سور بغداد وثب عليه جماعة من من اهل الحلة وضربوه بالسيوف وكان السلطان ببغداد فلم يزل الصاحب علاء الدين يفحص عن قاتليه حتى حصلهم وقتلهم ثم أخذ أملاكه بشبهة ما بقي عليه من ضمان الاعمال الحلية .

والطقطقي من آل طباطبا علوي وهو والد صفي الدين محمد صاحب (تاريخ الفخري) كما عليه أهل الأنساب قتله علاء الدين عطا ملك الجويني بتحريض من اخيه شمس الدين الجويني حينما علم منه انه شكا احواله لدى السلطان فأرسل اليه الشكوى بعينها ، وحينئذ عزم على الوقيعة به ودبر ما يلزم فكانت القاضية عليه قال في عمدة الطالب :

---

(١) ابن الفوطي .

«تاج الدين علي بن محمد بن رمضان يعرف بابن الطقطقي، ساعدته الاقدار حتى حصل من الأموال والعقار والضياع ما لا يكاد يحصى، ومن غرائب الاتفاقات التي حصلت له انه زرع في مبادى احواله زراعة كثيرة في أملاك الديوان وهو اذ ذاك صدر الأعمال الفراتية، وأحرز ما تحصل له من الغلات في دار له كان قد بناها، ولم يتمها وفصل حسابه مع الديوان وقد بقي له بقية صالحة من الغلات، فأصاب الناس قحط شديد، وسعر النقيب تاج الدين في بيع الغلات فباع بالأموال ثم بالاعراض، ثم بالاملاك، وكان يضرب المثل بذلك الغلاء فيقال غلاء ابن الطقطقى نسب اليه لأنه لم يكن عند احد شيء يباع سواه ... وترقى أمره الى ان كتب الى السلطان أبقا بن هلاكو في عزل صاحب الديوان واقامته عوضه ووعده باموال جزيلة واشارة كفايات غريبة فوقع كتابه الى الوزير شمس الدين الجويني فأخذ قرطاسا وكتب فيه :

كم لي انبه منك مقلة نائم ... يبدي سباتا كلما نبهته

فكانك الطفل الصغير بمهده ... يزداد نوما كلما حركته

وجعل كتاب النقيب فيه وارسله الى اخيه فاستعد صاحب الديوان وتقرر امره عنده على ان أمر جماعة بالفتك به ليلا ففتكوا به وهربوا الى موضع ظنوه مأمنا امرهم بالمصير اليه صاحب الديوان فخرج اليه من ساعته الى ذلك الموضع فقبض على اولئك الجماعة وامر بهم فقتلوا واستولى على اموال النقيب واملاكه وذخائره ...» هـ (١)

وبهذا نجا للمرة الاخرى من الشكاوى الموجهة اليه والتدابير المرتبة لاسقاطه والوشايات عليه ...

(١) عمدة الطالب ص ١٦٠

وسيأتي الكلام على ابنه صفي الدين محمد صاحب الفخري وبيان علاقته بالجويني ... في حوادث سنة ٧٠١ هـ .

٢ — في منتصف ذي القعدة توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد . وكان شيخا جوادا مواصلا لكل من يسترفده واشتهر ذكره بالكرم . تولى شحنكية واسط والبصرة وكان حسن السيرة عظيم الناموس ودفن في مشهد علي (رض) ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة منها قول ابن الكبوش البصري من قصيدة هذا منها :

يزدحم القول حين امدحه　　　كجوده والوفود تزدحم
كأنما النظم من سهولته　　　ينظمه قبل نظمه الكلم

والقصيدة طويلة راجع عنها الفوطي

٣ — وفي ثامن ذي الحجة توفي الخواجه نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد الطوسي ودفن في مشهد موسى بن جعفر (ع) (الكاظمية) في سرداب قديم البناء ، خال من دفن قيل انه كان عمل للخليفة الناصر لدين الله .

ترجمته :

اشتهر هذا الرجل كاشتهار هلاكو خان وراق في الغالب اسمه في حادث بغداد اسمه اتصل بهلاكو خان اثر القضاء على الملاحدة الاسماعيلية ويقال انه كان سجينا عندهم . وقد ترجمه علماء كثيرون منهم ابن خلكان وصاحب الوافي بالوفيات وصاحب عقد الجمان وصاحب الشذرات وغيرهم جماعة . والكل شهد بسعة علمه وبمقدرته البارزة سواء في مؤلفاته ، أو في استهوائه لهذا الرجل القهار (هلاكو) أو بنائه الرصد بمراغة ، وقصة بناء الرصد واعتراض هلاكو عليه في المقادير وجوابه

عنها مفصل في ابن خلكان وغيره ، واستخدامه علماء كثيرين لهذه المهمة ...

وغالب مايوجه عليه اللوم والتنديد من جراء مناصرته لكافر وتحبيذه اكتساح بغداد استناداً الى ما اوحاه له علم الطالع ووقيعته بالخليفة ، وايعازه بقتله وتسليطه على بلاد المسلمين ...

ولا أرى ما رآه صاحب الوافي بالوفيات من انه نصيري و يعتقد ما يعتقدون وانه كتب رسالة في النصيرية فلم تعرف هذه عنه وانما هو مشبع بعقائد غلاة المتصوفة أمثال الحلاج وابن سبعين وابي يزيد البسطامي ففي رسالته (أوصاف الاشراف) صراحة بذلك ، يرى الاتحاد والوحدة ، او الظهور بصورة لا تقبل الارتياب ... وفي كتابه (اخلاق ناصري) نراه الى الباطنية أقرب وذلك انه كان في خدمة علاء الدين محمد بن حسن الاسماعيلي ومحتشم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم بن ابي منصور ولهذا الأخير ترجم كتب الحكمة والاخلاق من العربية الى الفارسية فكان محترماعنده و بمؤلفاته ايد مذهب الاسماعيلية وتعاليمهم وقد ترجم له تطهير الاعراق وكتاب الطهارة وابرزهما بشكل (اخلاق ناصري) وهو مطبوع مراراً في ايران . (١)

وأساسا انه لم يحصل بينه و بين الاسماعيلية خلاف فهو متصل بهم ... وما ينسب اليه من الخلاف السياسي فلم نعثر له على اصل صحيح

اما مؤلفاته في عقائد الشيعة كالتجريد فانها تعين معتقدة وان كان يرمي في انه ممن يكتبون تبعاً للرغبات الآخرين ... ومؤلفاته كثيرة .. والمطبوع منها اوصاف الاشراف ، والتجريد ، وزبدة الهيئة (فارسي) ، واخلاق ناصري ...

«١» تاريخ مفصل ايران ونفس كتاب الاخلاق وكتاب اوصاف الاشراف .

رأي القسم الادبي والعلمي من هذا التاريخ سوف نناقش هذه النواحي ونتحرى المعتقد بالاستناد الى نصوص قطعية وثابتة ... ونبدي قولنا الفصل فيه ... فلا نلتفت لما قيل دون تمحيص

وهنا نقول ان أعمال هذا الرجل مصروفة الى مناصرة العلماء والحكماء، وانه حينما ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ تصفح احوال بغداد، ونظر امر الوقوف والبحث عن الاجناد والمماليك ... وفي هذه المرة جمع من العراق كتبا كثيرة لأجل الرصد الذي وضعه بمراغة عام ٦٥٧ هـ وعين فيه جماعة يتولون عمله الى ان انتجز سنة ٦٧٢ هـ (١) . وتنسب اليه رسالة في واقعة بغداد وحوادثها لا تفترق عن الوقائع المعلومة ... (٢)

وقد وصفه الفوطي بقوله :

« كان فاضلا، عالما، كريم الاخلاق، حسن السيرة، متواضعا، لا يضجر من سائل، ولا يرد طالب حاجة . ولد سنة ٥٩٧ هـ ورثاه الشعراء فمما قاله بهاء الدين ابن الفخر عيسى الاربلي المنشي فيه وفي الملك عز الدين عبد العزيز النيسابوري المذكور

ولما قضى عبد العزيز بن جعفر ... واردفه رزء النصير محمد

جزعت لفقدان الاخلاء وانبرت ... شئوني كما ارفض الجمان المبدد

وجاشت الي النفس حزناً ولوعة ... فقلت تعزّي واصبري فكأن قد

وترجمته مبسوطة في روضات الجنات ايضاً ... وله المكانة الكبرى لدى الشيعة واساساً فضله وقدرته العلمية مما لا ينكر ...

«١» « حوادث ٦٥٧ هـ من تاريخ الفوطي » . «٢» ونشرت هذه الرسالة معربة من الفارسية في مجلة المرشد البغدادية الا انها مغلوطة ... « المجلد الرابع ص ٢١ من المرشد » ومثبتة كذيل لتاريخ جهانكشا في بعض النسخ الخطية .

حوادث أخرى :

ظهر جراد كثير واكل الغلات وسائر الزروع وخوص النخل وورق الاشجار في الحلة والكوفة و بغداد .

وقائع سنة ٦٧٣ هـ

(١٢٧٤ م)

صدر الحلة :

في هذه السنة رتب فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر الحلة والكوفة والسيب .

مدرس المدرسة المغيثية :

وفي هذه السنة ايضاً رتب الشيخ محي الدين محمد بن المحيا العباسي مدرساً بالمدرسة المغيثية .

قاضي الجانب الغربي ببغداد :

وعين القاضي نظام الدين محمود الهروي المعروف بشيخ الاسلام قاضياً بالجانب الغربي من بغداد . فعين الشيخ محي الدين المذكور نائباً عنه في القضاء .

وفيات :

١ — توفي السيد النقيب جمال الدين محمد ابن طاووس بالحلة ودفن عند جدّه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) .

وفي روضات الجنات انه احمد بن طاوس عالم مشهور صاحب مؤلفات وهو اخو السيد رضي الدين علي المذكور سابقاً . ولعله اشتهر بلقبه فالتبس اسمه ... اخذ عن فخار بن معد ، ومن الشيخ نجيب الدين بن نما وغيرهما ومن تلامذه الحسن

بن داود صاحب الرجال وتفصيل القول عنه مبسوط في كتب الرجال العديدة ...(١)

٢ — توفي نجم الدين منصور بن المؤذن . كان يخدم في زمن الخليفة ناظراً بالحجر البر ورتب بعد واقعة بغداد في الديوان مشاركا للنواب ولم يزل على ذلك الى الآن . وكان حسن السيرة مشكور الطريقة .

٣ — مات العلم الشرمساجي اخو سراج الدين المالكي وهو مدرس المالكية بالمستنصرية .

وقائع سنة ٦٧٤ هـ

(١٢٧٥ م)

في هذه السنة عين الشيخ محي الدين محمد بن المحيا العباسي خطيباً بجامع المدنية المعروف (بجامع السلطان) ولصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية . وشرط الواقف ان لا يخطب بها الا هاشمي عباسي . ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه .

نقيب الكاظمية :

وفيها عزل امين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابة مشهد موسى بن جعفر (ع) وعين في النقابة نجم الدين علي ابن الموسوي . ولما كان مبارك المذكور نقيباً قال فيه بعض الشعراء :

رأيت في النوم امام الهدى — موسى حليف الهم والوجد

يقول ما تنكبني نكبة — الا من الهند والسند

تحكم السندي في مهجتي — وحكم الهندي في ولدي

---

(١) روضات الجنات ص ١٩

فلعنة الله على من به تحكم السندي والهندي

وفيها رتب الشيخ جمال الدين عبد الله ابن العاقولي مدرس مدرسة الاصحاب ورتب نجم الدين بن ابي العزّ البصري نائباً عن قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني في القضاء ببغداد .

وفاة مؤرخ عراقي كبير :

في هذه السنة توفي تاج الدين ابو طالب علي بن انجب بن عثمان بن عبيد الله البغدادي السلامي المعروف (بابن الساعي) المؤرخ .

ترجمته :

ولد سنة ٥٩٣ هـ وكان اديباً فاضلا واماماً حافظاً له مصنفات كثيرة جداً آخرها (كتاب الزهاد) وجد عليه بخط الشيخ زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب :

ما زال تاج الدين طول المدى من عمره يعنق في السير
في طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا ضير
علا عليّ بتصانيفه وهذه خاتمة الخير

كان خازن كتب المستنصرية ومن مؤلفاته (مشيخته بالسماع والاجازة) في عشر مجلدات . قرأ على ابن النجار تاريخه الكبير ببغداد وقد تكلم فيه . قال الكازروني وله اوهام انتهى . وفي تذكرة الحفاظ ان الظهير الكازروني قد طول في ترجمته وسرد تصانيفه وهي كثيرة ... وقال صاحب الشذرات هو شافعي المذهب ونقل عن ابن شهبة في طبقاته انه كان فقيهاً ، بارعاً ، قارئاً بالسبع ، محدثاً ، مؤرخاً ، شاعراً لطيفاً ، كريماً له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً ...

ونجد ترجمته في الفوطي والشذرات وغيرهما كالذهبي وعقد الجمان ... وهو من مشاهير المؤرخين واكثر النقول عن وقائع بغداد ايام حوادث التتر عنه وعن الفوطي والكازروني ... ممن له مكانته المعروفة في التاريخ ...

وقد طبع ببولاق مصر عام ٣٠٩ هـ مختصر اخبار الخلفاء كما ان مختصر سير الملوك قد طبع في بيروت ومر النقل عنه ... وقد طبعت من تاريخه الكبير قطعة تحتوى على الحوادث من سنة ٥٩٥ هـ الى سنة ٦٠٦ وكان طبعها ببغداد سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) طبعة معتنى بها في تعليق حواش وعمل فهارس وترجمة ضافية للمؤلف ...

وفيات آخريه :

١ — سقط ركن الدين ابن النقيب محي الدين نقيب الموصل بفرسه الى دجلة ببغداد وكان مجتازاً على الجسر ...

٢ — توفي تاج الدين علي بن عبدوس . كان من كبار المتصرفين ببغداد .

٣ — تقي الدين مبارك بن حامد بن ابي الفرج الحداد . كان من كبار علماء الشيعة عارفا بمذهبهم وله صيت عظيم بالحلة والكوفة وعنده دين وأمانة . (١)

حوادث أخرى :

١ — في هذه السنة وقع ببغداد وفر كثير على الارض مقدار شبر . وهبت ريح شديدة واظلم الجو فخاف الناس وانزعجوا وعادوا بالتضرع الى الله تعالى والاستغفار حتى انكشف وتأخر وقوع الغيث في هذه السنة فخرج الناس الى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة يتقدمهم قاضي القضاة عز الدين احمد ابن الزنجاني وخطب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ . ثم خرجوا من الغد كذلك وخطب الشيخ عماد الدين ذو الفقار مدرس الشافعية بالمستنصرية . ثم خرجوا في اليوم

«١» الشذرات ج ٥ ص ٣٤٤

الثالث وخطب الشيخ ظهير الدين محمد بن عبد القادر فلم يسقوا ماء الغيث انما زادت الفرات عقيب ذلك وسقت الزروع .

٢ - وفي آذار جاء برد عظيم جمد الماء منه واتلف الاشجار. ووقع في نيسان ببغداد برد كبار اهلك الزروع وقتل المواشي والغنم والطيور .

وقائع سنة ٦٧٥ هـ

(١٢٧٦ م)

وقايع المغول :

في هذه السنة سار الملك الظاهر البندقدار بعساكره الى بلاد الروم فخرج المغول الى لقائه وكانوا نحو ثلاثة آلاف فارس فالتقوا به في قيسارية وقاتلوه فاستظهر عليهم وقتل اكثرهم وانهزم الباقون .

وقائع بغداد :

في هذه السنة تكرر وقوع النار في اسواق بغداد ومساكنها من منتصف المحرم الى آخر صفر فلم يخل الانذار بوقوعها ليلا ونهاراً . واشتد خوف الناس لذلك . وأمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل حياض في دروب بغداد وان تملأ ماء ويستعد الناس في السطوح بالماء لأطفاء النار ولم يعلم سبب ذلك . انما كان الانسان يرى النار في كيسة داره أو خصها ...

وحكى ان بعض الفقراء كان نائما على الجسر فاستيقظ والنار في خلقانه واشتغل الناس بحفظ مساكنهم ولم يبق لهم اهتمام بغير الرصد لما يقع من الحريق واطفائه .

وفيات :

١ - توفي شمس الدين محمد بن احمد بن عبد الله الهاشمي الكوفي الواعظ ببغداد

وهو من مشاهير شعراء هذا العصر وفي الفوطي كثير من قصائده ومقطوعاته وقد تقدم ذكر بعضها اثناء الكلام على مصاب بغداد ... وكان ولي التدريس بالمدرسة النششية ...

وجاء في فوات الوفيات بلفظ شمس الدين محمود واورد جملة صالحة من شعره (١) .

٢ — ابو محمد التكريتي :

هو عبد السلام بن يحي بن القاسم بن المفرج التكريتي اخو أحمد بن عبد الرحمن وهو الاكبر تفقه على والده وحفظ القرآن وقرأ الأدب وبرع فيه . وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الأدبية . ولد سنة ٥٧٠ هـ وتوفي سنة ٦٧٥ هـ وقد ذكر في فوات الوفيات جملة من شعره . (٢)

٣ — التلعفري :

الاديب البارع شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركه الشيباني التلعفري الشاعر المشهور . ولد في الموصل سنة ٥٩٣ هـ واشتغل بالادب ومدح الملوك والاعيان وكان خليعاً ، معاشراً ، امتحن بالقمار ... توفي سنة ٦٧٥ هـ وديوانه طبع في بيروت سنه ١٣٢٦ هـ (٣)

وقائع سنة ٦٧٦ هـ
(١٢٧٧ م)

قتل والي الموصل ونصب غيره :

في هذه السنة انهي مسعود البرقوطي والي الموصل واشمرط (٤) الشحنة بها الى السلطان اباقاخان انهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فامر بتحقيق ذلك . فلما

«١» فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٦٦ «٢» كذا ج ١ ص ٣٥١ «٣» كذا ج ٢ ص ٣٤ والشذرات ج ٥ ص ٣٤٩ «٤» ورد بلفظ « اشموت »

علموا حسابهما اثبتوا ان البابا كان على الباطل فيما أعتمده معهما فامر بقتله فقتل وولاهما الموصل واربل فعادا برأسه وطافا به وعلق على باب الجسر .

غرق بغداد :

في هذه السنة زادت دجلة وغرق ببغداد عدة اماكن وانفتح في القورج فتحة عظيمة فخرج علاء الدين صاحب الديوان وكافة الولاة والاكابر والعوام وأخذ الصاحب باقة شوك وضعها على فرسه فلم يبق احدالا وفعل مثله ونزل الصاحب وعمل بيده وتكاثر الناس وتساعدوا فاستدركوها وسدوها .

برد في بغداد :

وفي آذار وقع برد كبار اتلف كثيراً من الزروع في الحلة ونهر ملك ونهر عيسى .

خصومة في ثلاثة فلوس :

وفي هذه السنة تحاكم نفران عند قاضي بغداد في ثلاثة فلوس . وقيل انه في سنة ٦٥٢ تحاكم رجلان عند قاضي تكريت في نصف درهم .

وفيات :

١ — توفي بهاء الدين احمد بن عثمان البروجردي ببغداد .

٢ — ثم توفي أخوه شمس الدين محمد في جمادي الآخرة .

٣ — توفي العميد شمس الدين علي بن الاعوج . كان خاملا ثم صار بائعاً للغلة والتمور في الخانات ، كان أمياً ، ثم تولى (تمغات بغداد) فانبرت حاله مع الناس والمتصرفين وأهل البيوتات المروءة وواصلهم وأحسن اليهم ، وتجمل تجملا ظاهراً وصارله المماليك ... وبقي على ذلك مدة ، ثم رتب صدر الاعمال الحلية والفراتية ، فلما قدم ششي بخشي والامراء لتصفح حال العراق قال في علاء الدين صاحب

الديوان اشياء ، فلما انتصر الصاحب وعاد الى منصبه عزله وأخذ أمواله ، فرقت حاله وسافر الى توريز (تبريز) فمات بها .

٤ — توفي الشيخ مجد الدين عبد الصمد ابن احمد البغدادي الحنبلي المقرئ امام مسجد قمرية ، ثم نقل الى مشيخة رباط دار سونيسان و بعد واقعة بغداد رتب خازنا بالديوان ، ثم أعيد الى مسجد قمرية . ولد سنة ٥٩٣ هـ (١)

٥ — توفي عز الدين عبد السلام بن الكبوش البصري الشاعر سكن في اخر وقته في المدرسة النظامية ، وكان مولعاً بالكيمياء وقد اورد له الفوطي جملة من شعره

٦ — نجم الدين علي اسفنديار بن موفق الدين البغدادي بدمشق . عاش ٦٠ سنة وهو واعظ مشهور ، حسن الايراد ، وله لطف شمائل ، وبهجة محاسن ، توفي في رجب (٢)

وقائع سنة ٦٧٧ هـ
(١٢٧٨ م)

ضريبة واضطراب :

في هذه السنة ورد تقدم الى علاء الدين صاحب الديوان باستيفاء خمسين الف دينار بالعسف والقهر . ثم أمر باثبات الادور ببغداد فاثبتت جميعها وطالبوا أربابها بالاجرة عنها عن شهرين . فبينما هو على ذلك وصل من طلبه الى الاردو المعظم للموافقة على ما نسب اليه من مكاتبته سلطان مصر والشام ، وقبض على شرف الدين علي بن اميران كاتب الانشاء وطوق وحمل صحبته . وقبض على حمزة التكريتي التاجر ونهبت داره وطوق وحمل صحبته ايضا .

---

(١) الفوطي وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٥٥ والشذرات ج ٥ ص ٣٥٣

(٢) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٥٥ والشذرات ج ٥ ص ٣٥٣

وانفرد مجد الدين ابن الاثير باستيفاء ما قرر على الناس فغلقت الاسواق واختفى اكثر الناس فطولب النساء بما قرر على رجالهن ، ولم يخلص من هذا احد حتى ان العلويين والقضاة والمدول استوفي منهم بالقهر والمضايقة العنيفة ... وكذلك جرى في اعمال بغداد جميعها .

اما الصاحب علاء الدين فانه حيث قوبل على ما نسب اليه ظهر كذب القائل فامر بقتله وحملت اطرافه الى البلاد . وكتب الصاحب الى بغداد مع الواصلين برأس المذكور كتابا قرئ ببغداد في الجامع بعد صلاة الجمعة مضمونه :

« ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ، ان لله تعالى الطافا خفية ترى في اول الامر خشنة جفية ، ويحسب الجاهل انها نقمة ، فان انتهت عرف كل احد انها نعمة ، ومعنى هذا الكلام ، لا يخفى على الخاص والعام ، وذلك فضل الله في ايراد كل امر واصداره ، وقد اردنا ان نوضح من اول الامر الى آخره كيفية الحال جليا ، ونتلو عليكم آيات رحمته التي انزلها علينا بفضله بكرة وعشيا ، فالهمنا الله العظيم قوله الكريم (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ...) فهذه الآية قضية امورنا التي جرت ، وعنه الحال اسفرت ، فكأنما انزلت في هذا الشأن ، فما احتجنا معها الى زيادة تفصيل وبرهان ، وفي الساعة التي قدم الكذاب المزور بين يدي الامراء ظهر من فلتات لسانه انه كذب وافترى ، فما احتجنا في تكذيبه الى شاهد يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعلمون :

وهبني قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء

فلما عرضوا كلامه على الآراء الشريفة برز التقدم المطاع لازال نافذاً بعرضه على

السيف على ملأ من الناس وانفذوا يديه الى بغداد والى الروم الرأس ، ونادوا في الاسواق هذا جزاء من يقدم على عبيدنا المخلصين بالزور والالتباس ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . وحيث نعرف التفات قلوب أهل بغداد حفظهم الله من كل سوء وفساد انفذنا الأمير محمداً يبشر بطايبة نفوسنا ليعلموا خلو بالنا من كل ما يكدر بواطنهم ويشوش خواطرهم ويعلم ان كل ما يصل من خير وفضل هو بصالح دعاء أهل بغداد وحسن نياتهم وصفاء قلوبهم فليقابلوا هذه المراحم باعلان الدعوات الصالحات لهذه الدولة القاهرة التي ما اندحض فيها حق ولا غاب فيها باطل ونحن واصلون عقيب هذا ان شاء الله . » انتهى

ووصل بعد ذلك شرف الدين بن اميران والصاحب علاء الدين بعده .

شغب آخر على الصاحب :

وفي هذه السنة التجأ الى تنارقيا شحنة بغداد رجل يعرف بالمنجم ابن حسين ويلقب بالكيباية كان من دلالي العقار يتمسخر ويخاق بنفسه ويضحك عليه من يعاشره ...

وكان سبب قربه من الشحنة التزامه باحمد الشربدار . وهذا احمد من اهل واسط يعرف بابن بقا اسر في الواقعة ثم خلص وخدم في بغداد في اسطبل اليام ثم صار يتولى عصر الشراب في شرابخانة الديوان فصار له قرب بالشحنة والتزام تام فاثرت حاله واشتهر اسمه فشرع في البحث عن أحوال صاحب الديوان وعرف باطن حاله وما يعتمده . ثم انه اتفق هو والكيباية على ان نسبا اكابر أهل بغداد الى مكاتبة سلاطين الشام باتفاق صاحب الديوان فتحدث الكيباية بذلك عند الامراء والحكام فاحضروا صاحب الديوان وجماعة من الاكابر الذين نسبهم الى

المكاتبة واستمادوا كلامه، فقال اشياء كثيرة فطولب بالبرهان على صحتها فلم يقدر على ذلك. فلما شدد عليه وضويق قال اني كاذب في كلما قلته والذي بعثني على الكلام نصرة الدين ابن أرغش واخوه وولده فاحضروا وسئلوا عن ذلك فاعترفوا به وقالوا ان تتارقيا الشحنة وضع القائل على ما قاله فامريا بحبس الجميع واحضر ابن بقا الشربدار وسئل عن الحال فاعترف بها فسلم الى صاحب الديوان فأمر بحبسه فحبس أياما ثم عمل له حجلة وسمر عليها وجعل على رأسه مسخرة كان ببغداد يعرف بالموصلي يصفعه بنعل ويروحه به ثم يبول عليه والناس يمدون الحجلة بالحبال في الأسواق والدروب في جانبي بغداد فاخذ في سب الصاحب و بسط لسانه فيه فنفذ اليه من قال له ان الصاحب قد عفا عنك وأمر بتخليصك من الحديد على ان يقطع لسانك فان آثرت ذلك فاخرج لسانك لنقطعه فاخرجه فوضعوا فيه مسلة فامتنع من الكلام. وما زالوا يعذبونه بمد الحجلة واضطرابها الى آخر النهار ثم قطع رأسه ووضع مكانه رأس معز باسلحته وطيف به واحرق العوام جثته ورفع رأسه على خشبة وطيف به.

ثم ان ابن ارغش احضر رجلا من العرب واعطاه كتباً ملصقة واشار اليه ان يقول هذه سلمها الى صاحب الديوان. فلما قال ذلك اخذ وحبس. اما الكيباية فانه قال ان فخر الدين بغدى بن قشتمر كان ايضاً من جملة الجماعة الذين اتفقوا على المكاتبة مع ابن ارغش فاحضر وسئل عن ذلك فانكر فوكل به فقال الكيباية ان العدل جمال الدين احمد بن عصية هو كان يكتب عن بغدي فأحضر وسئل فأنكر فوكل به.

ثم ان الصاحب عرف صدق العدل وبراءة ساحته فأفرج عنه وخلع عليه وتقدم له بمال ولم يزل الكيباية والبدوي في السجن الى ان توجه الصاحب الى الاردو

المعظم واخذ بهما صحبته وقتلا هناك . وفي هذه وسوابقها لسان حاله يقول . « وكم مثلها فارقتها وهي تصفر » .

ظهور مفسدين ببغداد :

وفي هذه السنة ظهر ببغداد صبيان من الشطار يعرف احدهما (بابن الحماس) والآخر (بالتاج الكفني) وانضم اليهما جماعة من الجهال وقويت شوكتهم وانتشر ذكرهم فأعمل صاحب الديوان الحيلة حتى احضر ابن الحماس اليه وعين عليه والياً في الشرطة فبقي على ذلك اياماً واستعفى فعفاه وجعله ملازماً باب داره ثم اشار اليه باحضار التاج الكفني فاحضره وطيب قلبه وجعله رفيقاً له فكبس جماعة من اهل الحلة بباب الصاحب في بعض الليالي عليهما فلم يظفروا بهما ولا يمكن الصاحب من تحصيلهم .

ثم ان قتادة نائب الشرطة حكى لصاحب الديوان عن ابن الحماس والكفني اشياء من الفساد والتجريء على الناس وتكايفهم سراً وتخويفهم ان امتنعوا عن مساعدتهم فجمع بينهم وسئل قتادة عما قاله عنهما فقال اشياء اثبتها عليهما فأمر بقتلهما وطيف برأسيهما . فكبس على قتادة بعض رفقتهما يوماً وهو جالس على شاطئ دجلة في الرقة وقتله وقتل بعض اصحابه فأمر صاحب الديوان بنبش جثتي ابن الحماس والكفني وحرقهما .

عزل ناصر الدين قتلغ شاه :

وفي هذه السنة عزل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي من الاعمال الواسطية ورتب بها فخر الدين مظفر ابن الطراح .

القضاء بالجانب الغربي : (وفاة القاضي)

وفيها اعيد صدر الدين محمد بن شيخ الاسلام الهروي الى القضاء بالجانب الغربي

من بغداد وتدريس المدرسة البشرية فبقي على ذلك مدة شهرين واصبح ميتاً فقال اكثر الناس ان ابنه خنقه . وكان قد ولي القضاء قبله والتدريس بالبشرية ابن يونس الموصلي . وتوفي بعد ذلك بشهور قليلة فقال زين الدين ابن الدهان :

اظن قاضي القضاة ايده اللّـ ـه الى كردكوه ينتسب
اذ كل قاض يقضي الى الجا نب الغربي يقضي وماله سبب
يا صاحب الملك يا عطا ملك يامن به المكرمات تكتسب
ول الاعادي اللئام لجانب الغر بي فصل انقضا وقد نكبوا

نقل من يوجد له قبر :

في هذه السنة رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلا بالسماء وفي صبحها قال بعضهم انه رأى قبراً فيه احد اولاد الحسن بمحلة الهروية فانهال الناس لزيارته ثم شرعوا في عمارته وتواترت بعد ذلك اخبار العوام يرون المنامات وكثرة الظواهر وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح اعين الاضراء ونقل قوم عن قوم اشياء لا اصل لها غير اهوية العوام و بطل الناس من معايشهم واشغالهم بسبب ذلك فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر الى مشهد موسى بن جعفر (ع) ففعلوا ذلك وسكن العوام .

دعوى :

ثم حضر بعض من يدعي انه علوي وزعم انه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبر بعض اولاد الائمة (ع) بتل الزبيبة فانهرع العالم اليه فلما كشفوا التراب عنه وجدوا صبياً مقتولا وعليه قميص وفي جيبه كعاب كان يلعب بها فعرفه بعض الناس وقال هذا ولدي، واني فقدته منذ ايام وذكر فيه علامات فلما لج بان صدقه ووجدوا

عند رأسه صخرة عليها مكتوب هذا قبر عمر بن عبد الله فلما اخبر صاحب الديوان بذلك عزم على قتل العلوي الذي اخبر به فسأله ا كابر الناس الصفح عنه فأجابهم الى ذلك وافتضح المشار اليه بين العالم وعرفوا قلة دينه وفساد عقله .

وهذه نقلها صاحب (غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة عن الغبار) بشكل آخر قال « ظهر ببغداد سنة ٦٧٥ هـ بتل الزبيبة وهي محلة من محال مدينة السلام قبر زعم جماعة انه قبر عبد الله الباهر ... و بنوا عليه الابنية الجليلة ووضعوا عليه ضريحاً ... وهاهو الى اليوم من المشاهد المعتبرة وليس بصحيح ما زعموه فان عبد الله الباهر مات بالمدينة ودفن بها ... (١)

وفيات :

١ — توفي بهاء الدين حسن بن محاسن التاجر الصرصري .

٢ — توفي ايضاً عبد الغني بن الدرنوس ودفن في داره وكان في مبدأ امره يعمل في (السكلة) مع ارباب تنانير (٢) الآجر وهو الذي ينقل الان الى التنور ثم يحطه بعد طبخه ثم ولع بالطيور الحمام فكتب في جملة البراجين بدار الخليفة ثم ترقت حاله الى ان صار مقرباً عند الخليفة يراسل به الوزير و يشاوره في الامور و يعمل برأيه ولقب (نجم الدين) ورتب بعد واقعة بغداد خازناً بالديوان ثم نقل خازنا الى الكارخاناه فبقي على ذلك الى ان مات . (٣)

٣ — الشيخ نجم الدين البادراني البغدادي . ذكره صاحب عقد الجمان .

«١» ص ٦٦ من الكتاب وهو للسيد تاج الدين بن محمد بن حمزه بن زهرة الحسيني نقيب حلب . طبع ببولاق مصر سنة ١٣١٠ هـ «٢» تعرف اليوم بالكورة «٣» الفوطي . قد مضى الكلام عنه نقلا عن الفخري .

حوادث سنة ٦٧٨ هـ

(١٢٧٩ م)

سعال :

فسد الهواء في اكثر بلاد العجم والموصل و بغداد والحلة والكوفة وواسط والبصرة وجميع نواحي العراق . فأصاب الناس السعال وكثر ذلك فيهم حتى صار الطباخون في الاسواق يعملون المزاوير حسب وغلا الماش والعدس والحمص والسلق ودام ذلك شهوراً .

زيف النقود :

نسب جماعة من أهل بغداد الى ضرب الدراهم الزيوف فأخذ بعضهم وضرب فاقر على جماعة منهم نجم الدين حيدر بن الايسر وكان من اعيان المتصرفين وأمر الصاحب بقطع ايدي جماعة منهم ابن الاخضر كان ينقش السكة ، وقرر على ابن الايسر مالا فأداه .

غلاء :

انقطعت الغيوث في هذه السنة وغلت الأسعار وتعذرت الاقوات ومات اكثر المواشي .

عمارة منارة جامع الخليفة :

تمت عمارة جامع الخليفة وكانت قد سقطت في شهر رمضان سنة ٦٧٠ هـ وهذا هو المعروف بجامع الخلفاء وقد سبق الكلام عليه والآن اعيد بناؤها باتقان وهي المعروفة بمنارة سوق الغزل وقد أشير الى النقل عن تاريخ الغياثي واسمها لا يزال معروفا بالسوق المجاور لها (الايكجية) وهو سوق الغزل او المنازل ... ولا يزال

سوق الغزل والمغازل معروفا الى اليوم ... والجامع كان كبيراً فصغر ...

عمارة مسجد معروف الكرخي :

وكملت عمارة الشيخ المعروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد على شاطئ دجلة أمر بعمارته شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك . وكان قد خرب لما غرقت بغداد سنة ٦٥٣ هـ . كذا في التاريخ المعروف بابن الفوطي مع ان المشهور الى اليوم انه خارج البلد من جانب الكرخ ...

وفيات :

١ — توفيت شمس الضحى شاهلتي بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن أيوب زوجة علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان فدفنت في التربة التى انشأتها مجاور مدرستها المعروفة بالعصمتية ظاهر بغداد عند (مشهد عبيد الله) (١) وكانت كثيرة الصدقات والاحسان والمبرات كانت تحب أهل بغداد وترى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم . كانت اولا لابي العباس احمد ابن الخليفة المستعصم بالله وهي والدة ابنته رابعة التى تزوجها الخواجة شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني . ورابعة هذه لها من هارون ثلاثة اولاد زبيدة والامين والمامون ... وزبيدة هذه سيأتي الكلام عليها في حوادث سنة ٧٠٦ هـ عند وفاة ظهير الدين محمد بن الحسن الصرصري زوجها ... ولشمس الضحى من علاء الدين بنات احداهن زوجة الشيخ صدر الدين الجويني ...

«١» وعبيد الله هذا ابن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب وقبره يقال له «قبر النذور» في مقبرة باب البردان عند المصلى المرسوم بصلاة العيد «مصلي الاعياد» في الجانب الشرقي من مدينة السلام راجع «تاريخ بغداد ج ١ ص ١٢٣»

٢ - توفي بهاء الدين محمد ابن الصاحب شمس الدين الجويني وكان ملكا باصفهان ظالما سيُ السيرة متفننا في الظلم جدد القتل بالقنارة (١) التي كان وضعها البساسيري في ايامه وقد نسيت لطول العهد بها .

٣ - توفي كمال الدين علي ابن الصلايا العلوي . كان قدولي نهر ملك فالتقاه جماعة من المغول ومعه نفر قليل من اصحابه فقتلوهم وكتفوه والقوه في دجلة فسار نحو فرسخ فوجده بعض صيادي السمك فاخرجه و به رمق وكان الزمان شتاء فدثروه وحملوه الى المدائن فعاش بعد ذلك عدة سنين وظهر عليه رمد فكان سبب وفاته .

الحج :

وفي هذه السنة حج جماعة من العراق وعادوا سالمين .

حوادث سنة ٦٧٦ هـ

(٢٢٨٠ م)

منصب مشرف الممالك :

في هذه السنة اتصل مجد الدين اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بعد فتحها بالسلطان (اباقاخان) وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين فرتبه مشرفا (في جميع الممالك) وعين بها نوابا وكانت علامته مشرف الممالك .

«١» القنارة لا تزال شائعة لفظتها وينطقها العوام « كنارة » ويقصدون منها آلة الصلب ، وفي تاريخ المغول نرى انواع العقوبات مما لم يقررها شرع وفيها مثلة .

عمل جسر لتستر :

وفي هذه السنة أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر وحمله الى تستر مكملا بسلاسله وآلاته فنصب تحت البند عند دزدبول . (١)

غلاء في بغداد :

وفي هذه السنة غلت الاسعار ببغداد واشتد الغلاء وانسلخ العام على ذلك .

حادثة غريبة :

وفيها دخل تاج الدين عمر الهمذاني كاتب الكارخانة (٢) الى علاء الدين صاحب الديوان و بين يديه مسخرة اسمه علي فادعى علي المذكور بمال فانكر ذلك فقال للصاحب لي عليه بينة ولي فيه علامة وقد كنت طالبته من قبل فجحد فلكمته وكسرت بعض أسنانه فتقدم اليه ان يريني فمه فلما فتح فاه لطمه المسخرة بدقيق كان في يده فطار في خياشيمه فاختنق في الحال .

حوادث سنة ٦٨٠ هـ

(١٢٨١ م)

قدوم السلطان اباقا خان :

في هذه السنة قدم السلطان اباقا خان الى بغداد . وكان قد ارسل اخاه منكوتمر (٣)

«١» هكذا لفظها ابن الفوطي ، والمعروف انها دزفول او كما ينطقها الناس دسبول . «٢» تكرر ذكر هذه اللفظة وقد جاءت في ترجمة ابن الدرنوس ولفظها ابن الفوطي كارخاناه ويراد بها دار الحكومة ، او محل اعمالها « الدائرة او المصلحة » . ولا تزال تطلق على بعض المعامل في بغداد وتلفظ « كرخانة » .

«٣» منكو تيمور .

وعدة من الجند في آخر السنة الماضية الى الشام حيث كاتبه سنقر الاشقر يسأله انفاذ جيش ليأخذ بـه الشام ومصر وكان الاشقر المذكور قد حارب الملك المنصور الالفي فجهز عليه الالفي ستة آلاف فارس مقدمهم ايبك الحلبي فلما قرب من دمشق خرج سنقر الاشقر لقتاله في اثني عشر الفا فالتقوا واقتتلوا ساعة فانهزم اصحاب الاشقر . ومضى الاشقر في خواصه الى عيسى (١) بن مهنا بنواحي الرحبة فأقام هناك وراسل السلطان أباقا خان ، فجهز اليهم خمسين الف فارس جعل عليهم أخاه منكو تمر فدخل بهم الشام اما الاشقر فانه لما بلغه مسير منكوتمر اليه ندم على مافرط منه واخذ عياله واصحابه ولحق بقلعة صهيون وتحصن بها . فنزل منكوتمر على الرحبة وحصرها مدة اربعين يوماً ولم يحضر سنقر الاشقر اليه وتحصن بقلعة صهيون . فلما رأى ذلك بالغ في القتل والنهب والخراب . ثم سار يريد دمشق فخرج الالفي منها في جيوشه ونزل اليه سنقر الاشقر من القلعة وسار معه فالتقوا بالقرب من حمص واقتتلوا فانهزمت المغول وقتل منهم خلق كثير وعادوا الى بغداد ثم انحـدروا الى السيب واطراف بلاد واسط فنهبوا من الاعراب المفسدين خلقاً كثيراً وعادوا الى بغداد ومعهم الاسرى والاموال ...

الصاحب علاء الدين :

ونزل من الجيش في هذه السنة خلق كثير في الادؤر ببغداد واخرجوا اهلهـا منها وقبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان واصحابه ونوابه واتباعه وسلم الصاحب الى (مجد الملك) فاستوفى منه اموالا كثيرة و بيع من اعلاقه واسبابه

«١» وعيسى بن مهنا هذا رئيس آل فضل امير العرب من طي وكانت له المنزلة العالية عند حكومة سورية ... راجع حوادث سنة ٦٨٣ هـ .

جملة طائلة ودوشخ والقي تحت (دار المسناة) (١) التي بأعلى بغداد على شاطئ دجلة مكتوفاً عليه قميص واحد وكان البرد شديداً جداً وضرب خواصه وخدمه واتباعه واستوفيت الاموال منهم .

وكان قد انضم الى مجد الملك في الرفع على الصاحب علاء الدين رجلان نصرانيان احدهما من بيت الجمل بغدادي اسمه عبد اليشوع، والآخر من ماردين اسمه يعقوب . وقالا فيه قولا كثيراً وكشفا من احواله واموره اشياء .

وقد حكى علاء الدين ذلك كله مفصلا في رسالته (تسلية الاخوان) و بين الاهانات من ضرب وقيد وتحكم فيه ما يقشر منه بدن الانسان الا انه افرج عنه في ٤ رمضان لسنة ٦٨٠ هـ وبهذا التاريخ ختم رسالته المذكورة ... (٢)

وفاة السلطان اباقاخان :

اما السلطان فانه توجه الى بلاد الجبل . فلما وصل همذان مرض فعهد بالملك الى ابنه ارغون وكان بخراسان واشتد مرضه فتوفي في ذى الحجة فسارت الرسل الى اخيه (منكوتيمور) بالخبر فصادفوا الرسل من اصحابه تخبر السلطان آباقاخان بوفاته وهذا من غريب الاتفاق وكانت وفاته بسبب انهماكه في الشرب في مرض هذيان السكارى . وفي دائرة المعارف الاسلامية انه توفي في اول نيسان سنة ١٢٨٢ م

«١» ويقال انها البناية الموجودة في القلعة ولا تزال بقاياها قائمة وكانت ايام الترك العثمانيين قد اتخذت بتمام متحف للاسلحة القديمة على اختلاف انواعها ، وريازتها تشعر بانها ليست من صنع العصور المتأخرة والظاهر من وصف الفوطي انها هي او من الابنية المماثلة ، القريبة منها ، ولا يصح القطع ما دامت الصلة مفقودة ... «٢» خلاصتها في مقدمة جهانكشاي جويني وفي تاريخ مغول ايران .

ترجمة السلطان آباقاخان :

قد مر من الوقائع ما ينبئ عن ناحية من حياته وقد كتب عنه مؤرخون كثيرون من معاصريه فمنهم من اوضح وقائعه في سورية و بلاد الروم مثل ابن العبري ، ومنهم من بسط القول عن وقائعه في العراق كالتاريخ المنسوب للفوطي ، ومنهم من اشبع وقائعه وفصلها عن حوادث المغول والقفجاق كالخواجة رشيد الدين ، ووصاف وكانت طاحنة جداً ... وقد اوضحت دائرة المعارف الاسلامية علاقاته مع الغربيين كما ان البستاني وصاحب شجرة الترك قد بينا وقائعه بصورة عامة ...

ومن هذه كلها او مجموعها نحصل على فكرة صادقة وصحيحة عن حياة هذا السلطان ...

وحاصل ترجمته انه ولي الحكومة لمدة ثماني عشرة سنة في خلالها قام باعمال كبرى من اصلاحات كتخفيض الضرائب ، ومن حروب كبرى اهمها انفصاله عن حكومة المغول الاصلية ووقائعه مع القفجاق ، واتخاذه الوسائل السياسية المهمة للانتصار على سورية ومصر فأنشأ علاقات مع الغربيين ففي سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ م) وصلت وفوده الى ليون وفي سنة ١٢٧٧ م الى روما فنالوا مكانة لدى الغربيين ومن ثم راسله كل من ادوارد الاول ملك انكلترا عام ١٢٧٤ م والبابا كلمنت الرام سنة ١٢٦٧ م وغريغوار العاشر (١٢٧٤ م) ونقولا الثالث (١٢٧٧ م) ومع كل هذا لم يتمكن من الانتصار على حكومات مصر وسورية بل خذل في بعض هذه الحروب بمخذولية كبرى ... وكان قد تزوج ابنة ملك القسطنطينية التي كان ابوه خطبها وتوفي قبل قبل وصولها اليه فبنى بها آباقاخان سنة ١٢٦٥ م وكان في ايامه وايام والده علماء كثيرون ذاع صيتهم مثل الخواجة نصير الدين الطوسي وغيره . وقد مضى ذكر

جماعة من المؤرخين والعلماء في العراق كما انه سيأتي القول عن الباقين في بغداد وسائر انحائها فلا تزال بقايا رجال العباسيين وعلمائهم ومن تلقى العلوم عنهم في العراق وفي خارجه ... وقد رأى العلماء توجهاً زائداً وحماية كبرى بسبب شمس الدين الجويني واخيه علاء الدين ... الا ان هؤلاء رأوا نكبة في اواخر ايامه بوشاية من مجد الملك اليزدي الذي توصل الى ارغون بها ...

وفي البستاني انه توفي يوم الاربعاء ٢٠ ذي القعدة بخلاف ما جاء عن الفوطي .

وقال الفوطي عنه انه كان عمر السلطان آباقا خان نحو خمسين سنة ... وكان عادلا حسن السيرة محباً لعمارة البلاد ، ولا يرى سفك الدماء ، عفيفاً عن اموال الرعية

وفي الشذرات له ترجمة مختصرة وسماه (أبغا) . ولا يسع الكلام فيما يتعلق بالعراق با كثر من هذا ...

وقائع اخرى

رباط في مشهد سلمان الفارسي :

وفي هذه السنة عمر ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي رباطاً للفقراء في مشهد سلمان الفارسي رضي الله عنه واسكن فيه جماعة ووقف عليه قرى بواسط وعدة مواضع ببغداد .

وفيات

١ — وفاة مجد الدين صالح بن الهذيل :

توفي مجد الدين صالح بن الهذيل بواسط وكان عمره نيفاً وستين سنة وكان جواداً كريماً ذا معرفة وكفاءة ومروءة من اكابر المتصرفين بواسط وغيرها خدم بها نائباً في ديوانها في زمن الخليفة ورتب بعد واقعة بغداد صدراً في نهر ملك ونهر عيسى ثم نقل الى صدرية واسط ولقب (بالملك) ثم اخذ ودوشخ وطولب بأموال واسط

واستوفي منه جملة كبيرة و بيعت املاكه وأسبابه ، ثم رتب بعد ذلك حاكما في أربل ، ثم عزل ورتب صدراً في طريق خراسان ثم أخذ وخزم أنفه وطيف به ببغداد ثم رتب بعد ذلك ناظراً بقوسان . ثم عزل فرتبه شمس الدين محمد أبن البروجردي نائباً عنه في ديوان واسط وفوض اليه تدبير الاعمال فبقي على ذلك الى ان توفي شمس الدين المذكور وأعيد فخر الدين ابن الطراح الى صدرية الاعمال الواسطية فرتبه علاء الدين صاحب الديوان مشرفا عليه فبقي الى ان توفي ...

٢ — علاء الدين ابو الحسن اليشكري :

علي بن محمود بن حسن بن نبهان بن سند اليشكري الربعي البغدادي الأصل البصري المولد ، الشاعر المنجم ، ولد سنة ٥٧٥ هـ وتوفى سنة ٦٨٠ هـ كانت له اليد الطولى في علم الفلك وحل التقاويم مع النظم وحسن الخط . وكانت وفاته بدمشق . وله شعر اورده صاحب فوات الوفيات (١) .

٣ — الشيخ موفق الدين الكواشي :

(نسبة الى كواشة قلعة بالموصل) وهو ابو العباس أحمد بن يوسف الشيباني الموصلي الشافعي . ولد بكواشة سنة ٥٩١ هـ كان منقطع القرين ...وله تفسير صغير وكبير . اخذ عنه القرآت محمد بن علي ابن خروف الموصلي وغيره . توفي في ١٧ جمادي الآخرة . (٢)

٤ — ابن ابي الدنية :

مسند العراق شهاب الدين ابو سعد محمد بن يعقوب ابن ابي الفرج البغدادي .

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٠٧ . (٢) الشذرات ج ٥ ص ٣٦٥ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٤٧ .

وفي تذكرة الحفاظ ورد انه ابن ابي الدثنة . ولد سنة ٥٨٩ هـ . ولي مشيخة المستنصرية الى ان توفي في ١٨ رجب (١)

وقائع سنة ٦٨١ هـ

(١٢٨٢ م)

السلطان أحمد

١٦ المحرم سنة ٦٨١ هـ

السلطنة بين ارغون وأحمد :

ان السلطان اباقا خان كان قد توفي بالوجه المذكور آنفا ولم تتفق الآراء على من يخلفه وحينئذ اجتمع الامراء والصاحب شمس الدين الجويني على رفع ارغون عن التخت وتسليمه الى أحمد وهذا اسمه في الاصل تكودار (٢) ابن السلطان هلاكو خان وقد أسلم فجعل اسمه أحمد وهو اول من اسلم من اولاد هلاكو خان . ومن ثم اطلقوا الصاحب علاء الدين من الاعتقال واعتقلوا مجد الملك اليزدي و بعثوا الرسل (الايلچية) الى بغداد للقبض على الامير (علي جكيبان) (٣) ، و (صفي الدولة ابن

«١» تذكرة الحفاظ والشذرات ج ٥ ص ٣٦٩ . «٢» وقد اضطرب المؤرخون في تلفظ اسمه ففي الفوطي « تكدر » وفي كلشن خلفاء « تكدار اوغل » وفي ابي الفداء بيكدار وفي الكتب التاريخية الاخرى غير ذلك وكلها تصحيف والصحيح انه كما يلفظه المغول « تكودار » او كما ينطق به العرب « تكدر » بلا اشباع الحركة وفي شجرة الترك ص ١٨٠ توقودار وجاء بالنون غلطاً . «٣» ورد جكيان في فوات الوفيات عند الكلام على ترجمة الصاحب علاء الدين جاء بلفظ « علي بن جكيان » والاول هو المعتبر ولا تزال التسمية بـ « شكيب » معروفه وهي الاقرب



١٠ ــــ جلوس منكو قاآن تابع ص ١٤٣

الجمل كاتب السلة) وغيرهما ، ثم ساروا الى الطاق ليجلسوا السلطان أحمد على التخت فوصلوا اليه واجلسوه على تخت الملك في ١٦ المحرم قال في الشذرات : اسلم وهو صبي و يسر له قرين صالح وهو الشيخ (١) عبد الرحمن الذي قدم الشام رسولا وسعى في الصلح ...

ولما استقر في الحكم أمر بتفريق الاموال المدخرة في الخزائن على أهل بيته وعلى الامراء واعاد الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين الى منصبهما وسلم مجد الملك الى الصاحب علاء الدين فقتله في يوم الاربعاء ٧ جمادي الاولى سنة ٦٨١ ﻫ على ما جاء في جامع التواريخ(٢) وقد حكى علاء الدين الجويني ماجرى بالوجة المتقدم فلم تكن امارة مجد الملك الا مدة يسيرة فناله جزاء غدره ... ومجدالملك هذا هو ابن صفي الدين اليزدي . وكان قد انتسب الى بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في اصفهان ثم توصل الى ان استخدم لدى شمس الدين الجويني الا انه رأى منه ما يكره فاضطر ان يعود الى يزد ، ثم ذهب الى اصفهان وعاد الى بهاء الدين ثم صار الى شمس الدين فارسله الى بلاد الروم . وكان رجلا مفسداً اتخذ الوسائل للقضاء على آل الجويني ، فلم يدخر وسعاً في الوقيعة بهم ... وفي آخر مرة توصل الى ارغون بواسطة احد المقربين من امرائه وهو (اباجي) وفعل فعلته ... !

وفي كاشن خلفاء أنه أغرى بقتله فقتله قتلة شنيعة فولي ذلك شرف الدين هرون ابن اخيه وحملت أطرافه الى البلاد وسلخ رأسه وحمل الى بغداد وشوى اخربندية لحمه واكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه ... وعلى كل انتقم منه .

---

(١) سيأتي الكلام عنه في موطنه الشذرات ج ٥ ص ٣٨١ . (٢) وفي وصاف ٤ ذي الحجة من السنة المذكورة .

السلطان أحمد والملك المنصور الالفي :

ثم ان السلطان احمد أرسل القاضي قطب الدين محمود (١) الشيرازي الى الملك المنصور الالفي رسالة خلاصتها : ان الله تعالى حبانا بالايلخانية (٢) وأمرنا بالعدل وحقن الدماء فان اردت الموادعة فنحن نكف عسكرنا عن قصد بلادك ونفسح للتجار في السفر كيف شاؤا آمنين فان فعلت ذلك والا فعين للقتال موضعا وأعلم ان الله يطالبك بما يسفك بيننا من الدماء فسار قطب الدين فلما وصل البيرة سير الى مصر ولم يدخل الشام وادخل الى الالفي ليلا فوقف بين يديه وأدى الرسالة فقال له الترجمان نحن نجيب الى ذلك وأمر في الحال بانشاء الكتب الى سائر البلاد ليتمكن التجار من السفر ، ثم أذن لقطب الدين في العود وامر له بمال واعيد الى البيرة (٣)

توجه علاء الدين نحو العراق :

ثم توجه علاء الدين نحو العراق . فلما وصل اشنى بلغه ان أرغون سار من خراسان لما بلغه وفاة ابيه السلطان آباقا خان يريد العراق . فأقام في اشنى فأنفذ الكرزدهي والجلال بخشي ونجم الدين الأصغر (٤) ومجد الدين ابن الأثير وجماعة

١، وكان اذ ذاك قاضي سيواس « ابو الفداء ص ١٧ ج ٤ » . ٢، الايلخانية يقصد منها السلطنة المغولية « لغة الجغتاي » . ٣، الفوطي . والرسالة بنصها منشورة في تاريخ ابن العبري ص ٥٠٦ وجوابها ايضاً في الكتاب المذكور ص ٥١٠ من سلطان مصر سيف الدين ابي مظفر قلاوون . وفي تاريخ وصاف صكوك المراسلة من السلطان احمد الى سلطان مصر ومن هذا اليه ص ١١٣، وما يليها . ومن المقارنة يشاهد الفرق وما لحق من غلط نساخ ... والتفاوت بين النصوص ظاهر ... ٤، ورد في الفوطي وفي جهانكشاي بلفظ اصفر بالفاء وفي جامع التواريخ اصغر .

من أصحابه ومعهم راس مجد الملك وكتب معهم كتابا .

صورة الكتاب :

وهذه صورته : « من صاحب الديوان أضعف عباد الله تعالى .

اما بعد حمد الله منقذ العباد من الذين طغوا في البلاد ، فا كثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبا المرصاد .

السلام عليكم يا أهل بغداد ! اهل لوفاء والوداد . اردنا ان نعرفكم حيث نعرف منكم صدق المحبة وحسن الصفاء والاعتقاد ونطلعكم على ما يرد من جانبنا من بلوغ المرام والمراد وما اسفر الحال من جلية الامور فيدخل بها بعد الترح على القلوب والصدور ايراد الفرح والسرور فالهمنا الهام الصدق والصواب ماقاله اصدق القائلين في محكم الكتاب : (يانار كوني برداً وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين) فأغنانا عن الجمل والتفصيل ، وكفانا تعب الاطناب والتطويل ، وستسمعون من العين والراس ما لا ريب فيه ولا التباس . وتبيان ذلك ما عرضنا بذكره من حال المسكين المنبوز بمجد الملك الذي اورده سوء نيته وفساد سريرته مورد الهلاك فرحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره . وفقنا الله تعالى للقيام بشكر الائه الصمدانية الاحدية ، ودعاء الدولة القاهرة الايلخانية الاحمدية ، التى نشرت الوية الشريعة المحمدية وبسطت يد العدل في الارضين ، وكفت عن البلاد والعباد ا كف أمثاله من الظالمين ، والحمد لله رب العالمين . وقد نفذ ملك الامراء والنواب جلال الدين والصدر فخر الدين الكرزدهي والنوكرية ليشافهوكم بما شاهدوا من نعم الله تعالى التى تدور علينا من قديم كؤوسها والانعام الصادر عن الحضرة الشريفة الايلخانية التى طلعت من افق الميامن شموسها . اعز الله سلطانها وأعلى في الخافقين شأنها . » اهـ

وكان وصولهم بغداد في رجب وقرئ هذا الخط في جامع الخليفة قرأه جلال الدين بن عكبر الواعظ وطيف براس مجد الملك في بغداد وشوارعها . ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها .

وقبضوا على صفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة وأصحابه ونهبوا داره وطلبوا الامير علي جكيبان فلم يوجد . وكان قد اتصل به الخبر فانهزم وكان قد وصل مع الجماعة فخر الدين عبد العزيز ابن النيار وفي حلقه طوق من حديد فوكلوا به في داره . وكان معهم ايضا صبي مثقل بعتلة من اهل اربل كان يخدم دلالا في العقار يعرف بعلوش كان قد ادخل نفسه في الشقصة واذى الناس ، وعبد يشوع و يعقوب النصرانيان اللذان تقدم ذكرهما . كانا قد خدما مع مجد الملك وتجردا للقول في صاحب الديوان واكثرا من ذلك فطيف بهم في بغداد عراة والعوام يصفعونهم ويضربونهم بالآجر . ثم قتلوا بقية اليوم وجر العوام جثثهم واحرقوهم بباب قلاية النصارى .

ثم وصل الامير منصور ابن الصاحب علاء الدين واخوه مظفر الدين ونجم الدين الاصغر ومعهم راس النجم الدلال المعروف بالكيباية . وقد سبق ذكر ما وقع منه من القول في الصاحب ففرح اهل بغداد بوصولهم وعلق رأس الكيباية بباب النوبي . وكان قتله في اربل .

ثم ان الامير منصور اخرج فخر الدين النيار من السجن ليلا وقتله في النوفلية ظاهر بغداد فاصبح الناس ووجدوه مقتولا وكان شاباً مليح الصورة اتصل بمجد الملك وخدمه ، وقال في صاحب الديوان اشياء كثيرة . وكان قبل ذلك قد اخذه الصاحب وضربه ضرباً عظيما . وسبب ذلك ما بلغه عنه من الزيادة في الكلام والغيبة وانه كان في جماعة منهم رجل من اهل الحلة يعرف بابن الدربي وجرى بينهم حديث

نجم الدين بن الدرنوس وحكمه في زمن الخليفة ، وان نجم الدين الاصغر قد استولى في هذه الدولة كما استولى هو فانشد ابن الدربي ابياتاً لنفسه وهي .

نجمان كل منهما في بلدة — لا ناصح فيهما ولا مأمون
وكلاهما ساسا العراق فذاك قد — كان الخراب به وذا سيكون
ان كان تأثير الكواكب هكذا — هذا جنون والجنون فنون

فأمر الصاحب بتحصيل الجماعة فاختفوا اياماً وامسك الصاحب عنهم واستمر حكم نواب الصاحب علاء الدين في بغداد شهوراً من السنة .

الاضطراب في بغداد و (وفاة علاء الدين) :

ثم اختلت الاحوال واضطربت الامور وتوفي نجم الدين الاصغر نائبه في بغداد في شعبان وتوفي بعده الصاحب في ارّان (مغان) في ٤ ذي الحجة وحمل الى تبريز فدفن بها ، وان السلطان احمد نصب ابن اخيه الخواجة هارون ابن شمس الدين مكانه .

وقد اختلفت الاقوال في تاريخ وفاة علاء الدين الجويني سواء في كشف الظنون او في ابي الفداء وابن الفوطي وجماعة من المؤرخين والمعول عليه ما ذكرناه من تاريخ الوفاة فانه موافق لما جاء في وصاف وجامع التواريخ وهما من المعاصرين ... ويعزى سبب وفاته الى ما اصابه من تأثر لما قام به ارغون من القسوة بنوابه ببغداد حتى انه امر ان ينبش نجم الدين الاصغر من قبره ويرمى في قارعة الطريق ... بقصد الاهانة ...

ترجمة الصاحب علاء الدين الجويني :

هو علاء الدين عطا ملك بن محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان خراسان اخو الصاحب شمس الدين كان قد ولد في ١٠ ربيع الاول سنة ٦٢٣ ولي العراق ٢١

سنة وشهوراً . وكان عادلا حسن السيرة اديباً فاضلا . جمع تاريخاً للمغول سماه (جهانگشاي) و يعرف بجهانگشاي جويني وله رسائل جيدة منها (تسلية الاخوان) وذيلها واشعار حسنة .

كان له الحل والعقد — كما لاخيه — في دولة اباقا ، ونال من الجاه والحشمة ما يجاوز الوصف . وقد مرّ من وقائع بغداد ما يتعلق به ايام ولايته عليها . وفي سنة ٦٨٠ هـ قدم بغداد مجد الملك اليزدي فاخذ علاء الدين وغله وعاقبه واخذ امواله واملاكه وعاقب سائر خواصه بتهمة نهب اموال الدولة واخفائها فصادروا كل ما ملك وتحروا عن جميع ما عنده ورموه بالممايلة الى حكومة سورية والاتفاق معها ، وان المغلوبيات والوقائع على المغول جرت بسببه ... واختلقوا عليه اموراً كثيرة... ولعل العلاقة الصهرية بالبيت العباسي مما قوى التهمة وايد القول ... ثم ان السلطان احمد اطلقه واعاده سلطته فتمكن من الوقيعة بمجد الملك اليزدي ومن معه ... واختفى البعض من مناوئيهم وهرب ... فلما ملك ارغون اختفى الاخوان وتوفي علاء الدين بعد الاختفاء بشهر سنة ٦٨١ هـ وقد ذكر الذهبي ان علاء الدين في ولايته على بغداد قد عمر ما خربه المغول ، وازال عنهم ما نالهم ، واعاد الى بغداد ... عمارتها ، وراحتها ... وسعى سعياً بليغاً لذلك وكذلك في تاريخ وصاف وعد من عماراته انه اجرى نهراً من قصبة الانبار الى النجف الاشرف وصرف له مبالغ وافرة قدرها بمائة الف دينار ذهباً فتأسست عمارات وقرى في جانبيه وعددها مائة وخمسون قرية فانقلبت تلك الاراضي القاحلة الى مزارع متصلة ... هذا عدا ما مر بيانه . والظاهر ان النهر المذكور هو المعروف اليوم بـ (كري سعده) . كما انه اسس رباطاً في النجف وقد مر القول عنه ... وقال صاحب فوات الوفيات :

« كان علاء الدين واخوه فيهما كرم وسؤدد وخبرة بالامور وعدل ورفق بالرعية

وعمارة للبلاد . وبالغ بعض الناس فقال كانت بغداد ايام الصاحب علاء الدين اجود مما كانت ايام الخليفة . وكان الفاضل اذا عمل كتاباً ونسبه اليهما تكون جائزته الف دينار . وكان لهما احسان الى العلماء والفضلاء . لهما نظر في العلوم الادبية والعقلية .

وقد مرّ البيان عن بعض شعره وما رثاه به اخوه شمس الدين الجويني عند الكلام على المراجع التاريخية ... (١)

وا كبر اثر له التاريخ المعروف بـ (جهانكشاي جويني) وهذا التاريخ قد اخذ عنه مؤرخون عديدون و بين هؤلاء ابن الطقطقي وان لم يصرح بالنقل عنه ... وهو خير صفحة كاشفة عن المغول بقلم احد ولاة بغداد ومؤرخيها وقد مر بنا ان وصفنا الكتاب في المراجع التاريخية وكنا نأمل ان يدون عن قطرنا ايام حكومته فيكون اساساً لغيره خصوصاً جرت وقائع مهمة تدعو للبحث والتدقيق عن صفحة خفية وان كان تاريخه عاماً يتعلق بالحكومة الاصلية ... والمؤرخون مثل وصاف وان كان يعد بمثابة ذيل لهذا التاريخ الا انه لم يكن صادراً من اهله ، وذي صلاحية في التدوين ...

وعلى كل فقد جمع المؤلف بين السياسة والعلم وتدوين الوقائع والدوبيت المذكور سابقاً يبين علاقته بهذا المحيط وحبه له رغم تظاهره بانه كلف بحاضرة الاتراك وما فيها من جمال و يكفي للدلالة على ذلك انه لم يشأ ان يبرح العراق و يفارق بغداد ... والاهلون محبون له وراغبون فيه على خلاف ما رأوه من سائر امراء العجم ممن سيجيء القول عنهم ... وقد قال صاحب الشذرات عنه ان امر العراق كان راجعاً اليه

«١» ص ١١ وكلشن خلفاء ورقة ٣٥ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ ووصاف .

فساسه احسن سياسة . طلب في هذه السنة (سنة ٦٨٣ هـ) فاختفى ومات في الاختفاء . (١) والصحيح عن وفاته ما أسلفنا .

وكان قد تزوج بنته الامام الجليل والصوفي الزاهد الشيخ صدر الدين ابو المجامع ابراهيم ابن الشيخ سعد الدين محمد ابن المؤيد بن ابي بكر بن محمد ابن حمويه الجويني الشافعي . وهو الذي اسلم على يده السلطان غازان بمساعدة من امير نوروز فتابعه المغول في اسلامه فدخلوا افواجاً في الدين الاسلامي ونال ايام هذا السلطان حرمة عظمى وتوفى سنة ٧٢٢ هـ . (٢)

والحاصل . نرى اكثر المؤرخين يلهجون بالثناء على علاء الدين وما جاء في وقائع العراق من التنديد به من بعض المغرضين فانه ناشئ عن عداء وحزبية والا فان الاهلين حينما سمعوا برجوعه الى بغداد ايام السلطان احمد سمع لهم دوي فرح وسرور بل عيد وابتهاج (٣) ... وكان يرعى العلماء ويلاحظ المدارس ... وقد مدحه شعراء كثيرون بينهم سعدي الشيرازي ، ومما مدح به من عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري :

عطا ملك عطاؤك ملك مصر ... و بعض عبيد دولتك العزيز

تجازى كل ذي ذنب بعفو ... ومثلك من يجازي او يجيز

ونسبها الفخري الى ابن الكبوش البصري ترصلا لذم قائلها ولذم علاء الدين للغضاضة القديمة بينهما ... (٤)

وقائع ارغون :

اما ارغون فانه لما بلغه وفاة ابيه السلطان اباقاخان اقبل من خراسان فاتصل به

«١» ج ٥ ص ٣٨٣ . «٢» جامع التواريخ «٣» «كلشن خلفا» .. «٤» تاريخ الفخري ص ١٦ .

جلوس السلطان احمد خان على التخت فتمم المسير اليه وحضر عنده .

ثم رحل الى بغداد فدخلها في شعبان والأمير علي جگيبان بين يديه واستنقذ صفي الدولة ابن الجمل كاتب السلة من اصحاب علاء الدين صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه ...

ثم أمر بعمل حساب العراق فعمل وتخلف على الضمناء شيء كثير فطولبوا به وضويقوا عليه . والزم أهل بغداد بالمساعدة . وأحضر قاضي القضاة عز الدين الزنجاني وقرر عليه وعلى العدول عشرة آلاف دينار واستوفى ذلك بالعسف وكان كل من اختفى من الناس نهبت داره و بيع ما فيها وألزم نواب الاعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك .

ثم طولب اهل بغداد بأجرة املاكهم عن ثلاثة اشهر فاستوفي من اكثرهم ثم تقدم باعفاء الناس كافة . ثم عاد الى خراسان في الربيع .

ملحوظة :

الغزو على بغداد ونهب ما يتيسر نهبه والقسوة بالناس صار معتاداً فكأن المدن العراقية خلقت لاعاشة الاشخاص الملقبين بالسلاطين وبالامراء فلم يلتفت الى حالهم ولم ينظر الى ضرورة عمارة المملكة وتفقد أحوال أهلها وضعفائها والنظر في مصالح القوم وراحتهم ...

وفيات :

١ — فقد الشيخ ظهير أحمد ابن عبد القادر الجبلي الحنبلي من مدرسة جده . ولم يعلم حقيقة حاله واتهم به أولاد كديدا فوجد سنة ٦٨٦ في بئر داره التي في مدرسة جدة . وعرف بخاتم كان في يده .

حكى بعض اصحابه انه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة ايام فسأله عن حاله فقال له يضرب المثل بمن يده تحت الرحا فكيف بمن حصل كله تحت الرحا .

٢ — توفي الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرس الحنابلة بالمستنصرية وكان عالما ، فاضلا ، ورعا ، زاهداً ... جلس للوعظ بباب بدر في زمن الخليفة و بقي على ذلك الى واقعة بغداد ، ثم جلس في جامع الخليفة واستمر الى ان مات وكان له قبول عند العالم .

٣ — توفي الشيخ الصالح أسد الدين محمد بن برس شيخ رباط القصر . ولد هو والشيخ جلال الدين في يوم واحد وماتا في يوم واحد .

٤ — توفي القاضي الفاضل المحقق شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ابن خلكان (١) . وكان فاضلا عالما تولى القضاء بمصر والشام وله مؤلفات جليلة منها وفيات الاعيان من اشهر الآثار ولد في ١١ ربيع الآخر سنة ٦٠٨ بأربل .

٥ — توفي جمال الدين ابو اسحق يوسف بن جامع بن ابي البركات البغدادي القفصي الضرير النحوي المقرئ الحنبلي الفرضي كان شيخ القراء ببغداد ولد ٧ رجب ٦٠٦ هـ بالقفص من اعمال بغداد ، انتفع به الناس في العربية والقراآت والفرائض واللغة وفي الذهبي انه توفي سنة ٦٨٢ هـ (٢)

* * *

«١» ، فوات الوفيات وابا الفداء ج ٤ ص ١٧ والشذرات ، ٢٠، الشذرات ج ٥ ص ٣٧٥ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٧٤ .

حوادث سنة ٦٨٢ هـ

(١٢٨٣ م)

ولاية شرف الدين الجويني على بغداد

صاحب ديوان بغداد الجديد :

في رجب من هذه السنة وصل شرف الدين هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني صاحب ديوان الممالك الى بغداد . وقد فوض اليه تدبيرها وجعل (صاحب ديوانها) على قاعدة عمه علاء الدين فاستبشر الناس بقدومه وحضر الشعراء بين يديه وانشدوه المديح . فمما قاله جمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب:

الحمد لله قد مضى الترح | وقد أتانا السرور والفرح
وجاء صرف الزمان معتذراً | فكل ذنب جناه مطرح
لا تعيبوا الدهر بعدها فبنو | الدهر واحداثه قد اصطلحوا
لئن عراهم من صرفه محن | لقد تلتها الهبات والمنح
وقد أتاهم بكل ما طلبوا | منهم ووافاهم بما اقترحوا
فهمهم بعد ضعف همته | يبدو عليه النشاط والمرح

* * *

وكل حزب يسر حزبكم | يربح في سعيه الذي ربحوا
ان ينج من بطشكم بجنته | جان فلم ينج قلبه القرح
او يتخلف من العدى شبح | فسوف ينزاح ذلك الشبح
يا شرف الدين والذي شرفت | بمدحه المادحون والمدح
ما خلق الله من عطا ملك | بابا لملك عليك ينفتح

انست بغداد بعد وحشتها　　فصدرها باللقاء منشرح
قد جليت بعد طول عطلتها　　وزينتها القباب والملح
قدم لأهل العراق ملتجأ　　تأسو بجدوى يديك ما جرحوا
وابق مدى الدهر ما بدا قمر　　وما دنا بالاياب منتزح

وعين شمس الدين زرديان نائبا عنه .

قضاء وحسبة :

خلع على القاضي بدر الدين علي بن محمد بن ملاق الرقي وفوض اليه امر القضاء بالجانب الغربي اضافة الى ما كان يتولاه (من الحسبة) بجانبي بغداد والتدريس بمدرسة سعادة ، وعين الشيخ نصير الدين عبد الله بن عمر الفاروقي مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية وسلك طريقة عمه في تدبير العراق .

ووصل بعده نظام الدين عبد الله ابن قاضي البندنيجين وقد رتب كاتب السلة بالديوان.

* * *

مجد الدين محمد ابن الاثير :

احضر مجد الدين محمد ابن الاثير وطالبه الوزير بما وصل اليه من اموال الديوان ردوشخ ووكل به اياماً كثيرة واستوفى منه مقدار خمسين الف دينار . ثم وصل في المحرم سنة ٨٣ من طلبه الى الاردو واعيد عليه كل ما اخذ منه ثم ندب للنيابة عن الخواجة شرف الدين هرون فاجاب الى ذلك وعاد الى الحكم في الديوان على ما كان عليه فبقي على ذلك مدة شهرين . ثم اخذ وطوق بالحديد وضويق وطولب بمال كثير واستوفى منه مبلغ مائة الف دينار وحمل الى الاردو .

ضرائب وتضييقات :

وفي هذه السنة الزم التجـار ببغداد بالقرض والمساعدة وضويقوا على ذلك والزم الناس باجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور وطولب ارباب الاموال باقامة عسكر وقرر عليهم على قدر احوالهم واستوفي ذلك بالقهر والعسف .

النقود : (دناكسه)

في هذه السنة ابطلت الفلوس النحاس وضرب عوضها فلوس فضة وجعلت كل اثنى عشر فلساً بدرهم وسميت دناكش (١) . ثم ابطلت في سنـة ٨٣ واعيدت الفلوس المس (النحاسية) وتعامل الناس بها كل ثلاثين فلساً بدرهم .

شحنكية بغداد : (شرطتها)

في هذه السنة اعيد تتارقيا الى شحنكية بغداد .

المارستان العضدي :

وعزل سعد الدولة ابن صفي الدولة عن نظر وقف المارستـان العضدي وسلم الى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد فقام فيه احسن قيام وأجرى اموره على احسن القواعد .

«١» اصل دناكش تنكه بالـكاف الفارسية وهي المعروفة عند المغول ويقابلها عندنا الدراهم الفضية ، سكة متداولة ومعروفة وقد جاءت في لغة جغتاي وضبطها قوالمرس بفتح الاول وسكون الثـاني او حركته بالفتح . واما تنكجه فهو نقد صغير فضي ثم اطلق على كل نقد كما فيه . وهو تصغير اللفظة وجمعها على دناكش هو جمع تنكجه ... وتلفظ تنكشه بتبـديل الجيم الفارسية الى شين ... والتاء والدال يتناوبان في اللغة التركية ... « لغة جغتاي » .

بين المدرسة النظامية والبشيرية :

وفيها نقل مجد الدين علي بن جعفر من التدريس بالمدرسة النظامية الى المدرسة البشيرية ورتب في المدرسة النظامية نور الدين ابو التيان الحلبي .

رسول الى الشام : (وفاته)

في هذه السنة ارسل السلطان احمد الشيخ عبد الرحمن الى الشام لتقرير ما كان التمسه من الملك المنصور قلاوون لما ارسل اليه قطب الدين الشيرازي في السنة الماضية فلما وصل الى دمشق حبس بها ، ولم يعلم عنه شيء بعد .

وكان ابوه مملوكا روميا للخليفة المستعصم ، فلما نشأ عبد الرحمن جعل من جملة فراشي السدة ، واسر في واقعة ببغداد ، وقد ظفر باشياء نفيسة من الجواهر وغيرها فجعل من فراشي الاردو ، فاظهر الزهد والناموس حتى صار يعرف بالشيخ فدفن ما كان معه في قلعة (تلا) ، ثم تنقلت به الاحوال حتى صار الى الموصل ، واتصل بعز الدين ايبك دزدار العمادية ، وكان مولعاً بصناعة الكيمياء مهوساً بها فمخرق عبدالرحمن عليه بشيء من ذلك فحظي عنده وقربه ، ثم سار عز الدين الى السلطان وعبد الرحمن صحبته . فقال للسلطان اني رأيت في المنام في موضع من قلعة (تلا) دفيناً فيه جواهر ومال كثير فسيره الى هناك فاظهره وعاد به الى السلطان . ومن ثم قربه وعمل له بعض المخاريق فزاد اعتقاد السلطان فيه ، ثم اتصل بالسلطان احمد وحسن له الاسلام فاسلم وتسمى باحمد ووعده بانتقال الملك اليه فلما ملك خدمه الامراء والوزراء وعظمت منزلته عندهم . فلما ارسل الآن الى سلطان الشام عرف حاله فامر بحبسه من غير ان يجتمع به ... (١) وجاء في الشذرات انه مات في

«١» ابن الفوطي ص ٤٣١ .

الاعتقال بقلعة دمشق سنة ٦٨٣ ﻫ بعد السلطان احمد .

وفيات :

١ — توفي عماد الدين زكريا بن محمود القزويني قاضي واسط بها . وهو صاحب كتاب عجائب المخلوقات حمل الى بغداد ودفن بها في الشونيزي وكان عالماً فاضلا ، ويكتب خطاً جيداً ، تولى قضاء الحلة سنة ٦٥٠ ﻫ ثم نقل الى قضاء واسط سنة ٦٥٢ ﻫ واضيف اليه التدريس بمدرسة الشرابي ... وترجمته معروفة فلا نطيل القول بها .

٢ — توفي الحكيم ابو منصور ابن الصباغ الطبيب وكان طبيباً حاذقاً عمره زيادة عن مائة سنة ، يكتب خطاً حسناً ...

٣ — توفي الشيخ احمد بن القش شيخ رباط جهبر ورباط الشيخ علي بن ادريس بيعقوبا ودفن تحت اقدام الشيخ علي بن ادريس . وكان زاهداً ورعاً .

حوادث سنة ٦٨٣ ﻫ

(١٢٨٤ م)

حكومة ارغون

قتل السلطان أحمد وحكومة أرغون :

في هذه السنة قبض أرغون على وجيه الدين زنكي بن عز الدين طاهر والي خراسان واستصفى أمواله . ثم اخذ من أعيان خراسان أموالا كثيرة . فلما بلغ ذلك السلطان أحمد جهز اليه جماعة مع (علي ناق) (١) فالتقوا بظاهر قزوين

«١» على ناق ورد في الكتب الايرانية بلفظ « اليناق » كما في تاريخ مفصل ايران ص ٢٣٠ وفي غيره . ال يناق ، وفي ابن العبري « اليناخ » والتقارب ظاهر والمعول عليه ما جاء في ابن الفوطي من انه « علي ناق » .

واقتتلوا قتالا شديداً حتى كثرت القتلى بين الفريقين وحجز الليل بينهما فانهزم علي ناق واصحابه وعاد أرغون الى خراسان . فلما وصل علي ناق الى السلطان أحمد عظم ذلك عليه وسار بعساكره الى خراسان فمال اكثر من كان مع أرغون اليه والتحقوا به فعند ذلك راسله السلطان أحمد يدعوه الى طاعته وترددت الرسل بينهما فجمع أرغون اهله وخواصه وسار الى بلد (كلات) في جبل فسيح قريب من طوس ليس له طريق الا من جهة واحدة ولا سور عليه فسار في اثره ألامير بوقا واحاط به فاستسلم حينئذ ونزل فحمله بوقا الى السلطان أحمد فسلمه الى علي ناق فجعل معه جماعة يحفظونه وقتل اصحابه وكل من كان معه من الامراء ...

ثم رحل السلطان يريد آذربيجان . وتخلف بعده الأمير بوقا وعلي ناق أياما . فخلا الامير بوقا بجماعة من الامراء وأجمعوا رأيهم على تسليم الملك الى أرغون . فلما اتفقوا على ذلك مضى بوقا الى ارغون ليلا وركب معه جماعة من الامراء وقبضوا على اصحاب علي ناق واستخلصوا ارغون منهم وعرفوه ما اتفقوا عليه فركب أرغون في جماعة من العسكر وقصد علي ناق وكبس عليه وقتله وقتل جماعة من اصحابه فاضطربت العساكر .

ولما اسفر الصبح صعد الامير بوقا تلا وامر فنودي في الجيش هذا ارغون هو السلطان . واما علي ناق فقد قتل وهذا رأسه . فلما رأوا الرأس سكنوا ...

ثم اجلسوا أرغون على التخت وارسلوا من يقبض على السلطان احمد فانتهت حكومة السلطان أحمد يوم الاربعاء ١١ جمادى الاولى سنة ٦٨٣ ﻫ (١) فلما بلغه ذلك ركب قاصداً (بركة خان) فلم يتمكن من ذلك وعاجلوه واحاطوا به وقبضوا

«١» ابن العبري ص ٥٢٠ .

عليه وارسلوا الى السلطان أرغون يعرفونه ذلك فأمر بتسليمه الى اولاد قنقورتاي (١) فسلم اليهم فقصفوا ظهره فمات ليلة الخميس ٢٦ جمادى الاولى سنة ٦٨٣ هو في ابن العبري الاربعاء ٢ جمادى الثانية ويعزى سبب القيام عليه من امرائه ميله الى الاسلامية ومحاذرتهم ضياع حكومتهم وديانتهم فتعصبوا عليه وعلى امرائه ... وأساساً ناصب السلطان ارغون العداء لكل من كان مع السلطان أحمد ... والملحوظ هو في الحقيقة النزاع بين الامراء على السلطة ، والامور الاخرى من مسهلاتها واسباب نجاحها ...

بركة خان وحكومة القفجاق :

ومن النص الصريح المذكور اعلاه يفهم ان بركه خان ملك القفجاق لايزال حيا سنة ٦٨٣ وان السلطان أحمد حاول الالتجاء اليه لما رآه من امرائه وميلهم الى ارغون خان في حين ان ما جاء في شجرة الترك (٢) عن وفاته انها وقعت عام

«١» ورد في ابن العبري وفي تاريخ مفصل ايران « قونغرتاي » ، و « قوتغرناي » وفي وصاف قنغراتاي وفي « كتاب اسلامده تاريخ ومؤرخلر » جاء بلفظ «قونقوراتاي» وهو اخو ابقاخان . «٢» مر بنا وصف «شجرة الترك» ولكن فاتنا ان نقول : منه نسخة فارسية عثرت عليها ، كتبها مؤلفها بالفارسية رأساً كما كتب الاخرى في التركية . واول هذه النسخة : حمد خدائي را كه ازلي وأبدي است واورا مصاحبي نيست الخ وكان قد وعد المؤلف ان يكتب نسخة منها بالفارسية فبرّ بوعده وسماها شجرهٔ ترك وعلى كل هذه متأخرة عن تلك... وتفيد كثيراً لتصحيح الاعلام ومقابلتها ... وما يحكى من ان المؤلف مات قبل ان يتم التركية فغير صحيح لأن هذه النسخة برهنت على أنه كتبها بعد التركية كما يستفاد من نص الفارسية ... وأما ابنه فقد اضاف اليها وقائع كانت قد حدثت ايام والده وعلى يده ... شرع بتأليفها سنة ١٠٧٤ وتمت سنة ١٠٧٦ هجرية

٦٦٤ هـ وانه حكم ٢٥ سنة وكان جلوسه بعد سنة ٦٥٤ هـ ولعل التاريخ كان عام ٦٨٤ هـ .
وهذا هو ابن جوجي خان وقد نصبه القاآن خاناً على القفجاق . وكان والده جوجي خان بن جنكيز خان قد توفي في حياة ابيه فصار ابنه باتو خان بعده خانا في صحراء القفجاق وهذا توفي سنة ٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م فخلفه سارتاق او غلاني ابن باتو خان ولكنه توفي قبل ان ينال السلطنة ومن ثم نصب القاآن اخاه اولاقجي (اولاقيچ) خانا فلم يطل امده وانما توفي بعد قليل فصار (بركه خان) سلطانا على القفجاق ومن ثم صارت تسمى (صحراء بركة) وذلك لانه اول مسلم من ملوك المغول . وكانت اسلاميته عن اعتقاد قوي ، ولذا اعلنها وقاتل من بقي على كفره من قومه وغيرهم . ومن ثم تكونت حكومة المغول المسلمة في القفجاق . ثم توفي بمرض القولنج عام ٦٦٤ هـ (وفى الشجرة انه حكم ٢٥ سنة مع انه نظراً لجلوسه ووفاته لم يحكم اكثر من عشر سنوات) فخلفه منكو (١) تيمور خان وعلى يد تيمور توقاي (فى خلاصة الأخبار ورد توقان او طوغان) هاجم اباقا خان بجيش عظيم حتى وصل ايران فتصالح مع اباقا خان ومن ثم دام الصلح بين الحكومتين ثم ان اباقا خان توفي عام ٦٨٠ هـ فخلفه احمد خان (وهو ابن هلاكو السابع توقودار او تكودار وقد اسلم وسمى نفسه السلطان احمد) ولما استشهد هذا على يد ارغون وخلفه هذا في حكومته سار منكو تيمور الآنف الذكر على ارغون بجيش عظيم يبلغ الثمانين الفاً تحت قيادة طوغان وتورك تاي من اكابر قواده ، وان أرعون قابله بفيلق تحت قيادة اميره طوغاجار (٢) وتأهب هو لامداد قائده وعقب اثره فتصادم الفريقان في

---

(١) ويلقب كذلك بفتح الاول والثاني . (٢) وجاء بلفظ الامير طغاجار كما في تاريخ مفصل ايران ص ٢٣٠ وفي وصاف وابن الفوطي او تغاجار ياغوجي على ما ورد في اسلامده تاريخ ومؤرخلر ص ٢٣٧ .

قاراباغ وهناك أصابت الهزيمة جيش منكو تيمور فكان لهذه المغلوبية وقع كبير في نفس منكو تيمور فأدت الى وفاته لشدة ما أصابه من الألم . فخلفه تودا منكو ابن توقاي بن باتوخان وهذا خلفه توقتاغو (١) بن منكو تيمور خان ثم أوزبك خان بن طوغرول خان بن منكو تيمور بن باتو خان بن جوجي خان بن جنگيز خان وهكذا تولوا مما لا يسع المقام استقصاء اخبارهم .

ثم ان السلطان ارغون اختص الامير بوقا وسماه (چينكسانك) (٢) ومعناه امير الامراء وجعل اليه تدبير ممالكه .

ولاية اروق على العراق

في ١٠ جمادى الاولى

ولاية العراق : (ادارتها)

ثم ان السلطان ولى اخاه (اروق) العراق وديار بكر فعين على بدر الدين خاص حاجب صاحب ديوان بغداد ورتب سعد الدين مظفر ابن المستوفي القزويني مشرفا عليه ...

فسار اليها ومعه الامير تمسكاي شحنة ، ومجد الدين ابن الاثير مشارك في الحكم . فارسلوا بعض مماليك مجد الدين ابن الاثير وجماعة من المغول الى بغداد فوصلوها في ١٠ جمادى الاولى واعلموا الامير تنارقيا بصورة الحال وقبضوا على الخواجة هرون

«١» وقد ورد بلفظ توقتاي . «٢» ورد في فرهنك وصاف جنكسانك وفي لغة الجغتاي جاء بالجيم الفارسية والياء بعد الجيم وتعني ما جاء في صلب الكتاب والخديو ونائب الدولة ووكيل السلطنة او كما في وصاف الوزير والامير . وعلى كل صحيحها جينكسانك . واللفظة صينية شاعت بين المغول ... ويلفظ « جينك سانك » . وما جاء في الفوطي من انه « جنكستان » فهذا غير صحيح وناشيء من صعوبة التلفظ .

صاحب الديوان وشمس الدين زرديان نائبه وعز الدين جلال المشارك في كتابة السلة ونظام الدين عبد الله ابن قاضي البندنيجين وطلبوا مجد الدين اسماعيل بن الياس نائب الخواجة هرون في خاصته فلم يجدوه فاخذوا هؤلاء ووكلوا بهم ودوشخوا وطوق الخواجة هرون وحملوا جميعهم الى العصمتية المجاورة لمشهد عبيد الله وحبسوا هناك .

ثم اخرج نظام الدين ابن قاضي البندنيجين من الغد في (دوشاخة) وقد سود وجهه واركب على بهيم وشهر في سوق بغداد والعوام يطرقون بين يديه استهزاء به .

ثم اعيد الى موضعه وقبض على شرف الدين محمد بن بصلا وكيل الديوان ودوشخ أيضاً وطولب بمال كثير . وكان زوج اخت النظام المذكور (نظام الدين عبد الله) وكلما كان يفعله النظام من الحيف والظلم كان باشارته لانه كان داهية خبيثاً ذا شر غير محمود السيرة في تصرفاته .

ووصل تقدم من مجد الدين ابن الاثير الى مهذب الدولة نصر بن الماشعيري اليهودي بان ينوب عنه في الديوان فصار هو المشار اليه وتولى الأمور فقال يوماً للامير تنارقيا الشحنة وقد أحضر النظام وابن بصلا بين يديه : هذا وابن بصلا مع النظام مثل الوزغة مع الافعى . قال له ما معنى هذا قال : ان الوزغة تسقي الافعى السم طول الليل فاذا كان النهار القت الافعى ذلك السم على الناس فضحك تنارقيا وامر بضربهما فضربا ضرباً كثيراً وادى ابن بصلا الف دينار في عدة دفعات وعزل من الوكالة ورتب عوضه نجم الدين حيدر ابن الأيسر . واما النظام فانه ادى مالا كثيراً وعوقب معاقبة عظيمة وقصفت رقبته بدوشاخة فمات .

واما الخواجة هرون فانه لم يزل موكلا به الى ان وصل الامير (أروق) الى العراق فحمل اليه وهو بطريق خراسان والطوق في حلقه فأمر بازالته وسلم اليه ما أخذ منه

من الدباب وغيرها وعاد الى داره على اختياره وظهر أصحابه الذين اختفوا ومجد الدين اسماعيل بن الياس وكيله ...

شمس الدين صاحب الديوان :

اما شمس الدين صاحب ديوان الممالك فانه لما بلغه جلوس السلطان أرغون على التخت فارق السلطان أحمد والتحق باتابك يوسف (١) شاه بلرستان واستتر عنده . ثم عرف انه لا ينجيه ذلك ولا يعصمه فحضر بين يدي السلطان وتنصل مما فرط منه واعتذر بما أمكنه وضمن القيام بأمر الدولة وعمارة الممالك فهم باستبقائه ورق له فاشير عليه بقتله فامر بتسليمه الى من يحفظه واستيفاء الاموال منه فضرب وعوقب فقال :

— ضرب مثلي غير لائق ومهما طلب مني من الاموال قمت به .

فعرضوا ذلك على السلطان فأمر بالتخفيف عنه فاخذ في جمع الاموال والقرض من التجار وغيرهم فأشار اعداؤه بقتله علما بما في تأخر ذلك من الضرر فأمر بقتله فلما أحضر ليقتل سأل المهلة ساعة ليوصي فأمهل فكتب بخطه وصية بالفارسية قال في آخرها :

— فان وجد الناظر فيها خللا فلا غرو اني سطرتها وانا عريان والسيف مشهور !

فلما فرغ من ذلك قتل في محل يقال له (أهر) بجوار قره طاغ من توابع اذربيجان وذلك يوم الثلاثا ١٥ شعبان سنة ٦٨٣ هـ وحملت جثته الى تبريز ودفن الى جانب أخيه علاء الدين في مقبرة يقال لها (چرنداب) معروفة هناك .

---

(١) هو اتابك لرستان الصغير - بشتكوه - وقد افردنا لهذه المملكة رسالة بينا فيها امارتها وقبائلها ... ويعرفون اليوم - بالفيلية - وقبائلهم عديدة .

ترجمة شمس الدين صاحب الديوان :

قد مرت ترجمة اخيه علاء الدين صاحب الديوان وهذا من اكبر وزراء المغول ، وأعظم رجالها ، وقد لعب دوراً مهما ، ونال مكانة لم ينلها أحد قبله في هذه الحكومة وأصابته أخطار ومصائب كثيرة لم يبال بها ، واكبرها هذه التي أدت الى قتله ، وكانت مقدرات ايران في قبضته وهو رئيس ديوانها ... وبه نال الفرس مكانتهم وحصلوا على نفوذهم ...

قال ابن العبري :

« كانت هذه آخرة مثل ذلك الرجل العظيم الهيوب الحكيم الذي كانت الدولة باسرها معلقة بخنصره ، وكان عنده العقل والخبرة ، وكان كاملا بجميع السياسات والتدابير والتواضع الحسن ، ويقولون عنه انه ما سبقه احد بالسلام . بل هو كان يبتدئ من تقدم اليه . » اﻫ (١)

وقد ترجمه جماعة منهم ابن خلكان في وفيات الاعيان ذكره مع أخيه علاء الدين بترجمة واحدة عند ذكر عطا ملك علاء الدين الجويني وقد سبق النقل عنه واورد ما قاله شمس الدين محمد الجويني المذكور في اخيه عطا ملك ، ولا محل للاطالة بترجمته فأنها تحتاج الى مؤلف خاص بها .. وأهم ما فيها ان ادارة المغول منغصة بل هي بلاء اكبر لولاه وقد رأف بالناس ، وله أعمال بر ، ومناصرة للعلماء ومشاركة لهم ، ولا تذكر حكومة هلاكو وأخلافه الا واسمه معروف وذكره شائع...

---

(١) مختصر الدول ص ٥٢٢ وبشمس الدين ختم العبري تاريخه وهو من الكتب المفيدة والنافعة في موضوعها ... وقد رأيت نسخة مخطوطة منه في مكتبة آل باش اعيان في البصرة ليس فيها تاريخ الا انها قديمة وتصلح للمقابلة والتصحيح .

و بعد قتله امر السلطان بقتل اولاده يحيى ، وفرج الله ، ومسعود ، واتابك ولم يبق منهم الا القليل فقضى عليهم وماتت أسرتهم ... وقد تألم (وصاف) لما نالهم تألماً كبيراً ونقل ما وجد مكتوباً في مقابرهم ... وعد ذلك من اكبر المصائب على ايران بفقدان اعاظم رجالها ... والحق ان المترجم واخاه خدموا ايران والعلم وبروا بالعلماء وناصروهم ومكنوا ما يجب لاحياء العلم ... ونظم سعدي الشيرازي الشعر الكثير في هذين الاخوين ... وكان قد اتهم المترجم بانه سمّ اباقاخان والصحيح انه كان من مناصري السلطان احمد فناصبه ارغون خان العداء ... وعلى كل لا تزال سلطة هؤلاء قوية ، وفيهم من يستعينون به حفظاً للملك والسلطنة من التغلب ... وفي دستور الوزراء بين انه من اولاد امام الحرمين حجة الاسلام عبد الملك الجويني بصورة القطع دون الترجيح و بسط القول عن ترجمته بتفصيل زائد ... وأثنى على خدماته للاسلامية وتقويتها ايام المغول ... كما انه ساعد لانتشار العلوم وتقوية اربابها ومعاونتهم ... الخ . (١)

الحكومة في هذا العهد :

ولما تم لارغون السلطان وقضى على مناوئيه ممن كان قد ركن الى السلطان احمد ... جعل ابنه غازان في خراسان وولاه الثغر . ومن هذه نرى ان السلطنة لا حكم لها . وانما الحكم للمتنفذين والمسيطرين من الامراء دون الملوك والسلاطين . فهم في الحقيقة ارباب السلطة ولا يخرج السلطان عن ايعازهم فهم الآلة الميكانيكية للاوامر وهي صادرة من اصحابها الامراء . فان النزاع انما كان بين الامراء بعضهم مع بعض

(١) نسخة خطية ص ٢٥٥ من دستور الوزراء تأليف غياث الدين بن همام الدين الملقب بخواندمير صاحب تاريخ حبيب السير وهذا من جملة ماعولنا عليه كمرجع لهذا العصر ولما يليه من الادوار الاخرى ... توفي المؤلف سنة ٩٤٢ هـ .

وان امراء ارذون كانوا قد قتلوا ولم يبق معه عضد يشد ازره ولكن امراء السلطان احمد كانوا في مشادة فيما بينهم مما دعا الى هذا التبدل . واحدث تغيراً في كل الادارات للملحقات المهمة ولم يقف الامر عند ذلك بل ادى الى التنكيل بالامراء السابقين ولم يكن ناشئاً عن اتفاق او افتراق يؤدي الى اختيار السلطان ما يراه مناسباً فلا اختيار له ولا رأي بل هو مغلوب على امره ، والنزاع واقع دائماً بين الامراء وانما كان فيهم القتل والمحو الى ان ادت هذه الاحوال الى هلاك الشرق واضمحلال اكابر رجاله وانقراضهم وتسلط زعانفته وشياطينه وقضوا على حسن الادارة والنظام وتولى الطغام ، الاشرار والجهال والفجار ... !!!

وقد شاهدنا هذه الحالة بعينها في حكومة الترك العثمانيين ايام اضمحلالهم وانحلال حكمهم وما وليها من الادارات الحكومية عندهم وعند غيرهم ممن قام مقام المغول . ومبدأهم الاقصاء ، والقتل ، والتبعيد وتسليم الادارة بيد الجهال والحمقى والمغفلين والاشرار الفساق ... وسيتضح الوضع اكثر فيما يلي من الحوادث ...

حوادث في بغداد :

١ — ظهور نائب المهدي : في شهر رمضان من هذه السنة ظهر في سواد الحلة رجل يعرف بابي صالح ادعى انه (نائب صاحب الزمان) وقد ارسل ليعلم الناس انه قد قرب ظهوره واستغوى الناس بذلك فكثر جمعه وانضم اليه خلق كثير من الجهال فقصد بلاد واسط ونزل في موضع يسمى (بلد الدجلة) من اعمالها واخذ من اموال الناس شيئاً كثيراً وسار الى قرية قريبة من واسط تعرف (بالارحا) وارسل صدر واسط فخر الدين ابن الطراح بان يخرج اليه فقال لرسوله : قل له يرحل عن موضعه و يحفظ نفسه ومتى تاخر انفذت العسكر لقتاله فرحل وقصد الحلة فارسل الى



۱۱ — ہلاکو تابع ص ۱۵۵

صدرها ... ابن محاسن يستدعيه اليه فاخرج ولده في جماعة من العسكر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديداً فقتل ابن محاسن وجماعة من اصحابه وانهزم الباقون فكاتب والده الحكام ببغداد يعرفهم ذلك ... فركب (شحنة العراق) (١) وسار اليه .

واما ابو صالح فانه قصد قبة الشيخ ابن البقلي بناحية النجمية من اعمال قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ونهب اموال اهل الناحية فوصل شحنة العراق بعساكره اليه واحاط به وباصحابه ووضع السيف فيهم فلم ينج منهم الا نفر يسير وحمل رأس ابي صالح واصحابه الى بغداد وعلق بها .

٢ — ذيول هذه الحادثة وداعية آخر :

ولما رحل ابو صالح من واسط ظهر في قرية من قراها تعرف (بقرية الشيخ) رجل اسمه شامي ادعى ما ادعاه ابو صالح وأمر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر فمال الناس اليه وتاب خلق كثير على يده واعترف قوم بالقتل وغيره وسأل ان يقتص منه . واعترف آخرون انهم سرقوا مال فلان وفلان يوم كذا . فكثر جمعه فارسل فخر الدين ابن الطراح صدر واسط اليه ينهاه عن فعله ويتهدده بالقتل ...

فلما اتصل به ما جرى لابي صالح هرب والتجأ الى العرب وتفرق جمعه .

٣ — ابن كمونة وكتاب الابحاث عن الملل الثلاث :

في هذه السنة ايضاً اشتهر ببغداد ان عز الدولة (ابن كمونة) اليهودي صنف كتاباً سماه (الابحاث عن الملل الثلاث) تعرض فيه بذكر النبوّات وقال ما نعوذ بالله من ذكره فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله فركب الامير

«١» الآن نسمع شحنة العراق دون شحنة بغداد .

(تمسكاي) شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكام الى (المدرسة المستنصرية) واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال وطلبوا ابن كمونة . فاختفى واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعه العوام فعاد الى المستنصرية فخرج ابن الاثير ليسكن العوام فاسمعوه اقبح الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كمونة والذب عنه فامر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر ...(١)

واما ابن كمونة فانه وضع في صندوق مجلد وحمل الى الحلة . وكان ولده كاتباً بها فأقام اياماً وتوفي هناك .

وقد ذكر شاعرنا الاستاذ جميل صدقي افندي الزهاوي ان لديه كتاباً في الحكمة لابن كمونة المذكور سماه (الجديد في الحكمة) .

٤ — شغب على صدر الوقوف :

وفي هذه السنة اجتمع الفقهاء بالمستنصرية على جمال الدين الدستجردي صدر الوقوف ونالوا منه واسمعوه قبيح الكلام فحماه منهم الشيخ ظهير الدين البخاري المدرس وخاصه من ايديهم فاتصل ذلك بالحكام فعزلوه ورتبوا رضي الدين ابن سعيد فلم ينهض بامور الوقف فاعيد جمال الدين الدستجردي ووصل بعد ذلك فخر الدين احمد ابن الخواجة نصير الدين الطوسي وقد اعيد امر الوقوف بالممالك جميعها اليه وحذفت (حصة الديوان) من الوقوف ووفرت على اربابها فعين مجد الدين اسماعيل بن الياس صدراً بالوقوف عوضاً عن جمال الدين الدستجردى فعين عز الدين محمد بن شمام نائباً عنه فيها .

---

(١) ابن الفوطي .

٥ — تولية القضاء نيابة :

وفي هذه السنه قلد قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني جمال الدين عبد الله ابن العاقولي القضاء نيـابة عنه وجعله مقدماً على كل النواب منفرداً (بالشبال) (١) واضاف اليه (الحسبة) عوضاً عن القاضى بدر الدين الرقي واقر على القضاء (بالجانب الغربي) .

٦ — صدر الاعمال الواسطية :

وفيها رتب نور الدين أحمد بن الصياد التاجر صدر الاعمال الواسطية عوضا عن فخر الدين مظفر ابن الطراح فأنفذ خادما له اسمه (اقبال) لينوب عنه فاصعد فخر الدين الى بغداد وتحدث في ضمان أعمال واسط فعقدضانها عليه فانحدر اليها وكانت مدة ولاية ابن الصياد شهراً واحداً .

٧ — غرق وجراد في بغداد وانحائها :

وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة غرق في الجانب الغربي من بغداد عدة نواحي ووصل الماء الى قباب (دير الثعالب) والجنينة ومعروف الكرخي وتهدمت حيطان البساتين والادؤر الرقيقة وهلكت الاشجار وظهر بعد ذلك (جراد دباب) اتلف اشياء كثيرة من الزروع والغلات والكروم وغير ذلك .

امير العرب :

مضى في حوادث سنة ٦٨٠ هـ الكلام عن أمير العرب عيسى بن مهنا رئيس آل فضل . وفي هذه السنة توفي في ربيع الاول ، خلفه ابنه الامير حسام الدين مهنا صاحب تدمر وهؤلاء لم تنقطع علاقتهم من العراق وستظهر فيما يلي بوضوح

«١» ورد في ابن الفوطي بضم الشين ولم نقف على المراد منه .

اكثر ... وآل فضل بن ربيعة هؤلاء امراء طي وهم بنو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل وفضل هذا ينتهي الى فضل بن ربيعة . وهم عدة بطون اعظمهم شأناً وارفعهم قدراً (آل عيسى) . واميرهم أعلى رتبة عند الملوك وغيرهم من سائر امراء العرب . ومنازلهم من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبة آخذين على شقي الفرات واطراف العراق حتى ان حدهم قبلة بشرق الوشم آخذين يساراً الى البصرة ... و (آل علي) منهم نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الأمرة الى عيسى بن مهنا و بقي هذا جار الفرات في تلابيب التتار ولهذا يضاعف اكرامهم و يوفر لهم الاقطاعات وصاروا الآن بيتين : بيت مهنا بن عيسى و بيت فضل بن عيسى وتقسمت بقية بني عيسى قسمين مع كل اهل بيت منهما قسم و (آل ملحم) ابن مهنا من بقية امراء طيء الاول وهم اهل السابقة من امارة عرب الشام واصحاب الذروة الشامخة فيهم ... واما جماعاتهم فمن اشتات العرب على اختلاف الشعوب والقبائل مستخدمون معهم او منضمون اليهم (١) ... وقد ورد ذكر عمود نسبهم بصورة اخرى تختلف عن هذه قليلا ...

وفيات :

١ — توفي شهاب الدين علي بن عبد الله وكيل الديوان . وكان سبب موته انه احيل به فكبس داره فارتقى الى سطحها فسقط من السكيسة فمات وعمره ٧٤ سنة وكان من اكابر المتصرفين خدم في عدة خدمات في زمن الخلفاء وما زال محترماً مقدماً ذا رأي سديد وتدبير جيد .

٢ — توفي الشيخ زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب كتب على طريقة (ابن

«١» مختصر اخبار الخلفاء لابن الساعي ص١٣٨ وشذرات الذهب ج ٥ ص٣٨٣

البواب) (١). وكان عالماً فاضلا رتب شيخ الصوفية برباط الاصحاب سنة ٥٧ وأضيف اليه مشيخة رباط مجد الدين ابن الاثير سنة ٧٢ وكان عمره ٧٦ سنة.

٣ — توفي نور الدين علي بن تغلب الساعاتي :

كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية. كان مولده سنة ٦٠١ هـ. وهو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد، وكان مشتهراً بالهيأة والنجوم وعمل الساعات ... (٢)

٤ — توفي مجد الدين حسين بن الدوامي :

وكان مولده في شعبان سنة ٦٢٠ هـ وهو من البيت الاثيل المشهور خدم والده وجده الخلفاء. وكانوا مقربين عندهم وكان تاج الدين والده (حاجب الباب) يحضر دائماً عند الخليفة في الخلوات. ولما ملك السلطان هلاكو خان بغداد حضر عنده وأمره ان يتولى تدبير (الاعمال الزراعية) فلم تطل أيامه وتوفي قبل عود السلطان الى بلاد الجبل. فأمر ان يتولاها ولده مجد الدين فبقي على ذلك مدة ونقل الى (اشراف الحلة) وغير ذلك من الخدم الجليلة. وكان اديباً فاضلا عفيفا يقول شعراً جيداً.

٥ — توفي مجد الدين عبد الله بن بلدجي الموصلي مدرس (مشهد ابي حنيفة)

---

١٠. هو ابو الحسن علي بن هلال الكاتب المشهور وابوه كان بواباً ويقال له الستري لانه ملازم ستر الباب لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولاقاربه وخطه ايضاً في نهاية الحسن وقد توفي سنة ٤٢٣ هـ، ابن خلكان ص ٣٤٥ ج ١. ٢٠. عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ج ١٩ والفوائد البهية ص ٢٦ وجاء في الاكثر عن اسم ابيه لفظ، تغلب، وفي كشف الظنون والفوائد البهية، ثعلب، وقد وصف الفوطي هذه الساعات.

وعمره ثلاث وثمانون سنة . ودفن بالمشهد المذكور . وكان فاضلا مبرزاً في العلوم الدينية .

٦ — توفي شمس الدين الصباغ :

الطبيب المشهور . وعمره ١٠٦ سنين وكان بارعا في علم الطب .

حوادث سنة ٦٨٤ هـ

(١٢٨٥ م)

١ — مشرف العراق :

في المحرم من هذه السنة وصل الامير (تاج الدين علي جكيبان) الى بغداد وقد عين مشرفا بالعراق بدل سعد الدين مظفر ابن المستوفي القزويني . وعين المذكور كاتب سلة بغداد .

٢ — كسر الدراهم : (نقود جديدة)

وفي هذه السنة ابطلت الدراهم . وتعطلت أمور العالم لذلك وبطلت معايشهم وضرب دراهم غيرها وقرر سعرها ثمانية مثاقيل بدينار . واختلفت قيمة الدراهم الاولى . فكان منها عشرة مثاقيل بدينار ومنها اثنا عشر مثقالا بدينار فذهب من الناس شيء كثير .

ثم ضرب في بقية السنة دراهم مثل الدراهم الابقائية وتقدم ان يتعامل الناس بها عدداً كما تعاملوا بالابقائية .

٣ — الغلاء :

ثم غلت الاسعار فبلغ الكرّ (١) من الحنطة مائة وثمانين ديناراً ، وكر الشعير

(١) الكر بالضم مكيال لاهل العراق يساوي اثني عشر وسقاً وكل وسق ستون صاعاً والصاع ثمانية أرطال او اربعة امنان ... « تاج العروس » .

مائة دينار ، و بيع الخبز ثلاثة ارطل بدرهم ، ووصل من الموصل دقيق وخبز مرقق بيع بالحجر واخذت بمغته ولم يسمع قبل هذا انه بيع في الحجر خبز ولا جلب الى بغداد الا بعد الواقعة فان اهل الحلة أمنهم السلطان على نفوسهم واموالهم كما ذكرنا فكانوا يحملون الغلة والخبز والتمر والسمك وغير ذلك ، وباع القوم الضعفاء أولادهم والقت امرأة نفسها في دجلة قيل انها كانت على الجسر تطلب فلم يعطها احد شيئاً فآثرت اتلاف نفسها وأكل الناس ورق الجزر والسلجم والبصل ونبات الارض كعروق القصب والبردي والحلفاء وغيره وانقضت السنة والناس على ذلك ولقوا شدة عظيمة من الغلاء وكسر الدراهم .

٤ — غارة عسكر الشام على الموصل وانحائها :

أغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا واخذوا اموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا كثيراً من النصارى في اربل . ونهبت الاكراد بلد البوازيج منهم وباصيدى وقتلوا من النصارى ونهبوا الاموال وهرب شحنة البوازيج منهم وقصد بغداد .

وفي تاريخ الموصل انها جرت في السنة التالية وان والى الموصل الذي كان أعاده ارغون وهو مسعود البرقوطي خرج عليهم في ٢٢ ربيع الاول سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م) فلم يتمكن منهم وهرب وانتهبت الموصل . ثم عاد مسعود البرقوطي الى الموصل...(١)

٥ — تدريس :

أعيد التدريس في البشيرية الى جمال الدين عبد الله بن العاقولي وعزل عنه صدر الدين محمد ابن شيخ الاسلام ورتب مدرساً بمدرسة الاصحاب .

---

(١) الغوطي وتاريخ الموصل ص ٢٤٢ .

وفيات :

١ — توفي موفق الدين ابو الفتح ابن ابي فراس الهنـايسي اخو قاضي القضاة وكان رجلا صالحاً . خطب بجامع الخليفة الى ان اضرّ فاستناب ولده مكانه .

٢ — توفي تقي الدين علي بن عبد العزيز المغربي الاصل البغدادي المنشأ ، وكان شاباً اديباً فاضلا شاعراً ، وله ديوان مشهور .

٣ — توفي نجم الدين محمد بن هلال المنجم :
وكان حاذقاً في علم النجوم فقيهاً شافعياً .

حوادث سنة ٦٨٥ هـ

(١٢٨٦م)

تبدلات ادارية كبرى في العراق :

في المحرم فوض الامير اروق أمر (العراق) الى عز الدين الاربلي ومجد الدين اسماعيل بن الياس وخلع عليهما وعزل مجد الدين محمد ابن الاثير والامير تاج الدين علي جكيبان المشرف وسعد الدين القزويني الكاتب وسلموا الى عز الدين ومجد الدين وأمر بمحاسبتهم ومطالبتهم بما تعهدوا به من المال فطولبوا وضويقوا ثم حملوا الى الاردوا فأمر بقتلهم فقتلوا وحملت جثة ابن الاثير الى بغداد ودفن في تربة له في مدرسته (١) وحملت جثة الامير علي جكيبان الى بغداد ايضا ودفن في تربة له بمجاورة داره وجثة سعد الدين حملت الى بلده (٢) ووصل الملك ناصر

---

(١) مر من الحوادث ما يبصر بترجمته . وقد نعته وصاف بنعوت الفضل والكمال واثنى عليه كثيراً ... (٢) وسعد الدين هذا على ما جاء في كاشن خلفاء كان نائباً عن والي بغداد ونواحيها الامير ارغون فقتله الامير اروق ، ورقة ٤٦ ،

الدين قتلغ شاه مملوك الصاحب علاء الدين بعد ذلك وقد رتب مشرفا بالعراق وعزل فخر الدين مظفر ابن الطراح من الاعمال الواسطية ورتب بها نور الدين ابن الصياد ثم رتب فخر الدين صدر الاعمال الحلية .

توجيه قضاء الحلة :

وفي هذه السنة استناب قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني في القضاء ببلاد الحلة العدل الفقيه تاج الدين محمد ابن محفوظ بن وشاح الحلي .

مدرس في المستنصرية :

رتب نجم الدين محمد بن العز البصري الشافعي مدرساً بالمستنصرية .

الاسعار في بغداد :

وفي هذه السنة ايضاً كانت الاسعار على ما كانت عليه والضعفاء في ويل عظيم من تعذر القوت . وكثرت الامراض ببغداد والموت . ولطف الله بخلقه فتراخت الاسعار في جمادى الاولى ورخصت الاشياء في آخر السنة وزادت الفرات زيادة عظيمة غرقت اعمال الكوفة والحلة ونهر ملك (١) ونهر عيسى والانبار وهيت . وذهب من الاموال شيء كثير .

«١» نهر ملك نهر قديم مندرس الآن ولا تزال آثاره مشهودة وهو احد حدود اراضي ختيمية بين الزنبرانية والسيافية . ويقال ان هذا النهر كان قد حفره سليمان «ع» ، ومنهم من يقول هو من عمل منو جهر البشدادي ، وبعضهم ينقل انه من صنع الاسكندر قال في نزهة القلوب والصحيح انه من عمل شابور بن اشك ابن دارا وهو شابور الكبير ، اخرجه من الفرات وعمل له نحو ثلثمائة قرية ... «ص ٤٦» .

وفيات :

١ — توفيت رابعة ابنة ابي العباس أحمد ابن الخليفة المستعصم بالله زوجة الخواجة هارون ابن الصاحب شمس الدين محمد ابن الجويني ببغداد ودفنت في تربة والدتها التي بمشهد عبيد الله . وقد مر ذكر اولادها .

٢ — توفي الخواجة شرف الدين هارون الجويني . ورد الخبر بعد ذلك ان السلطان أمر بقتله الخواجة هارون في حدود الروم . قيل كان قتله بعد وفاة زوجته رابعة المذكورة بسبعة ايام .

وقد نقلنا فيما سبق حادثة تزوجه برابعة وبيان اولاده منها ، وولايته على بغداد ... وكان مهذبا ، كاملا درس في عنفوان شبابه العلوم وحصل الفضائل والكمالات النفسية و يعد من المتبحرين في ضروب الفنون ، وتعلم الموسيقى من استاذه صفي الدين عبد المؤمن (١) ولاستاذه المومأ اليه رسالة في الموسيقى سماها باسمه « الرسالة الشرفية » ... (٢)

٣ — توفي نجم الدين حيدر بن الايسر . وكان من اكابر المتصرفين ببغداد خدم في آخر وقته وكيل الديوان ببغداد . وكان حسن السيرة ، مشكوراً في تصرفاته بلغ من العمر ٧٥ سنة .

* * *

«١» ستأتي ترجمته في حوادث سنة ٦٩٣ هـ . «٢» دستور الوزراء مخطوطة ص ٢٥٨ .

حوادث سنة ٦٨٦ هـ

(١٢٨٧ م)

والي العراق قتلغ شاه

ذيول التبدلات في حكومة العراق :

في السنة الماضيــة كان الامير أروق قتل جماعة من الحكام (بالعراق) . وفي هذه السنة جعل عوضهم الملك (ناصر الدين) قتلغ شاه بن سنجر مملوك عــلاء الدين صاحب الديوان فسأل ابعاد سعد الدولة ابن الصفي الحكيم اليهودي عنه وان يكف يده عن الحكم معــه فأجيب الى ذلك فـأقام سعـد الدولة في الاردو على قاعدة الاطباء هناك فاتفق له القرب من السلطان ارغون والخلوة وحصل له ما لم يخطر بباله فـكشف له أمور العراق وعرفه جميع الاحوال ثم أخذ في الطعن على الامير بوقا وأخيــه أروق و بين له وجوه ارتفـاقهما من الممالك فتغــير قلبه عليهما .

ولما وصل قتلغ شاه الى بغداد قسط على الناس أموالا على سبيل القرض وثقل عليهم في استيفائها فنفرت الناس منه فبينـما هو على ذلك وردت الاخبار بوصول الامير (أردوقيا) وسعد الدولة لتصفح احوال العراق . ثم انهما وصلا واجتمعا بالامير اروق فـكان اول ما اعتمداه اسقاط ما قرر على الناس من القرض . ثم اصلحا حال العراق واسترفعا حسابه وجمعا المال من وجهه وتوجهوا جميعا الى السلطان فانهى انيه سعد الدولة ما فعل أروق وقتلغ شاه بالرعية وما صار اليهما من الاموال فأمر باستخراج ذلك من قتلغ شاه فعاد سعد الدولة الى بغداد واستصحبه معــه .

فـكان وصل الامير اردوقيا في المحرم هو وسعد الدولة ابن الصفي اليهودي الى

بغداد وحضرا عند الأمير أروق وعرضا عليه ما معهما من الفرامين فامر ان ينادى في بغداد ان يحضر الى الديوان كل من معه فرمان و بايزة (١) . فلماحضروا اخذوا ذلك منهم وعزل ناصر الدين قتلغ شاه عن الحكم ببغداد وأعيد أمر الاشراف بالعراق الى سعد الدولة ...

وتقدم باعادة ما اخذ من الرعية في السنة الحالية من القرض . ثم طولب (ولاة الاعمال) و (الضمناء) بما عليهم من البقايا وضويقوا على ذلك فادوا اموالا كثيرة وضرب عز الدين عبد العزيز الاربلي ناظر الكوفة فباع أملاكه فلم يقم بما عليه . وكان مريضا فمات من تواتر الضرب والعقاب .

وضرب الزين الحظائري عميد بغداد ودوشخ فادى بعض ما قرر عليه واخذ مجد الدين اسماعيل بن الياس ودوشخ ووكل في داره فادى مالا كثيراً وباع املاكه وأسبابه وقام بما تخلف عليه من ضمان الحلة فلما تكاملت الاموال في الخزانة توجه الأمير اردوقيا بها الى السلطان واستصحب سعد الدولة معه فعين شرف الدين محمد بن أحمد السمناني (صاحب ديوان العراق) ورتب سعد الدولة ابن الصفي الحكيم مشرفا عليه فوصلا بغداد وصحبتهما ناصر الدين قتلغ شاه مطالب بما عليه من الاموال . ورتب فخر الدين مظفر بن الطراح صدراً في الحلة عوضاً من مجد الدين اسماعيل بن الياس . وسيأتي الكلام على باقي الادارات في السنة التالية ولنرجع الى بقية حوادث هذه السنة ٦٨٦ هـ .

وقائع أخرى :

وفي هذه السنة طولب نجم الدين أحمد كاتب الجريد بالحساب ودوشخ على بقايا

(١) يريد هنا بالفرمان اليرليغ وقد مضى القول عنه وعن البايزة ...

وجبت عليه . فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منه وخشي من العقاب قتل نفسه وكان شابا حسن الصورة .

وفيها ايضا عقد ضمان الاعمال الحلية على مجد الدين اسماعيل بن الياس إضافة الى نيابة الديوان والحكم في بغداد . وكان ذلك سبباً لذهاب امواله واملاكه .

غارة الاعراب :

وفي هذه السنة دخلت العرب يوم الجمعة الى الجامع (بالمحوّل) (١) فاخذوا ثياب كل من كان فيه . ثم قصدوا (ناحية الحارثية) (٢) وكسبوها ليلا واخذوا ماقدروا عليه وقتلوا جماعة من اهلها . فلم يزل شحنة العراق يفحص عنهم حتى ظفر باكثرهم وضرب اعناقهم و بنى رؤسهم في قبة عند الجسر وجعل وجوههم ظاهرة ليعتبر بهم كل مفسد . وهنا لم يسم القبيلة المهاجمة .

وقوع برد في نيسان :

ووقع في نيسان برد كثير كبار اتلف الزروع في اعمال بغداد . قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه : حكى لي (قاضى طريق خراسان) ان جماعة شهدوا عنده انهم رأوا في (ناحية الخوزية) من أعمال (براز الروز) (٣) برداً كباراً فيه بردة عظيمة كالرجل النائم .... والمبالغة ظاهرة ...

حرب السباع :

في هذه السنة كثر اهتمام العوام بقتل السباع وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين

«١» بلدة صغيرة تبعد ساعتين عن بغداد في الجانب الغربي منها وهي على نهر عيسى و بساتينها متصلة ببساتين بغداد وكانت فيها عمارات جميلة ايام العباسيين... كذا في نزهة القلوب لحمد الله المستوفي ص ٤٣ . «٢» الآن مقاطعة زراعية وليس فيها قرية . «٣» هي بلد روز المعروفة .

أهل المحال فانكر الديوان ذلك وتقدم بمنع حرب السباع لاطفاء الفتنة ومنعوا عن الخروج بعد ذلك لقتل السباع .

الحج :

في هذه السنة حج الناس وعادوا طيبين واخبروا بأمن الطريق ورخص الاشياء في مكة والمدينة ...

* * *

حوادث سنة ٦٨٧

(١٢٨٨ م)

اتمام التبدلات الادارية :

في هذه السنة تمت التبدلات والوقائع الملحقة بها مما يتعلق بالادارة بالوجه المار ...

تركات المسلمين والتوريث :

في صفر هذه السنة وصل بغداد جماعة من اليهود من اهل تفليس وقد رتبوا ولاة على تركات المسلمين . فأجروا الامر على ان لا يورثوا ذوي الارحام . فانكر الامير اروق ذلك وامر ان يعمل بمذهب (الامام الشافعي) (رض) كما كان يعمل قديماً . فاتفق وفاة بعض العوام وقد خلف ابن عم له فانكر النواب نسبه وختموا على تركته . فاستغاث واستنصر بالعوام فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة اوجبت خوف النواب من القتل فاختفوا وتحصنوا في بيوتهم فنهب العوام دكاكين اليهود من المخلطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك فخرج النواب من بغداد متوجهين الى بلادهم فصادفهم الاكراد في الجبل فقتلوهم .

تزويج :

في هذه السنة تزوج مبارك شاه ابن الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ بابنة فخر الدين ابن الخواجة نصير الدين الطوسي على صداق عشرة آلاف دينار وحضر العقد قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني .

مدرسة النظامية :

ورتب نجم الدين محمد بن ابي العزيز مدرساً بالنظامية حيث توفي مدرسها نور الدين عبد الغني المعروف بابي البيان الحلبي اضافة الى القضاء وخلع سعد الدولة عليه . فلما القى الدرس قال : هذه بضاعتنا ردت الينا .

وقوف العراق :

وفيها كفت يد صدر الدين واخوته اولاد الخواجة نصير الدين الطوسي عن النظر في وقوف العراق . وأعيد الامر فيها الى حكام بغداد . ثم عاد الامر اليهم سنة ٦٨٨ هـ .

الحج :

حج في هذه السنة من العراق خلق كثير واخبروا بتعذر الافوات وعدم الاشياء هناك .

وفاة برهان الدين النسفي :

هو الشيخ برهان الدين محمد بن محمد بن محمد النسفي الحنفي المنطقي صاحب التصانيف . قال ابن الفوطي : هو شيخنا المحقق ، المدقق العلامة الحكيم ، له التصانيف المشهورة ، كان في الخلاف والفلسفة اوحد ، متع بحواسه ، وكان زاهداً وقد لخص تفسير الامام فخر الدين ، قدم بغداد حاجاً سنة ٧٥ واشتغل عليه هارون ابن

الصاحب ، مولده تقريباً سنة ٦٠٠ وتوفي ببغداد سنة ٦٨٧ هـ . كذا في الوافي بالوفيات (ج ١ ص ٢٨٢) والملحوظ هنا ان النقل كان عن ابن الفوطي وفي الاصل المنسوب الى ابن الفوطي لم يتعرض لهذا الحادث ، والظاهر انه منقول عن كتب اخرى له ... والنسفي المذكور يسمى تفسيره (الواضح) كما في كشف الظنون في مادة (مفاتيح الغيب) تفسير الرازي وترجمته في الجواهر المضية ، والفوائد البهية ...

حوادث سنة ٦٨٨ هـ

(١٢٨٩ م)

التمغات وعميد بغداد :

في هذه السنة تقدم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق باعادة الزين عميد بغداد الى التمغات بعد ان استوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب .

تبدلات ادارية في العراق ايضاً :

في هذه السنة عزم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق على التوجه الى الاردو . فقصد سعد الدولة المشرف عليه مشهد موسى بن جعفر (ع) وزار ضريحه الشريف واخذ المصحف متفائلا به فخرج له : يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المنّ والسلوى فاستبشر بذلك واطلق للعلويين والقوام مائة دينار . فلما وصلوا الى حضرة السلطان عزل الملك شرف الدين ورتب سعد الدولة صاحب ديوان الممالك وأمر السلطان بقتل

بغاثوين (بوقا) فقتل هو واولاده واصحابه وكان الامير اروق أخوه في ديار بكر فانفذ اليه من قبض عليه ثم قتله . وكان ذلك لتغير نياتهما في طاعته .

ثم ان سعد الدولة رتب في العراق اخاه فخر الدولة ومهذب الدولة نصر ابن الماشعيري ورتب معهما جمال الدين علي الدستجرداني كاتباً فوصلوا الى بغداد وقرروا قواعد أعمالها .

ثم وصل تقدم سعد الدولة بالقبض على الزتن الحظأري ضامن التمغات ومجد الدين اسماعيل بن الياس واستيفاء ما عليهما من الاموال في ثلاثة ايام ثم قتلهما بعد ذلك فقبض عليهما ووكل بهما وعوقبا بالضرب وغيره واخذ كل مالهما من مال وملك . ثم قتل الزين ظاهر سوق بغداد في العشرين من جمادى الآخرة وقتل مجد الدين يوم الاربعاء في الثاني والعشرين منه تحت دار الشاطيا ، وسلمت جثته الى اولاده . وكان قتله اخر النهار وهو صائم فطلب ماء فلما اتي به نظر الى الشمس وقد قرب غروبها فلم يشرب به . وقال للسياف اضرب ضربة واحدة فقال له نعم .

كان رحمه الله تعالى من محاسن الزمن عالما فاضلا اديباً جواداً سخيا كريما يكتب خطاً جيداً ويقول الشعر ...

الوالي قتلغ شاه

قتل قتلغ شاه :

ثم قتل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي في تبريز وحملت جثته الى بغداد فدفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي (رض) وجعل فيه جماعة من الفقراء ووقف عليهم عدة نواح بواسط وغيرها . وكان يحب الفقراء ويواصلهم . وبنى في

البصرة لما كان واليا فيها رباطاً وحماما ووقف الحمام وغيره عليه . وبنى في المأمن الذي عمله الصاحب علاء الدين في اعمال واسط مدرسة .

قتل منصور بن علاء الدين الجويني :

ثم قتل منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد فى رجب ودفن في تربة والدته ...

عزل ونصب :

وفي هذه السنة عزل نور الدين الصياد من واسط ورتب عوضه الملك نور الدين عبد الرحمن بن تاشان .

قتل والي الموصل :

ان الوالي مسعود البرقوطي كان قد القي القبض عليه وأمسك عليه مع الامير أروق وذلك ان السلطان أرسل جنداً مع الامير بيتمش فقتلهما مع اصحابهما وقبض على تاج الدين بن مختص واوسعه ضربا وغرمه خمسين الف دينار .

ثم اثار بيتمش اضطهاداً على النصارى الذين تظاهروا بالتصحب لمسعود وقتل منهم كثيراً في الموصل واربل وما جاورها من القرى .

ثم ولي الموصل وسعى في توطيد الأمن الا انه في هذه السنة هوجمت سنجار وما والاهامن عصابات سور يةفعاثوا في القرى ثم ان امير الموصل ادركهم عند الخابور واسترد منهم بعض المنهوبات (١)

وبعد هذا ولى الموصل أمين الدولة أخو سعد الدولة وبقي حاكما بها الى ايام نكبة اليهود بعد قتلة سعد الدولة الا انه لم يبين تاريخ حكومته في الموصل بالضبط

---

(١) تاريخ الموصل ص ٢٤٣

وفيات :

١ — توفي عز الدين علي بن عفيجه ودفن تحت اقدم سلمان الفارسي وكان من اكابر المتصرفين ببغداد .

٢ — توفي بهاء الدين عبد الوهاب بن قاضي دقوق ودفن في مدرسة بناها على شاطئ دجلة بباب الازج . وكان ذا مال وجاه من اكبر التناة بالعراق .

٣ — توفي صفي الدولة سليمان ابن الجمل النصراني كاتب السلة ببغداد .

حوادث اخرى :

في هذه السنة غلت الاسعار ببغداد وحج من بغداد خلق كثير .

حوادث سنة ٦٨٩ هـ

(١٢٩٠ م)

شغب في بغداد على سعد الدولة : (اليهود)

فيها سطر ببغداد محضر كتب فيه اعيان الناس يتضمن الطعن على سعد الدولة يتضمن آيات من القرآن واخباراً نبوية ان اليهود طائفة اذلهم الله تعالى ، ومن حاول اعزازهم اذله الله عز وجل فعرف سعد الدولة بذلك ، فلما وصل المنفذ به اخذه منه وعرضه على السلطان ارغون فحكمه في كل من كتب فيه فتأنى في مؤاخذتهم واستعمل الحزم وحاذر عاقبة العجلة لكنه تقدم بصلب جمال الدين ابن الحلاوي ضامن تمغات بغداد فصلب بباب النوبي وثيابه عليه وسلم الى اهله بقية النهار .

عزل :

وفيها عزل نجم الدين بن ابي العز البصري ونجم الدين عبد الله القوساني وعفيف الدين ربيع الكوفي من القضاء ببغداد .

الحج : (ونهب العرب) :

وحج من العراق في هذه السنة خلق كثير وعادوا من بعض الطريق وقد نهبهم العرب .

بقايا اولاد شمس الدين الجويني :

في هذه السنة سأل السلطان عمن تخلف من اولاد شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان فأخبر بهم فأمر بقتلهم . وكان في تبريز منهم مسعود وفرج الله فقتلا ودفنا في تربة ابيهما ، اما مسعود فانه كان قد أعرس منذ ليال ، واما فرج الله فانه كان صبيا في المكتب فلما أخرج ليقتل توهم انهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب فجعل يقول بالفارسية والله ما بقيت انقطع عن المكتب فرقت له الناس ، وكان اخوهما نوروز في الروم فسارت الايلچية اليه فقتل هناك .

حوادث سنة ٦٩٠ هـ

(١٢٩١ م)

وقائع عراقية — والي بغداد :

في هذه السنة انحدر مهذب الدولة ابن الماشميري الى واسط وقبض على ملكها نور الدين عبد الرحمن تاشان وطوقه بالحديد ونفذه الى بغداد على ان يقتل بها ويحمل رأسه اليه .

وسبب ذلك انه تحدث على السكر أن سعد الدولة قد قتل فلما وصل بغداد وكل به في دار النيابة ثلاثة ايام . فلما كان اليوم الثالث وصلت الايلچية من اردو (بايدو) ودخلوا بغداد ليلا وحضروا عند جمال الدين الدستجرداني كاتب العراق

وعرفوه ان السلطان أرغون توفي وان الامراء قتلوا سعد الدولة (١) قبل وفاة السلطان وانه قد فوض امر العراق اليه وامر بالقبض على فخر الدولة اخي سعد الدولة فاتفق مع الايلچية و بعض الامراء وشحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة في ربيع الآخر واحضروا الملك نور الدين عبد الرحمن وأخرجوه من السجن وتقدموا اليه بالانحدار الى واسط والقبض على مهذب الدولة وحمله الى بغداد . فانحدر بقية الليل وقبض عليه وطوقه وانفذه الى بغداد .

ولما قبض على فخر الدولة نهب (الكلاجية) (٢) وعوام بغداد داره وادؤر اليهود كافة وأخذوا أموالهم ودام ذلك ثلاثة ايام . فركب جمال الدين في جماعة من الجنود والكلاجية ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جماعة منهم وقتلوا نفرين فسكنت الفتنة .

وقد فصل صاحب (تاريخ وصاف) ما جرى على اليهود من الوقائع والانتقام منهم على ما قام به سعد الدولة واعوانه مما لا محل للاطناب في البحث عنه ...

ولما وصل مهذب الدولة الى بغداد حبس في دار النيابة اياما فسأل من جمال الدين ان ينقل الى حجر البر فنقل وأحضر بعد ايام الى الديوان وسئل عن الاموال فقال :

— اما مال الديوان ففي الخزانة . واما ما يخصني فانت تعلم اني لم اجمع مالا . . . !

فامر بضربه فضرب ثم اقعد وسئل فلم يعترف بشيء غير الظاهر فأمروا بقتله

---

١. جاء في تاريخ وصاف انه قتل في سلخ صفر سنة ٦٩٠ هـ « ص ٣٤٥ ج ٢ »

٢. لم يعرف ما يراد بهذا اللفظ ولعله اسم قبيلة من قبائل تركستان والنسبة اليها كلاجية بالجيم ... والنسخة الاصلية من الفوطي غير منقوطة ...

فضرب بالسكاكين والسيوف وكان بالاتفاق في الديوان مجار قد جاء متفرجا ومعه فاس فضربه به عدة ضربات ثم قطع اربا اربا وتناهبه العوام فتعمم نفاط بمصرانه وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها ثم احرق بباب جامع الخليفة ما عدا رأسه فسلخ وحشي تبنا وطيف به في جانبي بغداد وحمل الى واسط فعلق على جسرها .

وقتل من اليهود شاب يعرف بابن فلالة وقطعت اعضاؤه ... وطافوا به سحبا في دروب بغداد ثم أحرق بباب جامع الخليفة ايضا .

فلما سكنت الفتنة وخرج اليهود على عادتهم في معايشهم اشاع طائفة من العوام ان الحكام قد فسحوا في نهبهم فسارع الاشرار والسفل والشطار في ذلك ونهبوا دورهم ودكاكينهم فركب جمال الدين في جمع من الكلحية وكفهم عن ذلك ولم يبق بلد من بلاد العراق الا وجرى فيه على اليهود من النهب مثل ما جرى في بغداد حتى اسلم منهم جماعة ثم عادوا بعد ذلك . ثم طوالب فخر الدولة وجماعة من أعيان اليهود بالاموال وضويقوا وعوقبوا عليها فادعوا أن أموالهم نهبت من دورهم وأرسل بايدو الى الموصل من قبض على أمين الدولة اخي سعد الدولة وكان حاكما بها واعتمد معه مثل ما اعتمد مع اخيه فخر الدولة . حكى ان فخر الدولة مظفر ابن الطراح حرض جمال الدين الدستجرداني على قتل مهذب الدولة وقال ان تركه لا يؤمن وخوفه من عاقبة الحال حتى انه أوعز اليه بأن (عجل بقتله قبل ان يقتلك) .

سعد الدولة واليهود :

ان سعد الدولة هذا توصل الى السلطان من طريق الطب وشرح له احوال بغداد ، و بعد ان اقتنع منه مكنه من العراق فحصل له أموال طائلة ... وعده من

الناصحين له والمخلصين لمصالحه فصارت بيده خزائن المغول ونال كل سلطة وصار قوله الفصل فعين اخوته ولاة في بغداد والموصل .. وتسلط اليهود فى المملكة المغولية .. حتى ان الشعراء والادباء قد بالغوا في مدحه وقدموا له القصائد مملوءة بالثناء ، وفي خلال سنتين بلغ ما مدح به من الشعر مجلداً وأن أحد مقربيه جمعها له قال وصاف وفي بغداد نسخة منه . وقد اشترك في مدحه كثيرون من عرب وعجم ... وقد قيل فيه ابيات وقصائد متفرقة لم تدخل في المجموعة ومما قيل فيه :

لا زلت يا مولى الزمان واهله في الناس رب مواهب ومنائح
سعد السعود لكل داع مخلص ولكل من يشنك سعد الدابح

وقد اضر بالمسلمين و بنفقات جوامعهم واوقافهم فتألم الكل منه ... ومما قيل من التألم منه ومن توقع زواله :

يهود هذا الزمان قد بلغوا مرتبة لا ينالها فلك
الملك فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يا معشر الناس قد نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك
فانتظروا صيحة العذاب لهم فعن قليل تراهم هلكوا

وقد جرى على اليهود من المصاب عند قتله والوقيعة بهم مالا يحصيه قلم ، او يسعه كتاب ... (١)

(١) وصاف ج ٢ ص ٢٣٨ و ٢٦٠ وقد ساق هذا الشعر في معرض الكلام على اليهود لاحد شعراء بغداد وانما ذكرناه للدلالة على التذمر ... ولوصاف نفسه قصيدة عارض بها تلك القصيدة بالوزن والقافية ذم بها اليهود وهى طويلة نكتفي بالاشارة اليها فهي تصور مصرعهم ...

وفاة السلطان أرغون خان
وسلطنة كيخاتو خان

وفاة وجلوس :

كان قد توفي السلطان أرغون في ٦ ر بيع الاول سنة ٦٩٠ هـ فارسل الامراء الى كيخاتو خان (١) وكان بالروم يعرفونه وفاة أخيه فسار اليهم وجلس على التخت يوم الأحد ٢٣ رجب ٦٩٠ هـ وكان حدث خلاف بين الامراء قبل القطع في اختيار كيخاتو خان . (٢)

ترجمة السلطان ارغون :

كان قد جلس على سرير الملك في ٧ جمادى الاولى سنة ٦٨٣ هـ بالوجه المشروح ... (٣)

وفي الفوطي :« كان ملك السلطان أرغون نحو ثماني سنوات وكان عادلا محمود السيرة رؤفا بالرعية » وفي ابن خلدون انه كان قد عدل عن دين الاسلام . وأحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحرو الرياضة ، ووفد عليه بعض سحرة الهند فركب له دواء لحفظ صحته ودوامها فاصابه منه صرع فمات ...

وفي الشذرات : تملك بعد عمه الملك أحمد وكان شهما مقداما ، كافر النفس شديد البأس ، سفا كا للدماء عظيم الجبروت . هلك في هذا العام فيقال انه سم فاتهمت المغل (المغول) وزيره سعد الدولة اليهودي بقتله فمالوا على اليهود قتلا ونهباً وسبياً ...

---

(١) ورد تصحيف في اسمه ، منهم من قال ، كيغاتو ، ومنهم غير ذلك والصحيح كيخاتو خان . (٢) تاريخ وصاف ج ٢ ص ٢٣٨ . (٣) تاريخ وصاف ص ١٣٧

وفي دائرة المعارف الاسلامية : « استوزر ارغون بوكاي (بوقا) الذي يدين له بالعرش الى عام ١٢٨٩ م (٦٨٧ هـ) وفي هـذا العام صرف هو وجـلال الدين السمناني ثم قتلا . وفي غضون الاعوام التاليـة كانت ادارة البـلاد في يد الوزير سعد الدولة ... وفي اثناء مرض ارغون ... قتل ... وكان ارغون كأسلافه متسامحا كما كان شعوره طيباً نحو المسيحيين ، وواصل أرغون المفاوضات التى بدأها اباقا مـع الدولة الاوربية ... للاشتراك في محاربة مصر ... » اهـ (١)

وقد ترجمه آخرون كثيرون وهو في الحقيقة كانت ادارته بيد الامراء فهو مسير لا مخير وليس له من الامر شيء ، وان قتله او سمه اسهل الامور وقد مر من وقائعه في العراق ما يبصر بصحة ترجمته يضاف الى ذلك انه قتل الوزير شمس الدين الجويني واولاده وغياث الدين كيخسر وصاحب بلاد الروم ... وليس فيها ما يشعر بالمدح والاطراء ، او يبين عن عدل وروية بل كما قلت كان العوبة بيد الامراء ، تابعـاً لمقاصدهم ومنقاداً لتدابيرهم وهم انفسهم يمثلون الحكم من خير او شر ولولا علي ناق وقيام الامراء عليه لما وصل الى الحـكم (٢) ... ومن ثم سارت أمور المغول على هذه الطريقة تتدهور ، واستولى عليهم أمراؤهم وتحـكموا فيهم ... واوضاعها تابعة لروحية المتغلبين وسلوكهم ...

---

(١) ص ٦٢٦ وبوكاي ورد في وصاف وغيره « بوقا » ، وفي الفوطي « بغا » .

(٢) جاء في وصاف انه « اليناق » ، وفي دائرة المعارف الاسلامية « آل يناق » وهو غير صحيح وفي الفوطي « على ناق » مخفف من « علي ايناق » ، ومعنى « ايناق » مقرب السلطان وخاصته او نديمـه الادنى كما جاء في فرنك وصاف وفي ص ٢٤٥ من نفس تاريخ وصاف ج ٢ ولغة جغتاي ص ٦٢

ورود علي بن علاء الدين الجويني :

وفي هذه السنة وصل مظفر الدين علي بن علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان الى بغداد حيث اتصل به قتل سعد الدولة وكان قد هرب لما قتل أخوه منصور والتجأ الى بعض مشايخ العرب بالسيب . ثم توجه الى تبريز وتزوج بيكي ابنة ارغون اغا التي كانت زوجة عمه شمس الدين . ثم جاء الى بغداد وهي صحبته وقد استخلصت له بعض املاك ابيه وصار بسببها ذا جاه ثم قتل بعد ذلك .

حوادث أخرى :

في هذه السنة احتبست الغيوث حتى انقضاء بعض شباط فاجتمع الناس عند قاضي القضاة عز الدين ابن الزنجاني ثم خرجوا الى مقبرة معروف (ر) يوم الخميس ٢٧ صفر واجتمعوا في باب المدرسة البشيرية ونصب هناك كرسي خطب عليه العدل شمس الدين ابن الهنايدي خطيب جامع الخليفة ثم تضرع الناس وسألوا الله عز وجل ان يعمهم برحمته واكثروا من البكاء والاستغفار وعادوا . ثم خرجوا يوم الجمعة الى ظاهر سور بغداد يتقدمهم شيخ المشائخ نظام الدين محمود راجلا مستكينا وكذلك قاضي القضاة واجتمعوا وراء جامع السلطان وخطب الخطيب المذكور ، ثم تلاه الشيخ شهاب الدين عبد المحمود ابن السهروردي فارخت السماء عزاليها وتواترت الغيوم فدخلوا بغداد وقد توحلت الطرق ودام نزول الغيث ثلاثة أيام ثم سكن وزادت دجلة بعد ذلك وانتفع العالم بما عمهم من لطف الله ورحمته .

وفاة الالفي :

في هذه السنة توفي الملك المنصور قلاوون الالفي بالقاهرة وعمره (٨٠) سنة ودفن في مدرسة بناها سماها المنصورية ... وعلاقته مع اصل حكومة المغول الا ان

الغوائل والاتهامات لامراء العراق كانت تسمع باهتمام ... وتصدق في الغالب دون حاجة الى برهان ...

حوادث سنة ٦٩١ هـ

(١٢٩٢ م)

في ادارة العراق : (ولاية العراق)

في هذه السنة امر السلطان كيخاتو خان بانفاذ أميرين هما ساطي و بكتمر الى العراق لتصفح الاعمال وعمل الحساب . فقدما بغداد فقام جمال الدين الدستجرداني بين ايديهما فاقاما شهوراً واعتمدا ما امرا بـه ثم عادا فمات ساطي وولده ونساؤه جميعاً في ايام قلائل . وجمع جمال الدين مال العراق ثم وجهه وحصل سلاحا كثيراً وتوجه بذلك الى حضرة السلطان فانعم عليه واقره على (ولاية العراق) ورتب معه رفيقين هما أثير الدين التستري ابن أخت مجد الدين محمد ابن الأثير وتاج الدين علي تاشان وسيرهم جميعاً مـع أمـير أسمـه (نيطاق) فـكانوا بالعراق الى آخر السنة .

نائب جمال الدين : (نائب الوالي)

ولما توجه جمـال الدين استخلف على بغـداد سعـد الدين أسد ابن الأمير علي جكيبان فناب عنه الى حين عودته (١) .

---

(١) وهـذا ما يسميه الترك العثمانيون بقائمقام وذلك عنـد غياب الولاة ومغادرتهم المدينة لأمور مهمة ... وهكذا الوزير ...

حوادث سنة ٦٩٢ هـ

(١٢٩٣ م)

١ — في دار السلطنة :

ولى السلطان كيخاتو صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي الزنجاني ديوان الممالك وفوض اليه تدبير ملكه (١)، ولقب (صدرجهان) كما ان أخاه قطب الدين اختير لمنصب قاضي القضاة ونعت بـ (قطب جهان) وفوض اليه امر النظر في الأوقاف و بيت المال، وابواب البر والصدقات وسائر المصالح الدينية والمطالب الشرعية ... (٢)

٢ — احد الباطنيه : في هذه السنة وثب باطني على نقاجو امير المسلحة بالعراق على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بخنجر عدة ضربات قتله بها وشد هاربا فمد له رجل اصفهاني رجلا على الجسر فسقط فقبض، فجعل يقول « فداء الملك الاشرف! فداء الملك الاشرف!» فسلم الى ابن نقاجو فمثل به وقطع اطرافه وهوحي...

حوادث سنة ٦٩٣ هـ

(١٢٩٤ م)

١ — ولاية العراق :

امر السلطان كيخاتو خان شمس الدين محمد التركستاني المعروف بالسكورجي بالمسير الى العراق والياً عليه مزيلا عن الرعية ما جدد عليهم من الاثقال فلما دخل بغداد أظهر العدل والاحسان وحسن النظر في أحوال الناس واجراهم على أجمل القواعد ونظر في أمر الوقوف واجرى أربابها على شروط الواقفين وادر عليهم

«١» وهذا ما يعرف عندنا بالصدر الأعظم او الوزير لعدم تعدد الوزراء .

«٢» تاريخ وصاف ص ٢٦٦ ج ٢

الاخباز والمشاهرات ووعد الناس باشياء يخاطب فيها السلطان و يعتمدها معهم فلم تطل أيامه وقتل على ما نذكره .

٢ - بايدو وواسط :

اتصل بالسلطان ان في بلاد واسط وسوادها جماعة من الاعراب الباغية المفسدين فامر بايدو بالمسير الى هناك وقتلهم ونهبهم فسار من سياه كوه الى بغداد وانحدر الى واسط حتى وصل الى آخر اعمالها ولم يتعرض باحد ولا ثقل على الرعية فلما عاد شرع في نهب القرايا وأخذ الأموال والجواميس والبقر والغنم وأسر الذراري وسبى النساء كل ذلك من الرعية ...

واما الفيئة الباغية فانها اعتصمت بالبطائح فلم يقدر عليها وصادف عسكره سفن التجار الواصلين من البحر فنهبوا بعض ما فيها من القماش وخرجت الاعراب من البطائح فنهبوا الباقي واحرقوا بعض السفن فاصبح التجار عراة حفاة لا يقدرون على شيء .

ثم انفذ بايدو جماعة من العسكر الى عين التمر والكبيسات فنهبوا الرعية وسبوا وأسروا وعملوا كل منكر وعادوا الى بايدو وقد وصل الى بغداد فتكمل معهم زيادة على ثلاثين الف أسير . ثم رحل من بغداد راجعا الى سياه كوه .

توجه والي بغداد الى السلطان :

ثم توجه شمس الدين محمد السكورجي الى السلطان واخبره بما فعل بايدو بالرعية فانكر عليه ذلك وأمر بحبسه فحبس في خركاه (نوع خيمة) ثلاثة ايام ثم كلم فيه فاطلقه واستخلص من العسكر بعض الاسرى وسلموا الى شمس الدين محمد السكورجي فكساهم وعاد الى بغداد وهم صحبته فاطلقهم فتوجهوا الى اهليهم .

التعامل بالاوراق النقدية : (الجاو)

وفي هذه السنة وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز (الجاو) وهو كاغد بشكل مستطيل عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وفي اعلاه كلمة (لااله الا الله محمد رسول الله) وأمر الناس ان يتعاملوا به ودعوا للتعامل به وبعض الشعراء حبب للناس هذا وجعله فاتحة خير وسعادة ... واتخذوا لصنعه دار ضرب وعينوا لها الموظفين ...(١) و كل مافعلته الحكومة من الدعاية له لم يجد نفعاً ، ولم يروا مايقوم مقام الذهب الاحمر ولا الفضة البيضاء و كان من عشرة دنانير الى دون ذلك حتى ينتهي الى درهم ونصف وربع فتعامل به اهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر فاضطربت احوالهم اضطراباً اضر بهم وبغيرهم حتى تعذرت الاقوات وسائر الاشياء وانقطعت المواد من كل نوع . فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت (الجاو) ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما و يأخذ حاجته خوفاً من اعوان السلطان ·

وفي لغة الجغتاي جاء بلفظ (چاو) بالجيم الفارسية ويراد به النقود القرطاسية المعروفة عندنا بالاوراق النقدية وتتداول بمقام النقود الذهبية والفضية والفلوس وهي شائعة عند المغول مثل البالبيش كما ان تنگه من نقودهم الا أن تنگه من النقود الفضية أي الدراهم أو ماهو من نوعها وقد مرت في هذا الكتاب بلفظ (دنا كش) ولم يألف الناس التداول بالاوراق اذ ذاك لا في العراق ولا في الممالك المجاورة له فكان من الصعب الامر بالتداول بها وتنفيذ هذا الامر ولا تزال المصاعب مشهودة في كل تغيير من هذا النوع . وقد بين مؤرخون كثيرون مثل وصاف وجامع التواريخ ما أصاب الناس من الضيق والتضييق على التعامل بها ...

---

(١) تاريخ وصاف ص ٢٧٢ ج ٣

ونسب الى الوزير اختراعه وهو مضطر على قبوله وتنفيذ أمر الحكومة ولم يكن من عمله ...

وفي ايام المغول كان يستعمل في الصين (البالش او البـاليش) وقد مرت الاشارة عنه الا ان قيمته تختلف عن الجاو . والبالش بقيمة عشرة دنانير اذا كان ورقا ، و بقيمة خمسمائة مثقال ، او مئتي بالش ورقي و يساوي الفي دينار واما البالش الفضي فانه يساوي عشرين من البالش الورقي وقيمته مائتا دينار ... وقد تداول الچاو ايام بايدو خان وأيام غازان في اوائل سلطنته ... كذا قيل (١) وفيما يأتي ما يخالف ذلك فقد الغي الچاو في سلطنة كيخاتو ..

الجاو في بغداد :

ثم حمل منه عدة احمال الى بغداد صحبة الامير لكزي ابن ارغون آقا فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا بالاقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز فلما انهى ذلك الى السلطان كيخاتو أمر بابطاله فابطل قبل وصول لكزي الى بغداد وكفى الله العالم شره .

النقود في هذا العهد :

من حين انقراض الخلافة الى مدة ليست بالقليلة تداولت نقودها ، ولاتزال دفائنها تظهر بين آن وآخر ، وهي موجودة بكثرة في المتاحف والخزائن ... أما المغول فقد مر بنا القول عن بعض نقودهم ، وان الابقائية كانت متداولة ومعروفة ، و كذا الباليش المتعامل به ايام جنكيز والسلطان محمد وجلال الدين

«١» المسكوكات القديمة الاسلامية : محمد مبارك ص ٤٠

منكو برتي (١) من الخوارزمشاهية وقد تكلمنا عن الدنا كش ... واليوم لم يعرف الا بعض النقود الفضية والنحاسية لجنكيز خان و كيوك ، ومونكو (مونككا) ، أوما هو مشترك بين هذا وبين هلا كو ، أوما هو باسم هلا كو خاصة مما هو موجود في بعض المتاحف الا اننا لم نعثر على نقود من ضرب هلا كوفي بغداد وانما هناك ماضرب في الموصل . وفي ايام ابا قاخان ضربت نقود في الموصل سنة ٦٨٣و ٦٧٨ هـ ، وفي البصرة واما في تبريز فالمضروب كثير وفي ايام السلطان أحمد كان الضرب في تبريز ، وفي ايام كيخاتو كان الضرب في تبريز ايضاً .

والنقود في هذا العصر لاتخلو من التأثر بالنقود العباسية وانها قريبة منها أو مماثلة ... وفي كلها الطابع الاسلامي بارز حتى لغير المسلمين من ملوكهم ، وفيها كلمة الشهادة ، وأيام حكومة المسلمين منهم اضيف اليها اسماء الخلفاء الراشدين (٢)

تبدلات في الولاية والادارة :

وفي هذه السنة وصل بغداد الملك امام الدين يحيى القزويني البكري وفخر الدين الرازي العلوي . وقد فوض اليهما (أمر العراق) فأقاما الى آخر السنة ثم توجها الى السلطان واستخلفا جمال الدين الدستجرداني على بغداد .

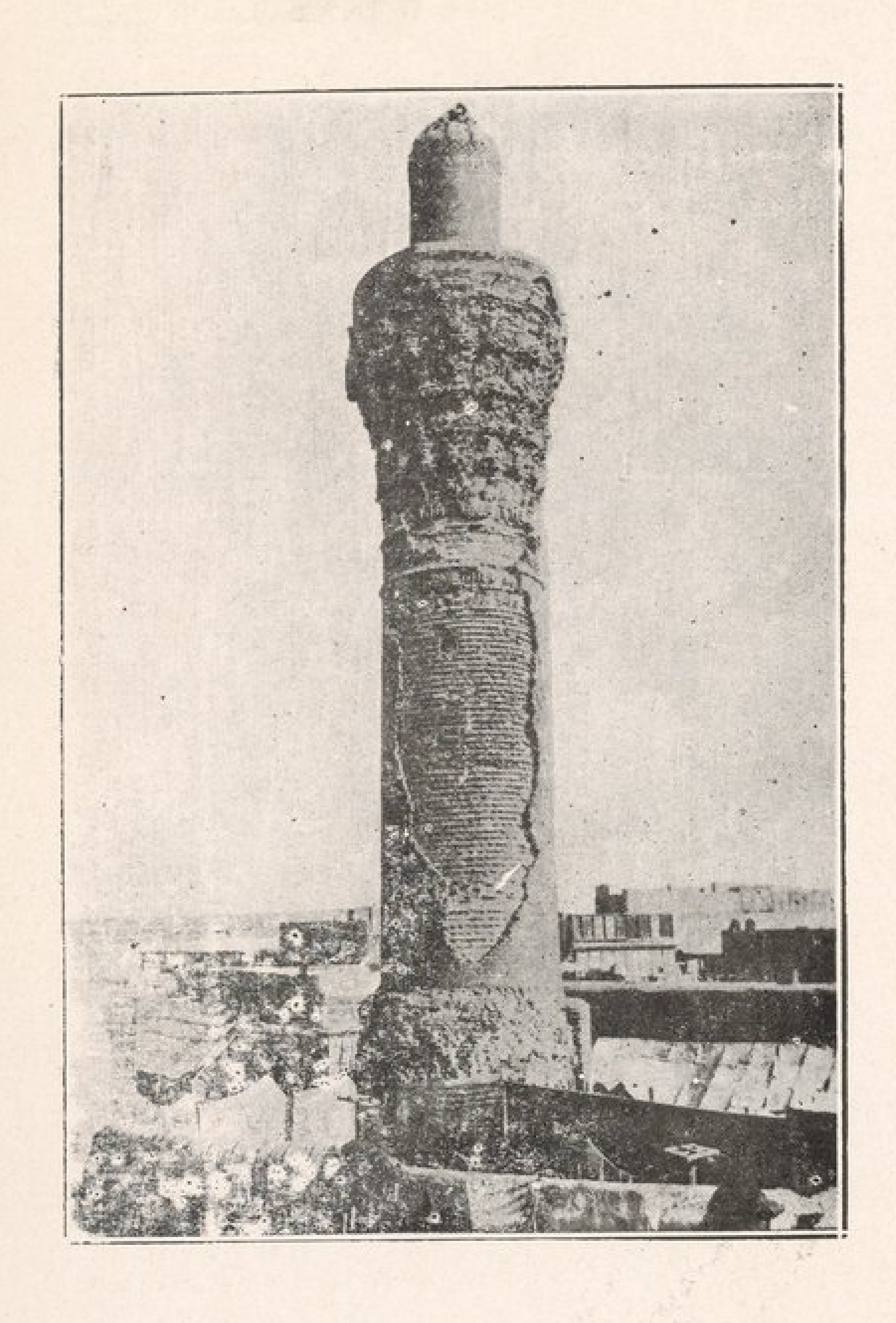
قاضي القضاة :

وفيها وصل الى بغداد زين الدين محمد الخالدي على انه قاضي القضاة متولي الوقوف والوكالة والتركة والمقاطعات والجوالي . فلم يمض شمس الدين محمد السكورجي

---

(١) في لغة المغول «منكو» بمعنى الابدى الدائم وهو الله تعالى « وبرتى » هى وبردي التركية بمعنى اعطى والكلمة بمجموعها تعني عطاء الله أو عطاء الدائم ...

(٢) مسكوكات اسلامية تقويمي : احمد ضياء ص ٨٢ — ٨٦ ومسكوكات ايلخانية ص ١٢ — ٤١



١٢ — منارة جامع الخليفة تابع ص ٢٧١

له من ذلك غير القضاء والحسبة فحكم الى آخر السنة وعاد الى الاردو واستخلف أحد اصحابه على منصبه . وهو أخو صدر جهان قطب جهان ...

الملك الاشرف :

في هذه السنة قتل الملك الاشرف ابن الالفي تخلفه الشجاعي وتلقب بالملك القاهر وبعد قليل قتل وسلطن اخو الملك الاشرف وكان صبيا ثم اعلن كتبغا سلطنته ...

وفيات :

١ — توفي شرف الدين علي بن اميران كاتب الانشاء ببغداد . وكان عالماً فاضلا يكتب خطا حسنا .

٢ — توفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس في مشهد موسى ابن جعفر وحمل الى جده امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) .

٣ — توفي بهاء الدين علي بن ابي الفتح بن الفخر عيسى الاربلي ببغداد . وكان كاتباً بارعا ، له شعر وترسل ، وكان رئيساً كتب لمتولى اربل ابن الصلايا ، ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء أيام علاء الدين صاحب الديوان ثم انه فتر سوقه في دولة اليهود ، ثم تراجع بعدهم ولم ينكب الى ان مات ، وكان صاحب تجمل وحشمة ومكارم اخلاق وفيه تشيع وكان ابوه واليا باربل ، ومن مصنفاته الادبية المقامات الاربعة ورسالة الطيف المشهورة وغير ذلك . كذا في فوات الوفيات وجاء فيه انه مات سنة ٦٩٢ هـ وذكر جملة صالحة من شعره ... (١)

٤ — توفي صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي وعمره نحو ٨٠ سنة كان كثير الفضائل ويعرف علما كثيراً منه العربية ونظم الشعر وعلم

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٣ .

الأنشاء كان فيه أمة وعلم التاريخ وعلم الخلاف وعلم الموسيقى ولم يكن في زمانه من يكتب المنسوب مثله وفاق فيه الاوائل والاواخر وبه تقدم عند الخليفة وكانت ادابه كثيرة وحرمته وافرة وأخلاقه حسنة وقدحكى ترجمة نفسه للعز الاربلي الطبيب بصورة مفصلة نقلها عنه في فوات الوفيات . (١) ومهارته في الموسيقي مشهورة كتب الرسالة الشرفية فيه باسم الخواجة هارون وقد مر الكلام عليها .

وقال ابن الطقطقي عنه : « كان قد صار في آخر أيام المستعصم مقربا عنده ، ومن خواصه ، وكان قد استجد (الخليفة) في آخر أيامه خزانة كتب ، ونقل اليها من نفائس الكتب وسلم مفاتيحها الى عبد المؤمن فصار عبد المؤمن يجلس بباب الخزانة ينسخ له ما يريد ، واذا خطر للخليفة الجلوس في خزانة الكتب جاء اليها وعدل عن الخزانة الاولى التى كانت مسلمة الى الشيخ صدر الدين علي ابن النيار ... الخ » اهـ (٢)

٥ — توفي شمس الدولة بن مجلد النصراني كاتب السلة .

٦ — توفي ابو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفا وكان حاذقا في علم الطب محمود العلاج ...

حوادث سنة ٦٩٤ هـ

(١٢٩٥ م)

قتل السلطان كيخاتو

قتل كيخاتو خانه :

في هذه السنة تغيرت نيات الامراء في طاعة السلطان كيخاتو وراسلوا بايدو

«١» ج ٢ ص ٢٣ . «٢» الفخري ص ٢٩٨ .

وكان في (دقوق) يعرفونه انهم اتفقوا على طاعته وتمليكه فاعاد الجواب بقبول ذلك ووعدهم بالاجابة الى ملتمساتهم فقبضوا على السلطان كيخاتو وقتلوه .

ترجمة السلطان كيخاتو :

قتل السلطان كيخاتو بن آباقا خان في ربيع الآخر وفي رواية في ٦ جمادى الاولى من هذه السنة وكان عمره آنئذ نحو ثلاثين سنة وقد لفظ ابو الفداء اسمه (كيختو) مراراً وفي الفوطي (كيغاتو) وشائعها (كيخاتو) وهو الصحيح . ولي السلطنة بعد أخيه وجعل وزيره الخواجة صدر الدين احمد الخالدي الزنجاني في ذي الحجة سنة ٦٩١ هـ ووصف صاحب تاريخ كزيده السلطان بانه صاحب اهواء نفسية ، لا يبالي بالمحرمات و يتعاطى الفجور بانواعه من زنا ولواطة ... قال ابو الفداء وسبب قتله انه أفحش في الفسق في ابناء المغول فشكوا ذلك الى ابن عمه بايدو فاتفق معهم على قتله فعلم وهرب فتبعوه وعقبوه بسلاسلار من اعمال موغان وقتلوه بها .

والظاهر أن السبب الذي أورده ابو الفداء — كما في تاريخ كزيده — من تعاطي المحرمات كان أحد دواعي قتله ولم يكن الغرض التشنيع عليه ليظهروه متهتكا . فالامراء ارادوا القضاء عليه لما مر من الاعمال .. فخرجوا عن طاعته واساساً اتخذ ذلك وسيلة اذ من امد خرج الحكم من ايدي ملوك المغول وصار لامرائهم بحيث تحكموا فيهم فلا يقطعون امراً دونهم ...

ومن وقائعه غير ما مر من حوادث العراق انه اثر وفاة السلطان ارغون قد خرج عن الطاعة الاتابك افراسياب الفضلوي اتابك اللر واستولى على أصفهان فبعث كيخاتو خان عليه جيشاً فنكل به وبقي افراسياب حياً الى ايام السلطان غازان . وبهذا قتله ونصب اخاه الاتابك نصرة الدين احمد على مملكة اللر . وقضى

على غوائل أخرى الا انــه اشتهر بالاسراف والبذل في سبيل الاهواء لدرجة لا تطاق ومن آثار ذلك ان أصدر الجاو وشدد في لزوم التعامل به الى ان حصلت نفرة عامة واضطربت الحالة الاقتصادية والسياسية معاً ... فاتفق الامراء على قتله فقتلوه بالوجه المشروح ...

وقد ذكر ابو الفداء والفوطي وجامع التوار يخ وتاريخ كزيده حياته في السلطنة والحكم مما لا محال للاطالة فيه فهو خارج عن حدود نطاق تاريخنا ..

سلطنة بايدو خان

سلطنة بايدو :

بعد ان قتل كيخاتوخان ارسل الامراء وراء بايدو خان (١) ابن طرغاي خان(٢) بن هلاكو خان يعرفونه ذلك فوافاهم وولي السلطنة في جمادى الاولى (٣) من هذه السنة . ولم يستقر في الملك حتى ظهر (غازان) لحربه ومقارعته كما سيجيء :

ولاية الدستجرداني العراق

تولية العراق : (احوال بغداد)

ثم ان السلطان بايدوخان ارسل الامير جارغتاي الى بغداد وأمره بالقبض على

«١» جاء في ابن خلدون وابي الفداء بلفظ بيدو والصحيح بايدو وهو الذي ينطق به الترك . «٢» ورد في شجرة الترك ان بايدو ابن قاراغاي «ص ١٧٠» وفي موطن آخر منه انه ابن طاراغاي «ص ١٧١» وفي تاريخ كزيدة انه طرغاي كما انه جاء في كلشن طرقاي والشائع المذكور في متن الكتاب . «٣» تاريخ وصاف ج ٣ ص ٢٨٣ .

محمد السكورجي وحمله اليه وولى جمال الدين الدستجرداني (١) العراق فوصل بغداد يوم السبت ١٨ ربيع الاول وقبض على محمد السكورجي وأبيه واخيه وعمه وجميع اهل بيته واصحابه ونهب اموالهم وكل ما في دورهم وحمل محمداً الى بايدو وهو في نواحي (البت) (٢) فامر بقتله فقتل وقطعت اعضاؤه وحمل رأسه الى بغداد و يداه وعلق الجميع على الجسر .

وكان جمال الدين الدستجرداني معتقلا لايضاح بقايا العراق مع اصحاب محمد السكورجي فاحضره الامير جارغتاي اليه وولاه امر العراق فركب وسكن الناس وكانوا قد اضطربوا وانزعجوا لما قبض على محمد السكورجي ثم جلس في الديوان وطلب فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر الحلة وكان موكلا به مع اصحاب محمد السكورجي على بقايا الحلة فولاه قوسان وواسط والبصرة عوضاً عن نور الدين عبد الرحمن بن تاشان . وولى الامير دولة شاه بن سنجر الصاحبي الحلة ، ورتب شمس الدين محمد زرديان مشرفاً بواسط ، ورتب عز الدين محمد بن شمام ناظراً لنهري عيسى وملك ، وعين النواب في سائر الاعمال ...

ثم اخذ في جمع الاموال الديوانية وكان ارباب الاموال من اهل بغداد والتجار والنناة وغيرهم شيئاً على وجه المساعدة وحمل ذلك الى بايدو اولا فاولا ثم توجه الى بايدو وعين في العراق نور الدين عبد الرحمن بن تاشان ، وشرف الدين بديع . فلما

«١» ورد في تاريخ كزيدة دستكرداني بالكاف الفارسية وفي غيره دشت جرداني وقد ذكرها صاحب مراصد الاطلاع بالسين و بين انها قرى عديدة مسماة بهذا الاسم . «٢» البت والروذان فرعان من نهر العظيم ولا يزالان معروفين واسمهما قبل ان يندثر سد العظيم والى الآن مشهور الا ان الروذان منهما يلفظ عند السكان هناك « الروضان » بالضاد . وقد مر ذكرهما الفوطي مراراً .

وصل الى بايدو والاموال صحبته ولاه (ديوان الممالك) وفوض اليه تدبير الملك .

قتلة السلطان بايدو

قتلة السلطان بايدو :

لما بلغ غازان بن ارغون خان ما جرى على السلطان كيخاتو وكان في خراسان عظم ذلك عليه واقبل بعساكره ومعه الامير نوروز وقصد بايدو وهو باذربيجان . فلما قرب منه ارسل اليه نوروز ينكر عليه قتل عمه . فاعتذر بالامراء وركب عليهم الحجة في ذلك وطلب من نوروز ان يصلح الحال بينهما فعاد الى غازان وعرفه ذلك فترددت الرسل بينهما حتى تم الصلح الا ان نوروز لما اقام عند بايدو اخذ باستمالة المغول فمال اكثر الامراء الى غازان . ولما استوثق نوروز من المغول في الباطن كتب الى غازان بخراسان وامره بالحركة فتحرك غازان و بلغ بايدو ذلك فتحدث مع نوروز في الامر فقال نوروز لبايدو ارسلني الى غازان لافرق جمعه وارسله اليك مربوطاً فاستحلف بايدو نوروز على ذلك وارسله فسار نوروز الى غازان واعلمه بمن معه من المغول وعمد نوروز الى قدر فوضعها في جولق وربطه وارسل بذلك الى بايدو وقال وفيت بيميني حيث ربطت غازان و بعثته اليك وقازان اسم القدر بالتتري فلما بلغ بايدو ذلك جمع عساكره وسار الى جهة غازان والتقى الجمعان بنواحي همدان فخامر اصحاب بايدو عليه وصاروا مع غازان فولى بايدو هارباً بنفر من اصحابه فادركوه وحملوه الى غازان فامر بتسليمه الى اصحاب كيخاتو فسلم اليهم فقتلوه . وكان ذلك في شوال . وكان عمره نحو اربعين سنة وملكه سبعة اشهر . وعلى رواية تاريخ كزيده ثمانية اشهر وقتل في اواخر ذي القعدة ، وفي تاريخ مفصل ايران انه قتل في ٢٣ ذي القعدة وفي ابي الفداء انه قتل في ذى الحجة . والتواريخ متقاربة ولعل مبناها

وصول الخبر وتاريخه ... وسبب القيام عليه امراؤه فانه لم يتمكن منهم بسبب خرقه وعدم تمكنه من القبض على زمام الادارة وقضائه على اصحاب النزعات ...

جلوس السلطان غازان

جلوس السلطان غازان :

ثم جلس السلطان غازان بن ارغون على التخت في سلخ ذى الحجة (١) ودخل تبريز وصلى في جامعها ... وولى اخاه خدابنده خراسان على قاعدته لما كان هناك ، وجعل نائبه الامير نوروز ابن ارغون اغا وولى الامير طغاجار الروم فسار اليها . (٢)

قال في الدرر الكامنة : وحسن له نائبه نوروز فاسلم سنة ٦٩٤ ﻫ ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤس الناس وفشا بذلك الاسلام في التتار ... وكان اسلامه على يد صدر الدين ابراهيم سعد الله (٣) بن حمويه الجويني وعمره يومئذ بضع وعشرون سنة وكان يوم اسلامه يوماً عظيما ، دخل الحمام فاغتسل وجمع مجلساً وشهد شهادة الحق في الملاء العام فكان لمن حضر ضجة عظيمة وذلك في شعبان سنة ٦٩٤ ﻫ ولقنه نوروز شيئاً من القرآن وعلمه الصلاة وصام رمضان تلك السنة ... ولما اسلم قيل له ان دين الاسلام يحرم نكاح نساء الآباء وكان قد استضاف نساء ابيه الى نسائه وكان احبهن اليه بلغان خاتون وهي اكبر نساء ابيه فهم ان يرتد عن الاسلام فقال له بعض خواصه ان اباك كان كافراً ولم تكن بلغان معه في عقد صحيح انما

«١» كذا في تاريخ كزيدة . «٢» الفوطي وتاريخ كزيدة ص ٥٩١ وابو الفداء ج ٤ ص ٢٣ . «٣» في الشذرات هو صدر الدين ابراهيم ابن الشيخ سعد الدين روى عن اصحاب المؤيد الطوسي واخبر ان ملك التتار غازان اسلم على يده بواسطة نائبه نوروز وكان يوماً مشهوداً ج ٥ ص ٤٢٨ .

كان مسالحاً بها فاعقد انت عليها فانها تحل لك ففعل ولولا ذلك لأرتد عن الاسلام واستحسن ذلك من الذي افتاه به لهذه المصلحة ... (١)

وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته (تحفة النظار) : أن التتر يسمون المولود باسم اول داخل على البيت عند ولادته ... وقازان وقازغان هو القدر قيل سمي بذلك لانه لما ولد دخلت الجارية ومعها القدر ويلفظ في الغالب (غازان) وهو المعروف عند الترك في مؤلفاتهم ونطقهم ... والى التسمية او اللفظ أبهم نوروز في حلفه واوهم انه يريد السلطان كما تقدم ...

اهل الذمة :

ومن حين جلس السلطان غازان اصدر يرليغاً في دعوة المغول الى قبول الاسلامية ، وان يحكموا بالعدل بين الناس ، وان تقوض دور الاصنام والكنايس ومعابد المجوس وتحول البيع الى مساجد ... وأمر بالزام اهل الذمة الغيار فكانت علامة النصارى شد الزنار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم فداموا على ذلك شهوراً ثم ازيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجهال فيهم .

ادارة العراق : (قاضي القضاة)

وتقدم السلطان بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم من حيث ملكت بغداد وازيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قد جعله النصارى مدفناً لاكابرهم فازيلت القبور منه وصار مجلساً للوعظ . جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر وكان يجتمع عنده خلق كثير .

---

(١) ج ٣ ص ٢١٣ .

ثم ولي الأمير بوغولدار (شحنة بغداد) ورتب شرف الدين السمناني صاحب الديوان بها ورتب جمال الدين عبد الجبار البصري قاضي قضاة بغداد نقلا من قضاء البصرة وعزل عز الدين أحمد ابن الزنجاني عن قضاء القضاة حيث كف بصره ...

قتلة فخر الدين مظفر ابن الطراح :

ثم ان جمال الدين الدستجرداني تقدم الى نور الدين عبد الرحمن نائبه ببغداد فأخذ فخر الدين مظفر ابن الطراح صدر واسط والبصرة وقتله فانحدر الى واسط وقبض عليه وعلى اصحابه ثم دوشخ وطوق واسمع كل قبيح وأخذ خطه بأنه وصل اليه شئ كثير من الاموال واشهد عليه بذلك القاضي والعدول ثم حمله الى بغداد ووكل به اياماً .ثم ضرب وعوقب وقتل وحمل رأسه الى واسط وعلق على الجسر بعد ان طيف به في شوارعها وسوقها .

وكان جواداً سخياً كريماً ذا ناموس عظيم وسياسة يخافه الاعراب وسائر الرعايا . خدم في اعمال العراق كلها ناب في صباه عن نجم الدين بن المعين في الحلة . ثم ولي ناظر طريق خراسان وناب عن الملك فخر الدين منوجهر ابن ملك همذان في واسط . فلما سافر الى بلاده استقل بالحكم فيها واضيف اليه قوسان والبصرة . ثم عزل ورتب صدراً في الحلة والكوفة والسيب . ثم نقل الى صدرية واسط و بقي مدة ثم عزل ورتب صدراً بالحلة والكوفة والسيب ثم نقل الى صدرية واسط و بقي مدة ثم عزل ورتب صدراً بالحلة والسيب ثم عزل وأعيد الى واسط مرة اخرى ثم عزل وأعيد الى الحلة والسيب . ثم نقل في هذه السنة الى صدرية واسط وقوسان والبصرة وآلت حاله الى القتل . ودفنت جثته في مشهد موسى بن جعفر (ع)

وكان قد تجاوز في العمر ستين سنة . وكان يقول الشعر الجيد . وله أشعار كثيرة مدح بها الصاحب علاء الدين ابن الجويني واخاه شمس الدين . وآخر ما قاله وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل ان يقتل بايام وجدت بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هذر فدعه واصبر لما يأتي به القدر
واستشعر الصبران تأتيك نائبة فالصبر اجمل ما حلي به البشر

الى ان يقول :

وكل حادثة في الدهر هينة اذا غدا سالماً في طيها العمر
قل للعتاة من الغايات ويحكم طيبوا فقد فقد الرهبالة الذمر
وقل لبيض السيوف المرهفات لدى الاغمار قري فقد اودى به القدر
مضى المظفر ليث الغاب عن كثب
فليهنأ اعداءه من بعده الظفر

وفيات :

١ — توفي نور الدين عبد الرحمن بعد قتل مظفر ابن الطراح بمدة شهرين وكان يسلك نور الدين في ايام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني صاحب ديوان الممالك فى التمثيل وشناعة القتل واحدث القناطرة بواسط كما احدثها بهاء الدين في اصفهان وكانت قد نسيت من عهد البساسيري .

٢ — توفي سعدي الشيرازي الشاعر المشهور بالفارسية . وكلستانه وبوستانه وكلياته معروفة . وله قصيدة في واقعة بغداد على يد هلاكو قالها باللغة العربية يتألم بها المصاب ومطلع قصيدته في واقعة بغداد :

حبست بجفني المدامع ان تجري فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابهـا تمنيت لو كانت تمر على قبري

وله المكانة الادبية في انحاء العراق بآثاره المذكورة فالاهتمام بها كبير جداً وقد ترجم الكلستان للتركية مراراً ، وللعربية ايضاً ... ولا تزال بقية في العراق تدرس كلستانه وكلياته ...

٣ — توفي شمس آل الكبشي بشيراز .

٤ — توفي الفاروثي : الامام عز الدين ابو العباس احمد ابن ابراهيم بن عمر الواسطي الشافعي المقري الصوفي شيخ العراق ولد بواسط في ذى القعدة سنة ٦١٤ هـ ومات بواسط في اول ذي الحجة سنة ٦٩٤ وتفصيل ترجمته في الشذرات (١) . وفاروث قرية على دجلة .

٥ — الشيخ الامام مظفر الدين احمد بن نور الدين علي بن تغلب بن ابي الضياء البغدادي البعلبكي الاصل المعروف بابن الساعاتي ، سكن بغداد ونشأ بها ، وابوه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد . (٢) وكان مظفر الدين اماماً عظيما ، فاضلا ، وله تصانيف منها (مجمع البحرين) في الفقه ، اسسه على قواعد لم يسبق اليها ، وشرحه في مجلدين كبار ، وان العينى اختصر هذا الشرح وسماه المستجمع في شرح المجمع وزاد فيه مذهب الامام احمد ، وفي كشف الظنون ايضاح عن تاريخ تأليف المجمع وانه فرغ منه في ٨ رجب لسنة ٦٩٠ هـ . والنسخة التي بخط مؤلفه رآها كاتب چلبي في مكتبة فاتح في استانبول . والكتاب من معتبرات كتب الحنفية ... وله ابن اخت هو تاج الدين ابو طالب علي بن انجب

«١» ج ٥ ص ٤٢٥ . «٢» مرت ترجمة ابيه .

المعروف بالساعاتي ايضاً المتوفي سنة ٦٦٤ هـ وهو من شيوخ الاجازة ، وللمترجم المظفر بنت فقيهة اسمها فاطمة ... (١) وعلى كل نال المترجم شهرة عظيمة في الفقه الحنفي ولا يزال كتابه يعد من الكتب المعتبرة والمعول عليها عند الحنفية ...

٦ — ابن البزوري : ابو بكر محفوظ بن معتوق البغدادي التاجر ، روى عن ابن القسطي ، ووقف كتبه على تربته بسفح قاسيون وكان نبيلا ، سرياً جمع تاريخاً ذيل به على المنتظم وتوفي في صفر عن ٦٣ سنة وهو ابو الواعظ نجم الدين . (٢)

فضاعة في عقوبة :

وقعت حادثة رجل اعجمي يعرف بتاج الدين الدامغاني قد قتل في درب حبيب انه اتهم به جماعة وحبسوا فحصل الحماة بقية النهار على قاتله فاعترف بالقتل . ولذا ضرب في يديه مسامير الى لوح وراء ظهره وطيف به بجانبي بغداد . ثم سمر بباب السور وعمل عليه بقية الشمس ليطول عذابه فبقي اياماً ثم قتل بعد ذلك على خشبته وهو قوي الجنان فترى الفضاعة في العقوبة والشدة في المغالاة في تنفيذها .

حوادث سنة ٦٩٥ هـ

(١٢٩٦ م)

نائب بغداد :

في هذه السنة رتب جمال الدين الدستجرداني اخاه عماد الدين نائباً عنه ببغداد حيث توفي نور الدين عبد الرحمن ابن تاشان . وكان قليل المعرفة باحوال العراق فاعتمد على عز الدين محمد بن شمام في ذلك فكان هو الحاكم وعماد الدين صورة .

«١» عقد الجمان ج ١٩ والجواهر المضية ج ١ ص ٨٠ والفوائد البهية وتاج التراجم . «٢» الشذرات ج ٥ ص ٤٢٥ .

صاحب ديوان الممالك :

وعزل شرف الدين السمناني صاحب ديوان الممالك ورتب عوضه جمال الدين الدستجرداني فلم تطل ايامه وقتل في سنة ٦٩٦ .

تصفح اعمال العراق :

وفي رجب من هذه السنة سير السلطان غازان الى بغداد اميراً اسمه توختاي لتصفح اعمال العراق وسير معه سعد الدين اسد بن علي مشرفاً على العراق فقدما بغداد وقبضا على شرف الدين بديع وكان مشرفاً به فهرب من الموكلين عليه بعد شهر ولحق بنوروز بخراسان .

واما توختاي وسعد الدين فانهما جمعا جباية وافرة من السلاح وبرزا بها الى الكوشك بظاهر باب الحلبة في شوال منها .

ففي بعض تلك الايام ركب سعد الدولة عامد توختاي يريد داره ببغداد وذلك وقت العتمة في نفر يسير من اصحابه غير مستظهر بسلاح ولا عدة ، فلما جاز باب الظفرية تواثب عليه رجالة ملثمون من رجالة الحلة وضربوه بالسيوف والخناجر فجرحوه في رأسه ويده اليسرى وكادوا يقتلونه فهرب اصحابه عدا غلام توختاي فجعل يضرب قطاة بغلته ويحثها وجعل سعد الدين يدافع عن نفسه بالمقرعة فنجا ولم يكدر ، وكانت نجاته من العجب الذي هو فرج بعد شدة ، وكان ذلك بوضع جمال الدين الدستجرداني وكان المدير لهذه القضية حسن بن مجهر ، وهو من بطانته .

وفيات :

١ — توفي أثير الدين البشيري مشرف العراق وهو ابن عم مجد الدين محمد ابن الاثير

٢ — توفي قاضي القضاة جمال الدين عبد الجبار البصري بالبصرة انحدر اليها

فمرض ومات ، وولي بعده ولده عماد الدين قضاء القضاة ببغداد .

حوادث سنة ٦٩٦ هـ

(١٢٩٧ م)

السلطان غازان والعراق

في المحرم سار السلطان غازان يريد العراق . فلما وصل همذان بلغه ان نوروز قد تغيرت طاعته في نيته وفسدت سريرته وبالتعبير الاصح ان صدر الدين الخالدي المعروف بصدر جهان قد اتهمه ووشاه لدى السلطان وبين ان جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالاحوال . فامر بقتل الدستجرداني فقتل توسطاً ورتب صدر الدين الخالدي ، عوضه ، وكانت مدة ولايته ديوانية الممالك لم تتجاوز الشهرين (١)

ثم توجه الى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والاحسان ولم يتعرض احد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعي الزروع ولا غير ذلك . وكانت الرعية تسير بينهم ومعهم الأشياء المجلوبة للبيع فلا يأخذ احد منهم شيئاً الا ابتياعا باللطف واللين ، ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته ...

فلما دخل بغداد لم ينزل في دار الا بالأجرة وما انزع أحد من منزله .

دخوله المدرسة المستنصرية :

ثم دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشائخ وكان المدرسون والفقهاء قد جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة في ايديهم فلما عاينوه قاموا وخدموه . فأمر رشيد الدين يقول لهم انتم

«١» تاريخ كزيده ص ٥٩٣ وابن الفوطي .

مشغولون بقراءة كتاب الله عز وجل كيف جاز لكم تركه والاشتغال بغيره فقال أحد المدرسين : السلطان ظل الله في ارضه وطاعته وتعظيمه والانقياد له واجب في الشرع . فدخل (خزانة الكتب) ولمحها . ثم عاد الى الدار المذكورة فبات بها هذا ما ذكره الفوطي .

وفي الدرر الكامنة : ولما دخل غازان بغداد ... حضر المستنصرية واجتمع الناس لتلقيه وحضر الشيخ زين الدين العابر وهو علي بن أحمد ابن يوسف بن الخضر الآمدى الحنبلي فأمر غازان من معه ان يدخلوا المدرسة واحداً واحداً كل منهم يوهم الشيخ زين الدين انه غازان امتحانا له (وكان أضر) فجعل الناس كلما وصل أمير يزهزهون له و يعظمونه ويأتون به الى زين الدين ليسلم عليه فيرد عليه السلام ولا يتحرك حتى جاء غازان فلما سلم عليه وصافحه نهض له قائما وقبل يده وأعظم ملتقاه وبالغ في الدعاء له بالمغلي ثم بالتركي ثم بالفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي ورفع صوته فاعجب غازان به وخلع عليه في الحال وامر له بمال ورتب له في كل شهر ثلثمائة وحظي عنده وعند من يليه ولم يزل على حاله حتى مات ببغداد سنة بضع عشرة وسبعمائة . وكان مقرئياً ببغداد وغيرها وصنف التبصير في التعبير وتعاليق في الفقه وتعانى تعبير المنامات وكان هو يرى المنامات الصائبة وكان يتجر في الكتب وأضر فلم يكن يخفى عليه منها شيء وكان لا يفارق الاشغال والاشتغال وللناس عليه قبول ... أخذ عن عبد الصمد ابن ابي الجيش المقرى ببغداد وعن غيره و يعرف بزين الدين العابر . (١)

وقد أورد ابن الطقطقي هذه الوقعة و بين انها كانت سنة ٦٩٨ قال :

« لما ورد السلطان الى بغداد في هذه السنة دخل المستنصرية لمشاهدتها والتفرج فيها وكان قبل وروده اليها قد زينت ، وجلس المدرسون على سددهم ، والفقهاء بين

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١ .

ايديهم اجزاء القرآن وهم يقرأون فيها فاتفق ان الركاب السلطاني بدأ بالاجتياز على طائفة الشافعية ومدرسها الشيخ جمال الدين عبد الله ابن العاقولي وهو رئيس الشافعية ببغداد ، فلما نظروا اليه قاموا قياما فقال للمدرس المذكور كيف جاز ان تقوموا وتتركوا كلام الله فأجاب المدرس بجواب لم يقع بموقع الاستصواب في الحضرة السلطانية ... » اهـ . (١)

ثم انه قال يمكن ان يقال في الجواب اننا امرنا فيه بتعظيم سلاطيننا ولم يختلف عما أورده الفوطي وهذا شأن صاحب الفخري دائما في الاعجاب بنفسه والدعوى والنقل المغلوط والتحامل من طرف خفي فقد غلط في التاريخ ولم يؤد النقل ..:

الخراج :

ثم نزل من الغد في شبارة وقصد المحول وأقام بدار الخليفة اياما فتألم الناس من الزامهم بالخراج ذهبا احمر . وكان جمال الدين الدستجرداني قد استوفاه في السنة الماضية كذلك . وقال قد كانوا في زمن الخلفاء يؤدونه ذهباً فاضر ذلك بالناس فامر السلطان باجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد فتوفر عليهم شيء كثير من التفاوت فزادت أدعيتهم .

السلطان في الحلة : (وزيارة المشاهد)

ثم توجه الى الحلة وقصد مشهد علي (ع) فزار ضريحه الشريف وامر للعلويين بشيء كثير . ثم قصد مشهد الحسين (ع) وفعل مثل ذلك وعاد الى أعمال الحلة وقوسان متصيداً وزار قبر سلمان الفارسي (رض) وأمر للفقراء المقيمين هناك بمال وتوجه الى بغداد واقام الى ايام الربيع .

«١» الفخري ص ٢٩ وفيه تفصيل .

خروجه من بغداد وما جرى — (قتلة نوروز) :

ثم سار الى بلاد الجبل وقد تأكد عنده ما بلغه من حال نوروز. وقد جاء في الدرر الكامنة : اول ما وقع له القتال كان مع نوروز بن أرغون الذي كان حسن له الاسلام فان نوروز خرج عليه فحارب به ثم لجأ نوروز الى قلعة خراسان فاخذ منها وقتل ثم عاد غازان الى الاكراد الذين اعانوا نوروز فاوقع بهم فقتل في المعركة خمسون الف نفس، وبيعت البقرة السمينة في هذه الوقعة بخمسة دراهم والرأس من الغنم بدرهم والصبي الحسن الصورة المراهق والبالغ باثني عشر درهما.. وذلك انه لما وصل خاقتين أمر بقتل أخوة نوروز وأهله وأصحابه وكل ما يتعلق به من نائب وغيره فقتلوا وكان من جملتهم كمال الدين كوجك وكان ببغداد فاحضر وقتل وامر بالزام أهل الذمة (الغيار) فالزموا بذلك في بغداد مدة شهرين ثم أزيل. ثم أمر الامير قتلغ شاه بالمسير الى خراسان والقبض على نوروز وقتله فسار واوقع ببيوته وقتل كثيراً من أهله حتي ادركه بنواحي هراة فاعتصم بها وقاتل أهل البلد عنه أياما فارسل الامير قتلغ شاه اليهم يتهددهم و يخوفهم عاقبة الامر فتخاذلوا عنه فقبض عليه وأخرج راجلا وسلم الى قتلغ شاه فقتله في ذي الحجة بترتيب من صدر جهان وحيلة منه ... وذلك انه اختلق كتابا يشعر بمخابرة مع سلطان مصر ... وكل هذا كان لنيل الامارة ... مما يدل على أخلاق القوم آنئذ ودرجة تفسخهم حباً في الرياسة ونيل الكراسي ... وانفذ رأسه الى السلطان فطيف به في تلك البلاد ونفذ الى بغداد وكان هذا بمنزلة الاعلان في امثال هذه ترهيباً للناس وتخويفاً لهم. وكانت الوشايات على امراء المغول ورجالهم تترى الى ان قضوا على اكثرهم وعدمت المملكة حسن الادارة ... (١)

---

١ - الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣ وتاريخ كزيده ص ٥٩٣ وابن الفوطي .

حوادث بغداد

قتل علي بن علاء الدين الجويني :

ثم أمر بقتل مظفر الدين علي بن علاء الجويني صاحب الديوان فنفذ الى بغداد من قبض عليه واعتقله أياما ثم قتل ودفن في دار المسناة التي باعلى بغداد وعملت الدار رباطاً . ثم نقل منها ودفن عند والدته في الرباط المجاور للعصمتية .

قتل عز الدين محمد بن شمام :

وقبض على عز الدين محمد بن شمام نائب جمال الدين الدستجرداني ببغداد وطولب باموال صارت اليه من الديوان ثم قتل .

ضمان العراق :

وفي هذه السنة عقد (ضمان العراق) على الشيخ جمال الدين ابراهيم ابن السواملي. والملك امام الدين يحيى البكري القزويني .

قضاء القضاة :

رتب قاضي القضاة ببغداد زين الدين محمد الخالدي على القاعدة التي تقدم ذكرها في سنة ٦٩٣ فوصل الى بغداد وجرى بينه و بين قاضي القضاة عماد الدين البصري من المنافسة على المنصب والحكم اشياء لا يليق ذكرها . فاستظهر زين الدين عليه بمساعدة اخيه صدر الدين (صدر جهان) صاحب ديوان الممالك .

وطولب عماد الدين بحقوق ديوانية كان قد سومح بها ابوه في البصرة وغيرها وسلم الى من يستوفي ذلك منه فأدى بعضه ببغداد ثم احدر الى البصرة لاستيفاء الباقي فهرب واعتصم بالبطائح . فلما قتل صدر الدين (صدر جهان) سنة ٩٧ ظهر من البطيحة وتوجه الى الاردو فاعيد الى القضاء على ما نذكره .

حوادث سنة ٦٩٧ هـ

(١٢٩٧ م)

ذيول (الجاو) — (حوادث العراق) :

في هذه السنة امر السلطان غازان بقتل صدر الدين (صدر جهان) احمد بن عبد الرزاق الخالدي (صاحب ديوان الممالك) لما ظهر من سوء حركاته وكان غير محمود السيرة ظالماً اظهر (الچاو) وقسر الناس على المعاملة به فاضربهم و بطلت معايشهم وتعطلت امورهم الى ان لطف الله تعالى والهم السلطان ابطاله ثم ضاعف الخراج كما فعل جمال الدين الدستجرداني والزم الناس بالقيجور (١) وزاد في قرارات التمغات وبالغ في المصادرات والتثقيلات فلما قتل أمر بقتل اخيه قطب الدين (قطب جهان) فقتل وطلب اخوه زين الدين الذي كان (قاضي القضاة) ببغداد فهرب ولحق بصاحب جيلان فسال من السلطان العفو عنه فأجاب سؤله فسأل ان يعاد الى (القضاء بالعراق) فاخذ وحبس بتبريز فهرب من الحبس فادرك واعيد اليه ثم قتل. كذا في ابن الفوطي. وجاء في تاريخ كزيده ان السلطان غازان اطلع على تزويرات صدر الدين (صدر جهان) فحاذر منه وقتله في ٢١ رجب سنة ٦٩٧ وفوض الوزارة للخواجه رشيد الدين ولمحمد ساوجي الملقب (وزيرنكو) ابن

---

(١) ورد في الفوطي بالياء قيجور وفي لغة جغتاي «قبجور» ويعني الضريبة والباج او الخراج او المقرر السنوي وجاء في كاترمير وغيره من الغربيين ان اللفظة مغولية وأصلها مرعى المواشي، والضريبة التي توخذ عليها اما عيناً على رؤس الدواب او بدلا بدراهم وهي المعروفة عندنا بـ «شاة مرتع»، وضبطها الغربيون «قبجور» بضم القاف وبالباء الموحدة، والذي ضبطه الفوطي اقرب للمغولية ... «كاترميرج ١ ص ٢٥٦»

الخواجه سعد الدين (١) .

شحنة بغداد :

وفيها عزل الامير (ناولدار) شحنة بغداد وسبب ذلك ان نائبه رسم اساء السيرة وتعدى الحد في الشنقصة وانواع التأويلات على الناس وأعتمل ما اوجب قتله وعزل ناولدار ورتب عوضه (الأمير اذينا) فمهد العراق بحسن سيرته وعظم سطوته وشدة وزعته لا تأخذه في المفسدين لومة لائم فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطرق ...

وفيات :

١ — في يوم عرفة حضر الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن الزياتين في الجامع وصلى العصر وقد اجتمع الناس للتعريف فمات فجأة فحمله أصحابه الى زاويته . وكان على قاعدة جميلة من الزهد والانقطاع والانعكاف على عبادة الله تعالى .

٢ — مؤرخ عراقي (الكازروني) : توفي الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني ببغداد . وكان عالماً فاضلا خدم الديوان في الاشغال الجليلة . وجمع تاريخا . وعمل كتابا في الاختيارات سلك فيه طريقة ابن حراز في الاختيارات التي عملها لشرف الدين اقبال الشرابي وكتب خطاً جيداً وتجاوز في العمر ٨٠ سنة وكثيراً ما ينقل عنه صاحب التاريخ المنسوب للفوطي . وكذا الذهبي في مواطن كثيرة ... وا كثر المتأخرين عالة عليه ... ومن المؤسف أن لم نقف له على اثر ، ولا عثرنا على ترجمة ضافية له في الكتب المتداولة والمعروفة ... وفي طبقات السبكي قال عنه :

« مولده سنة ٦١١ هـ وسمع الحديث من الامير ابي محمد الحسن بن علي بن المرتضى

---

(١) تاريخ كزيده ص ٥٩٣

وابي عبد الله محمد بن سعد الواسطي وغيرهما ، وكان حيسوبا ، فرضياً ، مؤرخا شاعراً ، وله كتاب النبراس المضيُ في الفقه ، وكتاب المنظومة الاسدية في اللغة ، وكتاب روضة الأديب في التاريخ ، وله شعر حسن . توفي في حدود السبعمائة . » اه(١) ، وامثال هذا المؤرخ ممن له اصبع في الادارة ، اذ علاقة بالحكومة ... يستفاد منه صحة النقل فيما يتعلق بالحكومة من جهة ، والبصيرة بسير الشؤن والادارة من أخرى ...

وقال في الدرر الكامنة عنه هو ظهير الدين البغدادي الشافعي ولد سنة ٦١١ وسمع من الحسن ابن السيد والدبيثي وغيرهما وتمهر في الفنون وصنف التصانيف منها روضة الاديب في سبعة عشر سفراً في التاريخ والنبراس المضيُ في الفقه و(كنز الحساب) في الحساب مجلداً ، والسيرة النبوية ، والملاحة في الفلاحة (٢)

٣ — شيخ المستنصرية : توفي الكمال القويرة مسند العراق ابو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البغدادي الحنبلي المقري البزار المكثر شيخ المستنصرية . قرأ القراآت على الفخر الموصلي وسمع من احمد بن صرما وجماعة واجاز له ابن طبرزد وعبد الوهاب بن سكينة وانتهي اليه علو الاسناد في القراآت والحديث وتوفي في ذي الحجة وله ثمان وتسعون سنة ووقع في الهرم رحمه الله تعالى . (٣)

الشيخ مجد الدين ابن الظهير الاربلي :

٤ — الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر وهو ابو عبد الله ابن الظهير الاربلي الحنفي الاديب ولد باربل في ٢ صفر لسنة ٦٠٢ هـ وسمع ببغداد في الكهولة

---

(١) الطبقات ج ٦ ص ٢٤٢ (٢) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١١٩ (٣) الشذرات حوادث هذه السنة .

من ابي بكر بن الخازن والكاشغري وغيرهما ... وكان من كبار الحنفية ، وهو من اعيان شيوخ الادب وفحول المتأخرين في الشعر . وله ديوان شعر في مجلدين . وكانت وفاته سنة ٦٩٧ هـ . (١)

حوادث سنة ٦٩٨ هـ

(١٢٩٨ م)

مسير السلطان غازان الى العراق :

في هذه السنة سار السلطان غازان الى العراق وجعل طريقه على (جوخى) وسير بعض العسكر الى بطائح واسط فحصروا الاعراب واكثروا القتل فيهم والنهب والسبي وغنموا اموالهم وعين جماعة لملازمة اعمال واسط ومنع من تخلف من العرب عن الفساد .

ثم توجه الى الحلة وقصد زيارة المشاهد الشريفة وأمر للعلويين والمقيمين بها بمال كثير . ثم امر بحفر نهر بأعلى الحلة فحفر وسمي (النهر الغازاني) تولى ذلك شمس الدين صواب الخادم السكورجي وغرس الدولة ...

غازان مجيئه الى بغداد — ضرب النقود :

ثم سار الى بغداد وأمر بالاحسان الى الرعية وزاد في العدل والرأفة بهم وامر ان يصفي الذهب والفضة من الغش ويبالغ في ذلك وتضرب الدراهم متساوية الوزن ليتعامل بها الناس عدداً يكون وزن الدرهم نصف مثقال وعملت دراهم وزن الدرهم ثلاثة مثاقيل ومثقال يخرج بنسبة ذلك ويكون كل مثقال من الذهب باربعة وعشرين درهماً .

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٩

وضرب من الذهب اشياء مختلفة الوزن خمسة مثاقيل وثلاثة مثاقيل ومثقالان ومثقال ونصف مثقال وربع مثقال وأمر ان يعمل ذلك في جميع الممالك فعمل وانتفع الناس به ...

ومما ضرب في بغداد والبصرة موجود في المتاحف وبعضها قبل هذا التاريخ اي سنة ٦٩٦ و ٦٩٧ هـ وما يلي من السنين وعلى النقود المذكورة كلمة الشهادة واسم السلطان محمود غازان ومحل الضرب ... (١)

ملحوظة :

التبس على صاحب الفخري الامر فظن ان دخول السلطان المستنصرية في هذه السنة مع انها كانت سنة ٦٩٦ هـ . تخلط في السنين وشوش في النقل وابدى رأيه بالرجوع الى صحة ماشوشه ...

عودته :

ثم عاد في زمن الربيع الى بلاد الجبل ...

ولاية العراق
تبدلات ادارية

١ - ضمان العراق :

في هذه السنه عقد (ضمان العراق) على الملك امام الدين يحيي القزويني البكري واستقل بالحكم فيه و كفت يد الشيخ جمال الدين ابراهيم السواملي .

---

(١) مسكوكات اسلامية تقويمي ص ٨٧ و ٨٨ ومسكوكات قديمه اسلامية قتالوغي ص ٤٣ وما بعدها .

٢ — قضاء القضاة :

وفيها اعيد جمال الدين البصري الى قضاء القضاة بيغداد . وقد تقدم ذكر ماجرى له واعتصامه ببطائح واسط فلما قتل صاحب الديوان صدر الدين (صدر جهان) ظهر وقصد الأردو وعرض حاله على الوزراء فاعادوه على القضاء فوصل بغداد في صفر .

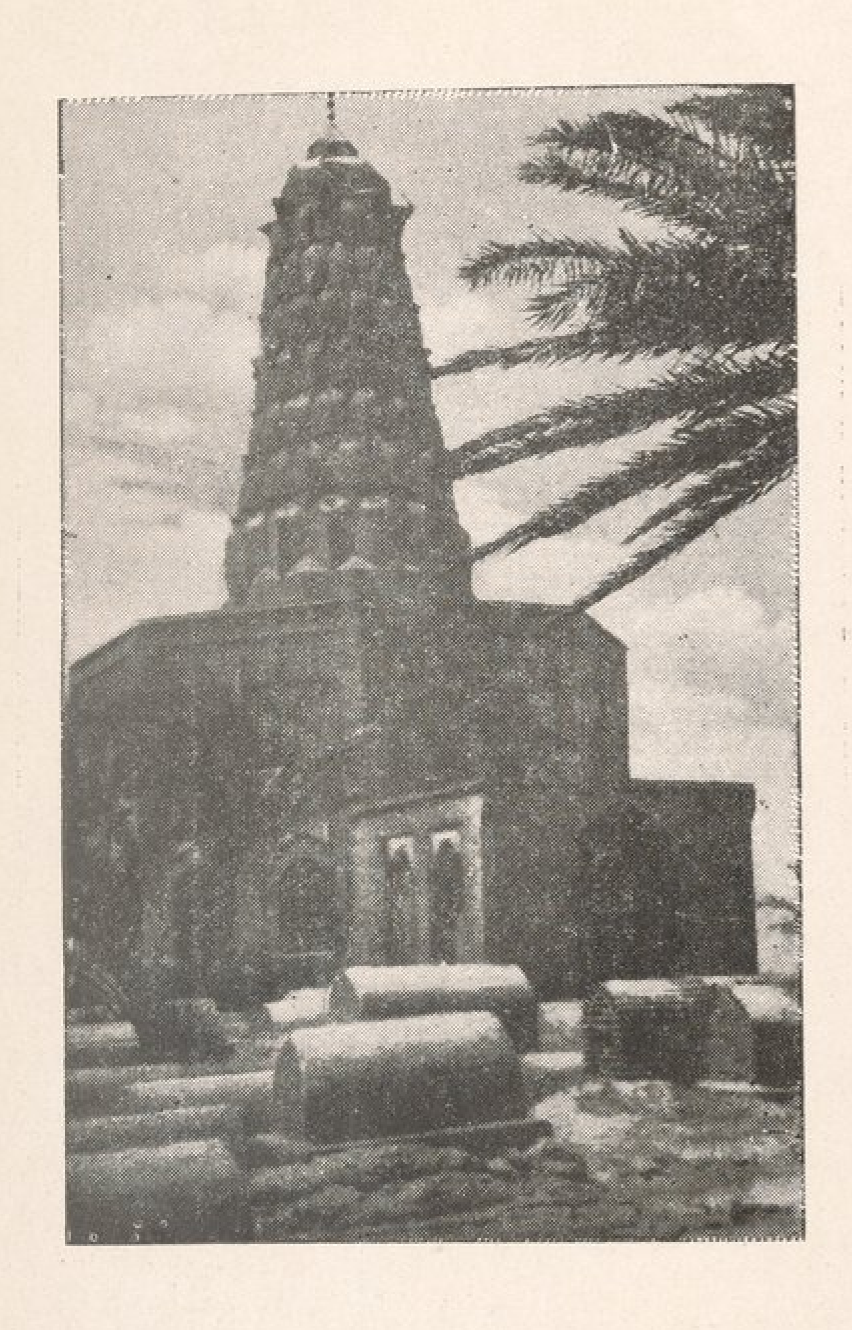
وفيات :

١ — توفي في بغداد جمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب كان أديبا عالماً فاضلا شاعراً بلغ من الخط غاية كما بلغها (ابن البواب) (١) كان قد اشتراه الخليفة المستعصم صغيراً وربى بدار الخلافة واعتنى بتعليمة الخط صفي الدين (٢) عبد المؤمن ثم كتب على الشيخ (ابن حبيب) وكتب عليه ابناء الاكابر ببغداد . وحظي عند (علاء الدين الجويني) صاحب الديوان وكتب عليه اولاده وابن اخيه شرف الدين هرون .

وقال عنه صاحب الشذرات : «الكاتب الاديب ، البغدادي ، آخر من انتهت اليه رياسة الخط المنسوب ، كان يكتب على طريقة ابن البواب ... » اه (٣) وقد عثرت على قرآن بخطه فحصات على نماذج مصورة منه والواح خطية ولم يعدم خطه ... واليه ينتهي خطاطون مشاهير في اجازاتهم ممن جاء بعده وغالب الخطاطين من الترك العثمانيين يصلون اليه في اجازاتهم خصوصا ابن الشيخ ومن اخذ عنه ...

وله الاشعار المستحسنة الرائقة التي جمعت من الاوصاف ما تفرق في جميع الاشعار وذلك قوله :

«١» مر ذكر ابن البواب في تعليقة سابقة . «٢» ترجمة صفي الدين عبد المؤمن في وفيات سنة ٦٩٣ هـ . «٣» ج ٥ ص ٤٤٣



١٣ ـــ تربة السيدة زبيدة تابع ص ٤٠٦

بدأ بوجـه مخجـل شمس النهار المشرقة
في اذنـــه لؤلؤة كأنها والحلقـة
قد اخذا من وردة بالياسمين ملحقـة

وله تهنئة بعيد :

همك اسعاف واسعاد فدمت تزدان وتزداد
ماالعيدفي عصرك مستظرفا جميع ايامك اعياد

وله :

اتعتقدون ان الملك يبقى وان العيش في الدنيا يدوم
ولا يجري الزوال لكم ببال كأن الموت ليس له هجوم
فهبكم نلتم ما نال كسرى وقيصر والتبابعة القروم
ومتعتم بذلك عمر نوح وحفتكم باسعدها النجوم
اليس مصير ذاك الى زوال لعمر أبي لقد هفت الحلوم

وله :

اراك فاغضى الطرف عنك مخافـة عليك وعندى منك داء مخامر
يزيد على مر الجديدين جدة وليس ببال يوم تبلى السرائر

وقد اورد له صاحب الشذرات بعض الابيات غير ما ذكر .

٢ — توفي صدر الدين ابو عبـد الله احمـد بن محمد بن الانجب ابن الكسار الواسطي الأصل البغدادي المحدث الحافظ الحنبلي ولد سنة ٦٢٦ هـ وسمع ببغداد من ابن قميرة وغيره و بواسط من الشريف الداعي الرشيدي وعني بالحديث وكانت

له معرفة حسنة به ... (١)

حوادث سنة ٦٩٩ هـ

(١٢٩٩ م)

السلطان غازان والشام :

في هذه السنة سار السلطان غازان الى بلاد الشام حيث بلغه ما فعلوا بأهل ماردين في السنة الماضية من النهب وكان قبجاق أحد امراء الشام، اتصل بالسلطان فحسن له ذلك وعرفه ضعفهم عن لقائه فلما قرب من حلب راسل واليها ودعاه الى طاعته فأجاب وسأل ان يمهل الى ان يملك الشام فتركه وسار الى حمص . فلما قاربها لقيته الجيوش المصرية فاقتتلوا ساعة فلم يلبث المصريون ان انهزموا راجعين فغنم عسكر السلطان سوادهم وسار السلطان الى دمشق فنزل بظاهرها وتصدق بحقن دماء اهلها وامنهم على اموالهم فلم يعرض احد من العسكر للرعية بنهب ولا غيره واحتوى على ما في القلعة من الاموال والذخائر ...

ورتب في دمشق (الامير قنجاق) المذكور وجعل عنده الامير مولاي في عشرين الفاً من الفرسان وعاد السلطان الى الموصل يريد مقر ملكه . فلما عرف قنجاق انه بعد عن الشام ارسل الى مولاي يقول له : اني اكلت من نعمة القاآن وشملني احسانه وانعامه ورحمته ولا يجوز لي الغدر بأصحابه . وقد وصلت عساكر سلطان مصر واعرف أن لا طاقة لك بهم . والرأي ان ترحل الى العراق فرحل ولم يلبث نخلت البلاد لقنجاق فكاتب الامراء بمصر يعرفهم ذلك فسيروا اليه جيشاً خوفاً من عود مولاي او غيره .

«١» الشذرات ج ٥ ص ٤٤١.

فلما بلغ السلطان غازان ما اعتمده قبجاق تجهز للسير الى الشام في سنة ٧٠٠ هـ

وفيات :

١ – توفي عز الدين دولة شاه الصاحبي العلائي بلرستان وكان مستتراً هناك بسبب بقايا تخلفت عليه من ضمان الحلة . فلما توفي حمل الى تربة اخيه الملك ناصر الدين قتلغ شاه بمشهد سلمان الفارسي (رض) .

٢ – شرف الدين ابو احمد داود بن عبد الله بن كوشيار الحنبلي ، الفقيه المناظر ، كان بغداديا ، فقيهاً ، مناظراً بارعا ، عارفا بالفقه ، صنف في اصول الفقه كتابا سماه (الحاوي) ، وفي اصول الدين كتابا سماه (تحرير الدلائل) (١) .

حوادث سنة ٧٠٠ هـ

(١٣٠٠ م)

حرب السلطان مع اهل الشام :

في المحرم سار السلطان غازان الى بلاد الشام في جيوش تملأ الفضاء لا تحصى كثرة فرقهم في طرق شتى وسار هو الى الموصل وعبر الفرات . فلقيت مقدمته طائفة من عسكر الشام فقاتلوهم فانهزم الشاميون وغنم المغول سوادهم وقتلوا منهم خلقا كثيراً واسروا ...

فاتفق تواتر الغيوث وشدة البرد ودام ذلك حتى امتنعوا من الحركة وتلفت خيولهم وقلت الميرة عليهم فجعل السلطان على الجيش الامير قتلغ شاه وتوجه الى سنجار فاقام قتلغ شاه الى رجب فلم يخرج اليه احد من عسكر الشام ومصر فانهى

(١) الشذرات ج ٥ ص ٤٤٧

ذلك الى السلطان فاذن له في العودة ورحل السلطان من سنجار عائداً الى بلاده .

ولاية بغداد

وفاة والي بغداد :

توفي الملك امام الدين يحي البكري القزويني صاحب ديوان بغداد في الحلة وحمل الى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسة بدرب فراشا واقيم ابنه افتخار الدين في العراق مقامه .

تاريخ الفوطي :

وقفت حوادث التاريخ المنسوب للفوطي هنا . وعليه اعتمدنا في الغالب عن هذا العصر مع مراعاة النصوص الاخرى للمؤرخين الآخرين مما أمر النقل عنه بقدر الحاجة وماسمحت به الوقائع وفى الغالب لاحظنا نص عبارته نظراً لعلاقته الخاصة بقطرنا ...

وفيات :

١ — توفي مفيد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن سلمان الحربي الضرير ، الفقيه الحنبلي ، معيد الحنابلة بالمستنصرية ، سمع من الشيخ مجد الدين ابن تيمية وغيره وكان من اكابر الشيوخ واعيانها عالما بالفقه ، والعربية ، والحديث . قرأ عليه الفقه جماعة ، وسمع منه الدقوقي وغيره . (١)

***

(١) الشذرات ج ٥ ص ٤٥٧

حوادث سنة ٧٠١ هـ

(١٣٠١ م)

التاريخ الايلخاني :

في هذه السنة وضع التاريخ الايلخاني وصار يعمل به في الممالك التي تحت حكم السلطان غازان محمود ... وهو مؤسس هذا التاريخ وكان قد وضعه في ١٢ رجب لسنة ٧٠١ هـ . وبه طبق التاريخ الهجري القمري على الشمسي وحاول ان يجمع بينهما الا انه لم يدم العمل به طويلا وانما أهمل بعد امد قليل ... وكان قبل هذا قد حاول العباسيون اعتبار السنة الشمسية ايام الخليفة المطيع لله ... وقد اطنب وصاف في ذكر تطور هذه القضية ... (١)

توحيد الموازين والمكاييل :

في هذه السنة صدر الامر الى كافة الممالك المغولية بلزوم توحيد الموازين والمكاييل وذلك لما دعته الحالة من التذبذب والاختلاف وما جرت اليه من الاضرار بالاهلين والتعديات عليهم ... وقد اتخذ ما يجب مراعاته لتنفيذ الامر المذكور ... (٢)

تاريخ الفخري — والي الموصل :

في هذه السنة كتب صفي الدين محمد بن علي ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي تاريخه المسمى بـ (تاريخ الفخري) وجاء في آخره : « فرغ من تأليفه واستنساخه مؤلفه في مدة اولها جمادى الآخرة من سنة ٧٠١ وآخرها خامس شوال من السنة

---

(١) تقويم التواريخ وتاريخ كزيدة ص ٥٩٦ وتاريخ وصاف ج ٤ ص ٤٠٤

(٢) تاريخ وصاف ج ٣ ص ٣٨٨

المذكورة بالموصل الحدباء ... » اه . (١)

أتم حوادثه باحتلال بغداد على يد هلاكو حتى وفاة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي الا انه خلال سطوره تعرض للوقائع بعد هذا التاريخ بكثير تكلم فيه عن حكومة الخلفاء والأمويين والعباسيين الى آخر ايامهم ... وفي اثنائها ، وفي مقدمته قارن بين الوقائع ، وفضل حكومة المغول على سائر الحكومات غير حكومة الخلفاء الراشدين خشية القيام عليه ، وكان قد كتبه بشكل ليقدمه لملك المغول ، او لوزيره ثم عدل عن ذلك لخور في شكله ، وابرزه بوضعه الحاضر ... والدعوى بانه الفه في هذه المدة الوجيزة ظاهرة البطلان ... وقال في مطاوي مقدمته :

« التزمت فيه امرين : (١) ان لا اميل فيه الا مع الحق ، وان لا انطق فيه الا بالعدل ، وان اعزل سلطان الهوى ، واخرج عن حكم المنشأ والمربى ، وأفرض نفسي غريباً منها واجنبياً بينهم ، (٢) ان اعبر عن المعاني بعبارات واضحة تقرب من الافهام لينتفع بها كل احد ... » اه

قدمه لوالي الموصل آنئذ وهو فخر الدين عيسى بن ابراهيم وقد اثنى عليه وغالى في مدحه وبيان اوصافه ، وكان عزمه ان يذهب الى تبريز ... فعدل واهدى كتابه اليه وجعله باسمه واشتهر الكتاب باسم (تاريخ الفخري) اضافة الى اسم الوالي واصل اسمه (منية الفضلاء في تواريخ الخلفاء والوزراء) كما اشار الى ذلك هندوشاه النخجواني وهذا كان ترجمه الى الفارسية سنة ٧٢٤ هـ باسم (تجارب السلف) واضاف اليه اضافات وقدمه الى الاتابك نصرة الدين احمد اللري ...

وهذا الوالي لم يعرف عنه اكثر مما جاء في الفخري بل لولاه لما عرف واحد منهما ومبدأ ولايته ، ومدة بقائه مجهولان ...

ونرى ابن الطقطقي ينوه بالمغول ، ويمدحهم مدحا زائداً ، ويدعو لهم بالدوام

تاريخ الفخري ص ٣٠٣

والتوفيق ، ويبين رجحان حكومتهم وفضلها على غيرها من سائر الحكومات ... وليس لدينا ما يحيط الالمام عن حياته الشخصية ، ووقائعه الذاتية ، ولكن تاريخه خير مرآة لمعرفة روحيته ، وهو جليل في موضوعه ... ولولا ان كتاب عمدة الطالب يفتضح ما كان بينه و بين علاء الدين الجويني من العداء لما مر في حادث قتلة والده لظننا ان ماقاله عنه صحيح وما اورده لا يعدو شاكلة الصدق وان ما اشترطه على نفسه قد تابعه والتزمه ... فعرفنا تحامله ، كما اننا اشرنا الى نفسيته في قلب بعض الحقائق ونقوله عن السلطان غازان حينما شاهد المستنصرية... وهكذا يقال عن تحامله على حكومات الاسلام ارضاء للمغول او تشفية لغرض في نفسه بحيث صار لا يرى سوى مساوى الحكومات الاسلامية ، او لم ينقل الا ما اشاعه المغرضون ، واعداء النظام ، وارباب الخصومات ... كأن هذه وامثالها هي التاريخ دون غيره ... فاتخذها بعض اعداء الاسلامية وسيلة لاظهار المعايب خاصة ، ونوهوا بذكره ، وبالغوا في الثناء العاطر عليه لانه اعد لهم ما كانوا يأملون ، فوافق مذاقهم ... من الطعن في الحكومات الاسلامية والتنديد بها وترجيح حكومة المغول عليها ... !!

ولا يفوتنا ان رجال الادارة ، ووزراء الحكومة نسمع عنهم اشياء ، و ينده بهم كثيرون من المتضررين بحق او بغير حق ، وارباب الحزبية او العداء الشخصي دون مراعاة للواقع ... فمؤرخنا لم يراع هذه الظروف ولا بالى بها فدون كل ما سمع من طعن ، واغفل غيره ، أو لم يلاحظ حقيقة الوضع بنظرة صادقة نخالف ما التزمه وجارى أهواءه دون تحاش من باطل ، او اتباعا لرغبات الآخرين ... قال :

« واما الدول الاسلامية فلا نسبة لها الى هذه الدولة حتى تذكر معها » اهـ . (١)

---

(١) تاريخ الفخري ص ٢٥

وعلى كل لا تنكر قدرته ولا يبخس تلاعبه في البيان لاستهواء القارئ وجذبه لناحيته ... مما يدل على وفور مادة ، وتتبع قويّ ... ولا يضره الغمز المتوجه عليه فلا يخفى عند المقارنة ... ولا تمكن هو من ستر مدحه وغلوّه في ترويج سياسة المغول ، وقد كتب لهذه الغاية وتلك المصلحة ... ولا يكتم ذمه للجويني مع تحقق الفضاضة ...

والمؤلف وان كان قد قسا في حكمه على الجويني فقد اخذ الكثير من آرائه ونصوصه وجعلها مادته التي عوّل عليها وكتب عنها واتخذ الوقت المناسب للنشر ايام نكبة آل الجويني ، وهو يعرف الفارسية ، واسلوب كتابه يضارع اسلوب الجويني وقد حذا حذوه بصورة عامة ... واستفاد من الآداب العربية وغزارة معينها والاستقاء من ذلك الادب الجم ...

ومما استشهد به من الشعر الفارسي ويدل على المعرفة في هذه اللغة قوله :

شاها زمي گران چه برخوا هد خواست
وزمستى هر زمان چه برخوا هد خواست
شه مست وجهان خراب ودشمن پس وپيش
پيداست كه ازين ميان چه برخواهد خواست (١)

وقد نقل صاحب معجم المطبوعات عن لويس شيخو انه توفى سنة ٧٠٩ هـ ولا سند

---

(١) يريد : ايها الملك ما عاقبة معاقرة الصهباء وما نتيجة الادمان على الشرب ... فاذا كنت دائما ثملا ، والمملكة في حالة البوار ، والعدو مكتنفا جوانبنا من الامام والخلف فالظواهر تشعر بما ستؤدى اليه الحالة وما يتوقع ... !!

يضده وعمر المؤلف تقريبي نظراً الى ان والده توفي سنة ٦٧٢ هـ ومن المحتمل ان عمره كان نحو العشرين فيكون عمره آنئذ نحو خمسين سنة حينما الف كتابه ...

طبع هذا التاريخ آهلوارد ثم درانبورغ في بلاد الغرب ، و بعد ذلك جرى طبعه في مصر بمطبعة الموسوعات سنة ١٣١٧ هـ .

١ — وفاة يحيي بن محمد بن علي : بن زيد بن هبة الله الحنفي رشيد الدين ابي طالب الشاعر البغدادي.

ومن شعره :

ان كنت من اهل الصبابة والهوى فاسمع ولا تبخل بنفسك في الجوى

من لا يذل لمن يحب فحظه من حبه اما الصدود او النوى

مات سنة ٧٠١هـ (١)

٢ — احمد بن يوسف بن ابي البدر البغدادي : هو مجد الدين ابن الصيقل التاجر السفار كان من كبار التجار . دخل الهند مراراً والمعبر (المغبر) والصين واقام اكثر من عشرين سنة وكان يحكي عن العجائب التي شاهدها . مات بحلب في مستهل صفر ٧٠١هـ (٢)

٣ — عبد الرحمن بن سليمان بن عبد العزيز الحراني البغدادي مفيد الدين الضرير ابو محمد . سمع من المجد ابن تيمية وفضل بن الجبلي وغيرهما وتفقه وتقدم الى ان صار عين الحنابلة ببغداد في زمانه ومهر في الفقه والعربية والحديث . قرأ عليه ابن الدقوقي وجماعة . مات في اول القرن . (٣)

١، الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٢٨ . ٢، الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٣٩ . ٣، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢٩

حوادث سنة ٧٠٢ هـ

(١٣٠٢ م)

في هذه السنة توجه السلطان غازان بعسكره الى الشام ، رأى من ملك مصر ما يغضب له لما سمع من الكلمات الخشنة والامور التي هي خلاف مرغوبه . جاء البحث عن الرسل في ابي الفداء في حوادث سنة ٧٠٠ هـ قال : « وصلت رسل غازان ملك التتر وكان مضمون رسالتهم التهديد والوعيد فاعيد جوابه على مقتضى ذلك (١) . ولكنه اكتفى بارسال بعض المشاهير من قواده مع قوة جيش وذهب هو الى انحاء تبريز ...

اما الجيش الذي ارسله فقد سمع اخيراً انه انكسر وفر هاربا وقد فصل ابو الفداء هذه الوقعة واطنب فيها في حوادث سنة ٧٠٢ هـ (٢) فغضب السلطان لذلك واغتم ولما علم بقرب الاجل وانه نوى الرحيل الى الدار الآخرة جعل ولاية العهد الى اخيه الجايتو خان وهو خدابنده محمد خان بن ارغون خان .

وقد ذكر صاحب الشذرات عن هذه الوقعة ما نصه :

« فيها — سنة ٧٠٢ هـ — طرق غازان التتري الشام فالتقاه يزك (٣) الاسلام وفيهم الشيخ تقي الدين ابن تيميه (٤) ،

---

١ ، ج ٤ ص ٤٧ . ٢ ، ج ٤ ص ٥٠ . ٣ ، يزك بفتح الاول والثاني بمعنى جيش هنا ولها معان اخري « فرهنك وصاف ص ٧٠٧ . ٤ ، ابن تيمية هذا من اكابر علماء المسلمين وطريقته السير على مذهب السلف وبهذا تابع نوابغ الفقهاء كابن حزم ومشى على نهج « داود الظاهري » وابنه محمد الظاهري اي ان اجتهاده وافق اجتهادهم ... وكان لهذا المذهب في العراق مكانة رفيعة واتباع كثيرون ... ويرى هؤلاء ان صلاح الاسلامية بالرجوع الى السلف الصالح في مراعاة طريقتهم بالمضي « * »

التقوا على مرج الصفر (١) فقتل من التتار خلق عظيم واسر منهم جماعة ولكن استشهد من المسلمين جماعة » اه . وهكذا نرى (كتاب دول الاسلام) للذهبي قد اطنب في تفصيل الوقعة كغيره ... (٢) اه وتسمى هذه الوقعة بوقعة (شقحب) (٣)

الضرائب :

كانت الضرائب في بغداد جارية من امد بعيد على طريقة استيفاء الخراج ، او على سبيل الضمان ، او اصل الامانة وهكذا يقال في التمغة وسائر المقاطعات وان

« * » على مقتضى نصوص الكتاب والاحاديث الصحيحة... ولم يكن في هؤلاء جمود كما يتوهم البعض وانما اختيارهم ان هذا الدين قويم ولا ينال مكانته الماضية الا بالرجوع الى ما كان عليه الاولون من القائمين به . «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ... » وفي ذلك اخذ بالشريعة بمراجعة اصولها ... وقد ابان كثير من العلماء بان مذهب السلف اسلم ... وكان يؤاخذ ابن تيمية في مسائل ظاهر نصوصها يدعم قوله ويؤيده ... وا كبر مناصري فكرته في عصرنا الشيخ محمد عبده واتباعه ، وابن سعود وقومه ، وعراقيون كثيرون ... وسبيل المؤمنين هي اتباع ما امر الله به واجتناب نواهيه ومحرماته ليس الا ...

« ١ » في الشذرات مرج الصفة وفي ابي الفداء مرج الصفر وهو الصحيح وفي معجم البلدان مثله وقال ابو الفداء عن غازان كان قد اشتد همه بسبب هزيمة عسكره وكسرتهم على مرج الصفر فلحقته حمى حادة ومات مكمودا ، اه « ص ٥٢ ج ٤ » « ٢ » هو المختصر لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٦ هـ كتبه بعد تاريخه الكبير ثم ذيله السخاوي وسماه الذيل التام بدول الاسلام طبع سنة ١٣٣٧ هـ في حيدر اباد دكن . « ٣ » ص ٤ ج ٦ من الشذرات وص ١٣٥ منه وابو الفداء حوادث هذه السنة والدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣

كل واحد من هؤلاء كان يقوم بما عهد اليه مستقلا وفي ٢٢ رجب من هذه السنة الغيت الضمانات لتحقق ما تولد منها من اضرار على الملتزمين من جهة وعلى الاهلين من اخرى . (١)

وفيات :

١ — نجم الدين معتوق ابن البزوري : هو معتوق بن محفوظ بن معتوق بن ابي بكر البغدادي الواعظ ولد سنة ٦١٥ وتعاطى الوعظ فبرع فيه وكان ينظم الشعر في الحال . (٢)

حوادث سنة ٧٠٣ هـ

(١٣٠٣ م)

وفاة السلطان غازان

في هذه السنة يوم الأحد ١١ شوال توفي السلطان غازان خان بأجله الموعود فانتقل الى دار البقاء . مات ولم يكتهل ... وكانوا قد اشاعوا موته مراراً فلم يصح ثم تحقق فقال الوداعي :

قـد مات غازان بلا مرية　　ولم يمت في المدد الماضيه
وكانت الاخبار ما افصحت　　عنه فـكانت هذه القاضيه(٣)

ترجمته :

هو ابن ارغون خان ومن المؤرخين من يسميه (محمود غازان) وهكذا ذكر في نقوده المضروبة ... بعضهم يدعوه (غزن) وقال في الدرر الكامنة غازان واسمه محمود

«١» وصاف ج ٤ ص ٤٠٤ «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٢ «٣» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٤ .

وتقول العامة قازان بالقاف عوض الغين (١) ... وقد مر النقل عن ابن بطوطة في سبب تسميته . . بلغ من العمر ٣٣ عاما (٢) ومدة حكمه عشر سنين . وفي تاريخ كزيده (ص ٥٩٥) انه توفي بتاريخ ١٠ شوال سنة ٧٠٣ بحدود قزوين فنقل الى تربته بتبريز واظهر قبره ولم يكن المغول يظهرون قبورهم . . و بلغ من العمر ٣٠ سنة ، سم في منديل يمسح به بعد الجماع (الشذرات)

ولما شرفه الله بالاسلامية صارت له من العظمة والسطوة مالا يوصف واحبه المسلمون ورأوا منه كل خير مما فاق به مآثر القدماء وانسى ذكر السلاطين العادلين (٣) . وسماه صاحب تاريخ كزيده (سلطان الاسلام) .

وفي شجرة الترك ما نصه :

« هو اول من اسلم من ذرية تولي خان ، وقد بذل جهوداً كبرى لنشر الدين الاسلامي و بسعيه واهتمامه اسلم كل المغول الذين في ايران ... » اهـ (٤) فكان تأثيره على المغول في نشر الاسلامية كبيراً جداً ...

وفي الدرر الكامنة : « وكان هلاكو ومن بعده يعدون انفسهم نوابا لملك السراي فلما استقرت قدم غازان تسمى بالقاآن وقطع ما كان يحمل اليهم وأفرد نفسه بالذكر والخطبة وضرب السكة وطرد نائبهم من بلاد الروم (العراق) وقال انا اخذت البلاد بسيفي لا بغيري »

وقال الذهبي عنه : « كان شابا عاقلا شجاعا ، مهيباً ، مليح الشكل ... وفي غيره كان اشقر ، ربعة ، خفيف العارضين ، غليظ الرقبة ، كبير الوجه ، يعف عن الدماء ... (٥)

١، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٢ . «٢» غياثي وكلشن «٣» الغياثي .
٤، شجرة الترك ص ١٧٠ «٥» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣ .

اما حروبه مع سورية فانها كانت طاحنة ويلام من جرأئها الاراقته دماء المسلمين.

ومخابراته السياسية وطلبه الصلح والدخول في المفاوضة لا يبرر ذلك . ومخذوليته كانت اكبر سبب في توقف المقارعات بين الطرفين ...

ولا ننسى قضاءه على وزراء كثيرين بقصد استعادة السلطة الملوكهم من ايدي الامراء فلم ينجح ...

وجاء في الدر الكامنة عنه : « ولما ملك اخذ نفسه بطريق جده الاعلى جنكيز خان وصرف همته الى اقامة العساكر وسد الثغور وعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء ... وكان يتكلم بالفارسية مع خواصه ويفهم اكثر ما يقال باللسان العربي ... » (١)

ومن آثاره (في العراق وغيره) :

١ — نهر اخرجه من الفرات ما بين دجلة (الظاهر الحلة) وبغداد وعمل عليه كثيراً من العمارة وسمي بالنهر الغازاني .

٢ — نهر من الفرات أجراه الى مشهد الشيخ ابي الوفاء . (٢)

٣ — قرر في كل مدينة كبيرة مثل بغداد والحلة وتبريز وأصفهان وشيراز والموصل مكانا سماه (دار السيادة) وجعل وقفه يصل الى الفقراء والمساكين من العلويين وتصرف غلّته كلها في وظائفهم .

وعلى كل كانت خيراته عميمة وعماراته في العراق والخارج كثيرة واتخذ له مدفناً في ظاهر تبريز وهو ما تعجز العبارة عن بيانه وجعل فيه من ابواب البر ما لا يوصف من

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢١٣ . «٢» وردت ترجمته في بهجة الاسرار وفي معرب - جامع الانوار - للبندنيجي ص ٤٨٤ مخطوطة وفيها انه سكن قرية قلمينيا ومات بها وهي من قرى العراق .

مدرسة وخانقاه ودار الحديث ودار القرآن ومستشفى ومكتب للأيتام وله عمارات اخرى منها (رباط سبيل) في حدود همذان وجعل له من الاوقاف للمارة ، ومنها مدينة اوجان ، ومنها سور مدينة تبريز و بساتينها وجملة عمارتها ولكنه لم يتمها وكلها تدل على علوّ الهمة .(١)

ومن اهم اصلاحاته ان لا يصدر يرليغ ، او بايزه الا بنظام خاص، واصدر يرليغاً في اصلاح المرافعات وانتخاب القضاة، والاعتناء بامر العدل وتثبيت ما يجب ان تسير عليه المحاكم ، ومراعاة مرور الزمان في القضايا ، وفي ملكية العقارات ... وتوحيد الموازين والمكاييل ، وقرر العقوبات على من يظهر في حالة السكر في المحال العامة ...وهكذا منع من التعديات على التجار والمارة باسم (تسيير) او اجرة (محافظة طرق) وما ماثل ... الى آخر ما هنالك من المآثر الجميلة والنافعة ... ولا محل للتفصيل الآن والاطالة فى امرها ومن اراد التبسط فليرجع الى جامع التواريخ وحبيب السير وغيرهما من الكتب وذلك لانها تخص حكومتهم العامة .

واهم ما قام به من الاصلاحات النافعة (الغاء الضمان) للبلاد والألوية ... وذلك لظهور الاضرار الناجمة من جراء قسر الناس والتعديات عليهم لايفاء ما التزمه الضمان . او التهاون في ذلك والتعرض للمسؤولية وغالب ما يعاقب الموظفون لهذا السبب ، او للسبب الأول ... فلا يسلم من هذين الا القليل من الملتزمين ... ولا تزال آثار هذه البدعة باقية وتعرف ايضا بـ (الالتزام) وهو ضمان الميري بانواعه ... (٢) فلم يتمكن من تسيير الناس على الامانة بان تقوم الحكومة رأسا بالجباية دون توديعها الى ضمان ...

ومن حسنات ايامه الوزير الخواجة رشيد الدين فقد عهد اليه بتدوين تاريخ

١، تاريخ الغياثي ٢. تاريخ وصاف ص ٣٨٢ : ٣٩١

المغول فاستعان بالوثائق الرسمية ، وشيوخ المغول وكبار رجالهم ممن له علم باخبارهم وقبائلهم ومواطنهم ... فكتب تاريخه المسمى (بالتاريخ الغازاني) نسبة للسلطان فخلف اكبر اثر في تاريخ المغول ولولا انه قد مسخت الفاظه المغولية وتناولتها يد النساخ بالتبديل والتحريف ... لكان خير اثر . ونرى صاحب شجرة الترك يعتذر لذلك وينسب الغلط الى العجز عن تلفظ الكلمات المغولية ، اوعسر النطق بها ... ومهما يكن فالاثر لم يفقد جدته : ولم تقل قيمته ونسخته الفارسية مبذولة . واما العربية فان الوحيدة منها موجودة ومن فلتات الدهر ان بقيت الى اليوم ... فقد رأينا منها نسخة في مكتبة ايا صوفيا في استانبول وقدمر وصفها وفي المكتبة المصرية نسخة منقولة في التصوير ولم يعين محل وجود اصلها كما يستفاد من مطالعة دفتر المكتبة ، والظاهر انها منقولة منها .

ثم ابرزه المؤلف في عهد (اولجايتو خان) المعروف (بخدابنده) او (خربنده) وسيأتي باقي الكلام عليه في حينه ...

السلطان الجايتو محمد خدابنده

سلطنته :

لما توفي السلطان غازان في ١١ شوال سنة ٧٠٣ هـ بحدود قزوين اوصى لأخيه بولاية العهد وكان اخوه الجايتو بخراسان وفي الشذرات انه كان في سنجار وابنه بسطام بن غازان عنده فاراد جماعة الامراء ان يولوا بسطاما فكتبوا اليه خفية ليصل اليهم ولما جاء القاصد الى الاردو قصد خدابنده وسلم اليه الكتاب فوقف عليه ومن ثم

نفذ في الحال من قضى امر بسطام ورفعه من البين فلم يجسر بعدذلك احد على مخالفته وظهر تمكنه واجريت له المواسم المطلوبة ووافى حاضرة الاسلام او جان بموكبه العظيم وذلك يوم الاثنين ٢ ذي الحجة من هذه السنة فاحتفل به وحضروا اليه لعرض الاخلاص له والطاعة .. فابتدأ أمره بالدخول في الدين الاسلامي وسمى نفسه محمداً خدابنده ولقب بغياث الدين واقر قتلغ شاه على نيابته ...

وفي ابن الخلدون وفي كتب اخرى كثيرة جاء بلفظ (خر بنده) ، ونائبه قطلو شاه ولكن في تاريخ كزيدة وكاشن خلفاء ورد (خدابنده) كما دعي نائبه قتلغ شاه . وفي ابن بطوطة جاء ان اللفظين شائعان وان خدابنده معناه عبد الله ، واما خر بنده فان المغول كانوا قد اعتادوا ان يسموا المولود باسم اول داخل للبيت فصادف دخول زمال (حمار) يقال له بالفارسية (خر) اي عبد الحمار (١)

والتدقيقات الاخيرة اماطت اللثام عن حقيقة اسمه وتبين ان خدابنده من استعمال الايرانيين ، اما غيرهم من الترك كابي المحاسن تغري بردي في تاريخه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة فقد عبر عنه بخربندا وهكذا قال الذهبي وهو في الاصل من كلمات الترك وهذا اللفظ بمعنى الثالث في لغة المغول وهو عين (خوربندا) . وهكذا نرى الصينيين يدعون الجايتو (هو — أول — بان) مما يدل على ان اللفظ مأخوذ من المغولية بهذا المعنى و يراد به الثالث ... مما يؤيد ان العجم حرفوا اللفظ واستعملوه على الاصل مؤرخون كثيرون وايد ذلك ما جاء في التعليق على مادة محمد خدابنده في الدرر الكامنة ... (٢)

ومن ثم شرع في تدبير الامور وتنظيمها ، والتزم التيقظ والتحرس لحسن الادارة

---

(١) ص ١٣٦ (٢) اسلامدة تاريخ ومؤخلر ص ٢٨٨ والدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٨ والذهبي ص ١٦٢ ج ٢

اذ كانت الامور في اضطراب والادارة في تشتت وانحلال والحكومة متداعية البنيان الا انها بهمة هذا السلطان الجديد قد اكتسبت كل هدوء وراحة وانتظام لم يسبق ان نالته فيما قبل فازيلت المشاكل والصعاب واخمدت الثورات واستقرت شؤن المملكة ومن جملة ما قام به ان امر بابقاء ما كان على ما كان ايام اخيه من الموظفين والامراء ... وان يمضي على طريقة اخيه ونهجه . (١)

وقائع أخرى :

في هذه السنة حدث وباء عام في البهائم . (٢)

رسول الى التتار :

في هذه السنة جاء من مصر رسول اسمه عماد الدين بن مجد الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين وكان من مشيخة الاسماعيلية ومشهوراً بالعقل والديانة ورشح مرة للوزارة . جهز في هذه السنة (٧٠٣) رسولا فاحسن السفارة ورجع في جمادى الاولى . ومما اتفق له انه لما وصل وجد غازان قد مات على ما قيل مسموماً وأستقر بعده اخوه خربندا فلما اجتمعا خلع عليه واعطاه قدح خمر فاخذه بيده ولم يشرب به فسئل عن ذلك فقيل له انه فقيه وما يقدر ان يشرب هذا فاخذه منه وناوله رغيفاً فاخذه وجذمه وأكله فاعجبه ذلك وكتب جوابه وارسل معه رسولا فطلب الصلح سنة ٧٠٥ ليعمر البلاد هذا وقد اطنب صاحب الدرر في ترجمته وقال كان عنده عقل وافر وديانة ... (٣)

«١» جامع التواريخ «٢» تقويم التواريخ «٣» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٦٢

حوادث سنة ٧٠٤ هـ

(١٣٠٤ م)

ولادة :

ومن حوادث هذه السنة ولد للسلطان محمد خدابنده ابن سمي علاء الدين ابا سعيد بهادر وذلك ليلة الاربعاء ثامن ذي القعدة (١) وهو الذي ولي السلطنة بعد ابيه .

وفيات :

١ — توفي علم الدين العراقي المفسر (٢)

٢ — توفي محدث بغداد ومفيدها ابو بكر احمد بن علي بن عبد الله بن ابي البدر القلانسي البغدادي الحنبلي ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ وعنى بالحديث سمع الكثير وتفقه وكتب الكثير بالخط الجيد المتقن وخرج لغير واحد من الشيوخ وحدث بالقليل وسمع من جماعة واجاز لجماعة منهم الحافظ الذهبي وتوفي في رجب ببغداد ودفن في باب حرب . (٣)

حوادث سنة ٧٠٥ هـ

(١٣٠٥ م)

وقائع مشهورة :

١ — في هذه السنة بتاريخ ٢٠ شوال امر السلطان بقتل السيد تاج الدين سرخي نائب الامير هورقوداق ونيابة عن الامير سونج اتابك نخالفه ومن ثم امر بقتله في التاريخ المذكور .

«١» تقويم التواريخ «٢» ٧٦٢ التاريخ كزيدة ص ٥٩٦ «٣» ر: الشذرات ج ٦ ص ١٠ والدرر الكامنة ج ١ ص ٢١٦

٢ — في هذه السنة انهزم السلطان خدابنده سلطان المغول في حرب گيلان (١) وفي ابن خلدون ان حربه كان مع الاكراد هناك ... ولعل هذه الوقعة غير ما حدث سنة ٧١٠ هـ واما في تاريخ كزيدة فانه بين ان هذه الوقعة جرت في ذي الحجة سنة ٧٠٦ هـ وان السلطان عزم على الوقيعة باهالي گيلان فحاربهم وسخر القطر (٢) وفي هذه الحرب قتل القائد قتلغ شاه وكان امير الوس فقتل في هذه الحرب ووضعت ضريبة على الاهلين كمية وافرة من الحرير وبعد ان قتل قتلغ شاه فوضت امارة خراسان الى الامير بسلودل ... اما السلطان فقد ولى مكان قتلغ شاه الامير چوبان . (٣)

وجاء في دول الاسلام للذهبي ان هذه الواقعة كانت قد حدثت سنة ٧٠٧هـ وان قتلغ شاه أصابه سهم فقتل . وورد فيه بلفظ (خطلو شاه) كان قتله سلطان جيلان شمس الدين دوباج رماه بسهم ، وكان قتلغ شاه هذا مقدم التتار في ملحمة شقحب (٤)

وفاة عيسى بن داود البغدادي :

الحنفي ، سيف الدين المنطقي ولد في حدود ٦٣٠هـ أخذ عن البدر الطويل والفخر بن البديع وبرع في المنطق ... واملى على الموجز للخونجي شرحاً ، وعلى الارشاد كذلك وارتحل الى القاهرة ... مات في جمادى الاولى سنة ٧٠٥ وله سبعون سنة ونقل عنه انه قال : كان لي وقت بناء المستنصرية سبع أو ثمان سنين . (٥)

«١» تقويم التواريخ «٢» ص ٥٩٦ «٣» ابن خلدون «٤» دول الاسلام ج ٢ ص ١٦٤ وص ١٧٠ «٥» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٤

حوادث سنة ٧٠٦هـ

(١٣٠٦ م)

السواملي :

١ — مات رئيس التجار الصدر جمال الدين ابراهيم بن محمد ابن السواملي (١) العراقي كان يثقب اللؤلؤ فصمد الفي درهم ثم اتجر وسار الى الصين فتمول وعظم وضمن العراق من القا آن ورفق بالرعية وصار له اولاد مثل الملوك ثم صودر وأخذ منه اموال ضخمة ومات فجأة بشيراز عن ست وسبعون سنة ۰ (٢)

وقد مرّ الكلام عليه في هذا الكتاب ۰

مدرس المستنصرية :

٢ — العلامة نصير الدين ابو بكر عبد الله بن عمر ابي ابي الرضا الفاروني الشافعي ۰ قال البرزالي في تاريخه قدم علينا دمشق وكان يعرف الفقه والاصلين والعربية والادب وكان جيد المناظرة ۰ ولد بفاروث وهي قرية من عمل شيراز وسكن بغداد ومات بها ودرس بالمستنصرية وغيرها من المدارس الكبار (٣)

رئيس العراق :

٣ — ظهير الدين محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد السيد بن محاسن الصرصري الحنبلي ظهير الدين . كان رئيس العراق في دولة ابغا ومن بعده ، وافر الجلالة ، محترم الجناب . ولد سنة ٦٥٢ وكان ذا مروأة وجود وكرم وجاه وله مطالعة في العلم ومشاركة . كان يتردد اليه حكام البلد فيتحفهم و يتفضل وكان يفطر في رمضان كل ليلة مائة فقير وفقيرة وكانت له نحو عشرين ضيعة لا يؤدي عنها شيئا

---

(١) الصوامل كالطاسات (٢) الشذرات ج ٦ ص ١٣ والدرر الكامنة ج ١ ص ٥٩ (٣) الشذرات ج ٦ ص ١٤ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨٩ ۰

وكان على بابه نحو عشرة خدام . و بلغ من رياسته انه نزوج زبيدة بنت هارون ابن الوزير الجويني فاصدقها اثني عشر الف مثقال ذهبا واتفق انه كان وعد غلاما له بزواج بنت جارية له ثم بدا له فزوجها لغيره فبادر المذكور وقتل الزوج فبلغ ذلك ظهير الدين فخرج فضربه القاتل بسكين في خاصرته فعاش بعدها ليلة واحدة ومات عن توبة وانابة في شوال سنة ٧٠٦ هـ (١)

السيدة زبيدة :

وتعرف (بالست زبيدة) وهذه بنت هارون الجويني من زوجته رابعة بنت ابي العباس احمد ابن الخليفة المستعصم . والتربة المعروفة باسم ست زبيدة نقطع بانها لها اذ لم نر من نال مكانة مثل هذه في عصرها ولا مثل ابيها وامها وزوجها ... فلا غرابة ان تكون لها هذه التربة ... وقد مرّ بيان صداقها ...

وما ذكره الأستاذ المرحوم السيد محمود شكري افندي الآلوسي من التشكيك في نسبة هذه التربة الى زبيدة العباسية كان في محله (٢) ... والذي دعا الناس الى الاشتباه اولا العلاقة الموجودة فهذه عباسية من جهة امها ، وثانيا الاشتراك في الاسم فان هذه زبيدة وتلك زبيدة ، وثالثاً الصلة الصهرية ... يضاف الى ذلك ان اخوتها سموا بالأمين والمأمون ... وأبوها هارون ...

وقد ذكرنا جدتها لأمها شاهلتى زوجة علاء الدين الجويني ، وامها رابعة وزواجها بهارون الجويني واخوتها ... ولا اظن انه بقي خفاء بعد ما اوردنا من النصوص المارة عن زواج هارون الجويني بالعباسية ، وعن اولاده منها ، وعن زواج بنته زبيدة هذه ...

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٢٠ «٢» تاريخ مساجد بغداد وآثارها للآلوسي ص ١٢٥

وقلة النصوص وان كانت حالت دون معرفة أمور أخرى عن المترجمة ولكني أرى قد انجلى الغامض نوعا ...

حوادث سنة ٧٠٧ هـ

(١٣٠٧ م)

شعار الشيعة :

في هذه السنة اظهر السلطان خدابنده شعار الشيعة وذلك بسعي ابن مطهر .. وكان الى هذا التاريخ يراعي عامة الخلفاء الراشدين و يعظمهم ويضرب النقود باسمائهم ، (١) ...

ولما ركن الى مذهب الشيعة حذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش اسماء الأئمة الاثني عشر على نقوده وذلك اعتباراً من هذه السنة كما يستفاد من النقود المضروبة والموجودة في المتاحف و بين هذه ما ضرب في بغداد ... وفي ابن بطوطة :

« كان ملك العراق السلطان خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمى جمال الدين (٢) بن المطهر فلما اسلم السلطان المذكور واسلمت باسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر لديه ان ابا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله ﷺ وان عليا ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده ... فامر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك الى العراقين وفارس واذربيجان واصفهان وكرمان وخراسان و بعث الرسل الى البلاد فكان اول بلاد وصل اليها ذلك بغداد وشيراز واصفهان فاما اهل بغداد فامتنع اهل باب الازج منهم

«١» تقويم التواريخ -٢- هو جمال الدين يوسف ابن المطهر ويعرف بالعلامة.

(محلة باب الشيخ) وهم اهل السنة واكثرهم على مذهب الامام احمد بن حنبل وقالوا لا سمع ولا طاعة واتوا المسجد الجامع يوم الجمعة في السلاح ، و به رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قالوا له وهم نحو اثني عشر الفا في سلاحهم ! وهم حماة بغداد والمشار اليهم فيها فحلفوا له انه ان غير الخطبة المعتادة او زاد فيها او نقص منها فانهم قاتلوه وقاتلو رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله .

وكان السلطان امر بان تسقط اسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر الا اسم علي ومن تبعه كعمار رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة .

وفعل أهل شيراز واصفهان كفعل اهل بغداد فرجعت الرسل الى الملك فاخبروه بما جرى في ذلك فامر ان يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان اول من أتي به منهم القاضي مجد الدين قاضي شيراز والسلطان اذ ذاك في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي امر ان يرمى به الى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في اعناقها السلاسل معدة لأكل بني آدم فاذا أتي بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقا غير مقيد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفر امامها ولا مفر له فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه . فلما ارسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ووصلت اليه بصبصت اليه وحركة اذنابها بين يديه ولم تهجم عليه بشيء فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافي القدمين فاكب على رجلي القاضي يقبلهما واخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي اعظم كرامات السلطان عندهم واذا خلع ثيابه كذلك على احد كانت شرفا له ولبنيه واعقابه يتوارثونه ما دامت تلك الثياب او شيء منها واعظمها في ذلك السراويل . ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي مجد الدين

أخذ بيده وادخله الى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الرفض وكتب الى بلاده ان يقرّ الناس على مذهب اهل السنة والجماعة ... » اه

وقد جاء في الدرر الكامنة عن هذه الحادثة « كان حسن الاسلام لكن لعبت بعقله الامامية فترفض واسقط من الخطبة في بلاده ذكر الائمة الا علياً ... وكان فيما يقال قد رجع عن الرفض واظهر شعار اهل السنة فقال بعضهم في ذلك :

رأيت لخر بندا الامين دراهما　　يشابهها في خفة الوزن عقله
عليها اسم خير المرسلين وصحبه　　لقد رابني هذا التسنن كله(١)

وقد نقل بعض المؤرخين ان السلطان كان اسمه خدابنده فصار يسميه اهل السنة (خر بنده) تحقيراً له من حين قبل مذهب التشيع ... وقد نقلنا ما يخالف ذلك في سبب تسميته ولا يعوّل على امثال هذه الاشاعات استفادة من قرب اللفظ ... (٢)

وفي عقد الجمان انه أظهر الرفض في بلاده سنة ٧٠٩ هـ وأمر الخطباء ان لا يذكروا في خطبهم الا عليّ بن ابي طالب (رض) وولديه واهل البيت ...

وفي تاريخ كزيده يعزو سبب عدوله عن مذهب اهل السنة الى غير ابن المطهر فقد ذكر انه السيد تاج الدين على ما سيأتي .

وفي تقويم التواريخ في حوادث عام ٧١٦ هـ ان خدابنده توفي وولي بعده ابنه ابو سعيد وهذا أبطل شعار الشيعة وهذا هو المعول عليه نظراً للنقود المضروبة في ايامه واستمرارها الى حين وفاته ... وغاية ما يفسر من النصوص انه ترك الناس

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٨ . «٢» مسكوكات قديمه اسلامية قتالوغي ص ٨٣ .

وما يدينون وراعى عقائدهم وخطابهم ولم يقسرهم على أمر مما يؤثر على معتادهم المذهبي... وفي بغداد ما يأتي من الحوادث انه كان يراعي جانبهم بسبب بعض ما وقع من السياسة الداخلية... (١)

ومهما كان الامر فلا نرى مجالا للبحث في النضال بين الشيعة والسنة ولا في تاريخ هذه الناحية اي درجة نطاق هذا المذهب وانتشاره في الاقطار واثره او تأثيره ... خصوصاً اننا نعلم (انما المؤمنون اخوة) وان السياسة هي التي نفرت بين الاخوان و باعدت ما بينهم واستخدمت علماء كل فريق وتقويته على الآخر حباً في الاستفادة الحصول على نيل مكانة ... فكان اولئك العلماء آلة شحناء وواسطة بغضاء بين الاخوان في الدين ترويجاً لمطالب السياسة ومرغوباتها ...

وفيات :

١ — توفي رشيد الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر ابن ابي القاسم البغدادي الحنبلي المقري المحدث الصوفي الكاتب . ولد ليلة الثلاثاء ١٣ ذى القعدة سنة ٦٢٣ هـ وسمع الكثير من ابن رزوبة والسهروردي وابن الخازن وابن اللتي وغيرهم وعني بالحديث وسمع الكتب الكبار والاجزاء كان عالماً صالحاً من محاسن البغداديين واعيانهم ذا لطف وسهولة وحسن اخلاق من اجلاء العدول ولبس خرقة التصوف من السهروردي وحدث بالكثير وسمع منه خلق كثير من اهل بغداد والرحالين وانتهى اليه علو الاسناد . وتوفي في جمادى الآخرة ببغداد ودفن بمقبرة الامام احمد .

وزاد في الدرر الكامنة انه باشر مشيخة المستنصرية بعد الكمال ابن القويرة وذكر انه توفي في رجب . (٢)

٢ — يعقوب الشهرزوري : هو بهاء الدين . كان اراد القدوم الى مصر في ايام

---

(١) تحفة النظار ص ١٢٣ . (٢) ج ٤ ص ١٥٠ .

الصالح ايوب فلما خرج المظفر قطز الى قتال التتار شهد معه (وقعة عين جالوت) ومعه جمع كثير من الشهرزورية وابلوا بلاء حسناً ثم قبض عليه المنصور وحبسه ثم افرج عنه الاشرف خليل وأمرّه وكان من الاكابر ، له مكارم واتباع . مات في اواخر سنة ٧٠٧ هـ . (١)

٣ — نجم الدين احمد بن غزال ابن مظفر بن يوسف بن قيس الواسطي المقري المجود . ولد في رمضان سنة ٦٢٧ وتمانى القراآت الى ان مهر فيها واشتهر بها فصار شيخ الاقراء بواسط وكان قد سمع كثيراً من ابن شتيرة وغيره . مات في شهر رجب سنة ٧٠٧هـ بواسط (٢)

٤ — خطلو شاه (قتلغ شاه) او قطلو شاه المغلي : كان مقدم العسكر في ايام غازان وفعل بدمشق الافاعيل ثم كان مقدمهم في وقعة شقحب فعاد مكسوراً ثم جهزه غازان الى كيلان ففتكوا به وقتلوه في اول سنة ٧٠٧ هـ . وقد مرّ الكلام عليه(٣)

٥ — داود بن ابي نصر بن ابي الحسن البغدادي :

سمع من محمد ابن الحصري وابن شاتيل وحدث . مات في ١٦ شعبان سنة ٧٠٧هـ (٤)

٦ — صالح بن عبد الله البطائحي : هو شيخ المنيع بالشام . كان لبيدرا حال نيابته عن الديار المصرية فيه اعتقاد . وكان اصله من بلاد العراق . ولما دخل التتار دمشق في وقعة غازان عرفه جماعة منهم فاكرموه ونزل عنده قطلو واحد اكابر امرائهم وكانت له شهرة بين طائفته ومات ٢ جمادى الآخرة سنة ٧٠٧ هـ (٥)

«١» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٦ . «٢» ر : الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٣٤ «٣» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٥ و ج ٢ ص ٢٥٤ . «٤» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٩٩ «٥» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٢ .

٧ - ابو سعد عبد الله بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي . ولد سنة ٦٥٠ تقريباً وسمع الحديث من عم والده فضل الله بن عبد الرزاق ومات في ٧ شوال سنة ٧٠٧ هـ (١)

حوادث سنة ٧٠٨ هـ

(١٣٠٨ م)

في هذه السنة التجأ الى السلطان الجايتو (محمد خدابنده) كل من شمس الدين آق سنقر صاحب حماة وجمال الدين الافرم صاحب حلب و بعض امراء الشام واظهروا له الطاعة فرحب بهم الجايتو وأكرمهم وأعزّهم ومنح لكل واحد منهم مدينة في ايران ليحكم فيها ... (٢)

ولم نجد اثراً لهذا الخبر في ابي الفداء او غيره في حين اننا نرى بعد هذا التاريخ وقائع واوضاع لجمال الدين اقوش الافرم في ابي الفداء ولم يتعرض لهذه الناحية بل نراه نائباً في الكرك في هذه السنة سنة (٧٠٨ هـ) (٣) . الا ان الوقعة التالية تعين حقيقة الاوضاع آنئذ ...

وقعة احمد بن عميرة : (امير الموصل)

ان احمد بن عميرة هو من آل فضل وكان بينه و بين ابن عمه مهنا بن عيسى نزاع . وقد زوج هذا اخته من ثابت بعد ان كان اعطاها لعميرة ... فكانت نتيجة الخلاف بينهما ان التجأ احمد بعد وفاة والده في الحبس الى التتار وكان امير الموصل آنئذ ايليا حميش . وهذا الامير بعد وقعة احمد وانكساره عزل وكان نازلا على الموصل و يحكم في تلك البلاد نيابة عن خربندا . ولما عزله ولى اميراً آخر يقال

«١» الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٠٣ . «٢» تاريخ كزيده . ٣٠ . ج ٤ ص ٥٦ ابا الفداء

له (سوتاي) وكان من امكر المغل واخبثهم وافرسهم . وهذا واقع سورية والحروب في هذا الحين متوالية بين الطرفين وكان احمد مجروحاً فشفي وصار معه ... وجرت حروب دموية قد غلب في آخرتها ...

هذا ما ورد في عقد الجمان وقد فصل القول فيه عن أحمد والتجائه الى خربنده والوقائع الجارية هناك ... والملحوظ أن السياسة العشائرية لعبت دورها في هذا الوقت ، وهذه وان كانت في الحقيقة لا تعد الحروب فيها مع العراق مباشرة ولكنه لا يخلو من علاقة ، والتفاهم غالبا انما يكون مع امراء العراق ... وفي هذه الأيام نرى الاهتمام بالعشائر بالغا حده ومن مراجعة وقائعهم نعلم دخائل السياسة مع المجاورين ودرجة مجاريها ...

وفيات :

١ — توفي شيخ المستنصرية : المعمر عماد الدين ابو البركات اسماعيل ابن الشيخ الزاهد ابي الحسن علي بن البطال (الطبال) الازجي شيخ المستنصرية سمع من عمر ابن كرم وابن القطيعي ، وابن روزبة وجماعة وحدث بالكثير ولم يخلف بالعراق مثله وتفرد ومات ببغداد . (١)

٢ — ابن شامة السواري : الحافظ مفيد مصر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن شامة بن كوكب الطائي السواري الحكمي — وحكم بالفتح قرية من قرى السوار — الحنبلي الحافظ الزاهد . ولد في رجب سنة ٦٦٢ هـ وسمع من احمد ابن ابي الخير وابن ابي عمر وغيرهم ورحل سنة ٨٣ الى مصر وسمع بها من العز الحراني وابن خطيب المزة وغيرهما ، وبالاسكندرية من ابن طرخان وجماعة و ببغداد من

---

(١) عقد الجمان ج ٢١ والشذرات .

ابن الطبال وخلق وباصبهان والبصرة وحلب وواسط عني بهذا الفن وحصل الاصول وكتب العالي والنازل .

قال الحافظ عبد الكريم الجلي : كان اماماً عالماً فاضلا حسن القراءة فصيحاً ، ضابطاً ، متقناً قرأ الكثير وسمع من صغره الى حين وفاته .

قال البرزالي : خالط الفقراء وصارت له اوراد كثيرة وتلاوة واستوطن ديار مصر وتزوج وصارت له بها حظوة وشهرة بالحديث والقراءة وكان معمور الاوقات بالطاعات .

قال الذهبي في معجمه : احد الرحالين والحفاظ والمكثرين ودخل اصبهان طمعاً ان يجد بها رواة فلم يلق شيوخاً ولا طلبة فرجع وكان ثقة صحيح النقل عارفاً بالاسماء من اهل الدين والعبادة .

قال ابن رجب سمع منه البرزالي والذهبي وعبد الكريم الجلي وذكروه في معاجمهم .

توفي يوم الثلاثاء ١٤ ذى القعدة ودفن بالقرافة بالقرب من الشافعي . (١)

٣ — توفيت ييلدوزش خاتون زوجة الجايتو في جمادى الاولى . وجاء في تاريخ گزيده انها ايلدوزش خاتون . (٢)

٤ — عبدالغفار البندنيجي البغدادي :

هو ابن عبد الله بن محمد بن ابي الغنائم بن فضل البندنيجي البغدادي سمع من ابن ابي النجا اللتي . وسمع منه ابو العلاء النجاري وحدث . مات في جمادى الاولى سنة ٧٠٨ .(٣)

«١» شذرات الذهب ج ٦ ص ١٨ . «٢» تاريخ گزيدة ص ٥٩٦ . «٣» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٨٦ وجاء في عقد الجمان انه الشيخ ظهير الدين بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي الفضل . سمع الحديث واقام ببغداد مدة طويلة ... ج ١٩ ،

٥ — علي ابن ابي عفان بن الحسين الخطيبي البغدادي :

هو محي الدين ابو عثمان المعروف بابن شيخ النجل ولد سنة ٦٢٨ (٦٢٧)وسمع من الكاشغري وغيره . ومات في جمادى الآخرة سنة ٧٠٨ هـ . (١)

٦ — محمد بن ابي بكر بن محمد بن عبد الرزاق القزويني ثم البغدادي . حدث ببغداد ومات في شعبان سنة ٧٠٨ . (٢)

حوادث سنة ٧٠٩ هـ

(١٣٠٩ م)

بناء مدينة سلطانية :

١ -- في هذه السنة امر السلطان خدابنده ببناء مدينة سلطانية . (٣)

زوج السلطان :

٢ — وفيها تزوج السلطان خدابنده ملك التتار ببنت الملك المنصور نجم الدين غازي ابن المظفر قر ارسلان الارتقي صاحب ماردين المتوفي سنة ٧١٢ هـ وهو ابن قره ارسلان الارتقي .

عودة احمد بن علي بن عميرة الامير من آل فضل :

كان ممن سار الى بلاد الططر (التتار) وآذى الناس ثم رجع عن ذلك وتاب ودخل الشام بالامان في صفر سنة ٧٠٩ هـ . (٤)

وفيات :

١ — توفي ابو العباس احمد بن طالب الحمامي البغدادى الزانكي المجاور . ن

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٨٤ . «٢» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠٩ «٣» الدرر المكنون . «٤» الدرر الكامنة ج ١ ص ٢١٨ .

زمان بمكة بحيث صار مسندها اخذ عنه ابن مسلم القاضي وشمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية واجاز لابي عبد الله الذهبي وتوفي بمكة في جمادى الآخرة عن بضع وثمانين سنة .

٢ — ابراهيم بن ابي الحسن بن صدقة ابن ابراهيم البغدادي المخرمي ولد سنة ٢٤ وسمع ابا نصر بن عساكر وابن اللتي وابن المقير وغيرهم . اجاز له ابو الوفاء ابن مندة والناصح ابن الحنبلي وجعفر وآخرون وتفرد وروى الكثير وكان حسن الاخلاق يؤم بمسجد و يقرىء الصغار واخذ عنه المزى والبرزالي وابن المحب والسبكي وآخرون . مات في شهر رمضان (١)

٣ - احمد بن ابي طالب بن محمد البغدادي :

هو ابو العباس احمد البغدادي الحمامي نزيل مكة سمع من قرابته الانجب الحمامي وحدث عنه وكان الدباهي يثنى على دينه ومروءته مات بمكة وقد قارب التسعين .

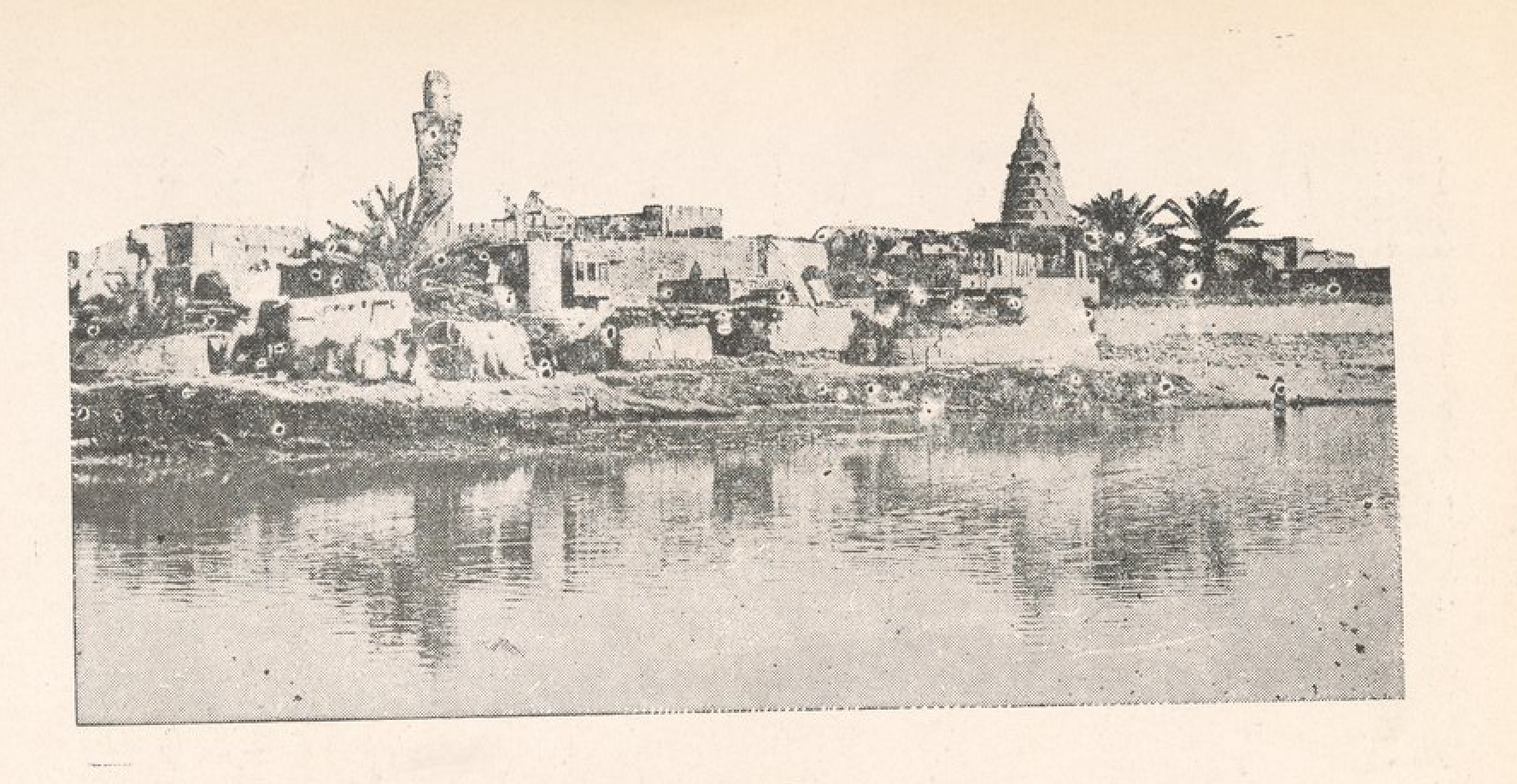
٤ — آذينه التتري (شحنة بغداد) : (اذينا)

كان شحنة بغداد من قبل التتار ، عادلا ، صارما . ولي بغداد فمهدها من المفسدين وقمع من بها من المعتدين وخفف ظلماً كثيراً ، وحمدت سيرته الى ان مات في اوائل سنة ٧٠٩ هـ بناحية الكوفة وكان ديناً حسن الاسلام ، يمشي الى صلاة الجمعة (٢)

٥ — ايرنجن التتري :

النوين خال ابي سعيد كان اتفق مع ابي سعيد على امساك جوبان وقتله فتحيل عليه هو وقرمش ودقماق وجماعة ففطن لهم فهرب فطلبوه وحرجوه فلجأ الى قلعة مرند ثم توجه الى ابي سعيد فدخل عليه ومعه كفنه فقال قتلت رجالي ونهبت اموالي

«١» الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٤ . «٢» الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٤٧ .



١٤ — مشهد ذي الكفل تابع ص ٤١٩

فان كنت تريد قتلي فها انا بين يديك فتبرأ ابو سعيد من ذلك فاستخدم رجالا واوقع بايرنجن ومن معه فانكسر ثم اسر هو وقرمشي ودقماق فعقد لهم مجلس فقالوا ما فعلنا شيئاً الا باذن القآن فانكر ابو سعيد فقال ايرنجن هذا خطك معي فضربه بسيخ (سهم) في فمه فقتله وطيف برأسه وتمكن چوبان واباد اضداده وذلك سنة ٧٠٩ هـ وقتل دقماق وقرمشي . (١)

حوادث سنة ٧١٠ هـ

(١٣١٠ م)

الكيلانيون :

في هذه السنة ذكر الغياثي ان جماعة في ارض كيلان تمردوا وقال ابن خلدون هم الاكراد فجهز عليهم نائبه قتلغ شاه فحاربهم في جبال كيلان فهزموه وقتلوه وولى مكانه الامير چوبان وقد مرّ ذلك في الحوادث الماضية والظاهر انه بعد قتلة قتلغ شاه انتصر عليهم في هذه السنة تأليفاً بين النصوص المختلفة في تواريخها ...

بين الوزيرين :

في هذه السنة حدث بين الوزيرين الخواجة رشيد الدين والخواجة سعد الدين مخالفة فانقلبت الصداقة الى بغضاء فكان الخواجة رشيد الدين يستفيد من كل فرصة ليبغض السلطان على الخواجة سعد الدين الى ان غير طبع السلطان عليه وجعله ينفر منه وبلغ تشنيعه عليه امراً كبيراً حتى انه لم يقف عند هذا الحد وانما لقن السلطان ان جماعته واعوانه ايضا على شاكلته وعلى وفاق معه واتفاق ... وساعده على ذلك علي شاه ...

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٣١ .

وفي عاشر شوال (١) قتل هو ومن معه في بغداد من نوابه امثال الامير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الطري والخواجة زين الدين الماستري والخواجة شهاب الدين مباركشاه السباوي وداود شاه فاستشهدوا في المحول من بغداد جميعا وذلك بفرمان من السلطان بعد ان اجريت محاكمتهم . وصارت الوزارة بعده للخواجة تاج الدين علي شاه التبريزي وهو الوزير الذى انضم الى الوزيرين واتفق مع الخواجة رشيد الدين على خصمه ... وفوضت اليه الوزارة على ان لا يخرج عن امر الخواجة رشيد الدين ولا يتجاوز مرسومه ...

وان علي شاه كان قد عرف مواطن الضعف في الخواجة سعد الدين وذلك ان اعوانه كان قد اعماهم الطمع فساقوا الوزير في الهاوية ولم يقف الامر عند هؤلاء من رجال السوء فان الخواجة سعد الدين كانت له زوجة يقال انها في الاصل يهودية وقد ملكت لبه فلم يستطع مخالفتها ، وكانت تطلب منه امورا هي من جملة اسباب نكبته ... وقد اثنى على سلوكه وحسن سيرته ابو القاسم عبد الله بن محمد القاشاني في تاريخه المعروف بـ (تاريخ الجايتو) وبين مواطن ضعفه في الناحيتين المذكورتين وقد نعت زوجته بانها شيطان في صورة انسان وانها رمته في ورطة ... اما الموظفون عنده فقد عرف حالتهم علي شاه وكشف مخبآت ... فاوجب سقوط الخواجة سعد الدين سقوطاً هائلا ... (٢)

---

(١) في تاريخ الجايتو ان ذلك وقع يوم السبت ١٠ شوال سنة ٧١١ هـ والصحيح ما ذكرناه نقلا عن تاريخ كزيدة فانه عين التاريخ في بيت شعر فارسي « اسلامده تاريخ وهؤرخلر » . (٢) وفي تاريخ الجايتو ما يشم منه رائحة التحامل والحزبية الا ان وضوحه ودقة نظره وحسن التفاته للحقائق من اقرب طريق مما يفيد كثيراً . الّفه في ايام ابي سعيد ومنه نسخة كتبت بالفارسية في مكتبة اياصوفيا وهو خير وثيقة لهذا العصر .

ولكن الامور لم تجر وفق المطلوب وانما اضطربت الحالة وساءت بسبب التقيد الزائد، والاحتياط الكبير فكانت داعية التخوف البليغ ادت الى الخلل العظيم وصار الوزير الجديد يعارض في كل امر ولا يلتفت الى أوامر الخواجة رشيد الدين هذا وان زوجة الخواجة سعد الدين كانت قد اتفقت مع نجيب الدولة من اطباء البلاط وهذا ايضا كان ممن اعتنق الاسلامية وهو في الاصل من اليهود فلعب في ايام الجايتو وابي سعيد هو وامثاله من اليهود الذين قبلوا الاسلامية لمصلحة ادوارا هائلة وكانت تقع على ايديهم وقائع فجيعة كادوا بها يقضون على جميع الوزراء بل قضوا ودمروا الحكومة ...

وعلى كل حال اوضح هذه النواحي القاشاني وفصل ما جرى ...

غلاة الشيعة — مشهد ذي الكفل : (١)

وفي ثالث ذي الحجة من هذه السنة قتل السيد تاج الدين الوحي (٢) وهو من متقدمي رجال الشيعة ورؤسائهم وكان من اهل الغلو العظيم في الرفض فهذا كان قد حرض السلطان الجايتو على هذا المذهب . وقتل ابن السيد تاج الدين وجماعة آخرون بسبب اتفاقهم مع الخواجة سعد الدين فقضي عليهم جميعاً ... وان السيد عماد الدين علاء الملك السمناني قد سمل بسبب ميله الى جانبهم ...

---

١) جاء في كتاب جامع الانوار : تربته فيما بين الحلة والكوفة يزورها المسلمون واهل الكتاب وهي مشهورة معروفة ... وفي كتب التفسير مباحث عديدة عن سبب تسميته وعن عبادته والقصص المحفوظة عنه وهكذا نجد الكثير مسطوراً في تاريخ الانبياء ... وفي تاريخ حمد الله المستوفي المسمى « بنزهة القلوب » ص٢٢ في تاريخ كزيده جاء بلفظ « آوجي » ، وفي عقد الجمان « الاوى »

وفي هذه الوقعة والخلاف بين الوزراء ما يؤيد وجهة نظر كلّ فضاع التدبير في تدارك الخلل وجاء في ابن بطوطه كما في النص المنقول ما يؤيد الحالة والوضع واساسا ان الاوضاع السياسية والحالة الراهنة مضطربة فلا امل في اصلاحها والتنافس بين الوزراء قائم ... (١)

وفي عمدة الطالب ما نصه :

« من بني زيد ابن الداعي السيد الجليل الشهيد تاج الدين ابو الفضل محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن زيد المذكور. كان اول امره واعظاً واعتقده السلطان الجايتو محمد وولاه نقابة نقباء الممالك باسرها العراق والري وخراسان وفارس وسائر ممالكه وعانده الوزير رشيد الدين الطبيب. واصل ذلك ان (مشهد ذي الكفل (ع) بقرية بئر ملاحة على الشط بين الحلة والكوفة واليهود يزورونه ويترددون اليه و يحملون اليه النذور فمنع السيد تاج الدين اليهود من قربه ونصب من صبيحته منبراً واقام فيه جمعة وجماعة فحقد ذلك الرشيد مع ما كان في خاطره منه بجاهه العظيم واختصاصه بالسلطان ، وكان السيد تاج الدين (ابنه) هو المتولي لنقابة العراق وكان فيه ظلم وتغلب فاحقد سادات العراق بافعاله فتوصل الرشيد ...واستمال جماعة...واوقعوا في خاطر السلطان ..فقتلوهم عتواً وتمرداً موافقة لامر الرشيد...وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٧١١ هـ واظهر عوام بغداد والحنابلة التشفي ... » اهـ (٢)

وفيات :

خطيب جامع المنصور وشيخ المستنصرية :

١ — توفي نجم الدين ابو بكر عبد الله بن ابي السعادات ابن منصور بن ابي السعادات

«١» تاريخ كزيده وتاريخ الجايتو . «٢» عمدة الطالب ص ٨٠ وما يليها وهناك تفصيلات .

ابن محمد الانباري ثم البابصري المقرئ خطيب جامع المنصور وشيخ المستنصرية بعد ابن الطبال (وفي عقد الجمان ابن البطال) سمع ابن بهروز والانجب الحمامي واحمد بن المارستاني . ومات ببغداد في رمضان عن اثنتين وثمانين سنة . (١)

٢ — ست الملوك فاطمة بنت علي بن ابي البدر روت كتابي الدارمي وعبد ابن حميد عن ابن بهروز الطبيب وتوفيت ببغداد في ربيع الاول قاله في العبر . (٢)

٣ — محمد بن عمر الحراني ثم البغدادي :

هو الملقن بالجامع الاموي كان عارفاً بالتجويد حسن الاداء مات في شهر رجب سنة ٧١٠ هـ . (٣)

٤ — احمد بن موسى الموصلي :

حنبلي مقرئ نزل دمشق وكان عارفاً بالقراآت اخذ عن عبد الصمد ابن ابي الجيش وغيره . وكان فصيحاً عارفاً توفي سنة ٧١٠ هـ وقد قارب الستين . (٤)

٥ — محمد ابن دانيال بن يوسف المراغي الموصلي :

هو الحكيم شمس الدين الكحال الفاضل الاديب تعانى الآداب ففاق في النظم وسلك طريق ابن حجاج ومزجها بطريقة متأخري المصريين يأتي باشياء مخترعة وصنف طيف الخيال الشاهد له بالمهارة في الفن وله ارجوزة سماها عقود النظام في من ولي مصر من الحكام وكان كثير النوادر والرواية ... (اورد له جملة من الشعر .) مات في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٧١٠ هـ . (٥)

ونعته في عقد الجمان بالحكيم الاديب الخليع ، صاحب النكت الغريبة والنوادر

«١» الشذرات ج ٦ ص ٢٣ . «٢» الدرر الكامنة ج ٦ ص ٢٦٠ . «٣» الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠٦ . «٤» الدرر الكامنه ج ١ ص ٣٢٤ . «٥» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٣٦ .

العجيبة ... كان كثير المجون والخلاعة ، وكان اعجوبة في النوادر والاجوبة ... ولد بالموصل سنة ٦٤٧ هـ ومن شعره !

قد عقلنا والعقل اي وثاق وصبرنا والصبر مرّ المذاق

كل من كان فاضلا كان مثلي فاضلا عند قسمة الارزاق

حوادث سنة ٧١١ هـ

(١٣١١ م)

مدينة سلطانية :

في هذه السنة كملت عمارة مدينة سلطانية (١) وهي بين قزوين وهمدان فنزلها السلطان خدابنده واتخذ بها بيتاً لطيفاً بني بلبن الذهب والفضة وانشىء بازائها بستان فيه اشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص واجري فيه اللبن والعسل انهاراً واسكن فيه الغلمان والجواري تشبيهاً له بالجنة وافحش السلطان في التعرض لحرمات قومه . (٢)

وجاء في عقد الجمان ان السلطان كان قد طلب من تبريز و بغداد صناعاً ومهندسين لعمارتها . والسلطانية هذه هي (قنغرلان) وجعلها عاصمة ملكه ...

قراسنقر و الافرم :

جاء في عقد الجمان ان في هذه السنة توجه الامير قراسنقر المنصوري الى خربندا ملك التتار وكان نائب حلب ، توجه الى الحجاز ومن هناك مال الى العراق ... فتمكنت حكومة المغول من استهوائه واستهواء غيره مثل الافرم ، والعشائر بجلب رؤسائهم ... وقد اطنب في ذلك مما لا نرى الآن محلا الاطالة فيه وانما نلاحظ الاوضاع العشائرية

---

(١) الدر المكنون . (٢) تاريخ الغياثي وتقويم التواريخ .

في مبحث خاص... وعلى كل كانت الحالة تدعو للارتياب وكل واحد من المتجاورين لم يقصر في تدبير و يحاول ربح قضيته ... (١)

تاريخ وصاف : (تجزية الامصار وتزجية الاعصار)

في هذه السنة في شعبان اتم عبد الله بن فضل الله الشيرازي كتابه المعروف بتاريخ (وصاف) وقد مر القول عنه . (٢)

وفيات :

١ — وفاة محمد بن علي الساوجي العجمي وجماعة :

ان محمد العجمي كان من الكبار بالعراق وانشأ ببغداد جامعاً عزم عليه الف الف، غضب عليه خربندا فامر بقتله وقتل الوزير مبارك شاه ويحيى ابن ابراهيم بن صاحب سنجار فقتلوا جميعاً في شوال سنة ٧١١ هـ بسبب ان الشريف تاج الدين رفع عليهم عند خربندا انهم توطؤا على قتله ...(٣) وقد مرّ خبر ذلك .

٢ — سعد الدين مسعود الحارثي :

هو ابن احمد بن مسعود بن زيد الحارثي العراقي . ولد سنة ٦٥٢ هـ وعني بالحديث فسمع من الرضى ابن البرهان والنجيب وعبد الله بن علاق وطبقتهم ، و بدمشق من احمد بن ابي الخير والجمال ابن الصيرفي وابن ابي عمرو ،سمع الكثير واتسعت معارفه في الفن وكان ولي مشيخة الحديث النورية بدمشق ثم تركها ورجع الى مصر . وكان ابوه تاجراً فنشأ هو في رياسة وبزة فاخرة وحرمة وافرة . قال الذهبي وكان رئيساً فصيح الايراد ، عذب العبارة ، قوي المعرفة بالمتون والاسانيد ، صيناً ودرس بالصالحية وجامع طولون ثم ولي القضاء في ربيع الآخر سنة ٧٠٩ هـ بعد موت

(١) عقد الجمان ج ٢١ . ٢٠، وصفه صاحب كاشن خلفاء ورقة ٤٧ ،٣٠ الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠١ .

عبد الغني بن يحيى الحراني من قبل المظفر بيبرس فاستمر الى ان مات وكان متيقظاً ، محتاطاً وقدم الفضلاء من كل طائفة . وكان ابن دقيق ينفر منه لقوله بالجهة ، و يقال انه الذي تعمد اعدام مسودة كتاب الامام لابن دقيق العبد بعد ان كان اكمله فلم يبق منه الا ما كان يبيض في حياة مصنفه ... مات في ١٤ ذى الحجة سنة ٧١١ هـ . (١)

٣ - شيخ الحرامية احمد ابن ابراهيم الواسطي :

ثم الدمشقي الصوفي ولد سنة ٦٥٧ وتفقه على مذهب الشافعي وتعبد وانقطع وكان يرتزق من النسخ وخطه حسن جداً . وله اختصار دلائل النبوة وتسلك به جماعة وكان يحط على الاتحادية . قال الذهبي تفقه وكتب المنسوب وتزهد وتجرد وتعبد وصنف في السلوك وشرح منازل السائرين . وكان منقبضاً عن الناس حافظاً لوقته لا يحب الخوانك تسلك به جماعة وكان ذا ورع واخلاص . وله نظم حسن . مات في شهر ربيع الآخر سنة ٧١١ هـ . (٢)

٤ - مبارك شاه الوزير :

هو وزير خر بندا قتل في شوال سنة ٧١١ هـ وقد مر الكلام عنه في ترجمة محمد بن علي الساوجي . (٣)

٥ - ابن الدباهي البغدادي :

هو محمد بن احمد بن ابي نصر الدباهي البغدادي الحنبلي كان تاجراً ثم ترك وتزهد ولقي المشايخ وتكلم على الناس وقدم دمشق فلازم ابن تيمية قال الذهبي كان

«١» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٤٨ . «٢» الدرر الكامنة ج ١ ص ٩١ .
«٣» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٧٦ .

ذا صدق وتأله وديانة جاور مدة ولقي المشايخ وله مواعظ نافعة وكان ممن يقول الحق وان كان مراً وفيه صفات حميدة مات في شهر ربيع الاول سنة ٧١١ هـ . (١)

حوادث سنة ٧١٢ هـ

(١٣١٢ م)

السلطان الجايتو وسورية :

في شوال سنة ٧١٢ هـ عزم السلطان على الذهاب الى الشام(٢) وافتتح قلعة الرحبة بعد معركة حصلت هناك ورأف بالصلح معهم وفي هذه الاثناء صال على خراسان كبك وميسور من امراء الجغتاي و بعد ان احدثوا اضراراً كبرى عادوا ... وأن السلطان الجايتو لما سمع بذلك سير الامير علي القوشجي بجيش عظيم عليهم لينتقم ومن ثم عبر الفيلق نهر جيحون وخرب انحاء ترمذ وماوراء النهر فأخذ الحيف وعاد الى السلطان وحينئذ نصب السلطان ابنه اميراً على خراسان وجعل الامير سونج معه كأتابك له كما انه انفذ بصحبته أمير أمراء خراسان ... اما أهل ماوراء النهر فانهم قد احدثوا اختلافا بين ميسور وكبك فمال الامير ميسور الى السلطان وابدى له الطاعة ومن ثم لطفه السلطان وكتب له كتابا يناصره فيه اما الامير كبك فقد تأهب لحرب الامير ميسور وقد امد الايرانيون المومأ اليه فكانت النتيجة ان انهزم كبك ... (٣)

وذكر ابو الفداء عن وقعة الرحبة ما يلي :

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٦ . (٢) وكان سبب ذلك ان قره سنقر المنصوري وعز الدين الزردكاش وبلبان الدمشقي والافرم اقاموا بالبرية في ذمام مهنا ابن عيسى ملك العرب ... ثم عبروا الفرات الى خربنده ملك التتر فاحترمهم واقبل عليهم ... » ص ٢٦١ ابن الوردي ج ٢ . (٣) تاريخ كزيده .

« وكان خربندا نازل الرحبة بجموع المغل (المغول) في آخر شعبان من هذه السنة (سنة ٧١٢ هـ) ... واستمر خربندا محاصراً للرحبة وأقام عليها المجانيق واخذ فيها النقوب ومعه قراسنقر والافرم ومن معهما وكانا قد اطمعا خربندا انه ربما يسلم اليه النائب بالرحبة وهو بدر الدين بن اركش الكردي لأن الافرم هو الذي كان قد سعى للمذكور في النيابة بالرحبة فطمع الافرم بسبب تقدم احسانه الى المذكور ان يسلم اليه الرحبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الايمان للسلطان وقام بحفظ القلعة احسن قيام وصبر على الحصار وقاتل اشد قتال .

ولما طال مقام خربندا على الرحبة بجموعه وقع في عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الاقوات وكثر منه المقفزون الى الطاعة الشريفة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيئا ولا وجد خربندا لما اطمعه به قراسنقر والافرم صحة فرحل خربندا عن الرحبة راجعاً على عقبه في ٢٦ رمضان من هذه السنة .. وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها ... » اهـ (١)

وفي ابن الوردي : « ... حاصروها ثلاثة وعشرين يوما ورموها بالمجانيق واخذوا في النقوب ثم اشار رشيد الدولة على خربنده بالعفو عن اهلها وأشار عليهم بالنزول الى خدمة الملك فنزل قاضيها وجماعة وأهدوا لخربندا خمسة افراس وعشرة اباليج سكر نخلعهم على الطاعة له ورحل عنهم ... » اهـ (٢)

وفي عقد الجمان تفصيل عن هذه الوقعة وعن وصول خربندا اليها ورحيله ثم نزوله الموصل ... وعند ذلك جاءته التقدمات والوفود من كل صوب ثم رحل الى تبريز . وهناك جاءه رسول من ملك الترك (ولدي) وطلب منه الحمل لانقطاعه

«١» تاريخ ابي الفداء . «٢» تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦١

لمدة ثلاث سنوات فجمع خربندا المجلس ثم انتظر چوبان فاجابه ليس سوى الحرب وضرب الرسول ضربا مبرحا ...

ومن ملخص الاسباب الصحيحة ان القوم تركوا الحصار لان المغول في ما وراء النهر عاثوا في خراسان وما والاها فلا معنى لبقائهم على حصار الرحبة . وان الصلح وقع لهذا السبب وانسحب الجيش للأمر الاهم ... كما انه التجأ الافرم وقراسنقر الى خدابنده بعد التاريخ الذي بيناه وقد حكى ابن بطوطة ذلك بصور مفصلة قال :

« كان قراسنقر من كبار الامراء وممن حضر قتل الملك الاشراف أخي الملك الناصر وشارك فيه . ولما تمهد الملك للملك الناصر وقرّ به القرار واشتدت اواخي سلطانه جعل يتتبع قتلة اخيه فيقتلهم واحداً واحداً اظهاراً للاخذ بثأر اخيه وخوفا ان يتجاسروا عليه بما تجاسروا على اخيه وكان قراسنقر امير الامراء بحلب فكتب الملك الناصر الى جميع الامراء ان ينفروا بعساكرهم وجعل لهم ميعاداً يكون فيه اجتماعهم بحلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه . فلما فعلوا ذلك خاف قراسنقر على نفسه . وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العسكر صباحاً فاخترقهم واعجزهم سبقاً وكانوا في عشرين الفاً وقصد منزل (امير العرب) مهنا بن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه والقى العمامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا امير العرب وكانت هناك ام الفضل زوج مهنا و بنت عمه فقالت له قد اجرناك واجرنا من معك فقال انما اطلب اولادي ومالي فقالت له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك واتى مهنا فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال انما احب اهلي ومالي الذى تركته بحلب فدعا مهنا باخوته و بنى عمه فشاورهم في امره فمنهم من اجابه الى ما اراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك

الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا اما انا فاقول لهذا الرجل ما يريده واذهب معه الى سلطان العراق . وفي اثناء ذلك ورد عليهم الخبر بان اولاد قراسنقر سيروا على البريد الى مصر فقال مهنـا لقراسنقر اما اولادك فلا حيلة فيهم واما مالك فنجتهد في خلاصه فركب فيمن اطاعه من اهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين الفاً وقصدوا حلب فاحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قراسنقر ومن بقي من اهله ولم يتعدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم امير حمص الافرم ووصلوا الى الملك محمد خدابنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى (قراباغ) وهو ما بين السلطانية وتبريز فاكرم نزلهم واعطى مهنا عراق العرب واعطى قراسنقر مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى (دمشق الصغيرة) واعطى الافرم همذان وأقام عنده مدة مات فيهـا الافرم . وعاد مهنا الى الملك الناصر بعد مواثيق وعهود اخذها منه و بقي قراسنقر على حاله . وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية (١) مرة بعد مرة ومنهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمى بنفسه عليه وهو راكب فيضرب به وقتل بسببه من الفداوية جماعة وكان لا يفارق الدرع ابداً ولا ينام الا في بيت العود والحديد .

«١» هؤلاء من طائفة الاسماعيلية يقيمون في حصون عديدة في سورية منها حصن الكهف وحصن مصياف وحصن العليقة وحصن المينقة وحصن القدموس ولا يدخل على هؤلاء احد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من اعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدو له اعطاه ديته فان سلم بعد تأتى ما يراد منه فهي له وان اصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتله ... اه ابن بطوطة ج ١ ص ٤٣ .

فلما مات السلطان محمد وولى ابنه ابو سعيد وقع ما سنذكره من امر الجوبان كبير امرائه وفرار ولده الدمرطاش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر و بين ابي سعيد واتفقا على ان يبعث ابو سعيد الى الملك الناصر برأس قراسنقر و يبعث اليه الملك النـاصر برأس الدمرطاش فبعث الملك الناصر برأس الدمرطاش الى ابي سعيد فلما وصله أمر بحمل قراسنقر اليه . فلما عرف قراسنقر بذلك اخذ خاتماً كان له مجوفاً في داخله سمٌّ ناقع فنزع فصه وامتص ذلك السم فمات لحينه فعرف ابو سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأسه . » اهـ (١)

امير العرب مهنا بن عيسى :

ان هذا الامير وهو مهنا بن عيسى (٢) لما اعتمد المساعدة من قراسنقر ولغير ذلك من الامور التي استوحشها من سورية كاتب السلطان خربنده ثم اخذ منه اقطاعاً بالعراق مدينة الحلة وغيرها واستمر اقطاعه من السلطان بالشام وهو مدينة سرمين وغيرها على حاله وعامله بالتجـاوز ولم يؤاخذه بما بدا منه وحلف على ذلك مراراً فلم يرجع عما هو عليه وجعل مهنا ولده سليمان منقطعاً الى خدمة خربندة

«١» رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٤٤ . «٢» ساق ابن خلدون نسب عيسى المذكور بانه عيسى بن مهنا بن مانع بن جذيلة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن جصه بن بدر بن سميع فيقفون عند هذا فلا يتجاوزونه في العد ... ونفى انتسـاب هؤلاء الى آل برمك كما يتوهم العوام ويدور على السنتهم ومن هؤلاء آل فضل ينتسبون الى فضل وآل علي الى علي المذكورين ويشاهد طريق اتصالهم ... وجذيلة المذكور في عمود النسب ورد في الدرر الـكامنـة بلفظ حديثة كما في الشذرات وكرر صاحب الدرر الـكامنة هذه اللفظة مراراً ، الدرر الـكامنة ج ٤ ص ٣٥١ و ج ٥ ص ٤٣٦ ابن خلدون و ج ٦ ص ٦ .

ومتردداً اليه واستمر ابنه موسى في صداقة السلطان ومتردداً الى الخدمة واستمر على ذلك باخذ الاقطاعين بالشام والعراق وتصل اليه الرسل من الفريقين وخلعهما وانعامهما وهو مقيم بالبرية يتنقل الى شط الفرات من منازله لا يصل الى احدى الفئتين . وهذا امر لم يعهد مثله ولا جرى نظيره فان كلا من الطائفتين لو اطلعوا على انه يكتب الى الطائفة الاخرى سطراً قتلوه لساعته ولا يمهلونه ساعة ووافق مهنا في ذلك سعادة خارقة . (١)

وقد ذكر ابن بطوطة عن امراء العرب في طريق الحج بين العراق ومكة المكرمة انه كان امير الحج يخشى العربان فلما قرب منهم صار على اهبة من الحرب وصادفوا في هذه الاثناء فياضاً وحياراً ابني الامير مهنا بن عيسى المذكور ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر منهما المحافظة على الحاج والرحال والحوطة لهم واتى العرب بالجمال وانضم فاشترى منهم النـاس ما قدروا عليه ... قال ثم رحلنا ونزلنا بالموضع المعروف بالاجفر ... (٢)

وفي ابن الوردي ان مهنا المذكور توفي (٣) سنة ٧٣٥ وكان قد اناف على الثمانين فاقيم له مأتم ولبس عليه السواد وله معروف من ذلك مارستان جيد بسرمين ولقد احسن برجوعه الى طاعة السلطان قبل وفاته . وكانت وفاته بالقرب من سلمية اهـ . وهو من آل فضل امراء قبيلة طي (٤) وفي صبح الاعشى انهم تشعبوا شعباً كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل مسلم وآل علي . ومن المشهورين من

«١» تاريخ ابي الفداء ج ٤ ص ٧٣ . «٢» رحلة ابن بطوطة ص ١٠٣ . «٣» في الشذرات توفي في ذي القعدة من هذه السنة ومثله في ابن خلدون . «٤» الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون حوادث سنة ٧٣٥ هو ابن خلدون ج ٥ ص ٦٠ .

اولاد مهنا غير من ذكرنا نعير بن حيار بن مهنا المتوفي سنة ٨٠٨ هـ وله ابن اسمه عجل بن نعير توفي سنة ٨١٦ هـ . (١)

وكان لهذه الامارة شأن كبير وصيت ذائع وسلطة واسعة في جزيرة العرب . وستأتي بقية حوادثهم في حينها من ناحية علاقتها بالعراق .

ومن هذا تتعين درجة قدرة هؤلاء الامراء ونفوذهم على العشائر نفوذاً كبيراً ولا يستغرب ان يداريهم الملوك المجاورون في العراق وسورية ويماشونهم في رغباتهم ...

وفي ايام المغول الاولى نظراً لقدرة الحكومة وقوتها لم يذكر للعشائر شأن او لم تعرف لهم مكانتهم وفي عهدها الاخير ضعفت فصارت تلجأ الى السياسة العشائرية او انها لم تشعر بسطوتها آنئذ وطريق الاستفادة منها ... ومن ثم عادت العشائر لميدان السياسة وصار يحسب لها وزنها ...

وفاة هدية البغدادية :

هدية بنت علي ابن عسكر البغدادية : اللبان ابوها ، والهراس جدها الصالحية ولدت سنة ٦٢٦ هـ وروت عن الزبيدي حضوراً وعن ابن اللتي كثيراً وعن جعفر الهمذاني وغيرهم وكانت صالحة ، كثيرة الصلاة تحولت الى القدس الى ان ماتت هناك في جمادى الاولى سنة ٧١٢ هـ . (٢)

صاحب ماردين :

في هذه السنة في ربيع الآخر مات صاحب ماردين الملك المنصور غازى ابن المظفر قره ارسلان الارتقي في عشر السبعين ودولته نحو عشرين سنة وملك بعده ابنه العادل علي فعاش بعده سبعة عشر يوماً ومات فملك اخوه الملك الصالح . (٣)

«١» اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ج ٢ ص ٥٢٧ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٠٤ . «٣» ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦١ والشذرات ص ٣١ .

حوادث سنة ٧١٣ ﻫ

(١٣١٣م)

في الصيد :

في هذه السنة تصيد السلطان خربندا ، وكان الصيد باليد وكان قد صاد صيداً لم يسبقه احد اليه ... وكان خربندا من الفرسان المعدودين ، والابطال المشهورين... بقي اياماً في الصيد بصحراء واسعة ... (١)

الطاعون :

في هذه السنة حدث الطاعون بالعراق خاصة . كذا قاله صاحب الدرّ المكنون في المآثر الماضية من القرون .

محمد بن احمد بن شبل الحريري البغدادي :

مالكي . ولد سنة ٦٤٧ ﻫ واسره التتار صغيراً فنشأ ببغداد وتفقه لمالك وكان كثير الاشتغال والاشغال وافتى ودرس وعرض عليه نيابة الحكم فامتنع وقال : الشهادة اسلم . ومات في شعبان سنة ٧١٣ ﻫ . (٢)

وفيات :

١ — اسماعيل ابن عثمان بن المعلم .

٢ — شمس الدين دوباج سلطان كيلان . مات بقباقب من ناحية تدمر ونقل فدفن بقاسيون وعملت له تربة حسنة وعاش ٥٤ سنة مات في طريقه للحج . وهذا هو الذي رمى قتلغ شاه في حرب كيلان بسهم فقتله وانهزم التتر وهلك قتلغ شاه

«١» عقد الجمان ج ٢١ . «٢» الدرر الكامنه ج ٣ ص ٣١٩ .

على الكفر وهو مقدم التتر في ملحمة شقحب . (١)

٣ — توفي محتشم العراق القدوة شهاب الدين عبد المحمود بن عبد الرحمن ابن ابى جعفر محمد بن الشيخ شهاب الدين السهروردي وخلف نعمة جزيلة وكان عالما واعظا حدث عن جده . وسيمر بنا الكلام عن ولده في حوادث سنة ٧٣٧ . (٢)

٤ — محمد بن محمود بن حسن الموصلي : هو المعمر الصالح الزاهد . كان يقال انه عاش ١٦٠ سنة . مات بمصر سنة ٧١٤ هـ . (٣)

٥ — شمس الدين الجويني محمد ابن الكويك : تاجر مشهور ، له معروف و بر ، وهو عم والد ابي جعفر وابي اليمن المحدثين ولدى عبد اللطيف بن احمد ابن محمود . مات في ٢٨ ذى القعدة سنة ٧١٤ . (٤)

٦ — عبد الله بن علي بن محمد بن محمود الكازروني ثم البغدادي الشافعي الاديب جلال الدين بن ظهير الدين كان جده محمد اصوليا وجد ابيه محمود شيخاً قدوة وولد الجلال سنة ٥١ وتفقه واشتغل وكان لغويا اديباً بارع الخط يكتب بالكوفي ويذهب وسمع اباه وعبد الصمد بن ابي الجيش وكان الى حسن تذهيبه المنتهى وكان متصوناً خيراً حلو المحاضرة وكف بصره في الآخر توفي بخانقاه الطاحون في رمضان سنة ٧١٤ (٥)

وقال في عقد الجمان ، « البغدادي الكاتب ، مات بدمشق ودفن بمقابر الصوفية ، وكان له دكان بالجسر باللبادين و يذهب المصاحف والهيا كل ، وعنده

«١» تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٣ والدر المكنون وكتاب دول الاسلام ج ٢ ص ١٧٠ . «٢» الشذرات ج ٦ ص ٣٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٣ .
«٣» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٥١ . «٤» كذا ص ٢٥٢ . «٥» كذا ج ٢ ص ٢٨٠

ادب واضر في آخر عمره ورتب صوفياً بخانقاه الطاحون وكان ابوه من عدول بغداد وأكابرها ...

ومن شعره :

قال لي صاحبي وقد بان شيبي بعذاري وبان مني شبابي

هصر الشيب منك غصناً نضيرا متسراً يانعاً فلذ بالخضاب

قلت ان الشباب مع صدقه خان فماذا يرجى من الكذاب» اه(١)

حوادث سنة ٧١٥ ه

(١٣١٥ م)

الملك الصالح :

في هذه السنة سار الملك الصالح واسمه صالح ابن الملك المنصور غازي ابن الملك المظفر قرا ارسلان صاحب ماردين الى خدمة خربندة ملك التتر بالتقادم على عادة والده فاحسن اليه خربنده . ثم عاد الملك الصالح المذكور الى ماردين في جمادى الآخرة من هذه السنة (٢) .

جمال الدين آقوش :

وفي هذه السنة افرج السلطان عن جمال الدين اقوش الذي كان نائباً بالكرك ثم صار نائباً بدمشق واحسن اليه واعلى منزلته . (٣)

وجاء في الدرر الكامنة انه تقلب مناصب عديدة في سورية ثم عمل الناصر على امساكه ففر الى ابن عيسى ثم الى خربنده ملك التتار فانعم عليه بامرة همذان

«١» عقد الجمان ج ٢١ . «٢» ابو الفداء ج ٤ ص ٧٩ . «٣» ابو الفداء ج ٤ ص ٧٩ .

فاقام بها وترددت اليه الفداوية مرات فلم يقدروا عليه الى ان مات وقد اصابه الفالج بعد سنة ٧٢٠ وكان فارساً بطلا عاقلا جواداً يحب الصيد وكان خليقاً للملك لما فيه من المهابة والحماية وكان خبيراً عديم الشر والاذى يكره الظلم وكان يعاشر اهل العلم ... (١)

قراسنقر :

وفيها : وصل قراسنقر الى بغداد في رمضان هذه السنة وتقدم مرسوم الى التتر الذين ببغداد وديار بكر وتلك الاطراف بالركوب مع قراسنقر اذا قصد الاغارة على بلاد الشام وكان خربندة مقيما بجهة موغان واقام قراسنقر وقدم عليه بها فداوي وسلم قراسنقر .

وفي مستهل المحرم سنة ٧١٦ توجه قراسنقر من بغداد الى جهة خربنده .

غارة امير العرب :

وفي اواخر ذي القعدة اغار سليمان بن مهنا بن عيسى بجماعة من التتر والعرب على التركمان (٢) والعرب النازلين قرب تدمر ونهبهم واخذ لهم اغناماً كثيرة ووصل في اغارته الى قرب ابيضا بين القريتين وتدمر وعاد بما غنمه الى الشرق وكثيراً ما كان يستعان بهؤلاء العشائر للتشويش وتوليد الاضطراب في الجهة المقابلة او المعادية لهم ...

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٩٨ (٢) قبائل التركمان كثيرة ويجمعهم العرب على تراكمة واما ابو الفداء فانه جمعهم على تراكمين ... وتكلمنا عن عشائر التركمان في تاريخ عشائر العراق عند ذكر — قبيلة البيات — .

آل مرا :

الى هذه السنة يسكنون سورية وان رئيسهم نجاد ابن احمد بن حجى بن زيد ابن شبل امير آل مرا قد توفي وكانت وفاته في آخر هذه السنة . واستقر بعده في امرة آل مرا ثابت بن عساف بن احمد بن حجى المذكور وبقي ثابت المذكور وتوبة بن سليمان بن احمد يتنازعان في الامرة . (١)

ولهؤلاء تنسب الوقعة المعروفة (بذبحة المرا) وهم فرقة من طي والامارة كانت فيهم فانتزعها آل فضل من طيء ايضاً . (٢)

وفيات :

١ - كمال الدين موسى قاضي الموصل :

في هذه السنة في جمادى الاولى توفى موسى ابن محمد بن موسى بن يونس الاربلي القاضي كمال الدين (جمال الدين) ابن الرضى بن يونس تفقه ببلاده وولي قضاء الموصل وهو من بيت كبير وكان فاضلا علامة ٠ وحضر رسولا إلى الناصر من عند غازان ومعه جماعة في معنى الصلح فقرئ الكتاب وخطب خطبة بليغة وهو قائم بحضرة الناصر فاكرم واعيد جوابه وجهز صحبته عماد الدين على ابن السكري خطيب الجامع الحاكي ٠٠٠ (٣)

٢ - الحسن ابن محمد بن شرف شاه الحسيني :

الاستراباذي ركن الدين عالم الموصل كان من كبار تلامذة النصير الطوسي وكان مبجلا عند التتار ، وجيهاً متواضعاً حليما ٠٠٠ تخرج به جماعة من الفضلاء وله شرح المختصر والمقدمتين جميع ذلك لابن الحاجب وشرح الحاوي شرحين ٠ مات سنة

«١» ابو الفداء ج ٤ ص ٨٠ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٠ . «٣» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨١ وعقد الجمان ج ٢٢ وزاد وتولى قضاء الموصل بعده ولده ولم يسمه ...

٧١٥ هـ وكان من ابناء السبعين . (١)

٣ — سنجر البغدادي :

هو مجد الدين الطبيب البغدادي غلام ابن الصباغ . كان ماهراً في صناعة الطب وولي المستنصرية ببغداد وغير ذلك ومات في اوائل شعبان سنة ٧١٥ هـ . (٢)

٤ — عبد الله ابن ابراهيم بن سالم البغدادي :

ثم المصري . سمع على الشمس بن العماد الحنبلي وحدث . مات في ١٢ صفر سنة ٧١٥ هـ . (٣)

٥ — الامام الشيخ اصيل الدين الحسن بن الامام نصير الدين محمد بن محمد بن محمد الطوسي البغدادي عالي الهمة ، كبير القدر في دولة غازان . وصل مع غازان الى الشام ورجع معه الى بلاده ، ولما تولى خر بندا ووزر تاج الدين علي شاه قرب اصيل الدين اليه حتى ارضاه فولاه نيابة السلطنة ببغداد ، ثم عزل وصودر . وكان كريماً ، رئيساً ، منجما ، عارفاً ، وكان له فهم ونظر في الاشعار ، وصنف كتباً كثيرة ، وكان فيه خير وشر ، وظلم وجور . مات ببغداد . (٤)

* * *

«١» كتاب دول الاسلام ج ٢ ص ١٧١ وانتهت حوادثه في سنة ٧١٥ هـ ويليه الذيل المذكور . والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧ وعقد الجمان ج ٢٢ وفيه تفصيل عن ترجمته وجاء في ابن الوردي وفي الدر المكنون انه توفي في السنة التالية ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٣ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧٣ . «٣» الدرر ج ٢ ص ٢٣٩ . «٤» عقد الجمان ج ٢٢ .

حوادث سنة ٧١٦ هـ

(١٣١٦ م)

عزل الوزير تاج الدين علي شاه :

لما قضي على الوزير سعد الدين نال الوزارة تاج الدين علي شاه وقد اشترط ان لا يخرج عن رأي الوزير الخواجة رشيد الدين ... وكان المأمول ان يتم الصفاء بين هذين الوزيرين فقد خلا الجو لهما ونجا كلاهما من اكبر عدو، مزاحم لهما ... الا ان الحوادث الماضية بعد قتلة سعد الدين برهنت على ان تاج الدين علي شاه لم يكن قد تخلص من سلفه الا لامر الوقيعة بالآخر وليخلو له الامر ويستقل بالادارة ... فالحرص يبلغ بالمرء اكثر من هذا ولم تقف الآمال عند حد محدود فصار يعادي متفقه بالامس وينصب له الحيل والخدع للوقيعة ، ويتوسل بانواع الوسائل للوصول الى غرضه ...

وكذا زوجة المقتول سعد الدين لم تقف عند المصاب وانما كانت تتحين الفرص وتترقب حصول الخلل لتثأر من الوزير الخواجة رشيد الدين كما اشير الى ذلك فيما مر واستخدمت كل ما في وسعها بجد ونشاط ويقال هي في الاصل يهودية وامرأة فتانة فلم تدع طريقاً الا ولجته . وكان جل معولها ان ترى ما يحدث بين الوزراء من برودة او نفرة ، او تصادم في المطالب واختلاف في الاهواء ... وكانت تستعين بامرئ آخر كان يهودياً فاسلم وهو احد اطباء البلاط نجيب الدولة ... فكانوا جميعاً يسعون في ان يشعلوا الجذوة ويزيدوا في الفتنة ... واساساً نرى تاريخ المغول مملوءاً من حوادث الخدع وغالبها ينسب الى اليهود وتسويلاتهم والاعيبهم في هذه الحكومة باطناً وظاهراً سواء في ايام الجايتو او في زمن ابنه ابي سعيد فقد كان

نفوذهم واسع النطاق جداً ...

ويقال ان الخواجة رشيد الدين كان قد استخدمهم لصالحه في بادئ الامر ونكل بخصومه الاولين وقضى بهم لوازمة فكانوا القاضية عليه لحد ان بعضهم نظراً لاستخدامه لهؤلاء اليهود واعتماده عليهم في اموره ... عده منهم واعتبره يهودي الأصل ... وهكذا وجدنا في ابن بطوطة ما يؤيد هذه الفكرة واخذ بتيارها وكان آنئذ اعداؤه القابضين على زمام الامور (أصحاب الحكامة) فقد قال انه من مهاجرة اليهود . (١)

وعلى كل حال ان تاج الدين نصب نفسه لمخالفة الخواجة رشيد الدين ومعارضته وعلى ما جاء في حبيب السير انه لم يبق له سلطة رغم ما بذل الخواجة له من المساعي والمناصرة ... فلما رأى الوزير رشيد الدين ان قد عادت الوسائل لا تنجع وان الامور قد اضطربت وانحل ما بينهما ... شكاه للسلطان ومن ثم صدر الامر بعزله وذلك في سنة ٧١٥ هـ فعزل الا انه لم تدم مدة عزله فاعيد بعد قليل الى الوزارة وايضاً عاد الخلاف بل زاد فاراد السلطان ان يؤلف بينهما وفرق الوظائف بين الاثنين وعين لكل ما يجب ان يقوم به فجعل الوزارة مشتركة فكانت الادارة للخواجة والمالية للآخر ... فاستعاد نفوذه رغم قوة خصومه امثال طوقماق والوزير رشيد الدين ... وهذه ايضاً كانت من اكبر الغوائل التي مرت على الخواجة وكم كان يتمنى لو قبل استعفاؤه وعاش منزوياً ومجرداً عن كل ما ملك ...!

وعلى كل لم ينته الخلاف بعودته ولازال تاج الدين علي شاه مخالفاً الوزير رشيد الدين ولا يلتفت الى اقواله وانما يعمل الاعمال من تلقاء نفسه ... ودام ذلك ما بينهما الى ايام وفاة الجايتو خان (محمد خدابنده) .

---

(١) تحفة النظار ج ١ ص ١٣٧ .

وفيات :

١ — محمود الاصم : ابن محمد بن محمد بن عبد المؤمن المدايني البغدادي ثم الصالحي سبط الشيخ ابي عمرو . سمع على احمد ابن المفرج (فوج) والبلخي والمرسي وغيرهم واجاز له احمد بن يعقوب المرستاني وابراهيم بن عثمان الكاشغري وابن القبيطي وغيرهم . مات في ٢٦ شعبان سنة ٧١٦ هـ . (١)

امراء العرب في سورية :

في ٢٢ ربيع الاول من هذه السنة وصل الى حماة من ديار مصر الامير بهاء الدين ارسلان الدواداري واوقع الوصية على اخبار آل عيسى . ثم استقرت الوصية على خبر مهنا ومحمد ابني عيسى واحمد وفياض ابني مهنا المذكور ... وسار الى مهنا واجتمع به على مربعة وهي منزلة تكون يوماً تقريباً من السخنة يوم الاثنين سلخ ربيع الاول من السنه المذكورة وتحدث معه في انقطاعه عن التتر ولم ينتظم حاله فعاد الامير بهاء الدين المذكور الى دمشق ثم عاد الى موسى ابن مهنا بالقرب من سلمية ثم عاد الى دمشق وتوجه هو وفضل ابن عيسى الى الابواب الشريفة واستقر فضل اميراً موضع اخيه مهنا ووصل الى بيوته بتل اعدا في اوائل جمادى الاولى من هذه السنة . (٢)

ومن هذه الحادثة تعرف درجة الاهتمام بالعرب والخوف من ان يميلوا مع التتر . وقد ادرك سلاطين التتر هذه الجهة وسبقوا بها امراء سورية في تقريب هؤلاء العشائر خوف أن تتولد امور تؤدي الى مالا يحمد ...

« ١ » الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٨ . « ٢ » ابو الفداء ج ٤ ص ٨١ .

شريف مكة في العراق :

وفي هذه السنة قصد حميضة ابن ابي نمي خر بندا مستنصراً في اعادته الى ملك مكة ودفع اخيه رميثة فجرد خر بندا مع حميضة الدرفندي (١) وهو النائب على البصرة وجرد معه جماعة من التتر وعرب خفاجة(٢) ...

وقد جاء عن عرب خفاجة هؤلاء في ابن بطوطة انهم كانت بيدهم سلطة الكوفة والانحاء المجاورة لها هناك ... (ص ج ١ منها) ولا تزال مواطنهم حتى الآن قريبة من تلك الانحاء اي القسم الكبير منهم في لواء المنتفق .

وكان والدهما الشريف ابو نمي محمد بن ابي سعد حسن بن علي بن قتادة بن ادريس ابن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن الحسن ابن عليّ (رضي الله عنهم) قد توفي سنة ٧٠١ هـ واختلفت اولاده وتنازعت السلطة وهم رميثة وحميضة وابو الغيث وعطيفة وكان النزاع على امارة مكة قائماً وتدخلات الحكومة المصرية مستمرة واول علاقة للعراق بهم من ناحية التدخل في الامارة الوقعة السابقة ... (٣) وكان والدهم توفي وهو من ابناء السبعين . قال الذهبي كان اسمر ضخماً شجاعاً سايساً مهيباً ولي ٤٠ سنة قال لي الدباهي لولا انه زيدي لصلح للخلافة لحسن صفاته ... (٤)

وفي عقد الجمان :

« كان حميضة قد التجأ الى خر بندا وطلب منه جيشاً يغزو به مكة وساعده جماعة من الروافض وكان قد عين مقدماً اسمه الدلقندي وعين معه اربعة آلاف فارس ، وعولوا انهم اذا ملكوا مكة يروحون الى المدينة و يتعرضون الى نبش قبر ابي بكر

«١» سيأتي الكلام عن الدرفندي فقد جاء « الدلقندي » . «٢» ابو الفداء ج ٤ ص ٨٣ . «٣» ابو الفداء ج ٤ ص ٤٩ . «٤» الشذرات ص ٢ ج ٦ .

وعمر (رض) وشاع ذلك ، واغتم اهل السنة ، وان الامير محمداً بن عيسى اخا مهنا جمع عسكراً من العربان وقصد المقدم المذكور وكبسه فكسر عسكره ونهبهم وشتت شملهم وذلك في ذى الحجة واخذ الفوس والمعاول التي كانوا هيأوها لنبش الشيخين » اهـ .

وزاد ان الفاطمية ايام الحاكم حاولوا نقل نعش الرسول ﷺ فلم يفلحوا كذا روى عن تاريخ بغداد في ترجمة ابي القاسم عبد الحليم بن محمد المغربي الزاهد ...(١)

وفاة السلطان محمد خدابنده

(الجايتو) في غرة شوال سنة ٧١٦ هـ

وفاة السلطان :

جاء في ابي الفداء انه توفي في السابع والعشرين من رمضان وفي تاريخ كزيدة في غرة شوال سنة ٧١٦ هـ وانه توفي بمرض الهيضة في آخر رمضان كما في الشذرات . وقد اتهم الخواجة رشيد الدين وزيره بقتله لكونه اعطاه على هيضته مسهلا فتقيأ فخارت قواه ... (٢)

ترجمته :

اصل اسمه الجايتو وقد مرّ من الوقائع السابقة ما يبصر بترجمته ... جلس في ١٥ ذى الحجة سنة ٧٠٣ هـ وكان يخشى من ابن عمه الافرنك امير هور قوراق (هورقودان) ... (٣) ومن حين استقراره في السلطنة سعى لاذاعة الاسلامية في

«١» عقد الجمان ج ٢٢ . «٢» الشذرات ج ٦ ص ٤٥ في ترجمة رشيد الدين فضل الله الوزير . «٣» ورد اللفظ في تاريخ محمود كتبي المخطوط وعندي نسخة منه قديمة وعليها المعول في اكثر الالفاظ نظراً لقدمها وان كانت مخرومة الاول والآخر ...

المغول فصاروا يدخلون افواجاً وجعل لليهود والنصارى غياراً (خالف لباسهم) ...

واما حروبه الداخلية والخارجية فقد اشير اليها وعلاقته مع مصر قد اوضحت كما ان عماراته قد مضى الكلام عليها ...

واهم ما في الامر ان نائبه كان الامير جوبان وذلك بعد قتلة قتلغ شاه . واما وزيره فهو الخواجة رشيد الدين واشرك معه الخواجة سعد الدين . وهذا قتل فصار مكانه تاج الدين علي شاه وقد داخلت هؤلاء الوزراء منافسات واصاب كلا الحرص للقضاء على الآخر واستفادة من هذا الخلاف لعب اليهود او من كان يهودياً ادواراً هامة فصار كل يستخدمهم للوقيعة بصاحبه ومن هؤلاء الذين كانوا يهوداً زوجة الخواجة سعد الدين فلم تدخر وسعاً للاستفادة من الخلاف والانتقام لزوجها من الخواجة رشيد الدين ... واما هذا فقد استعان بهم بكثرة ... وهكذا يقال عن طبيب البلاط نجيب الدولة الذي ركنت اليه زوجة الخواجة سعد الدين ... ومن ثم عزل تاج الدين علي شاه عام ٧١٥ هـ ولم تطل مدة نكبته فاعيد وقد امر السلطان في تفريق المهام بين الوزيرين وان لا يقطع علي شاه امراً دون مشاورة الخواجة رشيد الدين ومع هذا لم يحصل اتفاق ودام خلافهم الى ان توفي السلطان ...

ودفن في دار الملك (١) في المحل المعد له وهو (ابواب البر) وكان بناه لهذا السبب . (٢)

والعراق في هذه الايام استفاد من استقرار الادارة وجريان الامور على وتيرة واحدة اي انه عرف ما يؤخذ منه في كل سنة وما عليه من الضرائب فصار يؤديها... ولا تضره التبدلات الادارية ...

«١» وهي السلطانية وكانت تسمى ارضها قديماً بقعة « قنغرلان » « ابو الفداء ج ٤ ص ٨٣ » . «٢» « تاريخ كزيدة واسلامده تاريخ ومؤرخلر » .

وجاء في الدرر الكامنة عنه انه ولد سنة نيف وسبعين وكان جميل الوجه الا انه اعور وكان حسن الاسلام لكن لعبت بعقله الامامية فترفض ... وحاصر الرحبة سنة ٧١٢ هـ ... (١)

وفي ابن الوردي :

« وفيها — سنة ٧١٦ هـ — وصلت الاخبار بموت خربندة واسمه خدابنده محمد ابن ارغون ... ملك العراق وخراسان وعراق العجم والروم واذربيجان والبلاد الارانية وديار بكر وجاوز الثلاثين من العمر وكان مغرى باللهو والسكر والعمارة اقام سنة في اول ملكه سنياً ثم ترفض الى ان مات وجرت فتن في بلاده بسبب ذلك ودفن في مدينته التي انشأها السلطانية الغياثية . » اهـ (٢)

وقد ترجمه صاحب عقد الجمان بترجمة مفصلة قال :

« في هذه السنة — ٧١٦ هـ — توفي خربندا ولقبه السلطان غياث الدين ... ولما اسلم تسمى بمحمد ولهذا سمى اولاده باسماء المشايخ . (٣) واسمه الاصلي الذي هو بلغة المغل فهو (ابجيتو) او (انجيتو) . وكان اول حكومته اظهر الاسلام ، واقتدى بالكتاب والسنة ، وكان يحب اهل الدين والصلاح ، وضرب على الدراهم والدنانير اسماء الصحابة الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رض) و بقي كذلك مدة طويلة ، ثم اجتمع به السيد تاج الدين الاوي (٤) فحرفه عن مذهب اهل السنة وصيره رافضياً ، وسير الى سائر ممالكه يأمرهم ان لا يذكروا في خطبهم

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧٩ . (٢) تاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٣) احد اولاده اسمه ابا يزيد وقد توفي سنة ٧٠٩ هـ ، والآخر اسمه بسطام كذا جاء في عقد الجمان ج ٢١ . (٤) وفي وصاف جاء بهذا اللفظ وهو المشهور والمعروف .

الا اسم عليّ وولديه (رض) ، فوقع بسبب ذلك في مملكته حروب وفتن ملك فيها طوائف كثيرة وثارت احقاد قديمة ، وضرب على الدنانير والدراهم اسماء الائمة الاثني عشر ، وبقي على مذهب الروافض مدة تسع سنين . فلما كانت سنة وفاته رجع الى مذهب اهل السنة وكتب الى سائر ممالكه بذلك . قال النويري : وكان خربندا قبل موته بسبعة ايام قد امر باشهار النداء ان لا يذكر ابو بكر وعمر (رض) وعزم على تجريد ثلاثة آلاف فارس الى المدينة النبوية لينقل ابو بكر وعمر (رض) من مدفنهما فعجل الله بهلاكه . والصحيح ما قاله غير النويري .

وكان خربندا كثير العبث بالغلمان الحسان وبالطرب ، وبلغ من شدة ميله الى الصور الحسان انه كان اي من رآها من محارمه واعجبته تزوجها ، واي من سمع بها اخذها من زوجها ، واي من سمع به من اولاد الناس اخذه ، يفعل ذلك في سائر بلاده طوعاً ، او كرهاً ، ويتمتع ، وكان يحب افعال المصارعين ، والملاكمين ، ويلعب بالقرد ، او الدب ، ومن يتمسخر ، وكان كريماً جداً يصنع له كل يوم اربعمائة بندقية من الذهب يرمى بها على الناس بقوس البندق فاي من اصاب منها شيئاً انتفع به .

وذكر حسن الاربلي ان خربندا بنى في دار المملكة بالمدينة السلطانية بيتاً لطيفاً وسماه الجنة (١) ، اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة وطول هذا البيت خمسة اذرع بذراع النجار وعرضه ايضاً كذلك ، والارتفاع عشرة ، وطول اللبنة شبراً ، وعرضها اصبعان ، واجرى في وسطه اربعة انهار ، نهر من لبن . ونهر من عسل ،

«١» في وصاف سماه « الفردوس » ، وجاء فيه ان السلطان استدعى من بغداد اربعة آلاف من الصناع ارباب الصنايع البديعة ، والاعمال الدقيقة فذهبوا باهليهم واستخدمهم للتعمير — ج ٤ ص ٥٤١ — .

ونهر من خمر ، ونهر من ماء ، وجعل فيه خمسة اشجار ، طول كل شجرة ثلاثة اذرع ، مصنوعة هي وثمارها ، اصلها من ذهب وثمارها من نفيس الجواهر واللؤلؤ الكبار ، وجعل في هذا القصر من البنات الحسان ، المختارات من سائر مملكة المغل اثنتين واربعين بنتاً ، واضاف اليهن من الغلمان الفائقين في الجمال اثنين واربعين غلاماً ، وكان يلبسهم القماش الرفيع الخاص ، ويأمرهم فيلعبون بين يديه بالنرد والشطرنج ، وتارة يتصارعون ، وتارة يرمون بالنشاب ، وتارة يسبحون ، وتارة يتهارشون ، ويقبل بعضهم بعضاً ، وتارة يغنون بين يديه بانواع الملاهي ، ويرقصون رقصاً عجيباً ، فمن اعجبه منهم في شيء من هذه الحالات جذبه اليه ، وقضى منه وطره .

مات في ٢٠ رمضان هذه السنة (٧١٦ هـ) بمدينة السلطانية في ارض قنغرلان بالقرب من قزوين ، وقيل انه مات مسموماً ، وان الذي اغتاله شخص من امرائه يسمى دقماق وان الباعث له على ذلك انه بلغه ان خربندا تعشق امرأته وتولع بها ، وغير بذلك بعض خداشينه فاتفق مع امرأته على اغتياله بسم وبه كان مماته ، وعرف بذلك الكبرك .

ولما جلس ابنه ابو سعيد بعده اعدموه بما كان منهما فقتلها ، وكانت مدة ملكه ١٤ سنة ولما مات عمره (٣٢) سنة تقريباً ، وقيل ان خربندا حين مات راسل جوبان الملك ازبك ملك البلاد الشمالية يحسن له التوجه اليه ليتسلم الملك فأبى . » اهـ (١)

وفيات :

الطوفي البغدادي : وفي هذه السنة توفي نجم الدين ابو الربيع سليمان ابن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري ثم البغدادي الحنبلي الاصولي المتفنن ولد سنة بضع وستين وستمائة بقرية طوفا من اعمال صرصر ثم

«١» عقد الجمان ج ٢٢ .

دخل بغداد سنة ٦٩١ هـ وقرأ العلوم وسمع الحديث وسافر الى دمشق سنة ٧٠٤ ولقي ابن تيمية والمزي والبرزالي . ثم سافر الى مصر سنة ٧٠٥ هـ واقام بالقاهرة مدة وصنف تصانيف كثيرة منها الاكسير في قواعد التفسير . والرياض النواظر في الاشباه والنظائر ، و بغية الواصل الى معرفة الفواصل وشرح مقامات الحريري في مجلدات وغير ذلك وكان شيعياً وصنف كتاباً سماه الفراط الواصب ، على ارواح النواصب ، وله من قصيدة في الامام علي (رض) :

كم بين من شك في خلافته　　　و بين من قيل انه الله (١)

حوادث سنة ٧١٧ هـ

(١٣١٧ م)

السلطان ابو سعيد بهادر خان

سلطنة ابي سعيد :

لما مات السلطان الجايتو (محمد خدابنده) ولي بعده ابنه ابو سعيد بهادرخان وهو ابن عشر سنين (٢) واستولى على الادارة الامير چوبان بن الملك تناوين وكان السلطان ملكا فاضلا كريماً ولما ملك كان شاباً اجمل خلق الله صورة لا نبات بعارضيه ... (٣) ومدة صباه لم يحصل له من السلطان الا الاسم والسكة والخطبة... فكان الآمر الناهي الامير چوبان واولاده ونوابه ... وكان حين وفاة والده جاء من خراسان الى السلطانية هو والامير سونج و بحكم وصية والده اجلس على سرير الملك في صفر سنة ٧١٧ هـ .

«١» الشذرات ج ٦ ص ٤٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ١٥٤ . «٢» . وفي تاريخ كزيدة انه كان ابن اثنتي عشرة سنة . «٣» . ابن بطوطة .

دعي الى السلطانية وكان هذا التردد في تأخير اعلان سلطنته ناشئاً من الاختلاف على تعهد الوصاية عليه والنزاع في النيابة عنه بين الامير سونج، بين الامير چوبان . فتأخر جلوسه لذلك . ثم انهم اتفقوا واخرجوا استقطالو عنهم وجهزوه الى خراسان وكان قد تحرك على خراسان التتر الذين بخوارزم وما وراء النهر وقيل ان ملكهم ياشو . (١)

وجاء في عقد الجمان نقلا عن بيبرس في تاريخه : « لما توفي خربندا ارسل الامراء والاكابر الى ولده الاكبر المسمى بابي سعيد فاحضروه واجلسوه على تخت مملكة ابيه في ١٣ ربيع الاول سنة ٧١٧ هـ وهو مشتغل بالكتاب والسنة فان والده عدل عن آراء الكفار وترك اسماء التتار واسمى اولاده باسماء الصالحين ... اهـ(٢)

وفي الحقيقة لم ينل السلطنة الا بعد قضائه على الامير چوبان واولاده ومن ثم ولي زمام الامور وصار يدبر شئون المملكة مباشرة كما سيأتي مفصلا في الوقائع التالية ...

شريف مكة والبصرة :

جاء في عقد الجمان عن هذه الوقعة ما مر بيانه في حوادث سنة ٧١٦ هـ وجاء في ابي الفداء عنها وعن ذيولها ما نصه :

« كان السلطان خدابنده قد جهز حميضة وجهز معه الدرفندي (الدلقندي) نائب السلطنة بالبصرة وجهز معه عسكراً وخزانة ليسير الدرفندي بالعسكر مع حميضة ليملكه مكة المكرمة بدل اخيه رميثة فسار الدرفندي وحميضة ومن معهما من عسكر التتر والعرب حتى جاوزوا البصرة فبلغهم موت السلطان خدابنده فتفرقت تلك الجموع ولم يبق مع الدرفندي غير ثلثمائة من التتر وار بعمائة من عقيل عرب

«١» ابو الفداء ج ٤ ص ٨٤ وتاريخ كزيده . «٢» عقد الجمان ج ٢٢ .

البصرة . وكان استولى على البصرة ابن السوابكي فارسل استوحى محمد ابن عيسى على الدرفندي فجمع محمد بن عيسى عربه من خفاجة وعرب اخوته واولاد اخوته وسار الى الدرفندي فاحرز له بالقرب من البصرة واتقع معه في العشر الاخير من ذى الحجة من سنة ٧١٦ هـ فانهزم الدرفندي في بضع وثلاثين نفساً من الزامه وانهزم حميضة برقبته واخذ حريم حميضة وما كان معه من الاموال وكذلك الخيام والاثقال والجمال وكان ذلك شيئاً عظيما وفيها هرب التركمان (التراكمة) والكنجاوية الى حكومة سورية وفارقوا التتر فسارت التتر في طلبهم فانجد الكنجاوية بين عسكر البيرة واتقعوا مع التتر فانهزم التتر هزيمة قبيحة واسر منهم نحو خمسين من المغول وقتل منهم جماعة ووصل الكنجاوية الى سورية سالمين بذواتهم وحريمهم(١)...» اهـ

التتار — الشام :

في اواخر شعبان هذه السنة قطع جماعة من التتار الفرات الى جهة الشام وفي ٦ رمضان وصل منهم طاطي ومعه جماعة الى دمشق ومنها ذهبوا الى مصر . (٢)

محمد بن عيسى :

وفي هذه السنة ايضاً التجأ محمد اخو مهنا بن عيسى مخبراً باستمرار اخيه على الطاعة، وانه لم يقم ببلاد الشرق فرد السلطان (سلطان سورية) عليه امرته ... (٣)

وهذه لا تخلو من علاقة بما مر ... ونرى الامور مضطربة بين سورية والعراق فلم تستقر ولذا نجد الاشاعات بالغة حدها ...

«١» ابو الفداء ج ٤ ص ٨٤ . «٢» عقد الجمان ج ٢٢ . «٣» عقد الجمان ج ٢٢ .

وفيات :

١ — ابن قاضي الموصل : في هذه السنة — وقال ابن شهبة في التي قبلها — توفي يوسف ابن محمد بن موسى بن يونس بن منعة كمال الدين ابو المعالي بن بهاء الدين بن كمال الدين بن رضي الدين بن قاضي الموصل . انتهت اليه رياسة اقليمه وشرح الحاوي وقدم رسولا من غازان على الملك الناصر فاكرمه وظهر له من الحشمة والمهابة ما يليق ببيته واصالته مات بالسلطانية . (١)

٢ — الشيخ مجد الدين موسى الاربلي : هو ابن احمد بن محمد بن علي المنذري ولد في شعبان سنة ٦٤٥ هـ وتفقه وتعانى الادب والنظم . مات سنة ٧١٧ هـ . (٢)

٣ — عبد الرحمن ابن ابراهيم بن قنينو : بدر الدين الاربلي الاديب ابو محمد كان مشهوراً بالبلاغة وحسن النظم مدح الملوك وتعانى التجارة مات سنة ٧١٧ وله سبعون سنة وهو القائل :

وغريرة هيفاء باهرة السنا ... طوع العناق سقيمة الاجفان
غنت وماس قوامها فكأنها الـ ... ورقاء تسجع في غصون البان (٣)

وله كتاب خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك لابن الساعي . طبع هذا الكتاب في بيروت ومر النقل عنه في ترجمة الخليفة المستعصم ... (٤) وفيما مضى كان قد ذكرانه قنيتو ولكنه في عقد الجمان ورد بلفظ قنينو ...

* * *

«١» الشذرات ج ٦ ص ٤٤ و ـ الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٧٦ ـ «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٣ . «٣» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢١ . «٤» راجع ص ١٨٥ من هذا الكتاب وترجمة ابن الساعي .

حوادث سنة ٧١٨ هـ

(١٣١٨ م)

فضل ابن عيسى امير العرب — البصرة :

في اوائل هذه السنة سار فضل ابن عيسى الى السلطان ابي سعيد والى الامير جوبان الى بغداد واجتمع بهما واحضر لهما تقدمة من الخيول العربية فاقبل الامير جوبان عليه واعطى فضلا المذكور البصرة واستمرت له اقطاعاته التي كانت له بالشام بيده مع البصرة واقام فضل عندهما مدة واجتمع بقراسنقر هناك ثم عاد الى بيوته و بعد مسير فضل عنهما سار السلطان ابو سعيد والامير جوبان عن بغداد الى السلطانية (قنغرلان) . وهكذا يفعل السلطان يجيء في الغالب الى العراق شتاءاً ليقضي ايام البرد في بغداد و يذهب الى السلطانية صيفاً ...

قتلة الوزير الخواجة رشيد الدين وابن عز الدين :

هذا الوزير كان عضد الحكومة الايمن وتدابيره صائبة وآراؤه سديدة الا ان المزاحمات والمنازعات على الوزارة والحرص الزائد عليهما مما اودى بالوزير الخواجة سعد الدين وجعل موقفه حرجاً لمن ولي بعده وهو تاج الدين علي شاه وصار يتوسل بالوسائل اللازمة للقضاء على مناوئيه لحد انه بعد ان قضى على الخواجة سعد الدين رأى ان تاج الدين علي شاه من اكبر المعارضين له فنصب نفسه لمقاومته واتخذ كل ما يجب من تدابير القضاء عليه .. فعزل تاج الدين علي شاه عام ٧١٥ هـ الا انه لم يلبث كثيراً وانما اعيد الى موقعه بعد مدة وجيزة وذلك انه نال مقاماً رفيعاً وصار بيده الحل والعقد ومن حسن الصدف المساعدة له ان توفي الجايتو خان الذي كاد يقضي على الخواجة رشيد الدين بل انه اصدر فرمان القتل الا انه برجاء

والتماس من نفس تاج الدين علي شاه عفا عنه السلطان ... وقد سنحت للخواجة رشيد الدين الفرصة للتنكيل بعدوه استفادة من اتصاله بالامير چوبان ومع هذا لم يشأ الوقيعة رغم ان اكابر الرجال ركنوا اليه مثل ضياء الملك والخواجة عز الدين القوهدي والخواجة علاء الدين الهندي واستعانوا به وحضوه على ذلك فقابلهم ببرودة وتؤدة ولعل طعنه في السن هو السبب في عدوله عن القضاء عليه فمال المذكورون الى تاج الدين علي شاه وصاروا على الخواجة رشيد الدين واساسأ استمال القوم الامير چوبان ...

ذلك ما دعا ان يغيروا السلطان عليه واغروه للوقيعة به فخسرت الحكومة اكبر مدبر ورجل قدير من رجالها فقتل وابنه الخواجة عز الدين في ١٧ جمادى الاولى سنة ٧١٨ هـ فصفا الجو لتاج الدين علي شاه واستقل بالامر خصوصاً بعد وقعة الامير چوبان . اختلقوا عليه انه سم السلطان الجايتو بمناسبة انه طبيب ... لحد ان السلطان ابا سعيد والامير چوبان اعتقدوا صحة ذلك ومن ثم كثرت التقولات والاشاعات عليه من جانب خصومه واذاعاتهم وحينئذ جلبوا طبيب السلطان في ذلك الوقت وهو جلال الدين (١) ابن الحزان الطبيب اليهودي طبيب خربندا فاستجوبه واستطلع رأيه فقال ان السلطان كان فيه قيء واسهال وكان من رأي الاطباء وهو منهم ان يعطى له دواء قابض والخواجة رشيد الدين فانه كان من رأيه ان هذا نتيجة امتلاء المعدة ، والمسهل يفيدها اكثر وعلى هذا وبسبب الانطلاق توفي السلطان .

وعلى هذا حكم بقتل الخواجة رشيد الدين وارسل رأسه الى تبريز وصاروا يطوفون به ويلعنونه ويقولون ان هذا رأس يهودي بدل كلام الله لعنه الله ...

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٣٢ .

والحاصل قد اختلقت عليه هذه القضية وكان اصل مبدئها تاج الدين علي شاه... وكذا يقال عن دعوى انه من اصل يهودي فهذا انما كان من الخواجة سعد الدين ثم تاج الدين بسبب تشنيعاتهم عليه... وعن هؤلاء نقلها القاشاني في تاريخ الجايتو ومثله في الدرر الكامنة .

وعلى كل حال كان من اشهر الوزراء والاطباء والعلماء وخلد ذكرى عظيمة في تاريخه الذي لا تزال بقاياه موجودة وقد وصفناه اثناء الكلام على المراجع التاريخية... ومؤلفاته في الطب والعلوم الاخرى كثيرة اودع اسماءها في مقدمة كتابه جامع التواريخ... وله الخانقاه المعروف بالربع الرشيدي .

ودون ان نمضي وجب ان نقول انه قد ذكر وفاته جماعة من المؤرخين قال في الشذرات :

« وفيها — سنة ٧١٧هـ — توفي الرشيد فضل الله ابن ابي الخير الهمداني الطبيب كان ابوه يهودياً عطاراً فاشتغل هذا في المنطق والفلسفة واسلم واتصل بغازان وعظم في دولة خربندا بحيث انه صار في رتبة الملوك قام عليه الوزير علي شاه بانه هو الذي قتل القاآن خربندا لكونه اعطاه على هيضته مسهلا فتقيأ فخارت قواه فاعترف وبرطل جوبان بالف الف دينار فما نفع بل قتل هو وابنه . وكان يوصف بدين ولطف وسخاء ودهاء فسر القرآن العظيم فشحنه باراء الاوائل ، عاش نيفاً وسبعين سنة وقيل بل كان جيد الاسلام وهو والد الوزير المعظم محمد بن الرشيد وكان وزير التتار ومدبر دولتهم . ١هـ (١)

وجاء في الدرر الكامنة : (٢)

« فضل الله ابن ابي الخير بن غالي الهمداني الوزير رشيد الدولة ، ابو الفضل ،

---

(١) ج ٦ ص ٤٥ . (٢) ج ٣ ص ٢٣٣ .

كان ابوه عطاراً يهودياً فاسلم هو واتصل بغازان فخدمه وتقدم عنده بالطب الى ان استوزره . وكان يناصح المسلمين ويذب عنهم ويسعى في حقن دمائهم ، وله في تبريز آثار عظيمة من البر وكان شديداً على من يماديه او ينتقصه ، وكان متواضعاً ، سخياً ، كثير البذل للعلماء والصلحاء ، وله تفسير على القرآن فسره على طريقة الفلاسفة فنسب الى الالحاد ، وقد احترقت تواليفه بعد قتله ، وكان نسب الى انه تسبب في قتل خر بندا ملك التتار فطلبه جوبان الى السلطان على البريد فقال له انت قتلت القاآن فقال معاذ الله انا كنت رجلا عطاراً ، ضعيفاً بين الناس فصرت في ايامه وايام اخيه متصرفاً في الممالك ثم احضر الجلال الطبيب ابن الحزان اليهودي طبيب خر بندا فسألوه عن موت خر بندا فقال اصابته هيضة قوية انسهل بسببها ثلثمائة مجلس وتقيأ قيئاً كثيراً فطلبني بحضور الرشيد والاطباء فاتفقنا على ان نعطيه ادوية قابضة مخشنة فقال الرشيد هو الى الآن يحتاج الى الاستفراغ فسقيناه برأيه مسهلا فانسهل به سبعين مجلساً فسقطت قوته فمات . وصدقه الرشيد على ذلك فقال الجوبان للرشيد فانت قتلته وامر بقتله فقتل وفصلوا اعضاءه وبعثوا الى كل بلد بعضو وأحرقوا بقية جسده وحمل رأسه الى تبريز ونودي عليه هذا رأس اليهودي الملحد . ويقال انه وجد له الف الف مثقال وكان موته بعد موت خر بندا...

وقال البرزالي في ترجمته كان حسن البراعة ، وطبيباً حاذقاً ، واستوزره خر بندا وغازان وتعسف بعلمه وحكمه في الممالك وبنى عدة من الخوانك والمدارس وكان له من الاموال من كل جنس ونوع الكثير سوى ما كان فبصفات معروفة عاش نحواً ٨٠ سنة . قال الذهبي كان له رأي ودهاء ومروءة . وكان الشيخ تاج الدين الافضلي يذمه ويرميه بدين الاوائل وقدر عليه فصفح عنه وبالجملة كانت له مكارم وشفقة وبذل وتودد لاهل الخير ...

وفي ابن الوردي : قتل رشيد الدولة طبيب خربندا اتهمه جوبان بانه غش خربندا في المداواة وقطع رأسه وسيره الى تبريز واحرقت جثته واستأصلوا املاكه وامواله وجواهره . واختلف في طويته فقال الشيخ تاج الدين الافضل التبريزي قتل الرشيد اعظم من قتل مائة الف من النصارى وقال قاضي الرحبة رأيت منه شفقة على اهل الرحبة وسعياً في حقن دمائهم يعني ايام حصارها وانما كان يتبع اعداءه صالحين كانوا او فسقة (١) » اه

وفي عقد الجمان جاء عنه :

« ابو الفضل رشيد الدولة ، فضل الله ابن ابي الخير بن علي الهمذاني الطبيب ، كان اصله يهودياً من يهود همذان ، ثم اسلم وهو شاب ابن ثلاثين سنة ، وخدم بالطب ابغا ملك التتار ، فلما صار الملك الى ارغون بن ابغا لازمه رشيد الدولة ، وما زال يخدم ملكا من ملوك التتار حتى جاء خربندا فكان عنده في اعلى المنازل ، وخيره ان يكون وزيراً فأبى واختار ان تكون وظيفته تخيير الوزراء فاستخدم سعد الدين الساوجي عنده ثم سعى به حتى قتله ، ورتب له على تعيين الوزراء كل سنة مائة تومان (والتومان عشرة آلاف دينار ، كل دينار ستة دراهم) ، ثم ان خربندا ضعف فاسهله رشيد الدولة اسهالا مفرطاً فمات ، وتولى بعده ابنه ابو سعيد فضرب عنق رشيد الدولة بعد مدة سنة وثمانية اشهر من موت ابيه وذلك في شهر جمادى الاولى وهو في عشر الثمانين ، وضبطت ضياعه فكانت اربعة آلاف ضيعة مفرقة في ملك التتار ، واما املاكه فكان عددها في ستة عشر الف موضع ما بين دكان ودار و بستان وخلف ما يزيد على خمسين الف كتاب .

قال الشيخ شمس الدين الاصفهاني : وله من التصانيف (كتاب شرح فصول

---

(١) من حوادث سنة ٧١٨ هـ ج ٢ ص ٢٩٨ .

ابقراط) ، و (كتاب شرح مقامة العارفين) ، و (كتــاب في الفلاحة) ، و (كتاب تاريخ جمع فيه اخبار الدولة التتارية) وذكر فيه فروع انسابهم واجناس قبائلهم ، وجعله مشجراً ، ومن ولي الملك منهم من ايام نوح (ع) الى ايام خر بندا ، و (كتاب تاريخ آخر) ذكر فيه اخبار الامم من الصين والخطا والترك والفرنج والقبط واليونان والروم والفرس والعرب الى غير ذلك وسماه (كتــاب الرسائل الرشيدية) ، و (كتاب التعليقات الطبية) ، و (كتاب مفتاح التفــاسير) ، و (كتاب المباحث السلطانية) ، و (كتاب شرح المحصل في ثلاث مجلدات) ، و (كتاب سماه التوضيحات) يتضمن رسائل متفرقة ، كل رسالة في معنى من المعاني ، واخذ عليه خطوط العلماء بانه لم يصنف كتاب اجود منه وقدمه الى خر بندا ، وقرر بين يديه ان ارسطاطاليس لم يكن في زمانه اعلم منه ، وكان مشيراً ووزيراً عند الاسكندر وصنف باسمه كتاباً فاعطاه جائزته الف الف دينار وجعل له في كل سنة مائة الف دينار واتفق الناس كلهم بانك اعظم من الاسكندر ، وان كتابي اجود من كتاب ارسطاطاليس فقال الملك خر بندا : — انا اعمل معك باكثر من الذي عمل الاسكندر مع ارسطاطاليس .

فرسم ان يعطي من المال النقد الف الف دينار وخمسمائة الف دينار وقال له ان شئت ان تأخذ هذا المال او تأخذ بقيمته املاكا نفيسة من املاكي فقــال اخذ املاكا فعينوا له املاكا تغل في كل سنة مائة وخمسين الف دينار . وله كتاب تفسير يشتمل على تفاسير (قل يا ايها الــكافرون) .

وقال الشيخ شمس الدين الاصفهاني بلغني ان له سبعين مصنفاً ما بين صغير وكبير وسعادته مفرطة لكن اختصرنا .

وذكر صاحب عيون التواريخ ان ولده ابراهيم قتل قبله وعمره ١٦ سنة وحمل رأس رشيد الدولة الى تبريز ونودي عليه هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام الله تعالى ... وقطعت اعضاؤه وحمل كل عضو الى بلد واحرقت جثته . وخلف عدة اولاد ، وكانت رتبته فوق رتبة الوزارة قال : وكان عدو الاسلام وهو ملحد .

وقال ابن كثير : قد بلغ في ايام قازان في علو المرتبة ونفاذ الكلمة مبلغاً عظيماً وكذلك في ايام خر بندا اخيه . ولما مات خر بندا عزل عن مناصبه ووظائفه ودرأ عن نفسه بجملة كبيرة من المال ، ثم اتهم بقتل خر بندا فطلب على البريد وشهد عليه الاطباء انه سقى الملك دواء مسهلا عقيب هيضة مثلغة فزاده اسهالا فقتله وصدقهم الرشيد على ذلك فقتل . » اهـ (١)

والظاهر ان النقل المتضمن التحامل عليه من اهل الحزب المعارض له ... مبناه الاذاعة والتشويش في السمعة ...

وجاء في تقويم التواريخ لكاتب چلبي انه قتل عام ٧١٧ هـ . والفتن في هذه الايام وما يليها مشتعلة بين امراء المغول والنزاع على الوزارة قوي ولكل مناصرون ومناوؤن ...

ذيول هذه الوقعة : (ابن الخوام)

اثر قتلة الوزير كان قد شهد على ابن الخوام وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق الحربوي عماد الدين بن الخوام العراقي الحيسوب الطبيب بالكفر بسبب انه قرظ تفسير الوزير رشيد الدولة فقال في تقريظه فهو انسان رباني بل رب انساني تكاد تخال عبادته بعد الله فثاروا عليه بعد قتل رشيد الدولة فبادر هو الى الحاكم فاعطاه ذهباً فعقد له مجلساً واستسلمه وحكم بحقن دمه ...

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ .

وكان ولد سنة ٤٣ وتمهر في المعقولات والحساب والطب ولازم النصير الطوسي وصنف في الطب والحساب وقرأ عليه جماعة وصنف تصانيف وله انشاء و بلاغة ودرس في مذهب الشافعي بدار الذهب وولي رياسة الطب ومشيخة الرباط ببغداد وادب هرون ابن الوزير واولاد عمه علاء الدين صاحب الديوان وكثرت امواله وكان يصلح مزاجه بالمفرحات والمعاجين ... (١)

ولم تصل الينا مؤلفاته الدينية لنقف على حقيقة ما قيل فيه ... ولا تزال المجاهيل عنه كثيرة وليس من الانصاف متابعة اهل الاغراض دون تروّ في الموضوع وتقدير لاهميته ...

عشائر الاحساء والبصرة — امير العرب :

في اواخر هذه السنة حالفت عقيل عرب الاحساء والقطيف على مهنا بن عيسى وطردوا اخاه فضلا عن البصرة فجمع مهنا العرب وقصد عقيلا والتقى الجمعان وافترقا على غير قتال ولا طيبة بعد ان اخذت عقيل اباعر كثيرة تزيد على عشرة آلاف من عرب مهنا المذكور وعاد كل من الجمعين الى اماكنهما وكانت هذه البرية وغالب بلاد الاسلام مجدبة لقلة الامطار وهلك العرب وضرب دواب تفوت الحصر (٢).

غلاء وجلاء :

وفي هذه السنة كان بديار بكر والموصل وار بل وماردين والجزيرة وميا فارقين و بغداد غلاء وجلاء حتى بيعت الاولاد واكلت الميتة ... (٣)

«١» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٩٥ . «٢» ابو الفداء ج ٤ ص ٨٧ . «٣» ابن الوردي ج ٢ ص ٣٦٦ والدر المكنون والشذرات .

وفيات :

١ — الشهاب المقري الجنايزي : في هذه السنة توفي الشهاب المقري الجنايزي احمد ابن ابي بكر بن حطة البغدادي صاحب الالحان والصوت الطيب وله نظم ونثر وفضائل وظرف ومنادمة ووعظ توفي في ذي القعدة عن ٨٥ سنة . (١)

٢ — يونس ابن حمزة بن عباس الاربلي : هو ابو محمد القطان كان يقال انه ولد سنة ٦٠٦ باربل وطال عمره جداً ولم يوجد له سماع ولا اجازة على قدر سنه فقرؤا عليه بالاجازة العامة عن دواوين محمد ابن الفاخر . وكانت وفاته في نصف ذي القعدة سنة ٧١٨ هـ . (٢)

٣ — عبد الرحمن ابن محمد بن ابي حامد التبريزي : تاج الدين الواعظ وكان يعرف بالافضلي ولد سنة ٦٦١ وتعاني الوعظ . وكان ممن بالغ في الطعن على الرشيد وزير المغل وطعن في نحلته فما قدر الرشيد منه على شيء لجلالته في نفوس اهل تبريز . وكان التاج حسن الاعتقاد ، وقوراً ، مهيباً ، قوالا بالحق ، ذا سكينة واخلاص . مات راجعاً من الحج ببغداد في صفر سنة ٧١٩ وقال في الشذرات : مات في رمضان سنة ٧١٨ هـ . وقد مر القول عن الخواجة رشيد الدين والطاعنين . (٣)

٤ — الحكيم العلامة علاء الدين علي ابن تبان بن مختار البغدادي : يعرف بالخطاي مات بحماة ، وكان فاضلا في العلوم العقلية وطبيباً سكن حماة ، وقرأ عليه ملكها المؤيد اسماعيل ابن علي كتاب التذكرة في الهيئة للطوسي وخلف كتباً كثيرة واثاثاً وغير ذلك اخذ بيت المال جميعها . (٤)

٥ — ابن الخراط : هو الشيخ عفيف الدين ابو عبد الله محمد ابن عبد المحسن

«١» الشذرات ج ٦ ص ٤٧ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٨٦ . «٣» الشذرات والدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٤٢ . «٤» عقد الجمان ج ٢٢ .

ابن عبد الغفار الواعظ الشهير بابن الخراط البغدادي الحنبلي كان فاضلا متكلما ، فقيهاً كثير التعفف ، يتمنع باليسير ، جمع بين الديانة والفضيلة وباشر مشيخة المستنصرية ومات ببغداد عن ثمانين سنة . (١)

٦ — الدلقندي : قد مر ذكره قال عنه في عقد الجمان « الخارجي قتله چوبان نائب السلطان ابي سعيد في رمضان من هذه السنة لما بلغه انه اتفق مع جماعة من الامراء على قتله وقتل معه الوزير علي شاه وهو منسوب الى مدينة سمنان من مدن خراسان . (٢)

حوادث سنة ٧١٩ هـ

(١٣١٩ م)

اختلاف امراء التتر وفتن :

في رجب هذه السنة اختلف التتر وقتل منهم نحو ثلاثين الفاً وا كثر حتى كاد يزول ملكهم واستحالوا على مقدم جيوشهم الامير چوبان نائب السلطنة لابي سعيد وكرهوا نيابته . (٣) وهكذا دامت الفتن واشتعلت نيرانها وكانت نتيجة انتصاره ان جعل الچوبان اولاده امراء كل واحد في قطر ... وكانت حروبه مع ايرنجين (ايرنجي او پرنجي) وقورمش فقتل خلق كثير والقي القبض على ايرنجين وقورمش وسمرا وقتلا شر قتلة ...

ومن ذلك اليوم لقب السلطان ابو سعيد بهادر خان وكتب اسمه بذلك في الاحكام ومن ثم اخذ امر الامير چوبان في الترقي والازدياد اعتباراً من هذا التاريخ وما بعده ... (٤)

« ١ » عقد الجمان ج ٢٢ . « ٢ » ، عقد الجمان ج ٢٢ . « ٣ » ابن الوردي ج ٢ ص ٢٩٨ ؛ « ٤ » تاريخ الغياثي ص ١٦٦ .

تفصيل الخبر :

ان الامير چوبان كان قد عاد من مقاتلة يسوك بعد ان جرت بينهما مراسلات ومفاوضات، قرر له بلاداً من اقليم خراسان ، وفي عودته ارسل يستدعي يرنجي(١) من الموصل وكان هو مرتباً في الموصل وماردين واعمالها ، وكان في خاطر چوبان منه شيء فعلم يرنجي انه انما طلب ليوقع به فعلا ويهلكه قتلا فاظهر عناده ، وجمع جموعاً وسار اليه على غرة منه فكبسه بغتة فبادر چوبان بالهرب الى ابي سعيد فاعلمه بما فعله يرنجي من العصيان والمحاربة فاتفقا على قتله فقتل هو وجماعة من الذين كانوا مشاركين له في الآراء من الامراء ، ورتب سوتاي على عادته بديار بكر ...

ثم انه لم يقف الامر عند هذا الحد وانما وقع الخلف بين چوبان و بين الامراء ، وكان چوبان قد استقل بالامر و بعد الامراء ، ولم يبق لابي سعيد الا الاسم فانحصر ابو سعيد من ذلك واستشار الامراء في امره واتفقوا على قتله فعمل قورمشي (قورمش) دعوة عظيمة ودعاه اليها ليقبض عليه اذا حضر فاجاب چوبان وتوجه فاخبر في اثناء توجهه انها مكيدة ، وانهم يريدون القبض عليه ففارق مخيمه وركب وولده حسن الى مدينة مرند وحضر قرمشي في عشرة آلاف من المغل فكبس المخيم فلم يجد چوبان فيه فنهبه وساق خلف چوبان فلم يدركه . ولما وصل چوبان الى مدينة مرند وحضر قرمشي تلقاه الامير ناصر الدين صاحبها وامده بالخيل والسلاح والمال ووصل خبره الى تبريز فخرج اليه الوزير علي شاه التبريزي وزير ابي سعيد والتقاه واكرمه وفرح به اهل المدينة وامدوه بالخيل والسلاح وتوجه الى المدينة السلطانية وصحبته علي شاه فتقدم الوزير فاجتمع بابي سعيد وتلطف في امر چوبان

(١) ورد بلفظ ايرنجين في عقد الجمان .

واحسن الثناء عليه واغراه بقرمشي ومن اتفق معه فرضي عن چوبان واذن له في حرب الامراء وقتلهم ان ظفر بهم وامده بعشرة آلاف من المغل وانضم اليه قراسنقر المنصوري في كثير ، وكذلك وصل اليه ولده تمرتاش بجيش كثير فتوجه الى قرمشي واقتتل معه فانهزم اصحاب قرمشي وعدة امراء ممن كانوا معه وحضروا الى المدينة السلطانية فقال لهم ابوسعيد لم فعلتم كذلك ؟ فقالوا ان ما فعلناه بامرك وكذبهم فامر بقتلهم عن آخرهم . واما قرمشي فانه البس طرطوراً احمر وحلقت لحيته وسمر وطيف به . ثم قتل بعد ذلك . » اه (١)

الحج في هذه السنة

في هذه السنة وصل الركب العراقي الى الحجاز للحج وفيه جماعة من التتار فاخفوا انفسهم خوفاً من القبض عليهم فامر السلطان (سلطان مصر وكان قد حج في هذه السنة) باحضارهم فاحضروا فاحسن اليهم وخلع عليهم الخلع السنية واطلقهم وهو سبب الصلح بين الملك الناصر و بين الملك ابي سعيد . » اه (٢)

وفيات :

١ — الساعاتي : هو عبد الرحيم ابن علي بن عبد الرحيم البغدادي الاستاذ في شد البيا كيم و يعرف بالساعاتي . ولد سنة ٦٤١ تقريباً وقدم الشام بعد الخمسين وتفقه بمصر ثم قدم الشام وكان مليح الشكل حسن البشر خيراً عالماً يدري القراآت و ينسخ القرآن على الرسم وكان يعتمد علي بيا كيمه لتحريرها وام بالرباط الناصري مدة ومات بالحمام فجأة في جمادى الاولى سنة ٧١٩ . (٣)

«١» عقد الجمان ج ٢٢ ص ٧٧ . «٢» عقد الجمان ج ٢٢ نقلا عن ابن كثير ص ١٧٣ . «٣» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩٥ .

وفي عقد الجمان : « الشيخ الصالح المقري زين الدين عبد الرحيم ... سمع الحديث ولبس الخرقة ، وكان شيخاً صالحاً ، نسخ بخطه كثيراً ، وكان يكتب المصاحف على المرسوم ، ويعمل النيا كيم والساعات في غاية الجودة والصحة ، وكان الناس يقصدونه ويرغبون في عمله) » اهـ . (١)

٢ — البلدي : هو عبد العزيز ابن عدي البلدي كان في بدايته صيرفياً في سوق الغزل ثم اشتغل وبرع واتقن الطب والفرائض والجبر والمقابلة وحفظ الحاوي الصغير وتميز في المذهب وولي القضاء في ارزن الروم ... ثم قدم الموصل ودرس وناب في القضاء ونسب اليه رأى النصيرية فهرب مات سنة ٧١٩ . (٢)

حوادث سنة ٧٢٠ هـ

(١٣٢٠ م)

آل عيسى وطردهم من سورية

وفي هذه السنة قطعت اخباز آل عيسى (مرتباتهم) وطردوا من الشام بسبب سوء صنيعهم ورحلوا عن بلاد سلمية يوم الاثنين ٢ جمادى الاولى وصاروا الى جهات عانة والحديثة على شاطئ الفرات . وعند رحيل المذكورين وصل الامير سيف الدين (من امراء سورية) وسار بجمع عظيم من العساكر الشامية والعرب في اثر المذكورين حتى وصل الى الرحبة ثم سار منها حتى وصل الى عانة . ولما وصل المذكور هناك هرب آل عيسى الى وراء الكبيسات وعيسى المذكور هو عيسى ابن مهنا بن مانع بن حديفة (٣) بن عصية بن فضل بن ربيعة . واقام

«١» عقد الجمان ج ٢٢ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٧٨ . «٣» ورد كما مر بلفظ حديثة او جديلة .

السلطان (ملك سورية) موضع مهنا محمد بن ابي بكر بن علي بن حذيفة بن عصية المذكور ولما جرى ذلك عاد الامير سيف الدين المذكور واقام بالرحبة حتى نجزت مغلاتها وحمل الى القلعة ثم سار منها ونزل على سلمية يوم الخميس منتصف رجب من السنة المذكورة واستمر مقيما على سلمية حتى وصل اليه الامر بالعودة فسار منها الى الديار المصرية يوم الاثنين ٩ شهر رمضان من السنة المذكورة . (١)

رسول السلطان ابي سعيد الى سورية :

وفي هذه السنة ذهب الى سورية المجد اسماعيل السلامي رسولا من جهة السلطان ابي سعيد ملك التتر ومن جهة جوبان وعلي شاه بهدايا جليلة وتحف ومماليك وجواري مما يقارب قيمته خمسين تومانا (٢) (والتومان البدرة وهي عشرة آلاف درهم) فوصلها يوم الاثنين ٩ ذي الحجة ومنها سار الى سلطان مصر . (٣)

وجاء في عقد الجمان : « قدم رسول الملك ابي سعيد وجوبان نائبه قد ورد مع مملوك مجد الدين السلامي ومضمون رسالته انه يطلب سنجق السلطان ان يكون صحبة ركبهم اذا خرج من العراق الى الحجاز ومرسوم السلطان ان لا يتقدم على محملهم احد غير محمل السلطان فاقبل السلطان عليه وانعم بما سأله وسير سنجقاً اصفر بطلعة ذهب وكتب مرسوماً بما سأله وكتب ايضاً الى امير مكة شرفها الله با كرامهم واحترامهم وعرف الرسول بان رسول السلطان يأتي الى الملك ابي سعيد عن قريب . » اه

«١» ابو الفداء ج ٤ ص ٩١ . «٢» ورد في ابي الفداء بلفظ « تمانا » .

«٣» ابو الفداء ج ٤ ص ٥٣ .

اوضاع العشائر - ايضاح :

« ولما سافر رسول ابي سعيد حضر عقيبه كتاب من نائب حلب ان الفياضي وسليمان وجماعة من اولاد مهنا قد كثر فسادهم وبغوا على المسافرين والتجار واخافوهم وانقطعت الطرق وان الامير فضل او عربه لم يمكن منعهم وربما بلغ مهنا ان ابا سعيد قد جهز ركباً عظيما ونادى في سائر بلاده من اراد الحج الى بيت الله الحرام فليبادر واجتمع خلق عظيم من ديار بكر وسائر الاقاليم قاصدين الحج وان مهنا لما بلغه ذلك ركب واقام لهم على الطريق فوجد السلطان من ذلك امراً عظيما وتحقق ان مهنا متى وقع على ركب العراق اخذه فتقع العداوة بينه و بين الملك ابي سعيد و يفسد الحال المنتظم بينهما و يؤول الامر الى تعب عظيم ثم ارسل وراء سيف بن فضل ابن عيسى وامره ان يحضر سريعاً وكان يعلم ان مهنا يحب سيفاً ابن اخيه محبة عظيمة وخشي ان يطلب من اولاد مهنا فياض او سليمان ولا يجيبه فطلب سيفاً فلما حضر اليه قال له يا سيف قل لوالدك فضل ان يتحيل على مهنا بكل حيلة وتكون انت تمشي بينهما الى ان يرجع مهنا عن التعرض لركب العراق فاني قد اعطيت لهم عهوداً فوثقوا مني واخشى ان يفسد علي مهنا جميع ما فعلته وانا ما عملت اباك اميراً على العرب الا ان يمنع مهنا واولاده من التعرض الى بلادي فلو عرفت ان اباك يتفق مع مهنا لما كنت ابعدت مهنا مني فاركب اليه وعرفه انه متى لم يرجع مهنا عن ركب العراق فلا حاجة لي باحد منكم واكد عليه الوصية وفارقه الى ان وصل الى ابيه وعرفه ما قال له السلطان فقال له ابوه والله يا سيف هذه قضية صعبة وما يصلحها احد غيرك انت واخوك قال وكيف قال تركب الى مهنا وتسأله ان لا يفعل شيئاً مما قصده ولا تقل انك سمعت شيئاً من السلطان فاذا رأيته وقد قوي عزمه على ما قصده من التعرض الى الركب العراقي اقم عنده وامسك ذيله وقل له ان اباي

قد امرني بالدخول عليك في هذه النوبة ...

فلما وصل اليه رحب به وضمه الى صدره وقال له ما جاء بك الى هذا المكان يا ابن اخي فقال اشتقت اليك وعرفت ابي فقال اغد الى عمك انت واخوك قال فتبسم وقال والله يا وغيد ما جئت الا في امر ارسلك ابوك اليه قال فقلت لابد من ذلك ثم اقمت عنده ذلك اليوم والثاني والثالث ثم عرفته بجميع ما اتفق من السلطان ومن ابي وكيف ارسلني اليه وقال ما لابيك فانه يأكل خبز مهنا وانت تأكل خبز اولاده ولم لا تحفظون البلاد وتراعون حق السلطان في كل ما يقصده ؟ فانتم تأكلون الاخباز ومهنا يأكل كسب سيفه وكيف ارجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب يقوت لمهنا سنة كاملة ؟ واذا اخذت اخذت بحقي فاني رجل ما انا تحت طاعة سلطان مصر ولا سلطان العراق وانما آكل من سيفي .!

قال فسكت عنه اياماً قليلة وقد حضر عنده من عرفه ان ركب العراق قد خرج ووصل الى المكان الفلاني واهتم للركوب اليه . قال سيف فقمت اليه ودخلت عليه ولم ازل اترفق له واتذلل حتى انعم عليّ بتركهم و بعد ايام وصل الركب وهم خلق كثير من اهل العراق وغيرهم ومعهم اموال جمة وسير مهنا اليهم وقال لهم : لنا خفر عليكم خمسة آلاف دينار و بذلك جرت العادة من العرب . فقالوا نحن ما نعلم شيئاً من هذا ولا رأينا ركباً من العراق سافر الى مكة من غير هذه الايام ، ولولا ان علمنا ان البلاد بلاد واحدة ، والاسلام واحد ، وان الصلح قد انتظم بين ملك مصر وملك بغداد والموصل ما خرجنا . وهذا سنجق الناصر معنا بهذا السبب فلم يشوش مهنا عليهم بل اكرمهم وسهل امرهم وقال يا سيف قد قبلت دخولك عليّ لاجلك لا لاجل ابيك ، ولا لاجل الملك الناصر فارجع الى اهلك . قال وأعطه فرساً ولاخيه فرساً ورجع الى ابيه وعرفه بما جرى فقال له ابوه اركب

واذهب الى السلطان وعرفه بما وقع واقيم في مصر الى ان يدخل موسى واخوته اولاد مهنا الى مصر فانا اعلم ان السلطان ما يفسد ما بينه و بين مهنا ولا بد ان يعيد اليهم اخبازهم فذهب سيف الى السلطان فرأى اولاد مهنا موسى واخوته وهم اربعة قد سبقوه بيوم وهم عند السلطان مكرمون وقد عرفوه خبر ركب العراق وان مهنا لم يتعرض بهم .

ثم لما اجتمع سيف بالسلطان وحكى له بما اتفق شكره على فعله ثم اجتمع كلهم يوماً عند السلطان وجرت بينهم مفاوضة فقال السلطان لموسى بن مهنا يا موسى كيف يكون ابوك عاصياً عليّ ولا يدخل تحت طاعتي . فقال له موسى : والله يا مولانا السلطان لو اطاعك مهنا ما كنا عندك بهذه المنزلة والله ان عصيانه عليك جيد لنا ، والله لو اطعنا ما اطعناك فاحمر وجه السلطان خجلا منه . ثم قال لسيف : ابوك عاجز ان يخرج مهنا عن البلاد وانا اضيف اليه عرب بني كلاب ، و بني مهدي فقال موسى : يا خوند اقول الصحيح او اسكت قال قل الصحيح قال : وحياة رأسك ورأس مهنا ان فضلا لو جمع له مائة الف بدوي لا يقدر ان يقاتل مهنا ولا كان يرمي اخاه ابداً ولا يسل احد منهما سيفاً في وجه اخيه ، والله تعالى يحفظ مولانا السلطان لا يقل احد ان فضلا يرمي مهنا ، او مهنا يرمي فضلا ، واي من ترضى منه كان في خدمتك اذا رأى مهنا اخاه يأكل خبزه ما يعظم عليه ذلك ، واذا رددت خبزه عليه كذلك ما يعظم على فضل : فالغريب ما يدخل بيننا . ولما سمع السلطان ذلك لم يرد عليه جواباً ثم قاموا من المجلس . ولما رأى الامراء ان السلطان قد انحرف من هذا الكلام انحرافاً عظيما قال له الامير عز الدين الخطيري يا خوند هذا وقتك فان اولاد مهنا اربعة قد حصلوا عندك فاقبض عليهم وجردني انا والامير سيف الدين الاوبكري ومقدمين من الشام ونحن نقيم في بلاد الرحبة سنة كاملة

ونا كل اقطاع العرب ولا ندع مهنا ولا غيره ينظر الى البلاد ابداً ويدخلون تحت طاعتك فكان جواب السلطان له : يا امير عز الدين احذر ان تذكر شيئاً من هذا فمثل" مهنـا واولاده ما يفرط فيهم . ولما سمع الامراء ذلك سكتوا ولم يردوا عليه جواباً وبعد ايام طلب السلطان موسى واخوته وخلع عليهم واكرمهم واعطاهم انعاماً كثيراً ، واتفقوا معه على انهم يرسلون اليه محمداً اخا مهنا ليضمن حضور اخيه الى طاعته فخرجوا على ذلك وسافروا ... » اه (١)

قاصد وهدايا — اوضاع العشائر :

« وفي هذه السنة جاء مصر قاصد قدم اليهـا من عند علي شاه وزير ملك التتار وصحبته تقادم وهي بخاتي وقماش وجوار ومماليك ، وذكر ان سلطانهم قطع اخباز العربان من عنده وهم مهنا واولاده واخوته واقاربه وكان لهم معظم العراق .

وكذا الخواجة مجد الدين اسماعيل السلامي التاجر المشهور حضر الى القاهرة من المدينة السلطانية ومعه هدية سنية جليلة من جملتها خركاه مجوهرة وخيمة سقلاط ومماليك وجوار ترك ملاح وجمال بخاتي وقماش نفيس وغير ذلك فتكلم في الصلح بين السلطان الملك الناصر والسلطان ابي سعيد .

قال صاحب النزهة لما وصل مجد الدين خرج القاضي كريم الدين الى قبة النصر تلقـاه ولما حضر مجلس السلطان سأله عن اخبار ابي سعيد وجوبان وعن احوال البلاد فقال الجميع داعون لمولانا السلطان وليس لهم مراد الارضى السلطان وهم مجتهدون في الصلح . وكان مجد الدين سبق التقادم التي سيرها ابو سعيد .

ثم ورد الخبر من نائب حلب ان سليمان بن مهنا عارض الرسل الذين معهم التقادم واخذ ما كان معهم ، وانه خرج عن الطاعة ... وكان سبب خروجه ان السلطان

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢١٦ .

كان طرد اباه مهنا عن البلاد واخرج الامرة عنه ، وكان السلطان ارسل اليه شهاب الدين قراطاي بان يخرج عن البلاد فقال له مهنا : اي شيء رسم لك السلطان رسم بقتالنا او غيره قال ما رسم لي الا بطردك انت واولادك عن بلاد السلطان فقال مهنا : اما رحيل عن بلادنا فلنا غيرها وان طلبنا العوض وجدنا ولكن هو عوضنا ما يجد وان كان قد ضاقت ارضه بنا فالفلاة واسعة ثم انشد :

ان ضاق نزل يا فتى بدياركم   فزمامها بيدي وما ضاق الفضا

ثم رحل منها الى ان قارب ارض العراق وتفرق اولاده في نواحيها .

ولما بلغ سليمان حضور الرسل ركب وقصد استغنام الفرصة ، ولما رآهم اصحاب ابي سعيد وجدوهم ومعهم كثير من العرب فتحققوا ان سليمان قاصد الفتنة فلم يواجهوهم بشر بل وقفوا وسيروا اليه قاصداً من جهتهم وقالوا : انا رسل ابي سعيد الى السلطان الملك الناصر وايش الغرض منا فقال ارجع اليهم وعرفهم ان البلاد التي للملك الناصر قد طردنا منها وخرجنا عن طاعته ، واعطى اخبازنا لغيرنا من العرب وما بقي لنا معاش ومكسب الا قطع الطريق واخافة السبيل والذي معكم نأخذه ، و بعد ذلك اما ارجعوا الى بلادكم واما روحوا الى الملك الناصر .

وكان في الرسل من يعرف سليمان واباه عندما دخلوا الى خر بندا وصار له معهم صحبة ولما عرف انه سليمان اخذ معه هدية حسنة وركب في جماعة من المغل اليه فرآه وسلم عليه وقدم له ما احضره واعتذر اليه ، وترفق له في السؤال فترك لهم سليمان امرهم ورجع عنهم رعاية لذلك الرجل .

الرسل عند سلطان مصر : (التقادم)

« ثم لما وصلوا الى السلطان اكرمهم وسأل عن ابي سعيد ونائبه جوبان والوزير ثم احضروا التقادم وكان فيها خوذة فولاذ منقوش عليها القرآن كاملا جميعه ذهب

ولم ير احد هدية افخر منها وثلاث قطر بخاتي وعشر جرار وستة مماليك وقليل من الؤلؤ وقالوا للسلطان : ان اخاك الملك ابا سعيد يسلم عليك، يقول ان اباه خربندا كان يقول انا والسلطان الملك الناصر شيء واحد ، والمسلمون جيش واحد ، ونسكن الفتن القديمة ، ونقيم بالملة الاسلامية ...

ثم انزلهم السلطان دار الضيافة .

امر الصلح :

« وكان ابو سعيد ذكر في كتابه شروطاً عديدة منها :

١ — ان يمنع حضور الفداوية في بلاده فلا يدخل احد منهم .

٢ — ان من حضر من مصر الينا فلا يطلب ، واي من حضر من عندنا اليكم فلا يعود الا ان يكون برضاه .

٣ — ان لا يدخل في بلادنا غارة من عرب ولا تركمان .

٤ — ان تكون الطريق بيننا مفتوحة يدخل من عندنا اليكم التاجر وغيره فلا يعارض وكذلك اذا حضر منكم احد .

٥ — ان يكون لنا سنجق سلطاني (علم) يحمل في الركب الذي يخرج من عندنا الى مكة .

٦ — ان لا يطلب قراسنقر ولا يذكر لانه نزيل عندنا فوجبت حرمته علينا .

٧ — ان يبعث السلطان الينا رجلا معروفاً بالجودة وممن يوثق به في الامور ويكون معه نسخة يمين من السلطان ونحن ايضاً نحلف ونجوبان كذلك يحلف فيستمر الصلح فيما بيننا ويصير الاقليمان اقليما واحداً .

فلما وقف السلطان على ذلك شاور الامراء وقرأ عليهم الكتاب فاشاروا عليه بان يفعل ما في خاطره .

ثم ان الرسل اقاموا اياماً قليلة ثم جهزهم السلطان باحسن جهاز وانعم على الرسول شيئاً كثيراً سوى الخلع والحوايص ، وجهز برسم ابي سعيد هدية وهي فوقاني اطلس بطراز ، وزاير باولي وزركش ، وقباتيري ، وقرقلات ، وبركستوانات وخود . وجهز لكل واحد من نوابه وخواصه هدية تصلح لهم .

وكتب الجواب بجميع ما سألوه ... وان العرب آل عيسى قد كثر فسادهم في البلاد وخرجوا عن طاعتي وقد اخرجتهم من بلادي ، واريد انا ايضاً ان لا تمكنوهم من الدخول الى بلادكم وتمنعوهم وانا اخرج عسكراً من عندي ، وانتم اخرجوا عسكراً من عندكم فنشيل سائر العرب ... » اه (١)

وفي هذا ما يبصر بالاوضاع السياسية بيننا و بين مصر وسورية ، وحالة العشائر البدوية في ذلك الزمن وروحيتها نحو الحكومات المجاورة ...

الفداوية من الاسماعيلية :

وفي هذه السنة عاث الفداوية من الاسماعيلية وحاولوا كثيراً قتل قراسنقر ، وعلم انهم لم يقفوا عنده ، وان ابا سعيد وجوبان وعلي شاه خافوا منهم ... فسيروا الرسل الى الملك الناصر يخبرونه بالامر ، وقد ارتبك بهم الحال وخافوا حتى ان ابا سعيد لم يخرج من الخركاه اياماً ، ولاموا السلطان الملك الناصر بانه يريد ان يتم الصلح و يبعث بالفداوية ليعيثوا ... (٢)

الركب العراقي — عودته من الحج :

مر القول عن ذهاب الركب العراقي الى الحج ووصوله الى هناك وكان معه خال السلطان ابي سعيد وغيات الدين صاحب هراة وهو امير الركب وشحنة بغداد

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢٢١ - ٢٢٠ ، كذا ص ٢٢٣ .

را الشيخ صدر الدين ابن حمويه من خراسان وجمع عظيم وتحمل زائد ومحملهم مذهب وفيه احجار جوهرية بديعة ، وعمل جوبان نائب ابي سعيد والخواجة علي شاه الوزير صدقات كثيرة ومعروفاً من انواع القربات حتى انه كان في كل منزلة من منازل الركب العراقي يضرب لكل من ابي سعيد وجوبان والوزير حوض سبيل فيه سكر سويق وينادى هذا سبيل فلان . ثم ان الركب تعرض اليهم مهنا كما قدمنا ولم يأخذ منهم شيئاً ، ثم خرج عليهم من عرب البحرين نحو الف فارس ومشاة كثيرة وقطعوا عليهم الطريق ، وكان اكابر هؤلاء قد حضروا الى الملك الناصر ... فانعم عليهم انعاماً كثيراً ... ولما رآهم اكابر الركب العراقي الذين هم من اصحاب ابي سعيد وجوبان ... وعرفوهم ان معهم كتاب السلطان الملك الناصر وسنجقه وهو منشور في محملهم وفي كتابه الى سائر العرب بالاكرام والاحسان الى الركب فلما وقفوا على الكتاب ورأوا السنجق قالوا (السمع والطاعة) للملك الناصر ثم فسحوا لهم الطريق . قال صاحب النزهة ثم ساروا آمنين ...(١)

وفيــات

١ — ابن عصبة البغدادي :

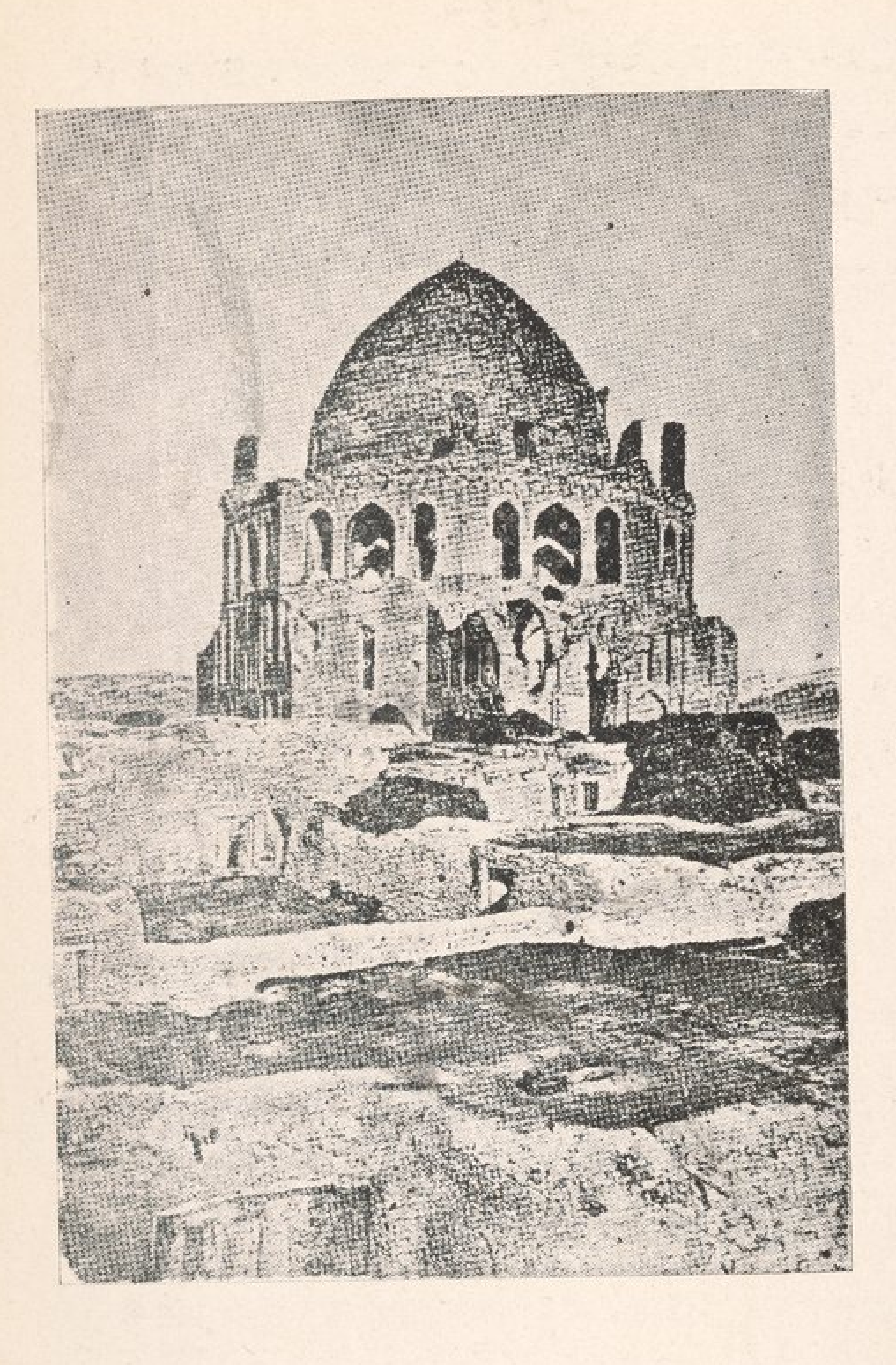
في هذه السنة توفي القاضي جمال الدين احمد المعروف بابن عصبة البغدادي الحنبلي . قال الطوفي حضرت درسه وكان بارعاً في الفقه والتفسير والفرائض . واما معرفة القضاء والاحكام فكان اوحد عصره في ذلك . (٢)

٢ — حميضة ابن ابي نمي :

هو الشريف عز الدين امير مكة كان هو واخوه رميثة وليا امرة مكة ... وجرت

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ ص ٢٢٣ . (٢) شذرات الذهب ج ٦ ص ٥٣ .



١٥ — مرقد الجايتو تابع ص ٤٤٢

له وقائع في العراق وناصره السلطان خربندا قتل في جمادى الآخرة سنة ٧٢٠ هـ (١)

حوادث سنة ٧٢١ هـ

(١٣٢١ م)

مهنا ابن عيسى امير العرب :

وفي هذه السنة عبر مهنا ابن عيسى الفرات وتوجه الى السلطان ابي سعيد ملك التتر مستنصراً به على سورية واخذ معه تقدمة برسم التتر سبعمائة بعير وسبعين فرساً وعدة من الفهود . (٢)

هدايا السلطان الى سعيد :

وفي هذه السنة اهدى السلطان ابو سعيد الى سلطان مصر صناديق ودقيقاً وجمالا وتحفاً . (٣)

وفي عقد الجمان ان الرسل وصلت في ٢٩ المحرم ... وكانت الرسل ايضاً قد توالى توافدهم من اوزبك نظراً لتوتر العلاقات بينهم و بين السلطان ابي سعيد والكل منهم يخطب ود ملك مصر حذراً من وقوع حرب بينهما او توقع حدوثها ...

كتاب من بغداد :

قال ابن الوردي : « وفي هذه السنة في آخر جمادى الآخرة ورد كتاب من بغداد مؤرخ بالحادي والعشرين من جمادى الآخرة وفيه انه جرى ببغداد شيء ما جرى من زمان الخليفة الى الآن وذلك انهم خربوا البازار من اوله الى آخره وما يعلم ما عزموا عليه الا الله تعالى ما تركوا بالبلد خاطئة الا توبوها وزوجوها واراقوا

---

(١) التفصيل في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨١ . (٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٩٧ .
(٣) ابن الوردي ج ٢ ص ٢٧١ .

الشراب ومنعوا الناس من العصير ونودي ان من تخلف عنده شيء من الشراب حل ماله ودمه للسلطان فطلع بعد ذلك عند شخص جرة فقتلوه وعند آخر جرتان فقطعوا رأسه وعلموا اليهود والنصارى بالعلائم واسلم جماعة في كل يوم جمعة يسلم جمع ... » اه . (١)

وجاء في عقد الجمان : « ابطل ابو سعيد ابن خر بندا مكس الغلة ورسم على الخمارين والزمهم باحضار الخمور في الظروف فاجتمع نحو عشرة آلاف ظرف فاهريقت واحرقت الظروف ، وفعل ذلك في جميع بلاده . » اه

وفيات :

١ — وفاة محمد بن قيصر بن عبد الله البغدادي : اصله بغدادي ثم توطن ماردين . وهو نجم الدين النحوي . كان ابوه مملوكا لبعض التجار واشتغل هو ففاق في النحو والتصريف والمعاني والقراآت والعروض وغير ذلك وصنف في جميع ذلك . وله قصيدة على وزن الشاطبية بغير رمز . ولحق ياقوت المستعصمي فكتب عليه وجوّد طريقته وعليه كتب اهل ماردين : وكان كثير الهجاء سيء السيرة . مات في ذي القعدة سنة ٧٢١ هـ . (٢)

٢ — ابن جار الله : هو محمد بن محمد بن احمد بن علي بن فضل الله الواسطي ابو عبد الله ابن الطحان و يعرف بابن جار الله ولد سنة ٦٥٢ سمع من عمر الكرماني وغيره . مات في ١٧ جمادى الاولى سنة ٧٢١ . (٣)

٣ — محمد بن مقلد بن علي العاني : هو الدلال المقسمي ولد سنة ٦٥٣ مات بالقاهرة في ١٣ ذي الحجة سنة ٧٢١ هـ

«١» ن الوردي ج ٢ ص ٢٧٢ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٤٨ . «٣» كذا ص ١٦٤ ج ٤ . كذا ص ٢٦٢ .

٤ — احمد ابن حامد بن عصية : هو حنبلي بغدادي ولي قضاء بغداد وعظم قدره عند خربندا ثم تغير عليه ومات سنة ٧٢١ هـ . (١)

حوادث سنة ٧٢٢ هـ

(١٣٢٢ م)

رسل ابي سعيد — شروط الصلح :

« بتاريخ العشر الاخير من ربيع الاول وصلت الى الابواب العالية رسل ابي سعيد ملك العراقيين وهم حسن بن شادي بن صنوجق ومملوك جوبان نائب ابي سعيد والقاضي نصير الدين محمد ابن القزويني الشافعي قاضي تبريز وصحبتهم ابن خاله السلطان احمد وكان مجيئهم بسبب المصاهرة بين الملكين فانعم السلطان عليهم وسفر معهم ايتمش المحمدي احد مقدمي الالوف رسولا بهدية سنية من الخيول الاصائل والحوايص المجوهرة وحمار الوحش مخطط بابيض واسود وصل من اليمن . وقال صاحب النزهة وكان رسل ابي سعيد المذكورين قرروا مع السلطان ان يستمر الصلح بينهم و بين المسلمين فانهم قد لحقوا بالاسلام وتلفظوا بالشهادة واقيمت عندهم الخطبة والصلوات وان يكون بينهم يمين ان لا يدخل بلادهم فداوي ، وان يكون الحاج مستمراً ، وان كل من يحضر الى بلادهم يرجع الى مصر وكل من يحضر منا اليهم يرجع الى بلادنا ، وان الرسول الذي يحضر من جهة السلطان يكون ممن يوثق بدينه وامانته .

فلما سمع السلطان اجاب الى ذلك وامر القاضي كريم الدين ان يستعمل بالاسكندرية تفاصيل عليها اسم السلطان ابي سعيد ونائبه جوبان ، وجهز له تحفاً

---

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ١١٧ .

كثيرة وعشر قوافل وعشر بركستوانات وخوذاً وسيوفاً وخيلا عربية كاملة العدد واشياء فاخرة وعين للسفر الامير ايتمش المحمدي لانه كان رجلا جيداً صادق اللسان عاقلا يعرف لسان التتار وكتب معه وذكر في الجواب عن جميع ما في كتاب ابي سعيد غير انه خالف في قولهم ان كل من يحضر الى بلادهم يرجع اليهم وذكر ايضاً انه يخطب باسمه في بلادهم ويذكر اسمه قرين اسم ابي سعيد وان يكون له تاجر مقيم في الاردو برسم شراء مماليك وجوار وهو مجد الدين السلامي وان من كان في بلادهم من الزام السلطان يرسلونه اليه ولا يمنعوا احداً من الدخول في بلاد السلطان وان السلطان فسح لركب العراق في الحج واوصى امراء مكة بهم ، وان عرب آل مهنا لا يقربونهم ، وذكر انه يكون هو واياه متفقين على اخراجهم من البلاد وان كان لابي سعيد اخت او واحدة من عظم الخان برسم المصاهرة بينهم يكون ذلك لانه آكد للصلح ، ثم ان السلطان انعم على ايتمش بالفي دينار وامره بالسفر وكتب معه الى نائب الشام ونائب حلب باكرامه والقيام بخدمته . »اﻫ (١)

الامير فضل ابن عيسى :

عاد الى سورية من الحجاز صحبة الادر السلطانية داخلا عليهم مستشفعاً بهم فرضي عنه سلطان مصر واقره على امرة العرب موضع محمد بن ابي بكر امير آل عيسى وكان اقامه السلطان مقام مهنا سنة ٧٢٠ ﻫ والامير فضل هو اخو مهنا المذكور .(١)

وفيات :

١ — وفاة عبد الله ابن محمد بن عبد العظيم الواسطي : المقري نجم الدين . قرأ بواسط على الشيخ خريم ، وعلي حسن الكوساني ، واحمد ومحمد امين غزال وغيرهم ،

«١» عقد الجمان ج ٢٢ . «٢» ابو الفداء ج ٤ ص ٩٤ و ص ٩١ .

ثم قدم دمشق فقطنها وجلس للافادة ونظم قراءة يعقوب في كراسة . قال الذهبي جودها ومات في شوال سنة ٧٢٢ هـ . (١)

٢ — وفاة نصير الدين ابن وجيه الدين التكريتي : هو عبد الله ابن محمد بن علي ابن ابي طالب بن سويد بن معالي الربعي التغلبي التكريتي ثم الدمشقي ولد في شوال سنة ٥٧ وسمع من الرضى ابن البرهان (والبرهان) والنجيب وعبد الدائم فا كثر واجاز له محمد بن عبد الهادي وعبد الله بن بركات الخشوعي وغيرها ... وهو من بيت كبير ، وصدر محترم وكان ابوه تاجراً ... مات في العشرين من رجب سنة ٧٢٢ هـ . (٢)

٣ — وفاة الشيخ صدر الدين الجويني :

٤ - صدر الدين ابو الجامع : هو ابراهيم ابن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني ولد سنة ٤٤ وسمع من عثمان بن الموفق صاحب المؤيد الطوسي وسمع على علي ابن انجب وعبد الصمد بن ابي الخير وابن ابي الدنية وا كثر عن جماعة بالعراق والشام والحجاز وله رحلة واسعة وكان ديناً وقوراً مليح الشكل جيد القراءة وعلى يده اسلم غازان . وتزوج بنت علاء الدين صاحب الديوان سنة ٧١ وكان الصداق خمسة آلاف دينار ذهباً . وقال عنه الذهبي حاطب ليل . ومات سنة ٧٢٢ في ٥ المحرم بالعراق وفي عقد الجمان انه توفي سنة ٧٢٣ هـ . (٣)

* * *

«١» الدرر الكامنه ج ٢ ص ٢٩٥ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٠ وعقد الجمان ج ٢٢ ص ٣٤٧ . «٣» الدرر الكامنة ج ١ ص ٦٨ وعقد الجمان ج ٢٢ .

حوادث سنة ٧٢٣ هـ

(١٣٢٣ م)

رسل السلطان الى سعيد :

في هذه السنة ذهبت رسل السلطان ابي سعيد ورسل نائبه الامير جوبان وتوجهوا الى سلطان مصر بالقاهرة ثم عادوا الى بلادهم . (١)

وفي عقد الجمان ما نصه :

« ورد رسل ابي سعيد بسبب الايمان التي عليها الصلح الذي بينه وبين الملك الناصر ، ورسم السلطان للامير ايتمش بالخروج الى ملتقاه وصحبته المهمنداروان يأخذ معه كل ما يحتاج اليه من سائر الاشياء فركب اليهم في جماعة وتلقاهم من الصالحية .. وعند دخولهم امر السلطان للامراء بلبسهم على العادة المستمرة فدخلوا ورأوا موكباً عظيما وحصل لهم من السلطان اقبال وقدموا تقدمة ابي سعيد فكانت شيئاً كثيراً من البخاتي والاكاديش والنفاصيل المثمنة ، ومعهم كتاب يترفق فيه ابو سعيد و يعرف السلطان الذي قصده من الامور لم يخرج عن شيء من ذلك وان الذي طلبه من امر الخطبة والرغبة في المصاهرة فانه يقصد المهلة في ذلك الى حين يقع الغرض و يعلم انه يصلح لمثله وكتب في كتابه ايضاً ان يعرف نائب حلب ونائب الشام ان لا يمنعوا احداً من دخول الفرات ولا الاقامة في مدينة يختارها وتكون مصر والشام و بلاد الشرق بلاداً واحدة ، وكذلك نائبه جوبان والوزير ايضاً كتب وارسل كل منهما هدية على قدره وارسلوا ايضاً هدية للقاضي كريم الدين وكاتبه الوزير من جهته يعرف، ان جميع ما قصده مولانا قد فعله المملوك فان اساس الصلح

---

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ٩٥ .

بين هذين الملكين كان كريم الدين بمصر والوزير الخواجة علي شاه ، فان الرسالات كانت متصلة بين الوزيرين والهدايا متوالية ، وكان السفير في ذلك مجد الدين السلامي ، وكان القاضي كريم الدين قد اذهل هذا الوزير بانواع العطايا والهدايا التي كان يرسلها اليه بحيث استجلبه الى ان حكم على جوبان وحكم جوبان على ابي سعيد وا كابر المغل واراد الله ان يجمع شمل الاسلام على كلمة واحدة .

ولما قرب سفر الرسل احضرهم واحضر الامراء وحلف اليمين التي عقد عليها الصلح وكتب بها نسخة على العادة وسير صحبتهم ما حسن وافتخر به من كل شيء ، وخلع على كبير الرسل ثلاث خلع مكملة بحوايص ذهب واعطاه الفي دينار وانعم على سائر من كان معه واطاق له شراء الخيل العربيات وجميع ما يختاره وامر ان لا يتعرض اليه احد من النواب ولا الولاة وكذلك القاضي كريم الدين ارسل من جهته اشياء مناسبة واشياء مفتخر هدية لابي سعيد وجوبان والوزير وكتب السلطان ايضاً الى نائب الشام والى نائب حلب وسائر المملكة ان لا يمنع من يريد دخول الفرات ولا من يريد النزول باراضيه ، وان يكون كل من يحضر امنا على نفسه وماله وكذلك التجار والمسافرون وسائر ارباب الصنائع ، وان الشرق و بلاد مصر بلاد واحدة ، والاسلام قد جمع بين الكل .

وكتب القاضي كريم الدين الى مجد الدين السلامي وعرفه ان السلطان اقبل على الرسل اقبالا عظيما وسأله ان يحضر الى مصر ليجتمع بالسلطان و يعود في امر مهم يختص به . وكان طلب السلامي ليرسل معه فداويا متنكراً ليغتال قراسنقر وقد اعتذر السلامي فلم يقبل عذره ، واوعز اليه ان يبقى مدة بصفة مملوك ثم يجري فعلته ... فلم يوفق لغرضه فاعيد ومعه هدايا من السلطان ومن القاضي ...

رسول مصر الى السلطان ابي سعيد :

وفي هذه السنة وصل الامير ايتمش المحمدي الى تبريز فتلقاه الوزير وقد عرف منزلته من قراسنقر وجاء بحشمة وابهة لا مزيد عليهما ... وقد تكلم العيني عن ذلك مفصلا و بين ان مكالمته كانت بالمغولية ، وانه مغولي فاقيمت له الضيافات وامتنع من شرب الخمر ... وقد قضى الامور التي ذكرها السلطان في كتابه والشروط المبسوطة فيه ... والتمس چوبان من الرسول عفو السلطان من ارسال فداوية متوالين الى قراسنقر لاغتياله ، وطلب العفو عن الغدر به ... و بعدها صعد الخطيب يوم الجمعة فدعا للسلطانين و بين ما جرى عليه الصلح ، وان الاسلام ملة واحدة ، فعاد الى مصر مزوداً بالهدايا للسلطان . (١)

حج بنت السلطان ابقا :

وفي هذه السنة ذهبت الملكة بنت ابقا واسمها قطلو وفي خدمتها عدة كثيرة من التتر الى الحج ورسم السلطان ورتب لها في الطرقات الاقامات الوافرة . (٢)

سماها صاحب الدرر الكامنة يلقطو وهي عمة غازان . كانت جيدة الاسلام كثيرة المناصحة للمسلمين وكان يقال لزوجها عرب طيء ولما قتل ركبت بنفسها فقتلت قاتله وخطبها الافرم وهو نائب دمشق فهزت رسله وامتنعت بعد ان كان بذل لها حمص و بلادها مهراً . وحجت سنة ٧٢٣ﻫ في تحمل زائد فيقال تصدقت في الحرمين بثلاثين الف دينار وكانت تركب بالجر وتتصدق في طول الطريق ودخلت دمشق فتلقاها تنكز و بالغ في اكرامها ورجعت الى بلادها الى ان ماتت سنة ٧٢٣ﻫ ... (٣)

«١» عقد الجمان ج ٢٢ . «٢» ابو الفداء ج ٤ ص ٩٥ . «٣» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٤٣ .

وفيـــات

١ — وفاة مؤرخ عراقي (ابن الفوطي) :

ترجمه جماعة . توفي في ثالث المحرم هذه السنة وقد مر وصف الكتاب المنسوب اليه المسمى (بالحوادث الجامعة) . قال صاحب الشذرات : مؤرخ الآفاق ، العالم ، المتكلم كمال الدين عبد الرزاق بن احمد بن عمر بن ابي المعالي محمد بن محمود ابن احمد بن محمد بن ابي المعالي الفضل بن العباس بن عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني المروزي الاصل البغدادي الاخباري الكاتب المؤرخ الحنبلي ابن الصابوني و يعرف بابن الفوطي – (محركا نسبة الى بيع الفوط)— وكان الفوطي المنسوب اليا جده لامه . ولد في ١٧ المحرم سنة ٦٤٢ بدار الخلافة من بغداد وسمع بها من ابن الجوزي ثم اسر في واقعة بغداد وخاصه النصير الطوسي الفيلسوف وزير الملاحدة فلازمه واخذ عنه علوم الاوائل وبرع في الفلسفة وغيرها وامده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم واشتغل على غيره في اللغة والادب حتى برع ومهر في التاريخ والشعر وايام الناس واقام بمراغة مدة ولي بها كتب الرصد بضع عشرة سنة وظفر بها بكتب نفيسة وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه وسمع بها من المبارك بن المستعصم بالله سنة ٦٦٦ هـ ثم عاد الى بغداد و بقي بها الى ان مات

وقال في عقد الجمان : « الشيخ الامام الحافظ المحدث المؤرخ العلامة الاخباري الاديب ... صاحب التصانيف ... وله شعر كثير بالعربي والعجمي ... اسر في واقعة بغداد وسار الى النصير الطوسي واشتغل عليه بعلوم الاوائل وبرع في الادب والنظم والنثر ومهر في التاريخ ، وكان قلمه سريعاً مع خط بديع ... لهج بالتاريخ واطلع على كتب نفيسة ثم تحول الى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية

وأكب على التصنيف رحمه الله . » اه (١)

ومن مؤلفاته :

١ — تاريخه الكبير .

٢ — مجمع الاداب في معجم الاسماء على معجم الالقاب . منه مجلد واحد في المكتبة الظاهرية بدمشق .

٣ — كتاب درر الاصداف في غرر الاوصاف مرتب على وضع الوجود من المبدأ الى المعاد في عشرين مجلداً .

٤ — كتاب المؤتلف والمختلف وهو المسمى تلقيح الافهام .

٥ — كتاب التاريخ على الحوادث من آدم الى خراب بغداد .

٦ — كتاب حوادث المائة السابعة والى ان مات .

٧ — كتاب الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة .

٨ — معجم شيوخه .

٩ — ذيل تاريخ ابن الساعي .

١٠ — تلقيح الافهام عن تنقيح الاوهام .

وله مؤلفات اخرى وترجمه الذهبي في تذكرة الحفاظ والكتبي في فوات الوفيات وجاء وصف بعض مؤلفاته في كشف الظنون ... وله خط بديع جداً ويد بيضاء في النظم وترصيع التراجم و بصر بالمنطق والحكمة . (٢)

٢ — وفاة مدرس البشيرية :

في هذه السنة توفي شمس الدين ابو عبد الله محمد بن محمود الجبلي نزيل بغداد

«١» عقد الجمان ج ٢٢ ص ٤٢٢ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٥ .

المدرس للحنابلة بالبشيرية . كان اماماً ، فقيهاً ، عالماً ، فاضلا ، له مصنف في الفقه لم يتمه سماه (الكفاية) ذكر فيه ان الامام احمد نص على ان من وصى بقضاء الصلاة المفروضة نفذت وصيته . توفي ببغداد يوم الثلاثا ١٠ جمادى الاولى .

٣ — قاضى المغول :

وتوفي برهان الدين محمد ابن ابي بكر بن عمر بن محمد السمرقندي النوجاباذي الحنفي قاضى المغول (المغل) برهان الدين . ولد سنة ٦٤٣ وتفقه ببلاده وقدم بغداد مراراً ...وكان صدراً معظما كثير اللطائف ، حسن المذاكرة اتفق انه لما اكمل ثمانين سنة عمل وليمة حافلة فمات بعدها بجمعة في رمضان سنة ٧٢٣ سمع من محمد ابن يوسف الزرندي والسراج القزويني ... (١)

٤ — صفى الدين الارموى العراقى :

هو صفي الدين محمود ابن محمد الارموي العراقي المتوفي سنة ٧٢٣ هـ وهذا قد هذب (كتاب المحكم والمحيط الاعظم) لابن سيدة وله ترتيب خاص من حروف الهجاء غير النسق المعروف بينه صاحب كشف الظنون في مادة المحكم ...

حوادث سنة ٧٢٤ هـ

(١٣٢٤ م)

مهنا ابن عيسى امير العرب :

في هذه السنة نزل الامير مهنا بن عيسى بظاهر سلمية من بلاد حمص عند تل اعدا وكان له ما يزيد على عشر سنين لم ينزل باهله هناك وكان الامر والنهي اليه في العرب وخبز الامرة لاخيه فضل ابن عيسى . (٢)

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠٦ . (٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٩٥ .

وفي هذه السنة توفي محمد ابن عيسى بن مهنا امير العرب وكان عاقلا نبيلا فيه خير وهو اخو مهنا توفي بسلمية عن نيف وسبعين سنة ودفن عند ابيه ... (١)

وجاء في الدرر الكامنة ان محمد بن عيسى هذا لما جهز خربندا مع حميضة عسكراً ليأخذ له مكة كبسهم محمد المذكور وقتل منهم كثيراً وارسل الى الناصر منهم ار بعمائة اسير فاعجب الناصر ذلك وبالغ في الاحسان اليه . (٢)

رسل السلطان ابي سعيد في مصر :

في هذه السنة حضر مصر رسل السلطان ابي سعيد وهم طوغان بغا وخادمه اخر بدار ورسل من جهة جوبان ومعهم هدايا وتحف كثيرة من خيل وسروج محلاة بالذهب مرصعة بالجواهر وسيف ومنطقة وار بع قطر بخاتي محملة صناديق ملونة الجلود وبرانس الجمال بمحمل وجوخ وغير ذلك من انواع الثياب النفيسة وقضيت اشغالهم وسفروا . (٣)

وفاة الوزير علي شاه :

وفي هذه السنة توفي الوزير علي شاه وقد مر الكلام عن وقائعه مع الخواجة رشيد الدين واتفاقهما للوقيعة بالخواجة سعد الدين ثم مخالفته للخواجة رشيد الدين الى ان سعى بقتله ونال الوزارة بالاستقلال وكان قد شنع على الخواجة رشيد الدين فوجد آذاناً صاغية ... قال ابو الفداء : « وكان قد بلغ منزلا عظيما من ابي سعيد وغيره . وانشأ بتبريز الجامع الذي لم يمهد مثله ومات قبل اتمامه . وهو الذي نسج المودة بين الاسلام والتتر.. » اه (٤)

«١» الشذرات ج ٦ ص ٦٦ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٣١ . «٣» عقد الجمان ج ٢٢ . «٤» ابو الفداء ج ٤ ص ٩٦ .

وهنا يسمي ابو الفداء السوريين والمصريين بالاسلام وملوك المغول بالتتر مع انهم اسلموا .. وهكذا في كل تعابيره المارة ... ومثله من مؤرخي سورية ومصر كثيرون ...

وفي الشذرات جاء عنه « فيها — سنة ٧٢٤هـ — توفي وزير الشرق علي شاه ابن ابي بكر التبريزي كان سنياً معظماً لصاحب مصر ، محباً له . توفي بارجان في جمادى الآخرة وقد شاخ . » اهـ (١) ولم يمت من وزراء المغول على فراشه سواه ... (٢)

وفي الدرر الكامنة هو وزير التتر خدم القاآن ابا سعيد وتمكن منه وكان في اول امره سمساراً وكان محباً لاهل السنة مصافياً للناصر وقد اهدى اليه رقعة بليغة ذهبية وكان مغرى بالعمارة . حتى انه عمر بستاناً في داخله اربع ضياع بغير اقمين (تنور الحمام) بل ركب قدرها على اربع منافخ للحدادين فكلما اوقدوا نارهم حميت القدر فسخن الماء وانشأ جامعاً كبيراً بتبريز ومات بارجان في جمادى الآخرة سنة ٧٢٤ هـ وهو في نحو الستين . (٣)

وجاء في عقد الجمان : « ... خدم الوزير رشيد الدين وباع له واشترى وتقرب اليه وبخدمته تقرب الى الامير جوبان وحاشيته وكان يسافر ويتاجر لاجل الوزير ، ثم جعله الوزير كاتباً في الضياع ، ثم تنقل الى حفظ الاموال وجمعها من البلاد ، وكان كريماً سمح النفس مليح العبادة فاوصافه الحميدة اوصلته الى ان صار نائب الوزير وقوي امره مع جوبان وصحبه الى عمل على الوزير رشيد الدين حتى قتل وتولى مكانه الى ان اتفق ما ذكر من ملاقاة جوبان مع امراء المغل وساعده بالاموال والتحف والرجال وقام معه قياماً اوجب حفظ صحبته الى ان انتصر جوبان وقوي امره ، وكان

«١» ج ٦ ص ٦٣ الشذرات «٢» تاريخ كزيدة ص ٦٠٦ . «٣» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٤ .

هذا الوزير نسج المودة بينه و بين كريم الدين حتى انهما اتفقا على الصلح بين الملكين واخماد الفتن ، ونقل اهل البلاد عن كرم هذا الوزير وعن فتوته واحسانه للغرباء ولمن يرد عليه ومن يقصده ... وقد وصف صاحب النزهة الجامع الذي انشأه و بناه ببناء لا يقدر احد ان يبني مثله ونقل وصفه على لسان من سافر مع ايتمش المحمدي المذكور . (١)

حوادث سنة ٧٢٥ ﻫ

(١٣٢٥ م)

الغرق في بغداد :

« وقع الغرق ببغداد ودام اربعة ايام وزاد الشط عظيما وغرق دائر البلد ومنع الناس من الخروج من المدينة وانحصروا ولم يبق حاكم ولا قاض ولا كبير ولا صغير الا نقل التراب وساعد في عمل السكور لمنع الماء عن البلد و بقيت بغداد كلها جزيرة في وسط ماء ودخل الماء الى الخندق وغرق كل شيء حول البلد وخربت اماكن كثيرة وجميع الترب والبساتين والدكاكين والمصلى ووقعت (مدرسة الجعفرية) و (مدرسة عبيد الله) وغرقت خزانة الكتب التي بها وكانت تساوي اكثر من عشرة آلاف دينار وصار الرجل اذا وقف على سور البلد لا يرى مد البصر الا سماء وماء وغرق خلق واشتد الخطب وامتنع النوم من الضجات وخوف الغرق ودار الناس في الاسواق مكشفة رؤسهم وعمائمهم في رقابهم والربعة (٢) الشريفة على رؤسهم وهم يتلون و يستغيثون ويودع بعضهم بعضاً خائفين وجلين ان يخرق الماء من الخندق مقدار خرم ابرة فيهلكون وغلت الاسعار لذلك اياماً ومن العجب

---

(١) عقد الجمان ج ٢٢ (٢) الربعة الشريفة القرآن الكريم مفرق الى اجزائه .

ان مقبرة الامام احمد تهدمت قبورها ولم يتغير قبر الامام احمد وسلم من الغرق واشتهر ذلك واستفاض . ثم ورد كتاب ان الماء حمل خشباً عظيما وزنت منه خشبة فكانت ستمائة رطل بالبغدادي وجاء على الخشب حيات كبار خلقهن غريب منها ما قتل ومنها ما صعد في النخل والشجر . ومن الحيات كثير ميت . ولما نضب الماء نبت بالارض صورة بطيخ شكله على قدر الخيار وفي طعمه فجوجة واشياء آخر من النبات غريبة الشكل وما يحصي ما خرب من الجانبين الا الله تعالى . » اه(١)

وفي الشذرات جاء عن هذا الغرق ما نصه : « في جمادى الاولى كان غرق بغداد المهول و بقيت كالسفينة وساوى الماء الاسوار وغرق امم لا تحصى وعظمت الاستغاثة بالله تعالى ودام خمس ليال وقيل تهدم بالجانب الغربي نحو خمسة آلاف بيت . قال الذهبي ومن الآيات ان مقبرة الامام احمد ابن حنبل غرقت سوى البيت الذي فيه ضريحه فان الماء دخل في الدهليز علو ذراع ووقف باذن الله تعالى و بقيت البواري عليها غبار حول القبر . صح هذا عندنا . (٢)

وهذا الغرق قد عم اطراف البلاد ولا نزال نراه معتاداً ولم يكن يعرف الى هذه السنة اي انهم لم يروه قبل . ووجود مشهد عبيد الله (قبر النذور) دال على ذلك وفي هذه المرة اخذ مصلى العيد والمدارس و بينها مدرسة العصمتية المذكورة ...

شيخة رباط بغداد :

حجاب بنت عبد الله الشيخة الصالحة كانت شيخة رباط بغداد مشهورة بالصلاح والخير . ماتت في المحرم سنة ٧٢٥ هـ . (٣)

* * *

١، ابن الوردي ج٢ ص ٢٧٨ . ٢، ج ٦ص ٦٦ . ٣، الدرر الكامنة ج٢ ص٦

حوادث سنة ٧٢٦ هـ

(١٣٢٦ م)

مهنا وعمر :

امر سلطان مصر بطرد مهنا وعر به ... (١)

رسل ابي سعيد الى الناصر محمد :

في رجب هذه السنة (٧٢٦) حضرت رسل ابي سعيد الى الناصر محمد وحضر بين هؤلاء يحيى بن طهر بغا المغلي وكان هذا ينوب ابوه عن ابي سعيد بن خر بندا وكانت بينه و بين الناصر محمد قرابة فاستدعاه فحضر مع الرسل فاعطى اباه امرة اربعين و يحيى امرة عشرة . (٢)

١ — وفاة جمال الدين البغدادي :

وفي هذه السنة توفي جمال الدين يوسف ابن عبد المحمود بن عبد السلام البغدادي المقري الفقيه الحنبلي الاديب النحوي المتفنن . قرأ بالروايات وسمع الحديث من محمد ابن حلاوة ، وعلي بن حصين ، وعبد الرزاق الفوطي وغيرهم وقرأ بنفسه على ابن الطبال واخذ عن ابن القواس شارح الفية ابن معطى الادب والعربية والمنطق وغير ذلك وتفقه بالشيخ تقي الدين الزريراني وكان معيداً عنده بالمستنصرية قال الطوفي استفدت منه كثيراً وكان نحوي العراق ومقريه عالماً بالادب له حظ من الفقه والاصول والفرائض والمنطق . وقال ابن رجب نالته في آخر عمره محنة واعتقل

«١» ابو الفداء ج ٤ ص ٩٨ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤١٧ .

بسبب موافقته للشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الزيارة وكتابته عليها مع جماعة من (علماء بغداد) : وتخرج به جماعة وتوفي في ١١ شوال ودفن بمقبرة الامام احمد (١)

هذه الفكرة وآراء ابن تيمية اساسها فقه الظاهرية ولم يعدم هذا الفقه من العراق بعد ولا تزال بقية باقية تقول به ... فلا يستغرب من شيوع فكرة ابن تيمية في بغداد والقول بها ... فهي في الحقيقة مناصرة لصريح الكتاب وواضح نصوصه...

٢ — ابن المطهر :

و يعرف عند الشيعة بالعلامة وهو الحسن ابن الشيخ يوسف بن علي بن المطهر الحلي ولد في رمضان سنة ٦٤٨ هـ وتوفي في الحلة ليلة السبت ٢١ المحرم سنة ٧٢٦ هـ وهو من مشاهير علماء الشيعة والمعول عليهم في الفقه والكلام ومؤلفاته الفقهية لا تزال معتبرة الى اليوم وغالبها مطبوع وقد مر القول عنه في قبول الجايتو (خدابنده) المذهب الشيعي في ايامه و بتشويق منه عام ٧٠٧ هـ وله في الفقه المنتهى والتحرير والتبصرة وغيرها كما ان مؤلفاته في الاخبار والتفسير والكلام كثيرة وله في المنطق والحكمة والنحو مما لا يسع تعداده وقد انتصب ابن تيمية للرد على كتابه منهاج الكرامة في كتاب منهاج السنة وهو مطبوع وترجمته مبسوطة في روضات الجنات وفي كتب الرجال العديدة . وفي الدرر الكامنة ولا محل للاطالة فللبحث عن نهجه الكلامي والفقهي موطن غير هذا ... (٢)

٣ — ابن الهيتي :

هو ناصر بن ابي الفضل بن اسماعيل المقري الصالحي ابن الهيتي ولد سنة ٦٦ ونشأ جميلا جداً وكان صوته مطرباً ثم صحب الباجريقي فصار يقع منه كلمات معضلة

«١» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٦٤ والشذرات ج ٦ ص ٧٤ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٧٢ .

وسلك سبيل التزهد ودخل بغداد مع ركب العراق فيقال انهم نقموا منه شيئاً فهموا به فتوجه الى ماردين ثم فر منها الى حلب فجرى على عادته في الشطح فانكر عليه كمال الدين ابن الزملكاني وهو يومئذ قاضي حلب فقبض عليه وارسله مقيداً الى دمشق فقامت عليه البينة بالزندقة فقتل في ربيع الاول سنة ٧٢٦ هـ ... (١)

حوادث سنة ٧٢٧ هـ

(١٣٢٧ م)

الامير جوبان واولاده :

كانت ولا تزال الادارة والسلطة بيد الامير جوبان واولاده . وكان الخواجة دمشق ابن الامير جوبان ملازماً للسلطان ابي سعيد في السلطانية وفي بغداد شتاء وصيفاً . واما الامير جوبان فان الحالة اقتضت ذهابه الى خراسان وان الخواجة دمشق بقي برفقة السلطان وفي اول سنة ٧٢٧ هـ جاء ابن بطوطة العراق فوجد السلطان ابا سعيد والخواجة دمشق في بغداد والوزير محمد غياث الدين ابن الخواجة رشيد الدين فشاهد السلطان والامير الخواجة دمشق والوزير قال :

« كان السلطان — ملكا فاضلا كريماً ملك وهو صغير السن ببغداد وهو شاب اجمل خلق الله صورة لا نبات بعارضيه ولم يحصل له من السلطان الا الاسم والسكة والخطبة ووزيره اذ ذاك الامير غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين وكان ابوه من مهاجرة اليهود (٢) واستوزره السلطان محمد خدابنده والد ابي سعيد رأيتهما يوماً بحراقة في الدجلة وتسمى عندهم الشبارة وهي شبه سلورة و بين يديه دمشق خواجة

«١» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٨٧ . ٢٠» تابع ابن بطوطة في ذلك ما اشيع عنه من قبل اعدائه ومناوئيه ... ونظراً للنصوص التاريخية المعروفة ان السلطان اتخذ الامير غياث الدين محمداً وزيراً بعد الوقيعة بالامير جوبان ...»

ابن الامير جوبان المتغلب على ابي سعيد وعن يمينه وشماله شبارتان فيهما اهل الطرب والغناء ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم فامر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده ونفقة تجري عليه ولما ولي السلطان ابو سعيد وهو صغير كما ذكرنا استولى على امره امير الامراء الجوبان وحجر عليه التصرفات حتى لم يكن بيده من الملك الا الاسم ويذكر انه احتاج في بعض الاعياد الى نفقة ينفقها فلم يكن له سبيل اليها فبعث الى احد التجار فاعطاه من المال ما احب ولم يزل كذلك الى ان دخلت عليه يوماً زوجة ابيه دنيا خاتون (١) فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام فقالت له لقد انتهى امر دمشق خواجة ابن الجوبان الى ان يفتك بحرم ابيك وانه بات البارحة عند طغا خاتون وقد بعث اليّ وقال لي الليلة ابيت عندك وما الرأي الا ان تجمع الامراء والعساكر فاذا صعد الى القلعة مختفياً برسم المبيت امكنك القبض عليه وابوه يكفي الله امره وكان الجوبان اذ ذاك غائباً بخراسان فغلبته الغيرة وبات يدبر امره فلما علم ان دمشق خواجة بالقلعة امر الامراء والعساكر ان يطيفوا بها من كل ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري فوجد سلسلة معرضة على باب القلعة وعليها قفل فلم يمكنه الخروج راكباً فضرب الحاج المصري السلسلة بسيفه فقطعها وخرجا معاً فاحاطت بهما العساكر ولحق امير من الامراء الخاصكية يعرف بمصر خواجة وفتى يعرف بلؤلؤ دمشق خواجة فقتلاه واتيا الملك ابا سعيد برأسه

---

(١) هذه بنت الملك المنصور نجم الدين غازي الثاني ابن قرا ارسلان وهو عاشر امراء الايلغازية من بني ارتق وقد مرت الاشارة عن تزوج السلطان خدابنده بها ..

فرموا به بين يدي فرسه وتلك عادتهم ان يفعلوا برأس كبار اعدائهم وامر السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من خدامه ومماليكه واتصل الخبر بابيه الجوبان وهو بخراسان ومعه اولاده امير حسن وهو الاكبر وطالش وجلوخان (١) وهو اصغرهم وهو ابن اخت السلطان ابي سعيد، امه ساطي بك بنت السلطان خدابنده ومعه عساكر التتر وحاميتها فاتفقوا على قتال السلطان ابي سعيد وزحفوا اليه فلما التقى الجمعان هرب التتر الى سلطانهم وافردوا الجوبان فلما رأى ذلك نكص على عقبيه وفرّ الى صحراء سجستان واوغل فيها واجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجيراً به ومحصناً بمدينته وكانت له عليه اياد سابقة فلم يوافقه ولداه حسن وطالش على ذلك وقالا له انه لا يفي بالعهد وقد غدر بـ (فيروز شاه) بعد ان لجأ اليه وقتله فابى الجوبان الا ان يلحق به ففارقه ولداه وتوجه ومعه ابنه الاصغر جلوخان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وادخله المدينة على الامان ثم غدر به بعد ايام وقتله وقتل ولده وبعث برأسيهما الى السلطان ابي سعيد واما حسن (٢) وطالش فانهما قصدا خوارزم وتوجها الى السلطان محمد اوزبك فاكرم مثواهما وانزلهما الى ان صدر منهما ما اوجب قتلهما فقتلهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمرطاش فهرب الى ديار مصر فاكرمه الملك الناصر واعطاه الاسكندرية فابى من قبولها وقال انما اريد العساكر لاقاتل ابا سعيد وكان متى بعث اليه الملك الناصر بكسوة اعطى هو للذي يوصلها اليه احسن منها ازراء على الملك الناصر واظهر اموراً اوجبت قتله فقتله وبعث برأسه الى ابي سعيد (قد ذكرنا قصته وقصة قراسنقور فيما تقدم) ولما

(١) في تاريخ الغياثي اسمه جلاوخان . (٢) وفي الغياثي انه قال لابنيه ومن معهما من الامراء انكم عاهدتموني على ان لا تفارقوني حتى حافة القبر فقال ابنه حسن اعلم ان دخولك هراة دخولك الى القبر ... (ص ١٩٧ الغياثي)

قتل الجوبان جيئ به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحملا الى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله ﷺ فمنع من ذلك ودفن بالبقيع والجوبان هو الذي جلب الماء الى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان ابو سعيد بالملك اراد ان يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وهي من اجمل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغلب بعد موت ابي سعيد على الملك وهو ابن عمته فامره فنزل عنها وتزوجها ابو سعيد وكانت احظى النساء لديه والنساء لدى الاتراك والتتر لهن حظ عظيم وهم اذا كتبوا امراً يقولون فيه عن امر السلطان والخواتين ولكل خاتون من البلاد والولايات والمجابي العظيمة واذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة وغلبت هذه الخاتون على ابي سعيد وفضلها على سواها واقامت على ذلك مدة ايامه ثم انه تزوج امرأة تسمى بدلشاد (١) فاحبها حباً شديداً وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في منديل مسحته به بعد الجماع فمات وانقرض عقبه وغلبت امراؤه على الجهات ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هي التي سمته اجمعوا على قتلها و بدر لذلك الفتى الرومي خواجة لؤلؤ وهو من كبار الامراء وقدمائهم فاتاها وهي في الحمام فضربها بدبوسه وقتلها وطرحت هنالك اياماً مستورة العورة بقطعة تليس واستقل الشيخ حسن بملك عراق العرب وتزوج دلشاد امرأة السلطان ابي سعيد كمثل ما كان ابو سعيد فعله من تزوج امرأته . (٢)

ويلاحظ هنا ان ابن بطوطة كان اول مجيئه الى العراق ايام السلطان ابي سعيد اوائل عام ٧٢٧ ﻫ كما تقدم ثم انه عاود العراق بعد انقراض دولة المغول فحكى

«١» هذه بنت دمشق خواجة ابن الامير جوبان وبعد انقراض حكومتهم تزوجها الشيخ حسن الجلايري على ما سيأتي ... «٢» ص ١٣٨ رحلة ابن بطوطة ج ١ .

ما شاهده اولا وآخراً فجمع كافة ما علمه ورآه في المشاهدات العديدة .

وفي كاشن خلفاء ان السلطان لما وصل حد البلوغ علق بزوجة الشيخ حسن الايلخاني وهي بغداد خاتون بنت الامير چوبان وله من الشعر فيها :

بيا بمصر دلم تا دمشق جابيني كه ارزوى دلم درهواي بغداداست(١)

فكان مغرماً قد يتمه الحب واخذ بلبه العشق وكبله . ولما شعر الامير چوبان بالامر حسب ان ذلك كان عشقاً مجازياً ، او ان ذلك لم يتمكن فيه وعلى هذا سير بغداد خاتون وزوجها الشيخ حسن الايلخاني الى قره باغ قطعاً لدابر التقولات ... اما السلطان فلم يطق صبراً فحرك ركابه نحو من يهوى رضي الچوبان ام لم يرض وحينئذ وافى الى بغداد خاتون بشوق لا مزيد عليه ...

وعلى كل كان في اضطراب ووله ... و يصغى لكل تدبير في سبيل نيل امنيته... وان من وزرائه الملك نصرة الدين عادل النسوي (البصري) الملقب (صاين وزير) قد بلغ السلطان عن الامير چوبان اموراً نسب فيها اقبح الاحوال اليه فوجد من السلطان اذناً صاغية ... فاطلع على ذلك الخواجة دمشق ابن الامير چوبان بواسطة بعض الامراء فاعلم والده بما جرى خفياً واهتم للانتقام من هذا الوزير بعزله وانتزاع الوزارة منه ، وان ينال العقوبة بقتله ...

اما السلطان فانه سار من بغداد الى السلطانية ولتهمة نسبت الى الخواجة دمشق ابن الامير چوبان وسعي من بعض ارباب الاغراض قد قتله السلطان في ٥ شوال من هذه السنة ... ولما وصل خبر ذلك الى الامير چوبان امر بقتل الوزير وكذا اعدم ركن الدين لانه كفر نعمته ثم سار بجيش لجب يبلغ نحو السبعين الفاً فاغار

«١» تعالي الى مصر قلبي لتبصري مكانة دمشق منه الا ان هوي بغداد قد اخذ بمجامع لبي فاماله اليه ...

على فيلق السلطان وفي الاثناء وفي القرب من هناك جاء الچوبان الى الشيخ علاء الدولة وابدى له ما وقع وطلب ان يقتص من قاتلي ابنه فتوسط الشيخ المومأ اليه وطلب من السلطان ان يعدل في القضية ونصحه في ذلك ووعظه وحذره نتائج اهمال ذلك فلم ينل غرضاً منه وابى عليه ويئس الامير چوبان فالتهب غيظاً وجزع للمصاب دون ان يجد له ناصراً سوى قوة ساعده وما لديه من اعوان ... فتأهب للانتقام والمباشرة في الحرب الا ان اكثر الامراء مالوا لجانب السلطان وتابعوه كما مر وحينئذ ندم الامير چوبان ورجع مرة أخرى الى خراسان مختفياً ، هارباً فذهب الى انحاء هراة والتجأ الى الملك غياث الدين لحقوقه السابقة بينه وبينه ونظراً للحكم القطعي الصادر من السلطان لم يتمكن من ايوائه فقتله وعلى وصية منه جيء بنعشه الى المدينة المنورة ...

ثم ان السلطان ارسل القاضي مبارك شاه الى الامير حسن الايلخاني أن يطلق زوجته بغداد خاتون فاضطر الى مفارقتها خوفاً على حياته فطلقها ثلاثاً ولما انقضت عدتها عقد عليها السلطان وتزوجها ... (١)

وفي ابي الفداء عن هذه الوقعة ما نصه :

« وكان ابو سعيد ملك التتر صبياً عند موت ابيه خربندا فقام بتدبير المملكة چوبان ولم يكن لابي سعيد معه من الامر شيء ولما كبر ابو سعيد ووجد ان چوبان قد استبد به وليس له معه حكم اضمر له السوء وكان چوبان قد سلم الاردو لابنه الخواجة دمشق فحكم على ابي سعيد فاتفق في هذه السنة (سنة ٧٢٧هـ) ان چوبان سار بالعساكر الى خراسان واستمر ابنه الخواجة دمشق حاكماً في

(١) كاشن خلفا ورقة ٤٨ .

الاردو وكان الاردو اذ ذاك بظاهر السلطانية ، وكان الخواجة دمشق يذهب سراً بالليل الى بعض خواتين خربنده فلما خرج شهر رمضان من هذه السنة ودخل شوال توجه الخواجة دمشق في الليل ودخل القلعة ونام عند تلك الخاتون وكان هناك امرأة اخرى عيناً لابي سعيد عليها فارسلت تلك المرأة وخبرت ابا سعيد بالخبر واسم المرأة التي هي عين (حجل) و بقلعة السلطانية بابان فارسل ابو سعيد عسكراً ووقفوا على الباب واحس الخواجة دمشق بذلك فحمل وخرج من الباب الواحد فضربوه وامسكوه وقصدوا احضاره الى ابي سعيد فارسل ابو سعيد وقال لهم اقطعوا رأسه واحضروه فقطعوا رأس الخواجة دمشق واحضروه بين يدي ابي سعيد و بقي المغل (المغول) يرفعون رأسه وجمع ابو سعيد كل من قدر عليه وخاف من چوبان وارسل الى العسكر الذي مع چوبان وخبرهم بانه قد عادى چوبان ولما بلغ چوبان ذلك سار من خراسان بمن معه من العسكر طالباً ابا سعيد وسار ابو سعيد الى جهته حتى تقارب الجمعان عند مكان يسمى صاري (١) قامش اي القصب الاصفر وذلك على مراحل يسيرة من الري . ولما تقارب الجمعان فارقت العساكر عن آخرها چوبان ورحلوا عنه الى طاعة ابي سعيد وذلك في ذي الحجة من هذه السنة فلم يبق مع چوبان غير عدة يسيرة فابتدر چوبان الهرب وقصد نواحي هراة واختفي خبره ثم ظهر في السنة الاخرى ثم عدم قيل انه قتل بهراة قتله صاحبها وقيل غير ذلك وتتبع ابو سعيد كل من كان من اولاده والزامه فاعدمهم واستقر قدم ابي سعيد في المملكة وكان ابو سعيد يهوى بنت چوبان واسمها بغداد وكانت مزوجة للامير حسن بن آقبغا وهو من اكبر امراء المغلة (المغول) فطلقها ابو سعيد منه وتزوجها و بقيت عنده

(١) ورد بلفظ قماش وهو غلط .

في منزلة عظيمة جداً . » اهـ (١)

وجاء في الدرر الكامنة :

« جوبان النوين الكبير نائب المملكة القاآنية تمكن من المملكة وأباد عدداً كثيراً من المغل وكان ابنه دمشق خواجة قائد عشرة آلاف فلما تنكر له ابو سعيد قتل ابنه دمشق وهرب ابنه تمرتاش الى القاهرة وسار جوبان الى هراة فاطلعه واليها الى القلعة ثم غدر به وقتله وكان صحيح الاسلام كثير النصح للمسلمين اجرى الماء الى مكة حتى لم يكن الماء يباع بها وانشأ مدرسة بالمدينة مجاورة للحرم الشريف وكان اعظم الاسباب في تقرير الصلح بين ابي سعيد والناصر . ولما نزل خر بندا على الرحبة ونصب المجانيق رمى تمس قراسنقر حجراً يضيع (كذا) القلعة فاحضر جوبان المنجنيق وهدده بعد ان سبه لئن عمت سمرتك على سهم المنجنيق وكان ينزع النصل من النشاب ويكتب عليه اياكم ان ترعبوا فهؤلاء ما عندهم ما يأكلونه واجتمع بالوزير وقال له ماذا يقول الناس اذا غلب خر بندا على الرحبة وسفك دم اهلها وهدمها في هذا الشهر العظيم وكان شهر رمضان . اما كان عنده نائب مسلم ولا وزير مسلم فدخلا الى خر بندا وحسنا له الرحيل عنها وان يطلب اكابرها ويخلع عليهم ويعطيهم الامان ففعل فكان حقن دماء المسلمين على يدي الجوبان وكانت ابنة جوبان زوج ابي سعيد فنقلت والدها لما قتل الى المدينة الشريفة ليدفن في تربته التي بناها بمدرسته فوصلوا به لكن لم يمكنوا من الدفن بمنع السلطنة فدفنوه بالبقيع وكان قتله سنة ٧٢٨ هـ وهو ابن ستين سنة . وكان بطلا شجاعا عالي الهمة ، مهيباً ، شديد الوطأة ، كبير الشأن ، كثير الاموال ... » اهـ

« وكان قد منع في دفنه بمدرسته طفيل ابن منصور بن جماز امير المدينة المنورة

---

(١) ج ٤ ص ٩٩ ابو الفداء .

فدفن بالبقيع ومات طفيل هذا في رمضان سنة ٧٥٢ » . (١)

وعلى كل نكب الامير چوبان واولاده واستقل السلطان ابو سعيد بالحكم وكان وزيره غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين ومهما يكن السبب ومهما يكن نوع التقولات فقد بلغت اداراتهم الغاية ولم يتحمل القوم سلطتهم وثاروا عليهم مرة قبل هذا فلم ينجحوا ... وفي هذه المرة غروا السلطان فكانوا معه عليهم ... و بالنتيجة قتل آخرهم التمرطاش ...

والچوبان هذا من قبيلة (سلدوز) (٢) وقد مر ذكرها بين قبائل المغول والتتر وذكر له الغياثي اعمال خير وبر اهمها انه اجرى بمكة المكرمة ماء القناة التي كانت مندرسة من زمن الخلفاء وانقذ الناس من الضيق وقلة الماء الى سعته فقد نقل ان قربة الماء الملح بيعت بمكة زمان الحج بعشرين درهماً طاهرية وكان الحصول عليها عسراً فصارت بعد اخراج القناة تباع بربع درهم مع السعة فيهـا وكان يفضل من الماء شيء كثير يزرع به الخضر في مدينة مكة و ينتفع به النـاس ايام الحج وغيرها ... (٣)

الوزارة في هذا العهد :

ان الوزارة بعد قتلة دمشق خواجة عهدت الى غياث الدين محمد ابن الخواجة رشيد الدين واشرك معه الخواجة علاء الدين محمد بن الصاحب عماد الدين الا انه بعد ستة اشهر او ثمانية استقل غياث الدين وحده بالوزارة ... ودام فيها الى آخر ايام السلطان ابي سعيد ...

ولي الوزارة سنة ٧٢٧ هـ و بين له السلطان انه من حين فارق والده لم يجد من

«١» الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٢٣ و ج ١ ص ٥٤٢ . «٢» وينطق بها سلدوس راجع شجرة الترك . «٣» تاريخ الغياثي ص ١٦٨ وفيه موافقة لابن بطوطة .

يصلح للادارة ويقوم باعباء الامور كما هو المطلوب وهذا الوزير الجديد ابدى من المقدرة والحنكة في ايام هذا السلطان ما اوجب رضاه وقام بما قام به والده وزيادة ايام السلطان غازان والسلطان محمد خدابنده ... (١)

ترتيب السلطان :

قد مر الكلام عن ترتيب سلطنة المغول وجلوس ملوكها وقد حدثنا هذه المرة ابن بطوطة عن ترتيب ملوكهم وعادتهم في حلهم ورحيلهم ، بين منهم من شاهده بام عينه وهو السلطان ابو سعيد ليقاس عليه سائرهم قال :

« وعادتهم انهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى وترتيبهم انه يأتي كل امير من الامراء بعسكره وطبوله واعلامه فيقف في موضع لا يتعداه قد عين له اما في الميمنة او الميسرة فاذا توافوا جميعاً وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته وانفاره واتى كل امير منهم فسلم على الملك وعاد الى موقفه ثم يتقدم امام الملك الحجاب والنقباء ثم يليهم اهل الطرب وهم نحو مائه رجل عليهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وامام اهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس صرنايات وهي تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الاطبال والصرنايات ثم امسكوا وغنى عشرة من اهل الطرب نوبتهم فاذا قضوها ضربت تلك الاطبال والصرنايات ثم امسكوا وغنى عشرة آخرون نوبتهم الى ان تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ورائه اصحاب الاعلام والاطبال والانفار والبوقات ثم مماليك السلطان ثم الامراء على

---

(١) تاريخ كزيدة ٦١٠ .

مراتبهم وكل امير له اعلام وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله اميرجندار (١) وله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف عن فوجه وجماعته ان يؤخذ تماقه فيملأ رملا ويعلق من عنقه ويمشي على قدميه حتى يبلغ المنزل فيؤتى به الى الامير فيبطح على الارض ويضرب خمساً وعشرين مقرعة على ظهره سواء كان رفيعاً او وضيعاً لا يحاشون من ذلك احداً واذا نزلوا ينزل السلطان ومماليكه في محلة على حدة وتنزل كل خاتون من خواتينه في محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام والمؤذنون والقراء والسوق وينزل الوزراء والكتاب واهل الاشغال على حدة وينزل كل امير على حدة ويأتون جميعاً الى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة والمشاعل بين ايديهم فاذا كان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التي هي الملكة ثم اطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم اطبال الامراء دفعة واحدة ثم يركب امير المقدمة في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم اثقال السلطان وزاملته واثقال الخواتين ثم امير ثان في عسكر له يمنع الناس من الدخول فيما بين الاثقال والخواتين ثم سائر الناس . (٢)

«١» جمعه جنادرة وفسرهم ابن بطوطة في صحيفة ١٣٤ بانهم الشرط الى الحاكم واما في غيره فالجاندار او الجندر اصله جنكدار فخفف فهو حرس ذات الملك فارسي . «٢» تحفة النظار ج ١ ص ١٤٠ وتحفة النظار هذه هي رحلة ابن بطوطة وقد اعتنى الغربيون بطبعها وكذا الترك ولهذه مختصرات عربية تداولتها الايدي وترجمت الى اللغات الاجنبية ، وفي استانبول عدة نسخ منها مفصلة وطبعت باتقان في الممالك الاوربية . اما الترك فقد طبعوا لها ترجمة في الاستانة في ٢٨ شوال سنة ١٢٩٠ الا انها ناقصة ولا تحتوي على ما في الاصل تماماً ، وفي سنة ١٣٣٥ هـ طبعت ترجمتها التركية باتقان ترجمها محمد شريف الداماد في ثلاث مجلدات احدها يحتوي فهارسها وعليها تعاليق مفيدة ومقابلة بنسخ عديدة ...

وفيات :

١ — شمس الدين ابو عبد الله محمد الوراق الموصلي : (ابن خروف) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن القاسم بن ابي العز بن الوراق الموصلي المقري الفقيه الحنبلي المحدث النحوي و يعرف بابن خروف ولد في حدود الاربعين وستمائة بالموصل وقرأ بها القراءات على عبد الله ابن ابراهيم الجزري الزاهد وقصد الامام ابا عبد الله شعلة ليقرأ عليه فوجده مريضاً مرض الموت ثم رحل ابن خروف الى بغداد بعد الستين وقرأ بها القراءآت بكتب كثيرة في السبع والعشر على الشيخ عبد الصمد ابن ابي الجيش ولازمه مدة طويلة وقرأ القراءآت ايضاً على ابي الحسن ابن الوجوهي وسمع الحديث منهما ومن ابي وضاح وذكر الذهبي انه عني بالحديث وقرأ في التفسير على الكواشي المفسر بالموصل وقرأ بها ايضاً على الغزنوي معالم التنزيل للبغوي وتصدى للاقرء والاشتغال ببلده مدة وقرأ عليه جماعة وقدم الشام سنة سبع عشرة فسمع منه الذهبي والبرزالي وذكره في معجمه واثنى عليه وسمع منه ايضاً ابو حيادة وعبد الكريم الحلبي وذكره في معجمه ورجع الى بلده الموصل فتوفي به في ثامن جمادى الاولى ودفن بمقبرة المعافي ابن عمران رضي الله عنه . وفي الدرر الكامنة تفصيل ترجمته . (١)

٢ — احمد ابن الزكي بن عبد الله الموصلي : الجزري الجندي شهاب الدين نائب البيسري كان من اجناد الحلقة سمع من تاج الدين محمد بن محمد بن سعد الله ابن الوزان وحدث بمشيخته اخذ عنه الذهبي والبرزالي وابن رافع . مات بالمزة في المحرم سنة ٧٢٧ هـ او في جمادى الاولى . (٢)

٣ — النظام : هو الحسن بن علي بن مسعود بن حسين التكريتي المنعوت

---

(١) ج ٤ ص ٣٧ . (٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٣٣ .

بالنظام قال ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد كان اسمه حسيناً ثم اشتهر بحسن وكان اهله ببخارا فلما كثرت المصادرات بالموصل تحول بحلب وكان يقيم بمقصورة الجلبيين مدة وحفظ التنبيه ومات في رمضان سنة ٧٢٧ هـ . (١)

٤ — محي الدين ابن الصباغ : هو صالح بن عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح الاسدي الحنفي الكوفي . كان فريداً في علوم التفسير والفقه والفرائض والادب نادرة العراق في ذلك مع الزهد والفضل والورع . وطلب لرياسة الحنفية بالمستنصرية فامتنع ، مات في ٢٧ صفر سنة ٧٢٧ هـ وله ٨٨ سنة . قال صاحب الدرر الكامنة : حدثنا صاحبنا القاضي تاج الدين النعماني قاضي بغداد بعد العشرين وثمانمائة بدمشق عن عمه حسام الدين عن محي الدين ابي الفضل صالح ابن الشيخ تقي الدين عبد الله ابن الصباغ الكوفي الراشدي وهذا هو الحق في اسمه وصفته ...(٢)

و بعد ان صحح صاحب الدرر هذا التصحيح عاد فذكره باسم عبد الله ابن جعفر بن صالح الاسدي محي الدين وذكر وفاته في تلك السنة ونقد نقله هذا وقال وقد تقدم فما ادرى ما هذا ... (٣)

وفيها انه اخذ عنه المطري وابن الفصيح فخر الدين واجاز لتقي الدين ابن رافع ، كما انه اجاز له الصاغاني والموفق الكواشي ... (٤)

ملحوظة : سيأتي الكلام على النعماني وعلى الجامع المنسوب اليه في موطنه من (تاريخ الجلايرية) .

* * *

«١» الدرر الكامنة ج ٢ ٢٨ . «٢» الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٠١ «٣» ج ٢ ص ٢٥٣ . «٤» كذا .

حوادث سنة ٧٢٨ هـ

(١٣٢٧ م)

امير الموصل – امير بغداد :

في هذه السنة كان امير الموصل السيد علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر ، كان كريماً ، فاضلا ، وله صدقات ومكارم وانعامات ، وله حرمة عند السلطان ابي سعيد فوض اليه الموصل والانحاء المجاورة لها ... وقد اثنى عليه ابن بطوطة في رحلته ... اما امير بغداد في هذه الايام فكان يدعى الخواجة معروف ... (١)

وهنا يلاحظ ان النصوص التاريخية جاءتنا مبتورة ، ومفرقة وقد ذكرنا مراراً انها اساساً واصلا لا تخص العراق وما جاء انما ورد عرضاً فلم نجد بياناً شافياً عن حوادث بغداد وما والاها بصورة تفصيلية ...

رسل السلطان ابي سعيد :

في هذه السنة وصلت مصر رسل السلطان ابي سعيد مبشرة بهروب الامير جوبان ونصرة السلطان ابي سعيد عليه واستقراره في الملك وانه مقيم على الصلح والمحبة وقصدوا من صاحب مصر استمرار الصلح فاكرم السلطان رسل أبي سعيد وانعم عليهم بما يليق وذلك في ٢٨ المحرم سنة ٧٢٨ هـ وكان الرسل ثلاثة نفر كبيرهم شيخ كانه كردي الاصل يسمى ارش بغا ، والثاني اياجي ، والثالث برجا قرابة الامير بدر الدين جنكي . وكان يوماً مشهوداً وانعم السلطان على كل من في صحبتهم من

---

(١) تحفة النظار ج ١ ص ١٤٢ و ص ١٤٠ .

اتباعهم وكانوا نحو مائة وسافر الرسل المذكورون يوم الاربعاء مستهل صفر وعادوا الى ابي سعيد ..

قتلة تمرتاش ابن الامير جوبان :

كان تمرتاش صاحب بلاد الروم في حياة ابيه واستولى على جميع بلادها من قونية الى قيسارية وغيرهما من البلاد المذكورة فلما انقهر ابوه وهرب ضاقت بتمرتاش الارض ففارق بلاده وسار الى الشام ثم منها الى مصر قاصداً السلطان وكانت نفس المذكور كبيرة جداً بسبب كبر اصله في المغل (المغول) وكبر منصبه ولم يكن له عقل يرشده ... وصل المذكور الى السلطان بالديار المصرية في العشر الاول من ربيع الاول فانعم عليه السلطان الانعامات الجليلة وعرض عليه امرة كبيرة واقطاعاً جليلا فابى ان يقبل ذلك وان يسلك ما ينبغي واتفق ان الصلح قد انتظم بين السلطان وبين ابي سعيد . وكان ابو سعيد يكاتب ويطلب تمرتاش المذكور وانضم الى ذلك ما بلغ السلطان عنه انه اخذ اموال اهل بلاد الروم وظلمهم الظلم الفاحش فامسكه السلطان واعتقله في اواخر شعبان من هذه السنة . ثم حضر اباجي رسول ابي سعيد فبالغ في طلب تمرتاش المذكور فاقتضت المصلحة اعدامه فاعدم تمرتاش المذكور في ٤ شوال من هذه السنة بحضرة اباجي رسول ابي سعيد . (١) وفي ابن بطوطة ما يوضح الاسباب اكثر ... وقد مر الكلام على ذلك ...

وقد ذكر صاحب الدرر الكامنة عنه انه كان شجاعاً فاتكا الا انه خف عقله فزعم انه المهدي فرده والده عن هذا المعتقد ثم ولاه ابو سعيد الحكم في بلاد الروم وكان جواداً مفرطاً ثم وقع له بعد قتل اخيه دمشق خواجة خوف من ابي سعيد ففر

---

(١) ابو الفداء ج ٤ ص ١٠٢ .

الى الناصر محمد فتلقاه بالاكرام وصيره اميراً ، وكانت المهادنة بين الناصر وابي سعيد فكتب ابو سعيد يطلب منه ارسال تمرتاش فامتنع من ارساله ثم امر بقتله وارسال رأسه وتأسف الناس عليه وارسل الناصر يقول قد ارسلت لك رأس غريمك فارسل اليّ رأس غريمي يعني قراسنقر فلم يصل الكتاب الا بعد موت قراسنقر فكتب ابوسعيد الى الناصر انه مات حتف انفه ولو كنت انا قتلته لارسلت لك برأسه . وكان قتل تمرتاش في شهر رمضان سنة ٧٢٨ ﻫ (١)

وفيات :

١ — مدرس المستنصرية العاقولي (جامعه) :

وهو الشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد بن علي ابن العاقولي الواسطي الشافعي مدرس المستنصرية قال ابن قاضي شهبة في طبقاته مولده في رجب سنة ٦٣٨ وسمع الحديث من جماعة واشتغل وبرع وقال ابن كثير درس بالمستنصرية مدة طويلة نحو ٤٠ سنة وباشر نظر الاوقاف وعين لقضاء القضاة في وقت واقى من سنة سبع وخمسين والى ان مات وذلك احدى وسبعون سنة وهذا شيء غريب جداً وكان قوي النفس له وجاهة في الدولة كم كشفت به كربة عن الناس بسعيه وقصده وقال السبكي ولي قضاء القضاة بالعراق وقال الكتبي انتهت اليه رئاسة الشافعية ببغداد ولم يكن يومئذ من يماثله ولا يضاهيه في علومه وعلو مرتبته وعين لقضاء القضاة فلم يقبل توفي في شوال ببغداد وله تسعون سنة وثلاثة اشهر ودفن بداره وكان وقفها على شيخ وعشرة صبيان يقرأون القرآن ووقف عليها املاكه كلها . (٢)

وداره الآن جامع ولا يزال معروفاً بهذا الاسم الى اليوم (جامع العاقولية) .

«١» الدرر الكامنة ج ١ ص ٥١٨ . «٢» « الشذرات ج ٦ » و « الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٩٩ و « تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٣٨١ » و « طبقات السبكي » .

٢ — ابن الدواليبي : هو عفيف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد المحسن بن ابي الحسن البغدادي ابن الخراط الحنبلي مرت ترجمته منقولة عن عقد الجمان عند ذكر وفيات سنة ٧١٨ هـ الا ان المؤرخين الآخرين عينوا تاريخ وفاته في هذه السنة و يعرف بابن الدواليبي وترجمته مبسوطة في الدرر الكامنة وفي تذكرة الحفاظ وقد نعتوه بمسند العراق شيخ المستنصرية ، ولد في ربيع الاول سنة ٦٣٨ هـ سمع من عجيبة وابن ابي الخير وابن قميرة وطائفة ... (١)

٣ — قراسنقر : مر الكلام على وفاته وعمر جوامع ومساجد وكان ذا فهم ودهاء وهرب الى التتر فاقام عندهم محترماً واقطعوه مراغة وجاوز التسعين ... (٢)

٤ — احمد بن محمد بن اسماعيل الدبلي (التعجيزي) : و يعرف بالتعجيزي لحفظه كتاب التعجيز وكان ينظم الشعر بغير اعراب ولا تصور معنى . وذكر له صاحب الدرر الكامنة بعض النماذج . توفي في شعبان سنة ٧٢٨ هـ . (٣)

حوادث سنة ٧٢٩ هـ

(١٣٢٨ م)

رسول ابي سعيد :

في هذه السنة توجه على الرحبة رسول ابي سعيد وهو رسول كبير يسمى تمر بغا وحضر الى السلطان وكان حضوره بسبب ان ابا سعيد سأل الاتصال بالسلطان وان يشرفه السلطان بان يزوجه ببعض بناته ووصل مع الرسول المذكور ذهب كبير لعمل ما كول وغيره يوم العقد فاجابه السلطان بجواب حسن وان اللاتي عنده صغار

«١» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٧٩ . «٢» ابن الوردي ج ٢ ص ٣٨٩ . «٣» الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥٧ .

ومتى كبرن يحصل المقصود وعاد تمر بغا الرسول بذلك . (١)

نائب الملك ابي سعيد :

في يوم الاثنين ١٧ جمادى الاولى سنة ٧٢٩ هـ استقر الشيخ حسن ابن عمة ابي سعيد اخت غازان وخر بندا في منصب نائب الملك عوضاً عن الامير جوبان وهو منصب امير الامراء . والشيخ حسن هذا هو زوج بغداد خاتون ابنة جوبان الذي رسم له بطلاقها ... (٢)

وفيات :

١ — الزريراني البغدادي : وهو الامام تقي الدين ابو بكر عبد الله بن محمد ابن ابي بكر بن اسمعيل بن ابي البركات بن مكي بن احمد الزريراني (٣) ثم البغدادي الحنبلي فقيه العراق ومفتي الآفاق ولد في جمادى الآخرة سنة ٦٦٨ هـ وسمع الحديث من اسمعيل ابن الطبال وخلائق وتفقه ببغداد على جماعة منهم الشيخ مفيد الدين الحربي وغيره ثم ارتحل الى دمشق فقرأ بها المذهب على الشيخ زين الدين بن المنجا والشيخ مجد الدين الحراني ثم عاد الى بلده وبرع في الفقـه واصوله ومعرفة المذهب والخلاف والفرائض ومتعلقاتها وكان عارفاً باصول الدين و بالحديث وباسماء الرجال والتواريخ وباللغة والعربية وغير ذلك وانتهت اليه معرفة الفقه بالعراق قال ابن رجب انتهت اليه رياسة العلم ببغداد من غير مدافع واقر له الموافق والمخالف وكان الفقهاء من سائر الطوائف يجتمعون به و يستفيدون منه في مذاهبهم و يتأدبون معه

«١» ابو الفداء ج٤ ص ١٠٣ . «٢» عقد الجمان ج ٢٣ . «٣» ورد في الشذرات الذريراني وقد تكرر بلفظ الزريراني وفي الدرر الكامنة جاء بلفظ الزريراتي وقد انتاب هذا اللفظ غلط نساخ فورد زديراتي ، و زريرداني .

ويرجعون الى قوله ويردهم عن فتاويهم و يذعنون له ويرجعون الى ما يقوله حتى ابن مطهر شيخ الشيعة (١) كان الشيخ يبين له خطأه في نقله لمذهب الشيعة فيذعن له ويوم وفاته قال الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن ابن عسكر شيخ المالكية لم يبق ببغداد من براجع في علوم الدين مثله وقرأ عليه جماعة من الفقهاء وتخرج به ائمة واجاز لجماعة وولي القضاء توفي ببغداد ليلة الجمعة ثاني عشرى جمادى الاولى ودفن بمقابر الامام احمد قريباً من القاضي ابي يعلى . (٢)

حوادث سنة ٧٣٠ هـ

(١٣٢٩ م)

وفيات :

١ — وفاة ابي رزين ثابت ابن احمد بن ثابت الموصلي : السلامي . سمع من يوسف ابن المجاور وحدث وكان رجلا عاقلا حج مرات . مات بعد سنة ٧٣٠ هـ (٣)

٢ — عبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن نصر الموصلي : الامام نجم الدين ابن الشحام الشافعي ولد سنة ٦٥٣ وتفقه ببلاده ثم قدم دمشق سنة ٧٢٤ وولي مشيخة خانقاه القصرين ودرس بالجاروخية والظاهرية البرانية وكان يعرف الفقه على مذهب الشافعي والطب . مات في ربيع الآخر سنة ٧٣٠ هـ . (٤)

٣ — محمد بن اسعد التستري : عرف بالعلم والفهم ثم ضعف بقلة الدين والرفض وترك الصلاة ... وكان فقيهاً فائقاً في الاصلين والمنطق والحكمة وله شرح ابن الحاجب والبيضاوي والطوالع والمطالع والغاية القصوى قدم الديار المصرية سنة ٧٢٧

«١» مرت ترجمته في حوادث سنة ٧٢٦ هـ . «٢» الشذرات ج ٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٨٩ . «٣» الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٢٩ . «٤» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٥ .

فاقام بها قليلا ثم رجع فكان يصيف بهمذان و يشتي ببغداد مات سنة ٧٣٠ ﻫ ونيف.

حوادث سنة ٧٣١ ﻫ

(١٣٣٠ م)

وفاة علي ابن اسحاق بن لؤلؤ :

علي ابن اسحاق بن لؤلؤ الموصلي : هو علاء الدين ابن المجاهد بدر الدين صاحب الموصل ولد سنة ٦٥٧ بالجزيرة وقدم القاهرة فسمع بها وقرر في الاجناد في القاهرة . مات في ربيع الآخر سنة ٧٣١ ﻫ . (١)

حوادث سنة ٧٣٢ ﻫ

(١٣٣١ م)

وفيات :

١ — الدجيلي : سراج الدين ابو عبد الله الحسين بن يوسف بن محمد بن ابي السري الدجيلي ثم البغدادي الفقيه الحنبلي المقرئ الفرضي النحوي الاديب ولد سنة ٦٦٤ ﻫ وسمع الحديث ببغداد من اسمعيل ابن الطبال ومفيد الدين الحربي الضرير وابن الدواليبي وغيرهم و بدمشق من المزى والحافظ وغيره وله اجازة من الكمال البزاز وجماعة من القدماء وعني بالعربية واللغة وعلوم الادب وتفقه على الزريراتي وكان في مبدأ امره يسلك طريق الزهد والتقشف البليغ والعبادة الكثيرة ثم فتحت عليه الدنيا وكان له مع ذلك اوراد ونوافل وصنف كتاب الوجيز في الفقه وعرضه على شيخه الزريراتي وصنف كتاب نزهة الناظر وكتاب تنبيه الغافلين وغير

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٣ .

ذلك . توفي ليلة السبت سادس ربيع الاول ودفن بالشهيد قرية من اعمال دجيل. (١)

٢ — ابو الفداء : السلطان الملك المؤيد اسماعيل ابن الملك الافضل علي صاحب حماة مؤلف التاريخ المعروف بتاريخ ابي الفداء وله تصانيف اخرى مثل نظم الحاوي وتقويم البلدان ... وقد مر وصف تاريخه وهو عمدة في اخباره الا ان الاعلام لم تضبط وقد لعبت بها ايدي النساخ اعتمد على تاريخ المنشئ النسوي المعروف بالمنكبرني في تاريخ المغول وعلاقاتهم بخوارزم شاه وقد طبع هذا المأخذ فكان خير مكمل لتاريخ ابي الفداء ... وترجمته في كتاب ابي الفداء ص ١٠٨ وفي ابن الوردي وغيرهما ...

٣ — مدرس المستنصرية : العلامة شهاب الدين ابو احمد عبد الرحمن بن محمد ابن عسكر المالكي البغدادي مدرس المستنصرية وله مصنفات في الفقه وكان حسن الاخلاق ولد سنة ٦٤٤ هـ بباب الازج و بلغ ٨٨ سنة . (٢) قال في الدرر وتعانى التصوف .. وصنف عمدة السالك والناسك وغير ذلك مات في شوال سنة ٧٣٢ هـ وهو والد الفقيه شرف الدين احمد بن عبد الرحمن الذي درس بعده . (٣)

٤ — تقي الدين ابراهيم الجعبري : هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل ابن ابي العباس الجعبري الخليلي . وكان يقال له شيخ الخليل ، ولقبه ببغداد تقي الدين و بغيرها برهان الدين و يقال له أيضاً ابن السراج واشتهر بالجعبري واستمر على ذلك . سمع في صباه سنة نيف وار بعين من كمال الدين محمد بن سالم المنبجي ابن البواري قاضي جعبر ... ورحل الى بغداد بعد الستين فسمع بها من الكمال ابن وضاح والعماد بن اشرف العلوي وعبد الرحمن ابن الزجاج وغيرهم . تلا بالسبع على

«١» الشذرات ج ٦ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨ . «٢» ابو الفداء ج ٤ ص ١١٠ والشذرات ج ٦ . «٣» ج ٢ ص ٣٤٤ .

الوجوهي علي بن عثمان بن عبد القادر صاحب الفخر الموصلي وسكن دمشق مدة ثم ولي مشيخة الخليل الى ان مات بها وصنف نزهة البررة في القراآت العشرة وشرح الشاطبية وشرح الرائية والتعجيز من نظمه في النثر وله عروض ومناسك الى غير ذلك من التصانيف المختصرة التي تقارب المائة . مات في رمضان سنة ٧٣٢ وقد جاوز الثمانين . (١)

٥ — سوتاي التتري : هو النوين الحاكم على ديار بكر ولد في حدود سنة ٦٤٠ او قبلها وحضر واقعة بغداد وكان امير آخور عند ابغا ملك التتار معظما عند جميع ملوكهم ثم تولى امرة ديار بكر بعد وفاة النوين ابك (ايبك) واستمر بها الى ان مات قرب الموصل سنة ٧٣٢ ويقال انه بلغ المائة وراى اربعة بطون من اولاده واولادهم حتى انافوا على الار بعين وكان قد اضر قبل موته بسنوات . قال ابن حبيب في ترجمته كان محبباً الى الرعية له حزم وسياسة وعمر طويلا . (٢) وخلفه ابنه طغاي فحار به علي باشا خال ابي سعيد فلم يزل يقاومه حتى قتل علي ثم قتله ابراهيم شاه اخو علي سنة ٧٤٣ وكان ردءاً للمسلمين في مدافعة التتر . (٣)

حوادث سنة ٧٣٣ هـ

(١٣٣٢ م)

وفيات :

١ — الشيخ علي الواسطي : هو الامام القدوة الولي الشيخ علي بن الحسن الواسطي الشافعي كان من اعبد البشر ومات ببدر محرماً قاله في العبر . وترجمه في

«١» الدرر الكامنة ج ١ ص ٥١ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٧٩ .
«٣» كذا ج ٢ ص ٧٢١ .

الدرر الكامنة قال : وكان متعبداً متجمعاً ، له كرامات واحوال وكان كبير الشأن منقطع القرين منجمعاً عن الناس وله كشف وحال وله محبون يتغالون في تعظيمه وكان على طريقة السلف في العقيدة ... (١)

٢ — الدقوقي شيخ المستنصرية : هو تقي الدين ابو الثناء محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي ثم البغدادي الحنبلي المحدث الحافظ ولد سنة ٦٦٣ هـ وسمع الكثير بافادة والده من عبد الصمد بن ابي الجيش وعلى ابن وضاح وابن الساعي وعبد الله بن بلدجي وعبد الجبار بن عكبر وغيرهم واجاز له جماعة كثيرة من اهل العراق والشام ثم طلب بنفسه وقرأ مالا يوصف كثرة وكان يجتمع عنده في قراءة الحديث آلاف وانتهى اليه علم الحديث والوعظ ببغداد ولم يكن بها في وقته احسن قراءة للحديث منه ولا معرفة بلغاته وضبطه ولي مشيخة المستنصرية وله اليد الطولى في النظم والنثر وانشاء الخطب وكان لطيفاً حلو النادرة مليح الفكاهة ذا حرمة وجلالة وهيبة ومنزلة عند الاكابر وجمع عدة اربعينات في معان مختلفة وله كتاب مطالع الانوار في الاخبار والآثار الخالية عن السند والتكرار ، وكتاب الكواكب الدرية في المناقب العلوية وتخرج به جماعة في علم الحديث وانتفعوا به وسمع منه خلق وحدث عنه طائفة وتوفي يوم الاثنين بعد العصر في العشرين من المحرم ببغداد رحمه الله تعالى وما خلف درهماً . (٢)

٣ — اثير الدين محمود بن يحيى بن عمر بن ابي الحسن التميمي الموصلي : ثم الدمشقي (ابن المرحل) ولد سنة ٦٦ تقريباً وسمع من ابن عبد الدائم وابن ابي

«١» الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٧ . «٢» تاريخ ابي الفداء ج ٤ ص ١١١ والشذرات ج ٦ (وابن الوردي ص ٣٠١ ج ٢) و (الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٣٠)

اليسر وحدث . سمع منه العز ابن جماعة والبدر النابلسي . مات في ١٤ شوال سنة ٧٣٣ هـ . (١)

حوادث سنة ٧٣٤ هـ

(١٣٣٣ م)

وقائع بغداد :

ومما جرى ببغداد في هذه السنة ان الزمت النصارى واليهود بالغيار ، ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم ، واسلم منهم ومن اعيانهم خلق كثير ... منهم سديد الدولة وكان ركنا لليهود ، عمر في زمن يهوديته مدفنا له خسر عليه مالا طائلا فخرب مع الكنائس وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وشرع في عمارة جامع بدرب دينار وكان بيعة كبيرة جداً ...

وأطلق ببغداد مكس الغزل ، وضمان الخمر ، والفاحشة وأعطيت المواريث لذوي الارحام دون بيت المال ، وخفف كثير من المكوس (٢) ...

وفيات :

١ — وفاة سيف الدين الجيلي : في هذه السنة توفي الشيخ سيف الدين يحي ابن احمد بن ابي نصر محمد بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي بحماه . وكان شهما سخياً . رحمه الله (ابو الفداء)

٢ — ابو الهدى محمد بن مقلد بن النصير التكريتي القرافي : ويعرف بابن الصائغ . سمع من العز الحراني وحدث وكان مقيما في القرافة . مات في ذي الحجة

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٤١ . (٢) تاريخ ابي الفداء ج ٤ ص ١١٧ .

سنة ٧٣٤ (١)

٣ — سراج الدين ابن الكويك : هو عبد اللطيف بن احمد ابن محمود بن ابي الفتح التكريتي التاجر الاسكندراني الربعي . ولد سنة ٦٥٩ (٦٩٠) وتفقه للشافعي ومهر ورحل الى الشام فسمع بها وكان من الرؤساء الكبار و بنى مدرسة بالثغر قال صاحب الدرر هو جد شيخنا ابي الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف وانجب هو ابا جعفر وابا اليمن مات سنة ٧٣٤ هـ (٢)

حوادث سنة ٧٣٥ هـ

(١٣٣٤ م)

وفيات :

١ — مدرس البشيرية ابن عكبر البغدادي : هو نصير الدين احمد بن عبد السلام بن تميم بن ابي نصر بن عبد الباقي بن عكبر البغدادي المعمر الحنبلي سمع الكثير من عبد الصمد بن ابي الجيش وابن وضاح وهذه الطبقة وحدث وسمع منه خلق وتفقه وأعاد بالمدرسة البشيرية للحنابلة واضر في آخر عمره وانقطع في بيته وكان يذكر انه من اولاد عكبر الذي تاب هو وأصحابه من قطع الطريق لرؤيته عصفوراً ينقل رطباً من نخلة الى اخرى حائل فصعد فنظر حية عمياء والعصفور ياتيها برزقها فتاب هو واصحابه ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة توفي صاحب الترجمة في جمادى الاولى ببغداد عن خمس وتسعين سنة (٣) .

٢ — مهنا بن عيسى امير العرب : هو حسام الدين مهنا . وقد مر الكلام

---

(١) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٦٢ . (٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٠٥ .
(٣) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٧١ وجاء فيه انه المعمر او العامري لا المعمر .

عرضاً عن تاريخ وفاته ... وقد قال عنه صاحب الدرر الكامنة بما نصه :

« مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة التدمري امير آل فضل من بني طيء . ولد بعد سنة ٦٥٠ وكانت اولية هذا البيت من ايام اتابك زنكي . وكان مري بن ربيعة اخو فضل امير عرب الشام ايام طغتكين وكان مهنا يلقب حسام الدين وكان ابن عمه ابو بكر بن علي بن حديثة اميراً على العرب فاتفق ان الظاهر بيبرس قبل السلطنة رمته الليالي في بيوتهم فطلب من ابن علي فرساً فلم يعطه فرآه عيسى بن مهنا فتوسم فيه فضمه اليه واعطاه فرساً و بالغ في اكرامه. فلما تسلطن انتزع الامرة من ابي بكر واعطاها لعيسى ثم تأمر ولده مهنا هذا في ايام المنصور قلاوون وكان معظما خليقاً بالامرة ... (ثم ذكر علاقته مع آل مرى وكان رئيسهم احمد بن حجى امير آل مري واوضاعه مع حكومة سورية ومصر...وصار لم يطمئن هو وقومه فقال:) تجهزوا الى خربندا وكتب مهنا (هذا) الى خربندا فقابلهم بالاكرام وخلع على سليمان بن مهنا وجهز لهم معهم اموالا جمة وخلعاً واعطاه البلاد الفراتية و بلغ الناصر فغضب واعطى الامرة لاخيه فضل فتوجه مهنا الى خربندا فاكرمه وقرر معه امر الركب العراقي فاعطاه مهنا عصاه خفارة لهم وجهد الناصر ان يحضر اليه مهنا فصار يسوق به من وقت الى وقت آخر وفي طول المدة يرسل اخوته واولاده والناصر ينعم عليهم بالاموال والاقطاعات ... الى ان كان في سنة ٧٣٣ فتوجه مهنا من قبل نفسه الى الناصر فاكرمه اكراماً زائداً ورده على امرته الى ان مات في ذي القعدة سنة ٧٣٥ ﻫ . قال الذهبي :

كان مهنا وقوراً متواضعاً لا يحفل بملبس ، ديناً ، حليما ذا مروءة وسؤدد . وله من الاولاد موسى تأمر بعده وسليمان واحمد وفياض وجبار وقارا وسمنة (كذا)

وغيرهم . » اه (١)

٣ — البرزالي البغدادي : (مدرس المستنصرية) : هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن محمد بن محمود بن قاسم ابن البرزالي البغدادي الفقيه الحنبلي الاصولي الاديب النحوي قرأ الفقه على الشيخ تقي الدين الزريراني وكان اماماً متقناً بارعاً في الفقه والاصلين والعربية والادب والتفسير وغير ذلك وله نظم حسن وخط مليح درس بالمستنصرية بعد شيخة الزريراني وكان من فضلاء اهل بغداد وكذلك كان والده ابو الفضل اماماً مفتياً صالحاً توفي ابو عبد الله ببغداد في هذه السنة .

٤ — همام (هلال) بن صالح : بن همام بن صالح البغدادي ثم الصالحي ابو الحارث المؤدب سمع من الفخر مشيخته تخريج ابن الظاهري وحدث . سمع منه الذهبي مات في ١٩ ربيع الآخر سنة ٧٣٥ هـ . (٢)

وقائع سنة ٧٣٦ هـ

(١٣٣٥ م)

وفاة السلطان ابي سعيد

وفاة السلطان :

في هذه السنة بتاريخ ١٣ (٣) ربيع الآخر توفي السلطان ابو سعيد فخلفه السلطان ارپاخان ... مات بلا عقب . .

ترجمته :

وصفه مؤرخون كثيرون واطنبوا وقد مر من اعمال في العراق وغيره ما يبين عن

«١» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٧٠ . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٠٥ .
«٣» تقويم التواريخ لكاتب جلبي .

حكمة وقدرة ... وقال عنه في تاريخ ابي الفداء :

« مات القاآن ابو سعيد بن خر بنده ... صاحب الشرق ودفن بالمدينة السلطانية وله بضع وثلاثون سنة وكانت دولته عشرين سنة وكان فيه دين وعقل وعدل وكتب خطاً منسو باً واجاد ضرب العود ... » اهـ . (١) ومثله في تاريخ ابن الوردي . وجاء في الشذرات ان فيه رأفة وديانة وقلة شر ، وانه هادن سلطان الاسلام (ملك مصر) . والقى مقاليد الامور الى وزيره ابن الرشيد ، وقدم بغداد مرات ، واحبه الرعية . توفي بالازد (صحيحها بالاردو كما يأتي) ونقل الى السلطانية فدفن بتربته وله بضع وثلاثون سنة ... (٢)

وجاء في الدرر الكامنة عنه ما نصه :

« ابو سعيد بن خر بندا بن ارغون بن ابغا بن هلاوون (هذا يوافق كتابة اسمه في التواريخ الصينية والمغلية كما قال كرنكو عند تعليقه على هذا اللفظ في الدرر) المغلي صاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم . قال الصفدي : الناس يقولون ابو سعيد بلفظ الكنية لكن الذي ظهر لي انه علم ليس في اوله الف فاني رأيته كذلك في المكاتبات التي ترد منه الى الناصر هكذا (بو سعيد) . وكان ابو سعيد مسلماً حسن الاسلام جيد الخط جواداً عارفاً بالموسيقى مبغضاً في الخمر اراق منها خزانة كبيرة وكان يرغب في الدخول في الاسلام وهو آخر بيت هلاوون انقضوا بهلاكه . واقام في الملك عشرين سنة . وكان قبل موته بسنة قد ارسل الركب العراقي الى مكة فسلم الركب فلما كان في السنة المقبلة جهزهم ايضاً فنهبهم العرب فسأل عن السبب في ذلك فقيل له ان هؤلاء اقوام يقيمون في البراري ليس لهم رزق الا ما يتخطفونه فقال نحن نجعل لهم من بيت المال مقداراً يكفيهم ويكفون عن الحاج

---

(١) ج ٤ ص ١٢٢ . (٢) الشذرات ج ٦ ص ١١٣ .

ورتب ذلك وامر به فمات في تلك السنة وكانت وفاته بالاردو في ربيع الآخر سنة ٧٣٧ وتأسف الناصر عليه لما بلغه موته » اه وذكره لتاريخ الوفاة غير صحيح فان المؤلف نفسه ذكر وفاة بغداد خاتون بعد السلطان سنة ٧٣٦ كما سيجيء النقل عنه قريباً . وزاد في حرف السين :

« كان يكتب خطاً منسوباً ، ويجيد ضرب العود وابطل مكوساً كثيرة وقد اختتن وهدم الكنائس ببغداد . (١) واكرم من يسلم من اهل الذمة وهادى الناصر وهادنه وعمرت البلاد وقتل الذي اقيم بعده ، بعد شهور وقتل وزيره محمد ابن الرشيد وكان الذي يحمله على عمل الخير . وكان موته باذربيجان في شهر ربيع الآخر سنة ٧٣٦ ﻫ ونقل الى تربته بالسلطانية ودفن بها . » اه (٢)

وفي عقد الجمان ما نصه : فيها — سنة ٧٣٦ — السلطان ابو سعيد ملك البلاد الشرقية مات في الباب الجديد وكان متوجهاً لملتقى ازبك خان لانه وقع بينهما بسبب الشيخ حسن بن چوبان لانه كان قد هرب ولحق بازبك خان وذلك حين وقع بين چوبان وبين ابي سعيد كما ذكرنا ثم نقل ابو سعيد الى تربته التي انشأ بالقرب من المدينة السلطانية ، وحين توفى كان عمره ٣٠ سنة ، وكان شاباً ، حسن الصورة عديم النظير مقرباً لذوي العلم والدين ، وكان يكتب خطاً منسوباً ، ويعرف علم الموسيقى جيداً ، احكم امر دولته وابطل كثيراً من المكوس ، وعدم عدة من الكنايس وكان يلعب بالعود غاية ما يكون ، وتولى عوضه بالبلاد الشرقية اربا كاوون وهو دهون ذرية جنكيز خان فلم تطل ايامه ... » اه

وتلخص حياته في السلطنة انه كان في بادئ الامر مغلوباً على يده بسبب تسلط الامير چوبان عليه وعلى الامراء الخارجين عليه وقضائه على المناوئين وقسم

«١» ابو الفداء ج ٤ ص ١١٧ . «٢» الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٣٧ .

المملكة بين اولاده وجعل الامير چوبان وزيره الملازم له ابنه الخواجة دمشق ... فكان لهذا وقع كبير في نفسه اذ شعر بالوطأة الشديدة فلم يطق الصبر عليها ، ولا بالى بالمخاطر ... ومهما كان السبب الظاهري فالغرض القضاء على سيطرة چوبان واولاده فكان ما كان مما مر بيانه واستوزر الخواجة محمد غياث الدين ابن الوزير الخواجة رشيد الدين فكان لادارته خير وقع في النفوس فانتظم امر المملكة واتسعت الاحوال ولم يبق لاحد ما تدخل في الحكم من الرعايا والعسكر والبلاد سوى حكم السلطان والوزير ... فامن الرعايا ايام وزارته امناً لم يروا مثله ابداً ، ولا شاهدوا نظيره من كثرة الخيرات ، ورخص الاسعار ، وانتظام امور المملكة في جميع ايام المغول ... والاوضاع الخارجية مع المصريين خاصة على احسن ما يرام وقد اوسعنا القول عنها فيما مضى ... (١)

وكان السلطان من نوادر الشعراء . توفي بمرض الصرع ، وعلى ما قص آخرون انه سمته زوجته بغداد خاتون بمنديل مسموم تمسح به بعد الجماع لانه تزوج عليها دلشاد خاتون .. وقد ذكره ابن خلدون وابن الوردي وصاحب تاريخ كزيدة وصاحب كلشن خلفاء وغير هؤلاء من معاصرين وغير معاصرين ... واخص بالذكر صاحب ذيل جامع التواريخ فانه اتم به باقي سلاطين المغول واوسع القول عن السلطان ابي سعيد ووالده واعتمد في الغالب على ابي القاسم عبد الله القاشاني وكان كتبه باسلوب سهل الاخذ ، وفيه تفصيل الا ان حظ العراق منه قليل ... والغريب اني لم اجد له ولا للاصل ترجمة تركية بخلاف التواريخ الاخرى فقد رأيت غالبها مترجماً .

وقد مر في حوادث ٧٢٧ من التفصيلات عن قضية تزوج السلطان ببغداد خاتون وانها سمته فقتلت وهنا نقول جاء في الدرر الكامنة ان بغداد خاتون بنت النوين

(١) كلشن خلفاء .

چوبان زوج ابي سعيد كانت اولا زوج الشيخ حسن وكان ابو سعيد يعشقها وكان ابوها يفهم ذلك فلا يمكنها من دخول الاردو فلما هرب چوبان وقتل اخوها وهرب الآخر الى مصر اغتصبها ابو سعيد من زوجها وصارت عنده في اعلى مكانة ويقال انه لم يكن في تلك البلاد احسن منها وصار لها في جميع الممالك الكلمة النافذة وكانت تركب في موكب حفل من الخواتين وتشد في وسطها السيف فلم تزل على علو منزلتها الى ان مات ابو سعيد فقتلت بعده وذلك سنة ٧٣٦ هـ . (١)

ملحوظة :

سيأتي الكلام عن الوزير في عهد ارباخان الذي ولي السلطنة بعد السلطان ابي سعيد وفي ذلك ايضاح لايام وزارته جميعها ...

وفيات :

١ — توفي المسند الرحلة ابو الحسن علي بن محمد بن ممدود بن جامع البندنيجي البغدادي الصوفي سمع صحيح مسلم من الباذيني البغدادي وجامع الترمذي من العفيف ابن الهيتي واجاز له جماعات وتفردوا وا كثروا عنه وتوفي بالسميساطية في المحرم عن ٩٢ سنة . (٢)

٢ — قطب الدين الاخوين واسمه محمد بن عمر التبريزي الشافعي قاضي بغداد سمع شرح السنة من قاضي تبريز محيي الدين وكان ذا فنون ومروءة وذكاء وكان يرتشي وعاش ٦٨ سنة قاله في العبر . وفي الدرر الكامنة تفصيل عنه . (٣)

٣ — معتقل بن فضل بن عيسى امير العرب : ساق في الدرر الكامنة نسبه

«١» الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٨٠ . «٢» الشذرات ج ٦ . «٣» ج ٤ ص ١١٠

معتقل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة (١) امير العرب من آل فضل ولي الامرة شريكا لابن عمه زامل وكان محبوباً الى الناس حسن السيرة. مات بارض يرقع من بلاد الشام سنة ٧٣٦ هـ وقد قارب السبعين. (٢)

٤ — احمد بن محمد بن احمد السمناني : و يلقب بعلاء الدين (علاء الدولة) وركن الدين ولد في ذي الحجة سنة ٥٩ وتفقه وطلب الحديث وسمع من الرشيد ابن ابي القاسم وغيره وشارك في الفضائل وبرع في العلم واتصل بارغون بن ابغا ... صحب ببغداد الشيخ عبد الرحمن وخرج عن ماله وحج مراراً وله مدارج المعارج ... كان يحط على ابن العربي و يكفره (٣) وكان مليح الشكل ، حسن الخلق غزير الفتوة كثير البر ... اخذ عنه صدر الدين بن حمويه وسراج الدين القزويني وامام الدين علي بن مبارك البكري وذكر ان مؤلفاته تزيد على ثلثمائة وكان اولا قد داخل التتار ثم رجع وسكن تبريز و بغداد . مات في رجب ليلة الجمعة سنة ٧٣٦ هـ . (٤)

السلطان ارپاخان

من ١٣ ربيع الآخر سنة ٧٣٦ الى غرة شوال سنة ٧٣٦ هـ

سلطنته :

ولي السلطنة بعد وفاة السلطان ابي سعيد وهو ارپاخان ابن آريق بوقا من اولاد تولي خان ومن حين جلوسه ثارت الفتن وتوالت على المملكة الاحن والقلاقل ...

«١» مر النقل عنه . «٢» الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٢ . «٣» غالب كتب ابن تيمية ورسالة ناصحة الموحدين وفاضحة الملحدين وكتب كثيرة تحمل عليه حملات قوية وتندد به من جراء مطالب معروفة . «٣» الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥١ .

وذلك انه لما تحقق از بك خان موت السلطان ابي سعيد من غير وارث قام للمطالبة بالمملكة وقصد ان يحوزها فسار اليها بجيش لا يحصى ...

وكذا والي بغداد علي باشا (١) امير الاويرات (٢) حينما سمع بموت السلطان ابي سعيد نهض للمطالبة وسار يدعو له ... وكان بين هذا الوالي و بين الوزير غياث الدين محمد كره شديد و بغضاء فانه بعد قتل چوبان كان يتوقع ان يكون حاكماً في ايران فمشى بعد وقعة الچوبان الى السلطان ابي سعيد فرأى الوزير ما يظهر من الاويرات من الاطماع والآمال ، وانهم شديدو المراس على من يريد اصلاحهم ... فسعى لابعادهم عن حضرة السلطان ودفعهم عما كانوا عليه من المنزلة فصدر امر السلطان ابي سعيد الى علي باشا مع جماعة الامراء ان يتوجهوا الى خراسان ليصدوا غائلة عسكر كان قد خرج عليهم هناك ... فذهبوا الى السلطانية ثم ندموا على خروجهم من (الاردو) ، ورأوا ان الوزير ابعدهم فشق عليهم ذلك و بقوا في السلطانية

«١» جاء في كلشن خلفاء علي پاشا ، او علي شاه كما ان في غيره جاء علي بادشاه ، كذا في تاريخ كزيدة عند ذكر وفاة السلطان ابي سعيد وفي الدرر الكامنة علي باشة ، وفي الشذرات علي باش . «٢» الاويرات قبيلة من قبائل المغول وجاءت في كلشن بلفظ اورياد والصحيح الاول . وكانت هذه القبيلة تسكن في شرقي المغول عند فروع آنقارا موران « نهر انقارا » يقيمون في فروعه ولكل فرع منها اسم وهذه القبيلة كان رئيسها قوتوقا بكى عارض جنكيز في بادىء الامر ثم اطاعه وتزوج كل من الآخر بنتاً . وفي ايام منكوقا آن قد عين من امرائهم ارغون آغا من قبيلة اويرات والياً على خراسان وهذا دامت ولايته عشر سنوات فلما مات انعم القا آن على هلاكو بايران واعطاه خمس جيشه ليقوم بمهمة الفتح ... وهذه القبيلة ظهرت للوجود في عهد ارپاخان وكان اميرها علي باشا والي بغداد فقام بدوره فانقرضت على يده حكومة المغول فكانت يدها آلة فتح في اول الامر وآلة تخريب في الآخر ... « شجرة الترك ولغة جغتاي » .

وهموا بالرجوع ... فلم يجبهم الى ذلك واكد عليهم في السير الى خراسان فعظم عليهم ان يرجعوا عن قصدهم وعزموا ان يدخلوا الاردو ويوقعوا بالوزير ... فلما وصلوا الى قرب الاردو باوجان انفذت والدة السلطان الى علي باشا تخبره انه ان رجع قتل لا محالة ... فخاف جماعة الوزير واكثر الخواجكية فهربوا بما عز عليهم من الاموال عن مخيم الوزير الى الجهات الاخرى ...

اما علي باشا فانه لما سمع كلام اخته رجع الى مصيفه خائباً وتفرقت العساكر عنه واثر هذه الحادثة بقي في نفسه الالم والغيض حتى توفي السلطان ابو سعيد ثم علم بنصب اربا خان سلطاناً وتيقن ان الجماعة الذين كانوا معه كانوا متفقين معه على الوزير ووجدهم مائلين عن اولئك فاظهر حنقه لما فعله الوزير وخالفه في الرأي وكاتب الجماعة المذكورين وابدى لهم ما كان منه من عدم الرضا ...

ثم ان علي جعفر الذي كان امير الجيش وهو ابن وفادار بن ايريختن لم يكن متوسماً في الوزير خيراً وانما اتفق مع بغداد خاتون (عمة دلشاد خاتون) فهرب علي جعفر مع دلشاد خاتون حين امر السلطان اربا خان بقتل بغداد خاتون التي دعت الى فتن كبيرة والى ارتباك الاحوال واضطرابها ...(١) والتجأ الى علي باشا والى بغداد ففرح علي باشا بهما فرحاً عظيماً واشاعوا ان دلشاد خاتون زوجة السلطان ابي سعيد و بنت دمشق خواجة حامل من السلطان ابي سعيد واخذها علي باشا ونزل بها على العراق واظهر ان الحكومة للولد الذي هو حمل دلشاد خاتون من ابي سعيد سواء كان ذكراً او انثى ...

واستولى على العراق وحكم على الخواجة عز الدين معروف (٢) وشيخ زاده ابن السهروردي الذي كان هو ختن الوزير (زوج اخته) . وكان الوزير ختنه (زوج اخته)

«١» كلشن خلفاء . «٢» مر انه كان والي بغداد كما نقل عن ابن بطوطة .

وضيق على جميع اكابر بغداد وطلب منهم مالا كثيراً بحيث ان الرجل منهم اذا ظن فيه انه يملك الف دينار طلب منه الف دينار . ثم بعد مصادرة هؤلاء الاكابر والاعيان واخذ اموال جميع البلاد انضم الى هؤلاء لفيف من المفسدين والمعتدين وكل المتمردين وانقطعت بذلك الدروب وخيفت السبل وسدت الطرقات وصار كل واحد يتوقع المهالك و يترقب المصائب ...

وفي هذه الآونة صال السلطان ازبك على المملكة بجيشه طامعاً في السيطرة كما ان علي باشا قصد العاصمة لعين الغرض و بأمل الاستيلاء . فرأى الوزير ان دفع السلطان ازبك اولى بالاهتمام فلا جرم ان اربا خان توجه بعسا كره الجمة وتقدم نحو جيش ازبك فانفذ هذا شيخ زاده بن پروانه الى الوزير للمفاوضة معه في الامر . وقال له :

— اننا من نسل جنكزخان ونحن من عصبة ابي سعيد وقد توفي وليس له وارث غيرنا فميراثه يعود لنا فكيف تمنعوننا ارثه وتسلمون مملكته الى غيرنا وتجلسونه على سرير الملك ظلماً وانتم تعلمون ؟ !

فقال الوزير :

— اما قولكم عن ازبك فاظهر من الشمس . واما صلاح نفسه وسلامة نيته فأبين مايكون واتصال نسبه بجنكز خان معلوم لاشك فيه ولا شبهة ولكن جنكز خان في حال حياته قسم مملكته على اولاده فصارت تلك الممالك باسرها الى السلطان ازبك واصوله فانحصرت فيهم وهي لا تزال بايديكم لا ينازعكم فيها احد الا ظلماً وعدواناً . واما هذه المملكة فانها لاولاد تولي خان وصلت الآن من السلطان بعهد منه ووصية فلا يجوز للسلطان ازبك ان ينازعهم فيها وعلى كل الخصم حاضر مطاع

في ملكه مقبول القول في عسكره ، له شوكة وقوة فلا يمكنني ان اواجهه بذلك وانما اتكلم بما جرى فضولا ...

فلما سمع شيخ زاده البروانه هذا الكلام ورأى لهم الاستعداد والاهبة رجع خائفاً وعرض على السلطان ازبك مقالة الوزير وحينئذ تحقق له ما حكاه شيخ زاده ابن بروانه ولاحت له الآراء الصائبة فعلم ان لا مصلحة له في التعرض بهذه الممالك فقفل راجعاً ...

وكان ارسل السلطان ارپا خان حملة من عساكره عليهم فلم يجدوا لهم اثراً ورجع السلطان والوزير والامراء والعساكر بنشوة حسن السمعة والسلامة ... تحقق ذلك كله لعلي باشا وعلمت دلشاد خاتون ان طائفة الاويرات صاحبة اطماع وشرور وانها اذا ظفرت بالملك اخربت العالم فكرهت ان تجعل نفسها سبباً لهلاك الناس فابدت انها لم تكن حاملا من السلطان ابي سعيد وتنحت عن الدخول في هذا الامر وكوب معمعته ...

فلما رأى علي باشا ان هذه الخاتون قد تنصلت منه وخافت العاقبة دعا اليه شخصاً نساجاً من المغول المقيمين شتاءاً حول دقوقا واعلن انه من نسل بايدو خان وسماه (موسى خان) وتابعه هو ومن كان معه من الامراء واجلسه على تخت السلطنة وحينئذ سمع الوزير بفعله فانكره وانفذ اليه رسائل يعظه بها ويحذره ويرغبه في الدخول في طاعة السلطان ووعده بمواعيد حسنة فما بالى واصر على النزاع ثم توجه نحو اردو السلطان ارپاخان والوزير بعساكره فتوجهوا للقائه فتقاربوا في حدود حقو قريباً من بلدة مراغة .

فلما شاهد موسى خان تلك العساكر العظيمة والرايات السلطانية خاف خوفا شديداً . اما علي باشا فقد كاتبه جماعة من الامراء الذين مع السلطان مثل أمير

زاده محمود والامير اكرنج وسلطان شاه وهؤلاء فكروا ان أرپا خان رجل حاد وفيه صلابة وان الوزير لا يدع لأحد منهم مجالا يرفع فيه رأساً وأنهم اذا عدلوا الى علي باشا يكونون حكاما والامر لهم ولا يمكن أن يخالفهم أحد فتباعد علي باشا وموسى خان من محاذاة عسكر ارپا خان فظنوا انهم قد هربوا ... ولما تحقق الوزير ومن معه قصدهم ارادوا أن يتداركوا الامر فعسر عليهم ورأوا ان اكثر عساكرهم قد التحق بعسكر علي باشا وموسى خان فانكسر باقي العسكر وقبض القوم على ارپا خان وعلى الوزير فقتلا وصفا الملك للسلطان موسى خان وآلت الوزارة لعلي باشا وكانت مدة حكم ارپا خان ستة اشهر (١)

وجاء في الشذرات :

« وفيها — سنة ٧٣٦ — توفي القاآن ارپا خان الذي تسلطن بعد أبي سعيد ضربت عنقه صبراً يوم الفطر وكانت دولته نصف سنة خرج عليه علي باشا (كذا) والقاآن موسى فالتقوا فأسر المذكور ووزيره الذي سلطنه محمد بن الرشيد الهمذاني وقتلا صبراً وكان المصاف في وسط رمضان ... (٢)

وجاء في الدرر الكامنة عنه ما نصه :

« اربكوون (اربكوون) او (ارپا خان) المغلي من ذرية جنكيز خان . كان ابوه قتل فنشأ هذا جنديا في عمار الناس . فلما مات ابو سعيد نهض الوزير محمد ابن رشيد الدولة . فقال هذا الرجل من عظماء القاآن فبايعه العسكر وولي السلطنة بعد القاآن ابي سعيد فظلم وعسف وقتل الخاتون بغداد بنت جوبان زوج ابي سعيد وكان علي باشاه بالجزيرة فلم يدخل في الطاعة واخذ بغداد وأحضر موسى بن علي ابن بايدو بن ابغا بن هلاكو وسلطنه وعمل بين الفريقين مصاف فاستظهر ابن علي بابه (علي بابه اوباشاه) وقتل الوزير صبراً في ٨ رمضان وقتل اربكون في شوال

«١» العزاوي وكاشن خلنا . «٢» الشذرات ج ٦ .

من سنة ٧٣٦ وكانت مدة سلطنته خمسة اشهر او سنة واستقر موسى الذي سلطنوه نحو ثلاثة اشهر . » اه (١)

واكثر المؤرخين سماه أرباخان على خلاف ما جاء في الدرر الكامنة ... وفي تاريخ مفصل ايران كسائر الكتب الايرانية الاخرى ان اسمه (اربا گاؤن) وانه حدث المصاف في ساحل نهر جغاتو في ١٧ رمضان سنة ٧٣٦ هـ فانهزم جيش السلطان فقتل هو ووزيره بالوجه المشروح ... (٢)

وليس لهذا السلطان من الحكم ما يستدعي الاطالة بترجمة حاله وحكمه فمن حين صار ملكا الى ان قتل هو في نزاع داخلي وخارجي وقد تغلب على المملكة كثيرون وتقسمت الاهواء فيها شيعاً على ما سنتعرض له ... سوى اننا نقول قد انقرضت به في الحقيقة حكومة المغول وتقلص ظلها من بغداد خاصة وبعد امد قليل أمحت من سائر الاطراف بهلاك موسى خان ...

ترجمة غياث الدين محمد الوزير :

مر انه قتل صبراً مع السلطان ارباخان في ٨ رمضان او يوم الفطر سنة ٧٣٦هـ (٣) وهذا الوزير من خير وزراء المغول قام مقام ابيه (٤) وقد وفى الوزارة حقها ... وذلك انه لما توفي تاج الدين علي شاه حتف انفه ولم يمت في عهد المغول وزير كذلك وكان

«١» الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٤٨ و ج ٤ ص ١٣٥ . «٢» تاريخ مفصل ايران ص ٣٤٩ . «٣» في الدرر الكامنة عن ترجمته ج ٤ ص ١٣٥ . «٤» كانت الوزارة مضطربة من ايام سعد الدين والخواجة رشيد الدين وكذا ايام من وليهم وقد استراحت الحكومة في عهد المترجم مدة. ثم عادت الاختلالات وتولد بين الامراء اختلاف كبير كان اساس هذا التناطح ... فلا يستطيع واحد منهم ان يرضى الكل والنزعات متباينة والاحزاب السياسية في تذبذب ...

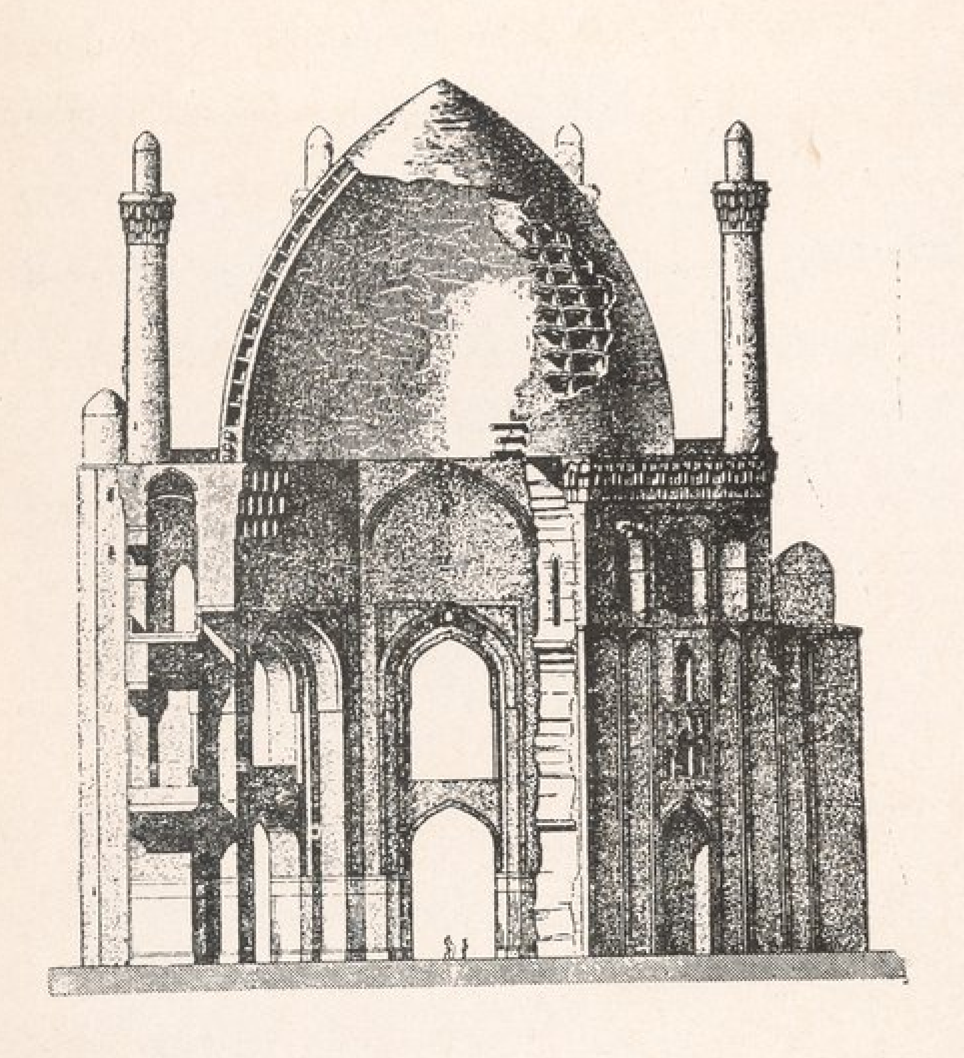
قد توفي في اوجان فى اواخر جمادى الآخرة عام ٧٢٤ هـ اضطربت امور الوزارة وتشوشت الادارة ... فجعلت لنصرة الملك الملقب بصائن وزيره هـذا ساءت ادارته في نظر الچوبان ... وهكذا استفاد من هذه الفرصة الامير چوبان سنـة ٧٢٥ فغير قلب السلطان عليه لما شعر منه ما لا يرضاه ومن ثم عين ابنه دمشق خواجة وزيراً في كافة الامور ودام فيها الى ان قتل ليلة ٥ شوال سنـة ٧٢٧ هـ ثم قتل ابوه اول المحرم سنة ٧٢٨ مع ابنه جلو خان (١) وفي شوال سنة ٧٢٨ قتل ابنه الاخر تمر تاش بمصر وقتل الامير حسن في مملـكة أوز بك والشيخ محمود في كرجستان بيد الجيش ...

ومن ثم و بعد قتـلة دمشق خواجة احيلت الوزارة للخواجـة غياث الدين محمد واشرك معه الخواجة علاء الدين ابن الخواجة عماد الدين ولقب هـذا ب (وزير نيكو) الا انـه لم تطل ايامه فجعل في ايران بلقب (مستوفى الممالك) فصارت الوزارة خالصة للوزير غياث الدين محمد ..:

وهذا دامت وزارته من تاريخ القضاء على دمشق خواجة كل ايام السلطان ابي سعيد الباقية والى آخر ايام ار پا خان .

وكانت ادارته من احسن الادارات وخير عهد للمغول فـكانت خالصة بيـد السلطان وفي ادارة وزيره وجرت الامور على أتم نظام ... نعم انتظم الملك واتسعت الاحوال في زمن هذا الوزير ولم يبق لأحد دخل من الامراء او الخواتين ... ولا تحكم على الرعايا او الجيش و بسطت يد الوزير في الادارة وضبط الممالك ونفذ

«١» لم تتفق كلمة المؤرخين على تاريخ الوفاة وسبب ذلك ان خبر قتله جاء متأخراً وقد نقلنا فيما مر بعض النصوص .



۱٦ ــــ مقطع مرقده تابع ص ٤٤٣

حكمه في جميع المملكة .. فقضى الوزير نحو تسع سنوات وهو يحسن الى جميع الناس وخاصة العلماء والاكابر الفضلاء ويكرم الصلحاء والمنقطعين والعباد المتزهدين... ولم ير ممن تقدمه ما كان يقوم به ، واظهر حمايته للدين اكثر من غيره ، وأمن الرعايا تأميناً لم يروا مثله ابداً ... ومكن العدل بين الكافة فرخصت في عهده الاسعار ، وزاد الرخاء ...

واراد الوزير ان لا يقع تذبذب واضطراب في المملكة حينما احس بما نال السلطان من الضعف والمرض ما انهك قواه ... فلاحظ انه من الضروري انتخاب ولي عهد اذ لم يكن للسلطان ولد ولا اخ ... فوقع الاختيار على ارپاخان من احفاد تولي خان بن جنكيز خان ...

فولي السلطنة بعد ابي سعيد وجرى عليه وعلى الوزير ما جرى . (١)

وفي هذه المدة حتى وفاة السلطان ابي سعيد كان الوالي ببغداد علي باشا الاويرات .

ملحوظة :

ان القاشاني في تاريخ الجايتو يتحامل على الخواجة رشيد الدين والد هذا الوزير وعلى العكس من ذلك صاحب تاريخ كزيدة فانه ينتصر للوزير غياث الدين وابيه و يتحامل على الآخرين ولكل وجهة والظاهر ان القاشاني كتب ما كتب ارضاء للسياسة وتبريراً للقضاء على الخواجة رشيد الدين.. وفي هذا العصر بلغت الحزبية غايتها...

وفاة :

علي بن محمد بن ممدود بن جامع بن عيسى اليندنيجي : هو ابو الحسن ابن المحدث محب الدين ولد سنة ٤٣ وسمع على العز أحمد بن يوسف الاكاف وعلى احمد

---

(١) كاشن خلفا والغياثي وتاريخ كزيده وترجمته المفصلة في تاريخ حبيب السير ج ٣ ص ١٢٧ : ١٢٨ .

ابن عمر الباذبيني ، واجاز له الششتري ومحمد بن علي السباك وابن الحصري وعلي ابن عبد اللطيف الالخمي وآخرون من الموصل و بغداد . وكان له اثبات عدمت في كائنة بغداد وكان على ذهنه اشياء كثيرة من اخبار الوقعة ببغداد وغيرها واقام مدة بواباً بدار الوكالة ببغداد وسمع على علي بن محمد بن محمد بن وضاح في مدح العلماء وذم الاباحية ... وسئل كيف نجوت من التتار فقال كنت صغيراً فتركت . قدم دمشق فحدث بالكثير . مات في المحرم سنة ٧٣٦ (٧٣٧) . (١)

سلطنة موسى خان

في غرة شوال سنة ٧٣٦ هـ

سلطنة (علي باشا — فتنة) :

لما قتل اربا خان والوزير غياث الدين محمد صفا الامر لعلي باشا وهو خال السلطان ابي سعيد فاجلس موسى خان على التخت وهو موسى خان بن علي بن بايدو ابن طاراغاي بن هلاكو خان فاستشعر من لم يكن محباً لعلي باشا من امراء الاويرات الظلم والتعدي فنفروا من الحكومة وهم الامير طغاي وهو من مشاهير امراء المغول والحاج طوغا بك لما كان بينهم و بينه من البغضاء وتوجهوا نحو الامير الشيخ حسن الكبير الايلخاني وهو امير الروم آنئذ وعلى هذا ولما سمع ذلك غضب من وقوع هذه الحوادث فاتفق الشيخ حسن مع الامير طغاي لدفع شر هذا الوزير علي باشا وقطع ضره فانفذ الامير الشيخ حسن رسولا الى صورغان شير بن الامير چوبان وكان في كرجستان وطلبه وامره ان يستصحب معه عساكره فأتى اليه بعسكر عظيم ...

فلما تقارب الجيشان في تبريز كر موسى خان وعلي باشا على مقدمة عساكر الشيخ

---

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٢١ .

حسن فانكسرت هذه المقدمة فظن موسى خان وعلي باشا ان هذا العسكر الذي انكسر هو الذي جمعه الشيخ حسن فبات موسى خان وامراؤه آمنين وتركوا الاحتياط وجعل بعضهم يهنئ البعض الآخر بالنصر والفتح وحينئذ ظهرت رايات الشيخ حسن الكبير فضربوا عساكر السلطان موسى خان وعلي باشا الاويرات وتقابل العسكران فلم يبد احد في هذه المعركة من الشجاعة ما ابدى علي باشا فقد ثبت ثباتاً ليس له نظير .

وآخر الامر خرج علي باشا ثم توحل فرسه فسقط به وحينئذ مر به من عرفه واحضره الى امير الامراء الشيخ حسن فاراد استبقاءه فلم يوافقه جماعة الامراء فقتله وولى الشيخ حسن (مظفر الدين محمداً) . واما موسى خان فانه هرب بين قبيلة الاويرات ... ثم قتل . (١)

حوادث سنة ٧٣٧ هـ

(١٣٣٧ م)

وفيات :

١ — وفاة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي : ثم الدمشقي ابي عوانة وابي محمد وابي يوسف ولد سنة ٥٧ وسمع من الجمال عبد الله بن يحي بن ابي بكر ابن يوسف بن حيون الجزائري ومن احمد بن عبد الدائم وابن ابي اليسر وابن الذشبي وغيرهم وحدث مات في ٨ جمادى الاولى سنة ٧٣٧ هـ . (٢)

٢ — وفاة عبد الرحمن السهروردي : هو عبد الرحمن بن عبد المحمود ابن عبد الرحمن ابن ابي جعفر محمد ابن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي

---

(١) العثماني وشجرة الترك . (٢) الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٣ .

نزيل بغداد يلقب جمال الدين . كان ناظر اوقاف العراق وتزوج بنت رشيد الدولة الوزير فعظم شأنه وكان شاباً محتشما ، تياهاً ، قليل التقوى ، متظاهراً بالمعاصي والجبروت والعتو ، كان يهتك الحرمات ثار عليه ابن البلدي واعوانه فقتلوه في ذي الحجة سنة ٧٣٧ هـ . (١)

السلطان مظفر الدين محمد

المتوفي سنة ٧٣٨ هـ

سلطنة مظفر الدين محمد والمتغلبة :

وهو ابن يول قوتلوق (يال قوتلوق) بن تيمور بن آيناجي بن منكو تيمور ابن هلاكو خان وكان صغيراً فتولى تدبير الامور كلها الشيخ حسن الكبير الجلايري وذلك ان الشيخ حسن حينما سمع بسلطنة موسى خان جاء بجيش عظيم من انحاء الكرج والروم وسار على ايران و بقرب تبريز تقارع مع السلطان موسى خان فانتصر الشيخ حسن عليه ... وفي هذه المعركة قتل علي باشا امير الاويرات . وان موسى خان هرب بين قبيلة الاويرات ...

و بعد قتلة علي باشا الاويرات صار موسى خان الى بغداد وحكم مع هذه الطائفة العراق ولكن دولة الشيخ حسن نالت اقبالا وسعداً وتمكن الشيخ حسن من الانتقام وعقد نكاحه على دلشاد خاتون زوجة السلطان ابي سعيد الذي كان اكرهه ان يطلق زوجته بغداد خاتون ...

ولما جاءت النوبة في السلطنة الى محمد خان فر من موسى خان امراؤه المغول والتحقوا بالسلطان محمد ... وهذا الخبر نزل كالصاعقة على الشيخ حسن بن تيمورطاش

«١» الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٤٤ .

ابن الامير چوبان فجاء بمن معه وساق جيوش الروم لتدارك الامر على عجل ... فلما ورد خاف السلطان محمد منه .

وفي هذا الاوان نهض الشيخ علي ابن الامير علي القوشجي وجمع كافة المغول في خراسان فضمهم اليه ومشى على بسطام واعلن الخانية باسم طغاي تيمور (طغا تيمور) فجعله ملكا ومن هناك سار على محمد خان الذي اقامه الشيخ حسن الجلايري وفي طريقه في آذر بيجان صادف قبيلة الاويرات ومعهم موسى خان فانضم الى طغاي تيمور والشيخ علي فسمع الشيخ حسن الجلايري بالخبر فوافى لمقارعة طغاي تيمور فاشتبك القتال بينهما في موقع يقال له (كرم بود) فانتصر الشيخ حسن عليهم وقتل في المعمعة موسى خان ومن ثم فر طوغاي تيمور والشيخ علي ابن الامير علي وذهبوا الى خراسان ...

ولما علم الشيخ حسن الصغير وهو ابن تيمورطاش ابن الامير چوبان السلدوزي وكان والياً من قبل السلطان ابي سعيد في بعض بلاد الروم ... سار الى الشيخ حسن الجلايري بجيشه العظيم فكانت المعركة بينهما في نخچوان وفي هذه المرة انتصر الچوباني على الجلايري وقتل السلطان محمد في الحرب ففر الشيخ حسن الجلايري الى السلطانية ... وذلك سنة ٧٣٨ هـ .

وجاء في الدرر الكامنة انه محمد بن عنبرجي البان المغلى بن نون . اقيم في المملكة بعد قتل ابي سعيد . وكان ابو سعيد لما مات زعمت سرية له انها حبلى فوضعت وكان محمداً هذا . فلما هزم الشيخ حسن جموع موسى بن علي سنة ٣٨ وقتل موسى عمد الشيخ حسن الى هذا الصبي فاقامه في السلطنة وله عشر سنين وناب له واضطربت المملكة في زمانه فاقبل من الروم ولدا تمرتاش ومعهما محفة اوهما ان اباهما فيها وانه لم يقتل وان الناصر لما أمر بقتله عمد بكتمر وهكلبش الى

تركي يشبهه فقطعا رأسه فاحضراه للناصر واختفى تمرتاش ثم بعثاه سراً في البحر الى بلاد الروم فلما وقع ذلك هرب الشيخ حسن الكبير الى خراسان وهاج الناس واشتد البلاء وكثر الظلم والنهب وانقطعت السبل ثم هلك محمد هذا وماجت البلاد وذلك في آخر سنة ٧٣٨ هـ وارسلوا الى طغاي تمر ملك خراسان وهو ابن عم اربكون (اربا خان) المقتول فتوقف ووثب جماعة على الذي زعم انه تمرتاش فطاردوه فقدم العراق في زي الصوفية ثم خمل ذكره وقتل واستولت صاتي بك بنت خربندا اخت ابي سعيد على الممالك وتسلطنت وخطب لها سنة ٧٣٩ هـ

وذلك ان الشيخ حسن الچوباني بعد ان اجلسها على سرير الملك سار الچوباني على الجلايري ثم استقر الصلح بينهما وصار الجلايري تابعاً للچوباني .

و بعد سنة عزل الشيخ حسن الصغير صاتي بك واجلس مكانها سليمان خان ابن محمد بن سنكه بن يشموت بن هلاكو وزوج منه صاتي بك ...

ثم انه بعد امد ثار الشيخ حسن الكبير علي الشيخ حسن الچوباني وجاء بغداد فاعلن السلطنة الى جهان تيمور بن الافرنك بن كيخاتو بن اباقاخان سنة ٧٤٣ هـ وجمع جيشاً فتحارب مع السلدوزي (الچوباني) فانتصر عليه الچوباني فهرب الشيخ حسن الكبير وعاد الى بغداد فعزل الخان المذكور واعلن سلطنته ...

واما الشيخ حسن الصغير فانه قتلته زوجته فخلفه اخوه الصغير الملك الاشرف واقيم انوشروان من ذرية هلاكو (١) خاناً و بعد مدة عزل هذا واعلن نفسه خاناً وهذا اساء السيرة ثم انه جهز عليه جاني بك خان جيشاً عظيما فتقاتلوا في خوي

---

(١) وفي كتاب مسكوكات اسلامية تقويمي ان انوشروان خان من ذرية ملوك ايران القدماء الكيانية ، ص٩٦ ، ومنهم من عده من القبجاق ودام حكمه من ٧٤٤ ، ٧٥٦ ...

فتغلب على الملك الاشرف وقتله وذلك سنة ٧٥٩ هـ .

والحاصل قد كثر التغلب وتمزقت المملكة بين امراء المغول فلم تعد لها حياة ...

وممن هرب من بغداد بسبب الفتن القائمة :

١ — حسام الدين حسن بن محمد بن محمد بن علي البغدادي الغوري الاصل الحنفي. ولد ببغداد وتولى الحسبة بها ثم القضاء . قدم القاهرة صحبة وزير بغداد نجم الدين محمود بن علي بن سروين في صفر سنة ٧٣٨ هـ لما وقعت الفتنة ببغداد فاستقر في قضاء الحنفية هنالك في ١٨ جمادى الآخرة من السنة قال في الدرر الكامنة سار سيرة غير مرضية ... الى ان اخرج من الديار المصرية فسكن دمشق مدة ثم توجه الى بغداد وولي تدرس مشهد ابي حنيفة .

٢ — الوزير نجم الدين محمود بن علي المذكور من وزراء بغداد ... ولا نعلم عنه شيئاً يذكر .

٣ — خليفة بن علي شاه ناصر الدين كان ابوه وزير بلاد التتار وقدم هو الشام فاعطي طبلخاناة وكان شكلا حسناً وكان وصوله صحبة نجم الدين محمود وزير بغداد توفي في دمشق في جمادى الاولى سنة ٧٤٧ هـ . (١)

المتغلبة على حكومة المغول :

قد مر القول عن بعض الثائرين ومدعي السلطنة في انحاء المملكة المغولية و بينهم من ضربت السكة باسمه وقرئت الخطبة له على رؤس المنابر ولم يكن لواحد منهم مكنة وثبوت في السلطنة ولا يد في الادارة وانما كانت لمن دعاهم و نهض باسمهم ...

---

(١) شجرة الترك والغياثي والدرر ج ٢ ص ٤٣ و ٤٥ وكلشن خلفا .

وهؤلاء ...

١ — ار پاخان (١٣ ربيع الاول : ٤ شوال ٧٣٦هـ) مر الكلام عليه و يلقب معز الدين وهذا لم تعرف له نقود مضروبة في العراق وانما له بعض النقود مضروبة في الممالك الاخرى ... في حين ان النقود الكثيرة ايام السلطان ابي سعيد ضربت في بغداد والموصل وواسط والحلة واربل . (١)

٢ — موسى خان . (شوال : ذي الحجة سنة ٧٣٦هـ) . وهذا ايضاً لم يعثر له على نقود مضروبة في بغداد ... وهو ابن علي بن بايدو .

٣ — السلطان محمد (ذي الحجة سنة ٧٣٦ : ذي الحجة سنة ٧٣٨ هـ) . وهذا وان كانت له بعض النقود الا انه لا يعرف ما ضرب في بغداد او الانحاء العراقية ...

٤ — طغا تيمور (طوغاي تيمور) (٧٣٧ : ٧٥٣) وله نقود مضروبة في الحلة وفي بغداد وفي اماكن اخرى ...

٥ — صاتي بيك خاتون (ساتي بك) (٧٣٩ : ٧٤١) . وهذه بنت السلطان محمد خدابنده . ولها نقود مضروبة خارج العراق ...

٦ — سليمان خان (٧٤١ : ٧٤٥) . وهذا كسره ارتنا صاحب الروم عام ٧٤٤ هـ (٢) . وله نقود مضروبة خارج العراق .

٧ — جهان تيمور (عز الدين جهان تيمور) (ذي الحجة ٧٣٩ : ذي الحجة ٧٤١)

«١» مسكوكات قديمه اسلاميه قتالوغي «٢» . ان ارتنا هذا صاحب الروم واستمر في ملكه واعلن استقلاله سنة ٧٣٨ ثم صار يوالي الناصر محمد بن قلاوون وكتب له السلطان تقليداً . وكان حسن الاسلام مات سنة ٧٥٣ هـ واستقر مكانه ولده محمد پاك « الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٤٩ » .


نطاق حكومة المغول في عهد جنكيز
الحكومة العباسية أيام المغول
روسية
مسقوه
كيف
قزان
حكومة القفجاق
سيبريا
حكومة جنكيز
سراي
قراقوروم
بحيرة بالقاش
مغولستان
خوارزم
المالق
فرغانة
اوترار
بخارا
الخطاي
طاشكند
سمرقند
كاشغر
مرو
مشهد
اويغور
تركستان
بلخ
خراسان
هراة
كابل
غزنة
خان بالق
الصين
تيبت
بنجاب
لاهور
دهلي
آغرا
الهند
خليج بنغاله
كرمان
مكران
بحر عمان
المدينة
مكة
إيران
جزيرة العرب

لم يعثر له عن نقود مضروبة في العراق .

وكل هؤلاء كانوا النوبة في ايدي امراء المغول ومتغلبة سائر الامراء او الدعاة لاولئك السلاطين وهم :

١ — ابو اسحاق بن محمد شاه ينجو قال ابن بطوطة عنه :

« فلما مات ابو سعيد وانقرض عقبه وتغلب كل امير على ما بيده خافهم (خاف الاهلين في شيراز) الامير حسين (١) وخرج عنهم وتغلب السلطان ابو اسحاق المذكور عليها وعلى اصفهان و بلاد فارس ... واشتدت شوكته وطمحت همته الى تملك ما يليه من البلاد فبدأ بالاقرب منها وهي مدينة يزد ... فحاصرها وتغلب عليها ... وقد اطنب ابن بطوطة في الكلام عليه راجع بقية البحث هناك (٢) وكان داعياً لنفسه ...

٢ — الامير مظفر شاه :

وهو ابن الامير محمد شاه ابن المظفر تغلب هو وابوه على يزد وكرمان وورقو وكانت يزد بيده فانتزعها منه ابو اسحاق المار الذكر (٣) . وآل مظفر تكونت منهم حكومة صارت تعد في عداد من حكم ايران (٤) .

٣ — الشيخ حسن الكبير وهو المعروف بالجلايري وقد استقل بحكومته في العراق وقد قام باسم احد سلاطين المغول وهو جهان تيمور المذكور آنفاً .

٤ — ابراهيم شاه ابن الامير سنيته (الموصل وما والاها) : تغلب على الموصل

---

(١) هو ابن الامير جوبان امير امراء المغول وكان والياً على شيراز .

(٢) ص ١٢٣ - ١٢٥ ج ١ و ص ١٣٩ . (٣) ص ١٢٥ ج ١ ابن بطوطة . (٤) تاريخ كزيدة والغياثي وغيرهما وكذا ص ١٣٩ من الرحلة .

وديار بكر (١) .

٥ — ارتنا : تغلب على بلاد التركان المعروفة ايضاً ببلاد الروم .

٦ — حسن خواجة (الشيخ حسن الصغير) : وهو ابن تيمورطاش بن الامير جوبان السلدوزي وهذا تغلب على تبريز والسلطانية وهمذان وقم وقاشان والري ووراءين وفرغان والكرج (٢) .

وجرت له حروب مع الشيخ حسن الجلايري فكان المنتصر ... وزاد نفوذ هذا بكثرة وعظمت مملكته وكاد يخلف التتر في حكومتهم ... وكانت زوجته عزة الملك قد عشقت يعقوب شاه ، وهذا فعل بعض ما يستوجب حبسه فحبسه حسن خواجة فظنت امرأته انه اطلع على الامر . وفي ليلة جاءها وهو في حالة السكر فاتخذت هذه الفرصة فردت خصيتيه فلم تدعه حتى قتلته فخلفه اخوه الصغير الملك الاشرف . وهذا نصب انوشروان من نسل هلاكو (على قول) فجعله ملكا و يعرف بانوشيروان العادل ولهذا نقود مضروبة باسمه ... ثم بعد مدة يسيرة عزله الملك الاشرف واعلن نفسه خانا وصارت تقرأ الخطبة وتضرب النقود باسمه ...

وكان هذا سيء السيرة ، قاتله ملك القفجاق جاني بيك خان فقتله سنة ٧٥٩ هـ

٧ — طغا تيمور : وجاء في ابن بطوطة بلفظ طغيتمور . تغلب على بعض بلاد خراسان .

٨ — الامير حسين ابن الامير غياث الدين : تغلب على هراة ومعظم بلاد خراسان .

٩ — ملك دينار : تغلب على بلاد مكران و بلاد كيج .

«١» ص ١٣٨ رحلة ابن بطوطة ج ١ . «٢» رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٩ وشجرة الترك ص ١٧٣ وغيرهما .

١٠ — الملك قطب الدين : وهو ابن تمهتن طمهتن تغلب على هرمز وكيش والقطيف والبحرين وقلهات .

١١ — السلطان افراسياب اتابك : تغلب على ايذج وغيرها من بلاد اللور ... كان تابعاً لحكومة المغول ويؤدي لها الخراج السنوي ... (١)

ومن مراجعة هذه القائمة يظهر التغلب وتمزيق اشلاء المملكة واضطرابها والناس آنئذ بسبب هذا الخلاف والنزاع في ارتباك من امرهم لا يدرون مصيرهم ولا ما سيحدق بهم ... وقد شاهد هذه الحالة ابن بطوطة وقصها كما رآها ... ولم يستقم للناس امر حتى سنة ٧٤٤ هـ وقد ابتلى الاهلون في كافة انحاء المملكة بانواع الظلم والجور وعدم الامن .

وعلى كل حال لما دخلت سنة ٧٣٨ هـ انتهى حكم المغول من بغداد بدخول الشيخ حسن الجلايري فيها بعد انكساره في معركة جرت بينه وبين الچوباني قتل فيها جهان تيمور ... وفي سنة ٧٤٤ هـ زالت حكومة المغول من ايران واذربيجان فانقرضت تماماً وتكونت حكومات صغرى على اطلالها ولا يهمنا تفصيل القول عن هؤلاء المتغلبة فانهم خارجون عن نطاق البحث عن العراق وحكوماته وسيأتي الكلام عن (حكومة الجلايرية في العراق) . (٢)

عشائر العراق

— في عهد المغول —

غالب عشائر العراق سكناهم قديمة فيه ... ومن ذلك الحين الى اليوم اختلفت اوضاعهم وتبدلت سلطاتهم بين قوة وضعف وقد ورد لهم بعض الحوادث في هذا

«١» رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٩ . «٢» الغياثي وشجرة الترك وكلشن خلفا وغيرها .

الدور وغاية ما يقال عنهم ان قوة حكومة المغول في اوائل صولتها لم تدع لهم ذكراً ولا ابقت لهم همة ... وانما سكنوا وسكتوا ينتظرون الفرص وما تأتي به الايام... فعادوا بعد مدة وحصلوا في اواخر هذه الدولة على مكانتهم ...

ونزوحهم الى المدن وتوطنهم فيها قليل وفردي ... وهؤلاء تميل نفسيتهم الى البداوة وهوائها الطلق وحريتها الواسعة فلا تحكم عليهم كما على اهل المدن ولا تضيق بهم ارض ...

وفي ادوار الظلم امثال هذه يندر جداً ان يستوطن البدوي المدن ...

والمعروف ممن ظهر له اسم من هذه القبائل :

١ — قبيلة طيء . وكانت صاحبة السيادة العشائرية ولها كل السلطة بين الحجاز والعراق وسورية وقد مر من حوادث امرائهم وعلاقتهم بالسياسة واوضاع الاختلافات الدولية جعلت لهم مركزاً ممتازاً بحيث صارت تخطب ودهم كل من حكومة سورية والعراق فترغب في امالتهم نحوها ترويجاً لمآربها واغراضها ... وامراؤهم مهنا واولاده واخوه ...

٢ — قبيلة خفاجة . وهذه القبيلة لها الصولة في انحاء الكوفة والمواطن الجنوبية منها وقد نعتها ابن بطوطة بان السلطة في تلك الانحاء كانت بيدها ... وقد جاء ذكرها عند الكلام على ابن الدواتدار الصغير ايضاً .

٣ — قبيلة بني اسد وهي في انحاء الحلة وفي جنوبي واسط وقد استعان بها ابن بطوطة في زيارته مرقد الشيخ احمد الرفاعي . وكانت من القبائل القوية ولها المكانة المعروفة ... ويطول بنا البحث عنها في هذا الموطن ...

٤ — المعادي . سمى ابن بطوطة القبائل الصغرى في انحاء الكوفة والاطراف المجاورة لها ممن في طريق واسط والكوفة بـ (المعادي) ويطلق عليهم عندنا

(المعدان) و (المعدنة) ، واما جمع ابن بطوطة فمفرده معيدي ، وفي المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه ... وهذه القبائل الصغرى لم تشتهر باسم عام يجمعها وهم الآن عشائر كثيرة غالبها من ذلك التاريخ وقبله مقيم في العراق في مواطنه ...

٥ — قبائل عقيل . وهؤلاء في انحاء البصرة وقد مر القول عنهم ...

٦ — البيات . من قبائل التركمان القديمة السكنى في العراق وكان زعماؤها اصحاب مكانة لدى الحكومة وقد افردنا لهم بحثاً في (تاريخ عشائر العراق) ...

٧ — عبادة . وهذه القبيلة قديمة السكنى في العراق . وهي وإن لم يرد لها ذكر في حوادث هذا العهد الا انها معروفة قبله ...

وهي من اكثر القبائل انتشاراً ، ولهذا السبب يقولون ان ضاع اصلك فقل (عبادي) . ومن هذه القبيلة (بنو عز) (١) وجماعتهم قليلة ولا محل للاطناب في البحث عن هذه القبيلة .

٨ — ربيعة . وهذه لم تظهر قوتها الا في العهود التالية وان كانت قديمة التوطن

٩ — كعب . وهي منتشرة ومجموعة في مواطن عديدة من العراق .

١٠ — قبائل المنتفق بكافة فروعها كانت تقيم من أمد بعيد في العراق ...

ولا مجال للكلام عن باقي العشائر الآن ممن لم يرد لهم ذكر في هذا التاريخ لعدم وجود وقائع لهم ذات مساس بسياسة الحكومة او بسبب ان الوقائع لم تتعرض الا للقبائل المناوئة للحكومة فتظهر حوادثها وان كان يرجع توطنهم الى ما قبل هذا العهد

---

(١) مختصر ابن الساعي ص ١٤١ طبع بولاق سنة ١٣٠٩ لخص من التاريخ الكبير لابن الساعي ، ولم يعرف مختصره ، وكان لخصه على ما جاء في آخره سنة ٦٦٦ هـ وهذا غير صحيح فقد اشار الى ان حكومة المغول كانت بيد سليمان شاه واولاد الجوبان مما يدل على انه كتب بعد هذا التاريخ ، او زيد عليه ....

وعلى كل ان الضعف في حكومة المغول كان قد دب في العهد الاخير وظهرت آثاره ... ذلك ما دعا ان تنهض القبائل بقوتها وان تبرز بسلطانها ... وتوضحت قدرة العشائر اكثر في الحكم العثماني لما وصلنا من الوثائق عنهم بسبب ان هناك وثائق عراقية تتعرض لامثال هذه . واما الحوادث المذكورة من قبل المؤرخين الآخرين فان نظرتها عامة ومن ناحية علاقتها بالحكومة لا غير ...

الحكومات المجاورة

لم يكن للعراق كيان خارجي ، او سياسة خاصة في هذا العهد ... وانما كان تابعاً لسياسة حكومة المغول فالعلاقة بين المغول و بين مجاوريهم بعيدة عنا واهمها كانت مع (القفچاق) وحكومتها مغولية ومع سورية وهذه كانت تابعة لمصر وامراؤها منقادون لها ... وكانت العلاقة في بادئ امرها حربية ثم دخلتها في اواخر ايامها المفاوضات السياسية والمعاهدات الصلحية ... ويعد منها قتلة (تيمورطاش) ابن الامير چوبان وقتلة قراسنقر ... وانتهت بمسالمات لمدة ... ولا محل للخوض في بيان واسع عن الحكومة المصرية في ذلك الزمن باكثر مما مر بيانه ... وانما اقول ان سلاطينهم المعاصرين .

١ — الملك المظفر قطز (٦٥٧ : ٦٥٨ هـ)

٢ — الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ : ٦٧٦ هـ)

٣ — الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٧٦ : ٦٧٨ هـ)

٤ — الملك العادل بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس (٦٧٨ : ٦٧٨ هـ)

٥ — الملك المنصور قلاوون الصالحي ٦٧٨ : ٦٨٩ هـ)

٦ — الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور (٦٨٩ : ٦٩٣ هـ)

٧ — الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون (٦٩٣ : ٧٤١ هـ)

و يعبر عنهم المؤرخون في سورية ومصر مثل ابي الفداء وابن الوردي وابن كثير والعيني (بسلاطين الاسلام) كما ينعتون امراء المغول (بسلاطين التتر) . وفي سورية إمارات تابعة للحكومة المصرية ...

هذا وقد تولدت بعض علاقات وروابط مع شريف مكة وحاولت ان تتدخل الحكومة المغولية في امورها كما تدخلت الحكومة المصرية الا ان اجلها قريب ولم يطل امرها كثيراً وقد مر بعض الحوادث عن ذلك ... وقد حكم احدهم الحلة (١) وانحاءها ولعل تأسس امارة المنتفق مؤخراً ناشئ من جراء هذا الحادث ببقاء بعض رجالاتهم بين عشائر المنتفق فتمكنوا من الادارة واخذوا السلطة العشائرية بايديهم ... واما الغربيون فقد كانت علاقاتهم قوية في بادئ امرها وفقدت او كادت تفقد . حينما اعلن ملوك المغول اسلامهم ومن ثم قويت العلاقات وتوالت الرسل وعقدت المعاهدات او استقرت المطالب بين الطرفين ...

الحضارة والثقافة

لا يسع الآن التبسط ، والبحث عن موضوع (التاريخ العلمي والادبي) وقد افردناه على حدة . وهنا اقول ان القطر العراقي بعد ان فقد استقلاله ، وزال عنه الطابع الاسلامي ولو صورة ، و بعد ان صار نهباً بيد الفاتحين لم يبق بيده ما يعول عليه ، او يركن الى قوته سوى الاوقاف الاسلامية . وهذه كانت في عهدها العباسي مكينة ، وتسابق الاهلون ورجال الدولة الى أعمال البر لتقوية الثقافة ، وتنمية الصلاح

---

(١) ابن بطوطة ج ١ .

بمقاييس واسعة جداً ...

ولما لم يتعرض الفاتح بالمؤسسات الدينية ايام احتلاله كان من نتائج ذلك الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ومن اوضح ظواهرها المدارس الكبرى مثل المستنصرية والنظامية والبشيرية ... والرباطات ومشيخاتها ... فصارت خير واسطة لم الشمث واستبقاء الحضارة ... مما دعا ان ينبغ كثيرون ذاعت شهرتهم وطبقت الآفاق ...

ترجمنا مختصراً بعض المشاهير الا ان الموضوع ليس محل بيان مناهجهم العلمية ، وما احدثوه من آثار ... وبين هؤلاء المتكلمون ، والحقوقيون اي الفقهاء الذين لا تزال كتبهم المعول عليها ، والاطباء ، واللغويون والمؤرخون ، والخطاطون ، والموسيقيون ، والشعراء والادباء والمجان ... وهكذا يقال عن الزهاد والصوفية والمتصوفة وقد اشتهر منهم كثيرون ...

والمدارس كانت ادارتها مودعة الى رجالات العراق وغالب ايامها الى قاضي القضاة او الى صدر الوقوف ينظر فيهـا وفي المعاهد الخيرية والدينية ... ولم يستول على اوقافها غيرهم فيتولى ادارتها وتعهد اليه صدارة الوقوف الامدة يسيرة .. وفي هذا ايضاً لم يهمل شأنها ولا اودعت الى من هو غريب عن الاسلامية او اجنبي عنها...

فكانت خدماتها كبرى ، وفوائدها عظمى سواء في الحضارة او في الثقافة العامة او الخاصة والسياسة لم تعارضها ... ولم يؤثر في سيرها ضيـاع الكتب وبعض المكتبات ، او الذهاب بها الى مراغة وانتزاعها من العراق فلا تزال بقية باقية تغذي العقول ، وتحبب العلوم وتمكنها في البلد دون حاجة الى مناصرة من حكومة والحكومة آنئذ اجنبية فلم تؤثر على عقائدها ولا ثقافتها ، ولا تغير مركز الحكومة من بغداد الى ايران ... كل ذلك لم يضرها الضرر الكبير ولا قلل من روحيتها...

الحكومة الايلخانية في العراق

المقياس

كيلومتر ٦٤٠ ٤٨٠ ٣٢٠ ١٦٠ ٨٠ ٠ كيلومتر

صحراء الخزر
صحراء قفجاق
تركستان
البحر الاسود (بنطس)
مملكة الكرج
بلاد الروم
صحراء الغز
خراسان
ما وراء النهر
كشمير
بنجاب
سجستان
كوهستان
كرمان
فارس
مكران
بلاد السند
بحر عمان
خليج فارس
جزيرة العرب
الشام

ثم ان التجاء الهاربين من علماء العراق ايام الواقعة و بعدها قد ولد انتباهاً في الاقطار الاسلامية الكبرى مثل سورية ومصر ... هاجروا هرباً من المغول فاوجدوا نهضة علمية ، واشتهر فيها جماعة من علماء العراق فاثروا في الثقافة ونالوا منزلة لا يستهان بها ... ولم يفقد العراق مزاياه بذهابهم وانما تمكن في مدة يسيرة من استعادة مجده العلمي والثقافي ...

والعراق لم يقف عند مؤسساته القديمة او بقاياها وانما اسس معاهد جديدة مثل المدرسة العصمتية الا انها قليلة ولا تقاس بما بقي الى ما بعد الاحتلال من المؤسسات العباسية ، و بقاؤها كان نعمة فهي خير معهد تربية علمية وادبية وفنية ... والحكومة آنئذ لم تتعرض للمؤسسات امثال هذه ... ولكنها بعد ان اسلمت ناصرتها وايدت مركزها ...

— نعم كان اكبر عمل هدام لهذه المؤسسات وللتقليل من شأنها ان الفاتحين بسبب انهم لم يكونوا مسلمين راعوا ما يوافق رغبتهم من العلوم والثقافات كالعلوم الفلكية والرياضية والطب .. ومن الفنون الموسيقى وامثال ذلك كالرسم او مايتعلق بالمعاملات اليومية فكان هو المعتبر عندهم. اما سائر العلوم فانها قامت بمؤسساتها ... وهناك عامل آخر لا يقل عن سابقه وهو تمركز الادارة في ايران وانقياد العراق لها ...

وهذا العهد على ما فيه من زوابع وغوائل كان خير العهود التي وليته واشتهر فيه من النوابغ في العلوم والفنون والصناعات المختلفة بحيث صار اساساً وقدوة ... وقد اشرنا الى امثلة كثيرة على ذلك سواء في العلوم ، او في آثار الريازة في بناء السلطانية واستخدام عراقيين كثيرين للهندسة والعمارة ... وهكذا يقال عن الخطوط فقد ظهرت في خط ياقوت واضرابه ممن مرت تراجمهم وصارت اساساً يتحداه

سائر اهل الاقطار الاخرى ، ومن الصناعات مما ظهر في الهدايا والتقادم المرسلة الى ملوك مصر ...

والحاصل لا يسع المقام التبسط في امثال هذه فنكتفي بالاشارة ونجتزئ بما مر من المباحث ...

الخـــاتمة

ان الحالات الاجتماعية لا تتغير بسهولة ولا التشكيلات الادارية تتبدل بسرعة فان بقاءها او هدمها لا يتوقف على عمل الشخص ... فالامة لا ترضى بعمل الفرد ولا توافقه عليه بوجه اذا كان في نظرها قبيحاً ولا تكون مكرهة على البقاء والاحتفاظ ... سواء كان ذلك الفرد خليفة او وزيراً او قائداً متسلطاً ... فلا يستقر واحد من هؤلاء بمكانته مع علم الامة بذلك ... وعلى كل حدث استيلاء المغول واكتسح العراق مهما كان السبب واياً كان ... فالعراق كان من الضعف وسوء الادارة بمكانة ... ومما قيل في الحكومة العباسية ايام ضعفها :

مالي رأيت بني العباس قد فتحوا ... من الكنى ومن الاسماء ابوابا
ولقبوا رجلا لو عاش اولهم ... ما كان يجعله للحش بوابا
قل الدراهم في كفي خليفتنا ... هذا فانفق في الاقوام القابا

و بعد الاستيلاء سنة ٦٥٦ هـ عاد قطراً تابعاً رأساً الى حكومة المغول ودام حكمهم الى عام ٧٣٨ هـ وكان العراق في بادئ امره يعين ولاته من العراقيين ودام هذا الحال مدة ومن ثم راجت الفتن والتقولات من بعضهم على بعض حتى صارت الحكومة لا تأمن من احد كما انها نكلت بالكثيرين منهم الواحد اثر الآخر بما وقع بينهم من فتن ونسبة خيانة ونهب اموال ... ولم يترك هؤلاء وشأنهم وانما

كان يعين مع الوالي نائب من المغول وفي الغالب يشرك مع الوزير غيره ... وكان يعاقب المرتكب لخيانة ما بالاعدام ...

ثم صارت الحكومة تنصب وزيراً رأساً من امرائها الذين دخلوا في حكم المغول من الايرانيين وزاد نفوذهم في الحكم بشدة ... وقد مضى الكلام عن جماعة منهم الا انه يلاحظ ان الولاة لا يذكر لهم شان الا في حوادث خاصة ومعينة ومن المحتمل ان هناك ولاة آخرين لم نطلع عليهم ممن قضوا حكمهم بهدوء وسكينة ...

وهؤلاء في الحقيقةهم رؤساء الديوان والقائمون بالادارة الداخلية — كما كان الشأن ايام الدولة العباسية في عهدها الاول — و بيدهم الحل والعقد وهم المرجع وفي الا كثر لم يغير شيء من مألوف الاهلين ومن اصول الادارة واول وزراء بغداد ابن العلقمي وآخرهم علي شاه الاويراتي ... وكان القضاة يعينون من بغداد من اشهر المدرسين ومن تظهر له مكانة علمية و يعتبر قاضي بغداد قاضي القضاة وهذا انتزعت منه ادارة الوقوف وصار يعين لها من يسمى (صدر الوقوف) للنظر في الاوقاف الخيرية ولم يتعرض المغول للمناصب الدينية الا لهذا المنصب فجعل للخواجة نصير الدين الطوسي ثم لابنه و بعدها انتزع واعيد الى قاضي القضاة ... وابقى القوم لقاضي القضاة نائباً وهو يقوم بحسم الخصومات . هذا عدا قاضي الكرخ ...

وعلى كل بقيت التشكيلات الادارية على حالها بصورة مصغرة والالوية كذلك وتسمى الكور ولكل منها صدر (١) وقد تسمى صدارة لا كورة وقد يكون للصدر نائب وزعيم وهكذا ... فابقيت الاوضاع كما كانت سوى ان الادارة صارت محدودة ، وان للحكومة عائدات تستوفيها ولكنها فيها من القسوة والظلم

---

(١) الصدر في اصطلاحنا اليوم يدعى ، متصرف اللواء ، وقد اختلفت الاصطلاحات كثيراً عن ذي قبل ...

في اكثر الاحيان مالا يوصف ... والالوية المعروفة آنئذ :

١ — بغداد وفيها الوزير

٢ — طريق خراسان (لواء ديالى)

٣ — الحلة والكوفة

٤ — قوسان ومنه النعمانية (لواء واحد في غالب الاحيان)

٥ — واسط والبصرة (قد تنفصل او تتصل)

٦ — دجيل وما والاه

٧ — الانبار

٨ — الموصل

٩ — اربل

١٠ — دقوقا

١١ — تستر او خوزستان (في بعض الاحيان قد تابعت بغداد)

وهذه الالوية لم تكن كلها مرتبطة ببغداد وادارتها ... فالموصل كانت تدار رأساً ، وكذا اربل ... واما لورستان فانها امارة تابعة وادارتها الداخلية مستقلة ...

وفي الايام الاخيرة نال بغداد ظلم وقسوة من جراء اختلاف امراء المغول على السلطة والادارة فكانت المصيبة عظمى ، والكارثة كبرى ... والعراق وان كان في اوائل ايامهم لا يزال محافظاً على وضعه . وحسن ادارته . وراحته بعد السقوط خصوصاً بعد ان اسلم القوم ... الا ان النكبة الاخيرة امضت فيه وقست عليه اعني انهماك السلاطين في الاهواء النفسية وتسلط الامراء ونفوذهم وهي مقدمة الارزاء واول النكبات ... ومن ثم تدرجت المملكة العراقية في التدهور ومضت في سبيل الانحطاط الى ماشاء الله ...

واما المغول فانهم لما كانت حكومتهم على نشاطها وقدرتها و بيدها اليساق لم يسمع لها خلاف او مناوأة من الامراء ولا هناك من شق عصى الطاعة الا قليلا ولكن الامر تزايد وصار الزعماء كل واحد يرى في نفسه الكفاءة للقيام بالادارة ... ومن ثم لعبوا بمقدرات الملوك و بالشعب وزاد الخلاف الى ان كانت نتيجته القضاء على هذه الادارة وتمزيق شملها ولو كان الامر مقصوراً على انقراض المغول لقلنا نعم ما وقع ولكن ذلك ادى الى ما امض بالاهلين وانهك قواهم وسلب ثروتهم ولم يعد لهم امل في ان يتمكنوا من استعادة قوتهم ومجدهم ...

هذا ولم يدخل خلاف في امة ولم تتشعب اهواؤها الا قضي عليها وماتت ... مما هو مشاهد ، محسوس في كافة الحالات الاجتماعية للامم ، والادارية فرع منها ولكل امة اجل ...

والعراق نظراً لهذه الاوضاع وانحلال الادارة لم يبق فيه رأس مرعي الجانب ، مسموع الكلمة ، محترم القول ... والسلطة السياسية القابضة عليه كانت يدها من حديد وهي بين مغولية وايرانية ... واساساً الآمال القومية والاماني الاستقلالية ماتت روحها بسبب الاجنبي ويده الفعالة في تفريق صفوف الامة وتوليد الخلاف بينهم وتقويته ... وظواهر ذلك وامثلته كثيرة مضى القول على بعضها ... ونقف عند هذا من تاريخ حكومة المغول في العراق والله ولي الامر.

تم المجلد الاول في حكومة المغول

من تاريخ العراق بين احتلالين

١ - فهرس المواضيع

صحيفة

صحيفة

٢ – فهرست الكتب

٣ - فهرس الامكنة والبقاع

٤ - فهرس الشعوب والقبائل

والبيوت والنحل

٥ - فهرس الاشخاص

تنبيه : في الغالب حذفنا حرف التعريف في هذه الفهارس لتسهيل التحري على اللفظة

٦ – فهرس بعض الالفاظ الدخيلة والغريبة



٧- فهرس الصور

* * *

٨- فهرس الخرائط

تصحيحات الاغلاط

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	١١	روايها	راويها
١١	١٥	نورديدة	دو نورديدهٔ
١١	١٦	هر	وهر
١١	١٧	عين	عيني
١١	١٨	واشتغل	واشتعل
١٧	٢٠	يتحققوا	يتحققوا منه
٢٣	٨	في	وفي
٤٦	١١	اولدوي	او الدوي
٦٢	١٥	اذا	اذ
٦٤	١٢	اركنه‌قوي	اركنه قون
٦٧	٤	الاد	اولاد
٦٨	١٤	احدى	احد
٦٨	١٧	نوكون	نكون
٧٢	١٠	بيسوت	ييسوت
٧٣	١٤	بيلون بيلدوق	ييلون ييلدوق
٧٦	٨	شنكون	سنكون
٧٨	٤	الوقعية	الوقيعة
٧٩	١٤	ارقاي‌سنكون	سنكون
٧٨	٧	جلال الدين	علاء الدين
٧٩	١٦	ورد	اورد
١٠٩	١٣	عثمرا	غنموا
١٠٩	١٣	وعادلوا	وعادوا
١١٨	١٦	الوصل	الوصول
١١٩	٦	الوقعت	الوقعة
١٢٧	١٧	الاصغر	الاصفر
١٣٥	٣	قوريلينائي	قوريلتاي
١٥٠	١٦	سريغي	سريعي
١٥١	١٠	كوكاايكا	كوكاايلكا
١٥٢	١٣	٤٧٣هـ ١٠٨١م	٤٨٣هـ ١٠٩١م
١٥٣	١٨	التصرف	التصوف
١٥٥	٢٠	نررغو	تورغو
١٦٠	١٧	ابن كره	ابن كر
١٦٧	١٣	المغلول	المغول
١٧١	٨	المررقة	المزرفة
١٧٣	٥	ايلكو	ايلكا
١٧٥	٨	الدمغاني	الدامغاني

ص	س	الخطأ	الصواب
١٧٧	٢١	واحمد	احمد
١٨٤	١	نداؤه	ندماؤه
١٨٦	٩	زمان	زمام
١٩٢	١٨	اذعت	اذعنت
١٩٤	٧	ليعده	لبعده
٢١٥	١١	اعطاها	اعطاه
٢١٨	١٣	خان	خاتون
٢٣٢	٦	اليعقوبي	البعقوبي
٢٣٢	١٥	التيار	النيار
٢٣٦	٥	المغولا	المغول
»	١٩	الغرمان	الفرمان
٢٥٦	١٤	وقتل	وقتلوا
٢٥٩	٣	تفريقه	تغريقه
٢٦٣	١٤	٥٦٦هـ	٦٦٦ هـ
٢٦٦	٤	معبداً	معيداً
٢٧٢	١٨	العصمية	العصمتية
٢٨٢	٩	المدنية	المدينة
٢٩٠	١١	تنارقيا	تتارقيا
٢٩٣	١و٢	البشرية	البشيْرية
٣١٣	٢١	جدة	جده
٣١٧	١٧	قوللرس	ڤوللرس
٣٢٠	١٢	اصاب	اصحاب
٣٤١	٧	كسبوها	كبسوها
٣٥٣	٢٠	فرنك	فرهنك
٣٦٩	٥	مظفر	مظفر
٣٧٠	٩	الاغمار	الاغماد
٣٩٥	٣	كفيره	كغيره
٤٠٥	١٢	بقاروث	بفاروث
٤٠٧	٢١	يوسف	الحسن بن يوسف
٤١٠	١٣	رزو به	روز به
٤١١	٧	الافرار	الاقراء
٤٨٠	١٦	فهزت	فهرت
٤٨٠	١٨	بالجر	بالجتر
٤٨٨	١٥	الزيزني	الزديراني
٤٩٧	٩	يضيع (كذا)	بضبع القلعة
٤٩٩	١٦	بالفيطات	بالغيطات
٥٠٣	١٩	اياجي	اباجي
٥٠٧	٨	الزديراتي	الزديراني
٥٦٤	٣٧	باب طرارد	باب طراد

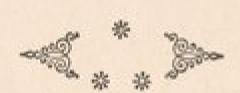
تاريخ اليزيدية
و
اصل عقيدتهم

(للمؤلف) في عقائد اليزيدية ، وتطور نحلتها في مختلف العصور ، وذكر وقائعها التاريخية ، وعشائرها وقراها ، ونص كتبها الدينية كمصحف رش ، وكتاب الجلوة ، وفي الكتاب فهارس متعددة . . تم طبعه وسينشر قريباً

الكتب المعدة للطبع

١ – عشائر العراق .

٢ – حكومة الجلايرية من تاريخ العراق بين احتلالين .



عشائر العراق

لابن

(للمؤلف) في العشائر العراقية من اقدم ازمانها الى الفتح الاسلامي ، والعشائر الحاضرة وصلتها بتاريخ العراق ، وتاريخ نزوحها اليه ؛ وفيه بيان عن انسابها ، ووقائعها التاريخية ، وفروعها وآدابها ، وتجولاتها ، وعرفها ، وسائر احوالها ...

قد اعد للطبع

Histoire de l'Irâq

ENTRE DEUX OCCUPATIONS

DE L'AN 656 A L'AN 738

DE L'HEGIRE

(DU 1258 A L'AN 1337 DE L'ERE

CHRETIENNE)

— 1 —

DYNASTIE DES MOGOLS

PAR

Mre Abbas Azzaoui

IMPRIMERIE BAGDAD " 1935

